

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والأعلام

قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية

دراسة لواقع الدعوة في نجد والحجاز

في القرن الثالث عشر الهجري

رسالة دكتوراة

إعداد

عبدالله بن محمد الموسى

إشراف الدكتور

محمد بن عبدالله السلمان

١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله أرسله تعالى { شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً } (١) خير من دعا إلى الله على بصيرة وجاهد في الله حق جهاده وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صلي وسلم وبارك على هذا النبي الأمي، وعلى آله الطيبين وعلى أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد ..

فإني أشكر الله تعالى أن هياً لي فرصة البحث والدراسة في الدعوة الإسلامية، لأن الدعوة إلى الله أمرها عظيم وشأنها كبير ، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : { ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين } (٢) . ولقد كان من فضل الله علي أنه لما اتجهت نيتي إلى الدراسات العليا كانت دراستي في مجال الدعوة الإسلامية . والذي أمله أن تكون دراستي في هذا المجال حافزاً لي في أداء شئ من واجب الدعوة ولما وفقني المولى تعالى ، واتجهت نيتي لإكمال الدراسة العالية في حقل الدعوة والاحتساب ، وعقدت النية على البحث في رسالة (الدكتوراة) ، مكثت فترة طويلة - بعد الماجستير- أبحث عن موضوع مناسب يكون مادة مفيدة للرسالة ويحقق الغرض الذي أطمح إليه بإعطاء دروس مفيدة في أسلوب الدعوة إلى الله ، والكشف عن بعض الجوانب الهامة في الدعوة الإسلامية ؛ مما يساعد على الدعوة إلى الإسلام في عصرنا الحاضر بما يتناسب وروح العصر وواقع الأمة المسلمة .

(١) سورة الأحزاب : الآيتان ٤٥ ، ٤٦

(٢) سورة فصلت : آية ٣٣

ومن خلال مطالعتي ودأبي في البحث ، وبعد استشارتي أساتذتي والاستئناس بأرائهم وبعدما رأيت أن هناك مرحلة زمنية مهمة في خط سير الدعوة الإسلامية المباركة تعتبر من أهم الفترات التي عاشتها أمة الإسلام ودعوته المباركة بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه والقرون المفضلة، فترة مضيئة في جبين الدعوة يفخر بها كل مسلم حيث أينعت ثمارها ، بعودة جزء مهم من أمة الإسلام إلى دينها على الصورة التي تركنا عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إخلاصاً في العبادة لله وشفاءً في العقيدة وتوحيداً ووحدة واتحاداً في الأمة، ورفعة لشأن الإسلام والمسلمين وأعني بذلك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد في منتصف القرن الثاني عشر وما بعده.

وإذا كان قد سبق لي أن تحدثت في رسالة الماجستير عن (أسباب نجاح الدعوة في العهد النبوي) في فترة تعتبر القاعدة والأساس لدعوة الإسلام في كل زمان ومكان ، فإنني أرى من المناسب أن أربط بين تلك الفترة من فترات دعوة الإسلام وبين فترة أخرى تعتبر من أهم فترات الدعوة لألحق الفرع بأصله وأوثق البناء بأساسه وقاعدته ، ولانثب أن الدعوات السلفية متصلة الحلقات ، وأعني بالفترة الأخرى المدة التي أخترت دراسة واقع الدعوة فيها: (حال الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري) ، وهي فترة جديرة بأن تكون محلاً للدراسة ، لاسيما أنها بحق المعين الذي نهلت منه الدعوة فيما بعد ، كما رأيت من المناسب التركيز على أهمية هذه الفترة بعد أن لاحظت قلة الاهتمام بواقع الدعوة فيها ونظر البعض إليها على أنها مجرد فترة تاريخية كغيرها من الفترات بالرغم من أهميتها وصلاحيتها لتكون درساً لدعاة الإسلام اليوم ، وقد نسي هؤلاء أن التاريخ هو ذاكرة البشرية ، وسجل أحداثها وديوان عبّرها، والشاهد العدل لها أو عليها . فالداعية محتاج إلى أن يستشهد بأحداث التاريخ وواقع الأمم والأزمات ومواقف الأبطال وحال دعاة الإصلاح وخصومهم ومظاهر الحياة وموجوداتها ليثبت المعاني والقيم التي يدعو إليها في أذهان المدعوين .

فلو نظرنا في قضايا أي عصر وأحواله لوجدنا كثيراً منها جنورها بعيدة الأغوار متعددة الأطوار، مرتبط حاضرها بماضيها وفرعها بأصلها ، بل قد لا نستطيع فهم الحاضر

وتصحيح خطئه إلا بمعرفة ماضيه وجذوره وعلله وأسبابه ونتائجه، فالتاريخ مرآة مصقولة تجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور ، وجزاء الشاكرين لنعمة الله وعقوبة الكافرين بها . (١)

ونحن أبناء هذه البلاد أولى الناس بمعرفة حال أجدادنا وأسلافنا ودعوتهم وبيواتع أمتنا وبلادنا ، وبمحاولة لمس بعض الجهود التي بذلها أولئك الأسلاف ؛ لأن الكيان الشامخ الذي نراه والعقيدة السلفية التي نعيش فيها والأمن الوارف الذي نستظل به ، ورغد العيش الذي نرقل فيه وغير ذلك من نعم الله ما كانت إلا نتاجاً طبيعياً لما بذل من جهد وتكبد من مشاق .

وأن تلك النعم والخيرات لم تأت من فراغ ولم تتحقق بسهولة ولم تكن مصادفة عابرة وإنما جاءت نعمة ومنة من الله تعالى وبهداية الله وتوفيقه ، سالت من أجلها أنهار غزيرة من دماء أبناء الأمة، وراح بسببها كثير من شباب البلاد ورجالها في (ملحمة رائعة) ماهي إلا امتداد لصراع الحق والباطل والهدى والضلال ، مواجهة لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلاً في عصوره المتأخرة، وهو ما أثبتته هذه الدراسة من خلال النظر في الظروف والأحداث والقضايا الرئيسية المرتبطة بالدعوة وجهود الدعاة وأحوالهم وأهدافهم ، بل وحال الدعوة عموماً في تلك الفترة التي قمت بدراسة واقع الدعوة الإسلامية فيها، بعد أن حصرت الدراسة بمكانين مهمين أو مجتمعين رئيسيين للدراسة وهما نجد والحجاز لأنهما أهم مجتمعين من مجتمعات الجزيرة العربية التي صار للدعوة تأثير فيها، كما حددت الزمان بالقرن الثالث عشر الهجري ، لأهميته ولما حصل فيه من أحداث هامة، ولأن هذه الفترة تعتبر وسطاً بالنسبة لحال الدعوة في تلك الأزمنة فدراستنا لها - كذلك - ستخدم الفترات الأخرى قبلها وبعدها .

(١) يوسف القرضاري : ثقافة الداعية ص ١٠٢، ١٠٣

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

لقد استيقنت من خلال البحث والاستقراء الدقيق لاختيار موضوع البحث أن اختياره كموضوع للبحث وكيفية دراسته ، وتحديد المنهج الذي سيسار عليه في الدراسة وكذلك تحديد مشكلته البحثية التي تُبنى عليها الدراسة ؛ مهمة صعبة وعملية شاقة ربما تكون أصعب من إيجاد الحلول للمسائل المطروحة في البحث . والسبب في اعتقادي - والله أعلم أن منهج البحث وتحديد مشكلته عبارة عن سبيل ممهّد ، وطريق معبد للبحث فإن سَهْلُ الطريق أمكن السير فيه وعبره بسهولة للوصول إلى القصد بيسرٍ وأمان ، وإن صَعَبُ الطريق شقَّ السير فيه ، وأتعب في الوصول إلى الهدف وربما تعذر بالكلية . وقبل أن أشرع في تلخيص أسباب اختياري لموضوع (الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية ، دراسة لواقع الدعوة بنجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري) أشير إلى أنه عند الاختيار والتحديد لهذا الموضوع أخذت في اعتباري أموراً ضرورية منها:-

- ١- اتفاق هذا الموضوع مع ميولي واهتمامي واستعدادي .
- ٢- نوعية الدراسة التي سوف أقوم بها وطبيعة المنهج الذي سأعتمد عليه وهو (المنهج التاريخي التحليلي الوثائقي) وقد أحتاج إلى (المنهج الوصفي) لأن ذلك هو المناسب لدراستي في اعتقادي .
- ٣- توفر الوسائل اللازمة للبحث من مصادر أصلية وفرعية - من كتب ومخطوطات ووثائق ومشاهدات - وسفر إلى بعض البلاد التي تتوفر فيها المصادر المطلوبة من مخطوطات أو مقابلات وغيرها ، حيث سافرت إلى بعض مناطق المملكة كالدرعية ومكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك إلى مصر والكويت والبحرين ، مما يعطيني الأمل بأن أقدم بحثاً مناسباً إن شاء الله.
- ٤- وضع خطة ومنهج للبحث وأدواته ووسائله تتناسب مع موضوعات الدراسة.
- ٥- صعوبة الموضوع المتشعب الجوانب ، المتعدد الأغراض والأهداف ، الذي يحتاج إلى مثابرة في البحث ، وإلى جدٍ واجتهاد من الباحث وإلى مقدرة على النظر واتقان للتحليل تتناسبان مع حجم الموضوع وما أثير حوله من قضايا وما كتب عنه من كتابات كثيرة ؛ تختلف في اتجاهاتها وأهدافها ما بين سياسية ودينية واجتماعية من المؤيدين والمعارضين .

- وأما أسباب اختيار هذا الموضوع ، فقد كان هناك أسباب كثيرة دفعتني لاختياره منها :-
- ١- أهمية جزيرة العرب بعمومها في حياة المسلمين منذ بزوغ شمس الإسلام وما تكنه أمة الإسلام للبلاد المقدسة من احترام وإجلال ؛ ففيها قبلتهم وموضع حجهم ونسكهم ، فلا بد من الاهتمام بها ودراسة أحوالها في كل العصور.
 - ٢- أهمية الدعوة الإسلامية وعلاقتها بواقع الأمة وبالأخص بعد حركة التجديد التي قامت في نجد والتي تبلورت وقويت وانتشرت مع بداية القرن الثالث عشر، وما أحدثته تلك الدعوة في أمة الإسلام؛ من صفاء العقيدة وإخلاص العبادة لله وتوحيد الأمة واتحادها وأثرها في بعث الروح الدينية التي عاشتها أمة الإسلام في تلك الحقبة وما بعدها والمتمثل في حركات الإصلاح الديني والاجتماعي التي تلتها وكانت الشرارة التي أوقدت زندها حتى انتشرت الدعوة والإصلاح في عموم ديار أمة الإسلام .
 - ٣- الأصالة والواقعية وبعض الخصوصيات في المنهج وشدة الصبر والتحمل التي أخذ بها الدعاة والتي تُمَثِّل روح الإسلام وهديه ، في منهج الدعاة وجهودهم في ذلك الحين مما هو ضروري لمن نذر نفسه لحمل أعباء الدعوة .
 - ٤- أهمية منطقتي نجد والحجاز والارتباط بينهما في الدعوة مما سنوضحه مستقبلا إن شاء الله .
 - ٥- القرن الثالث عشر الهجري يعتبر امتداداً أصيلاً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي نالت الاهتمام المناسب عندما أعادت أغلب الجزيرة إلى الدين الصحيح، بعد تفشي الجهل، وسيطرة الخرافات وكثرة النزاعات، وهي الفترة التي تلت وفاة الشيخ ابن عبد الوهاب (سنة ١٢٠٦هـ) إلى قرب قيام الدولة السعودية الحالية (سنة ١٣١٩هـ) ، فبالرغم من أهميتها وأهمية ما وقع فيها من أحداث جسام - تصلح أن تكون دروساً للدعاة - إلا أنها لم تنل الاهتمام الذي تستحقه ، ولم تَلَقَ عليها الأضواء الدراسية الكافية ، التي تتناسب مع أهميتها، ومع ما بذلَهُ مَنْ عايشوا أحداثها من جهود وتضحيات جبارة .

٦- التشابه في الأحوال والظروف بين واقع الدعوة عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وفترة البحث وما قبلها ، ومحاولة الدعاة الالتزام بحال أصحاب رسول الله (رضوان الله عنهم) والقرون المفضلة كما سنوضحه في موضعه .

٧- ما أُلْفَ في فترة البحث - على قلته - لا يعدو أن يكون نُبْذاً تاريخية أو رسائل علمية لبعض أعلام الدعوة ، وربما كان أكثرها للغرض الوقتي المحدد ، أو التراجم المختصرة ونحوها . أما من تحدث عن الفترة من المعاصرين فأكثرهم تعرض لها من ناحية التاريخ أو التراجم أما ذات الدعوة وقضاياها الرئيسية - التي عَالَجَتْهَا- وبعض وسائلها وموقف معارضيتها منها فمعالجته وبيان أثره في الدعوة والأمة قليل ، ومبعثر في عدة مواضع ، ولذا فقد حاولت أن أدرس تلك الظواهر على أنها دعوة وتاريخ فكري وليست تاريخاً سياسياً - فقط - يذهب بذهاب أحداثه وصانعيه . فحاولت أن أشرح وأوضح بعض ما كُتِبَ في ذلك ، كما أبرزت جهود الدعاة في بعض الميادين الأخرى التي ليست جهاداً في ميادين القتال وهي جهود لازالت بحاجة إلى كشف وإيضاح وتعتبر ضمن وسائل الدعوة.

٨- نظرا لما شهدته جزيرة العرب في تلك الفترة من أحداث جسيمة ووقائع عظيمة، لايمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال، ولما رافق تلك الأحداث من فتن وفوضى عمت الجزيرة وابتلي فيها العلماء والدعاة في دينهم ، كما وضُح ذلك معاصروا تلك الفترة في رسائلهم ومؤلفاتهم مثل الشيخ عبدالرحمن بن حسن وعبدالله أبا بطين وحمد بن عتيق وعبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وكذلك المؤرخون كابن بشر والجبرتي والدحلان وغيرهم من المعاصرين للأحداث ، ومع ذلك صبر الدعاة واحتسبوا فقدموا للامة أعظم دروس في التضحية والجهاد من أجل دين الإسلام وطاعة الله تعالى.

٩- بحكم ارتباطي بالأرض والدعوة التي انطلقت منها، وكوني أحد أبنائها وممن استفادوا من ثمارها، فإن لدي إحساساً بوجوب إيضاح حقائقها لأننا أبناءها علينا الحمل الأكبر من واجب نشر هذه الدعوة والدفاع عنها وإيصالها إلى الناس لينتفعوا بخيرها العاجل والأجل .

ولهذا يمكنني القول : إن دراسة موضوع الدعوة ووسائلها والوقوف على جهود دعائها ومعرفة الصعوبات والظروف والعقبات التي أحاطت بها ؛ تعتبر دروساً وعبراً وطرق هداية ووسائل إصلاح للأمة يجب أن يُتَعرف عليها وأن يهتم بها أبناء هذه الأمة وأن يتخذوها نبراساً يضيء لهم الطريق ويُسهّل عليهم حمل الأمانة التي من أجلها خلقهم الله تعالى وأورثهم بسببها الأرض ليقوموا بواجباتهم تجاه ربهم وأنفسهم وأمتهم خير قيام .

ثانياً : الدراسات السابقة للموضوع :

لم تنل جزيرة العرب - وبخاصة نجد وما جاورها- اهتماماً كبيراً يتناسب مع أهميتها (١) . وما دونهُ المؤرخون من أحداث وتراجم ووصف لبعض البلدان لا يعدو أن يكون نُبْذاً يسيرة لا تُعطي صورة كاملة لتلك المنطقة نتيقن أن ما فاتهم أكثر مما سجلوه . ولكن منذ منتصف القرن الثاني عشر بدأ الاهتمام يكثر بهذه البلاد من العلماء والمؤرخين وغيرهم نظراً لما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من يقظة وتصحيح لما هو سائد في البلاد من أوضاع العقيدة والسياسة والاجتماع ، فخرجت بعض الدراسات في هذا الصدد ، والناظر في تلك الدراسات يلاحظ الآتي:-

١- تركيزها على الجانب التاريخي وبخاصة ما يتعلق بالدولة وحروبها وعلاقاتها وبالذات لدى السابقين المعاصرين للأحداث - والمرور بها مروراً عابراً دون التركيز على النتائج والآثار البعيدة ، فنجد مؤلفات من كتبوا عن هذه الناحية -على كثرتها- يعترئها النقص ويعوزها العمق والاستقصاء ، وإن كانت هناك بعض الدراسات

(١) عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ، ج ٢ ص ٤٧٢ .

التي خُصِّصَتْ بعض الفترات بالبحث - أخيراً- كما فعل الدكتور منير العجلاني في كتابه (الدولة السعودية الأولى عهد محمد بن سعود) وكتابه (عهد عبدالعزيز بن محمد) ، وكتابه (عهد سعود الكبير) ، وكتابه (عهد عبدالله بن سعود ونهاية الدولة السعودية الأولى) . ثم تلاه الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم في بحثه (الدولة السعودية الأولى) وهو بحث من أمتع وأشمل ما كتب عن تلك الفترة ، وكذلك فعل الدكتور عبدالفتاح أبوعلية في كتابه (الدولة السعودية الثانية) . وهكذا أحس بعض المؤلفين المحدثين بذلك النقص بالنسبة لفترة بحثنا ، فخصُّوا تاريخ تلك الفترة بكتب مستقلة أعطاها نوعاً من الدراسة العميقة المناسبة ، إلا أن هذه الدراسات لم تفرد موضوع الدعوة ووسائلها ومناهج الدعاة بمباحث مستقلة ، بل لم يتعرض لها البعض مما جعل هذه الدراسات تركز على الجانب التاريخي السياسي لها مع الربط بين الفترات وبين الحوادث .

٢- من الدراسات ما يتعلق بالجغرافيا والأماكن الهامة، وللرحالة الغربيين جهود كبيرة في هذا المجال ، ومنها ما يتعلق بالتراجم والأعلام ، وأنساب القبائل وما شابه ذلك من بعض الدراسات الاجتماعية القليلة التي قد لاتفي بكل الغرض.

٣- من الدراسات ما يتعلق بالرسائل العلمية والردود على المعارضين والفتاوى والمناظرات وتحقيقتها ، حيث كان همُّ كثير من الدارسين المعاصرين للأحداث - وراكثرهم علماء - الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والإنكار على المعاصرين تمسكهم بأخطائهم وإن بَانَ لهم السبيل ، وهذا النوع من أجود ما كتب عن الدعوة وإن كانت لاتزال بحاجة إلى تحقيق وإبراز وهو ما تهتم به هذه الدراسة خصوصاً ما يتعلق بالدعوة والدعاة.

ثالثاً : التعريف بالمشكلة البحثية :

سبق أن ذكرت أن أحداثاً عظيمة قد وقعت في تلك الفترة وكان لها أثرها على الدعوة بل الأمة كلها ، مثل غزو البلاد وهدم الدرعية ، وهي قاعدة الدعوة، والقبض على أتباع الدعوة وتقتيلهم ، وتغريب بعضهم ، وكذلك ما كان هناك من منافسات بين بعض الحكام ، ارتمت بسببها الأمة في دركات الفتن والحروب والنزاعات والتمزق .

فإلى أي مدى كان لتلك الأحداث تأثيرها في مجال الدعوة ؟
وبعد هدم الدرعية ؛ هل قُضي على الدعوة كما يعتقد بعض المعارضين، أم أنها
استمرت وتغلّبت على العقبات التي واجهتها ؟ وإذا كانت قد انحسرت زمنًا ؛ فكيف نهضت
من كبوتها وانطلقت من قيدها ، فخطت طريقها حتى جاءت الدولة السعودية الحالية فوجدتها
حية نابضة ؟ !

وإذا كان الأمر كذلك فمن قام بتلك الأعباء ؟ وإذا كنا لانستطيع أن نقطع باستمرار
الدعوة ما لم يقم بها رجال يتحمسون لها، فالأمر يتطلب منا أن ننظر في القرن الثالث عشر
وفي من تولي عبء الدعوة في بلدان نجد والحجاز وهما من المناطق التي تشكل الدولة
السعودية التي كان لها الأثر المباشر في الدعوة وواقعها .

ثم ما هي القضايا المهمة التي عالجتها الدعوة ، وأثارها الدعاة أو معارضوهم،
فأثرت فيها أو تأثرت بها ؟ وهل الدافع لعداوة الدعوة وأتباعها دافع سياسي أم ديني أم غير
ذلك ؟ وما دور العامل الديني وأهميته لرجال الدعوة في كسب المعركة ؟ وهل اتفق العامل
الديني مع العامل السياسي في تلك المواجهة أم لا ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب ؛ فما أهمية
ذلك لأمة الإسلام التي تحتاج اليوم إلى قوة دينية سياسية تستطيع بها نشر دين الإسلام
على أصول ثابتة ومناهج إسلامية صحيحة ؟ وما الدروس المستفادة من كل ذلك ؟ كما أن من
تلك التساؤلات التي تحتاج إلى جواب :

هل ما رُميت به الدعوة وأنصارها من تهم صحيح أم باطل ؟ وهل تأثرت الدعوة بتلك
الأقاويل والمواجهات وما نوع ذلك التأثير ؟ وما الوسائل والأساليب التي استعملها الدعاة
في دعوتهم ؟ وإن كانت الدعوة قد استفادت من مواجهة أعدائها ، فكيف وظّف الدعاة تلك
الخصومة لصالحهم ؟ وما أهمية تلك الدراسة لدعاة الإسلام في هذا الزمان ؟

هذه هي المشكلة وتلك هي بعض الأسئلة والإستفسارات التي سيجيب عنها البحث
إن شاء الله من خلال استعراض عام ودراسة واسعة لواقع الدعوة في فترة البحث والظروف
المرتبطة بذلك الواقع .

رابعا : خطة البحث :

ما كان غرضي من هذه الدراسة النقل أو سرد ما كتبته غيري ، وإنما هو إمداد مكتبة الدعوة الإسلامية بمعلومات مفيدة وحقائق محددة عن منهج الدعوة - آنذاك - تكون نافعة لدعاة الإسلام اليوم .

وعلى ضوء الاستفسارات التي ذكرتها - فيما سبق - فإن الأجوبة لتلك الاستفسارات وتحديد مسائل البحث بطريقة مناسبة ستكون ملخصة في قسمين :

- القسم الأول وعنوانه : (الدعوة والقضايا الرئيسية).
- القسم الثاني وعنوانه : (دعاة الدعوة وجهودهم ووسائلهم وأساليبهم وبعض مناهجهم المؤثرة في الدعوة).

وبالنسبة للخطة فقد حاولت جاهداً أن يكون تقسيم الرسالة وتبويبها مناسباً وواضحاً فجعلت القسم الأول يتعلق بالقضايا الأكثر ارتباطاً بالدعوة ، والقسم الثاني يتعلق بجهود الدعوة .. ولأجل الاستفادة جعلت عناوين لأقسام الرسالة وأبوابها وفصولها ومباحثها وفقراتها حيث قسمت الرسالة إلى :

مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين فيهما تسعة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة :

ففيها تقديم وبيان عن الرسالة وأهمية الموضوع وسبب اختياره ، وفيها تعريف بمشكلة البحث وتلخيص للدراسات السابقة ونتائجها ومنهجي في البحث .

وأما التمهيد فيجوي الآتي :-

- ١- موضوع الدراسة
- ٢- مكانها
- ٣- زمانها

وأما الرسالة فهي قسمان :-

القسم الأول : وعنوانه : (الدعوة والقضايا الرئيسية) وقسمته إلى أربعة أبواب ، تفصيلها كالآتي :-

الباب الأول : نشأة وأهداف الدعوة : وفيه ثلاثة فصول ، وكل منها تحته عدة مباحث في فقرات .

الباب الثاني : المعوقات التي واجهت الدعوة : وفيه فصلان ، وكل فصل فيه عدة مباحث في فقرات .

الباب الثالث : من خصائص المنهج : وفيه ثلاثة فصول وتحت كل فصل مباحث متعددة .

الباب الرابع : الدعوة في عهد جديد : وتحتة فصلان وفي كل فصل عدة مباحث في فقرات .

القسم الثاني : عنوانه (دعاة الدعوة وجهودهم) وقسمته إلى خمسة أبواب هي :-

الباب الأول : أشهر المعلمين والمربين ومدارسهم : وفيه تمهيد وفصلان وكل فصل يضم عدة مباحث عن التعليم وأشهر المعلمين وأشهر المدارس لديهم .

الباب الثاني : الخطباء والواعظون والمرشدون والمفتون : وفيه ثلاثة فصول وكل فصل فيه مباحث عن أهمية هذه الوسائل وجهود الدعاة بهذا الخصوص .

الباب الثالث : الرسائل والمناظرات والردود وكشف الشبه : وفيه فصلان وكل فصل فيه مباحث عن أهمية هذه الوسائل في الدعوة وجهود الدعاة فيها .

الباب الرابع : الرحلات والأسفار : وفيه فصلان كل منهما يشتمل على مباحث في فقرات عن أهمية الرحلات والأسفار، وكيف وُلجَّ الدعاة هذا الباب لنشر الدعوة وبيانها والذبُّ عنها .

الباب الخامس : الشعر وتأثيره وجهود الشعراء : وفيه مقدمة عن أهمية الشعر وبداية ارتباطه بالدعوة ، وفي الباب فصلان عن أغراض الشعر لديهم ، كل

فصل ينتظم تحته مباحث في فقرات عن الأغراض الشعرية ، وكيف استطاع الدعاة جعله سلاحاً يواجهون به خصومهم واستفادتهم من تلك الأغراض .

أما الخاتمة :

ففيها تلخيص موجز للرسالة والتصورات والنتائج التي خرجت بها من البحث وختمتُ ذلك بفهارس ومصادر ومراجع الرسالة ، المنشورة وغير المنشورة العربية والأجنبية.

خامساً: منهجي في البحث :

لايستطيع الدارس أن يقدم بحثاً متكاملأ يؤدي غرضه المطلوب ما لم يسبق ذلك اطلاع على مناهج البحث ، وتصور كامل وإدراك تام لموضوع دراسته، ورؤية واضحة عن المنهج والأسلوب الذي سيسير عليه ؛ لأن المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق العلمية ؛ مستنداً في ذلك إلى مجموعة قواعد عامة ، توصل إلى نتائج معينة فكثيراً ماتضيع الحقائق العلمية وتقل الفائدة لسوء المنهج ، وإن كنت لم أبلغ الكمال في منهجي ولا أدعيه ولكني حاولت أن اسلك منهجاً مفيداً . وبالنسبة إلى بحثي فإنه بعد اطلاعي على ماكتبه المتخصصون عن المناهج ، وخصائص كل منهج ومجال عمله ، ودراسة موضوعي من خلال مناهج البحث لاحظت أن المنهج التاريخي(١) أو المنهج الوثائقي - كما يسمى - هو المنهج

(١) قد يظن البعض أن (المنهج التاريخي) يختص بالبحث في التاريخ فقط، فننبه هنا أن هذا المنهج يستخدم في الكشف عن الحق وبيانه والبرهان عليه، وكان علماء المسلمين المشهورون ممن استفاد من هذا المنهج وإعتمد عليه كما هي حال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الذي يرى البعض أنه لم يأت مثله عالم يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة ويوما يوماً. كما يقول الأستاذ عبدالرحمن الباني في تقديمه لكتاب (العبودية) لابن تيمية ص ٢٧.

الأنسب لدراستي ، فهو الذي سأتبعه - إن شاء الله - لأنه منهج يستخدم لمن يريد الكشف عن الحقائق ومعرفة الأحداث التي جرت في الماضي عن طريق دراسة الوثائق والحوادث وأدلتها.

فالتاريخ لانقصد منه سرد قائمة بالأحداث في ترتيبها الزمني ، بل هو السجل الدال على إنجازات الإنسان وأحواله ودوره في الحياة وصنع الأحداث . فاستعمالنا للتاريخ ليس القصد منه فهم الماضي فحسب ، بل لفهم الحاضر والسير إلى المستقبل في أمان بعد تجربة ومعرفة على ضوء الأحداث والتطورات الماضية ، وبعد معرفتنا لما كان صواباً وخطأً من تصرفات الآخرين ونتائجها ؛ ونضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والحوادث وظواهرها للاستفادة منها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة تنفع البشرية في الحاضر والمستقبل . والمقصود هنا ليس التاريخ العام بل التاريخ الخاص بدعوة الإسلام ولفترة معينة. ولهذا النوع من التاريخ - في نظري - مميزات في مقدمتها الاهتمام بالنتائج والآثار دون التفصيلات والجزئيات . وبالنسبة للمنهج ، فإن ظروف البحث قد تضطرنني إلى (المنهج الوصفي) بغرض الوصول إلى نتائج علمية يعتمد عليها ، وهذا لا بد له من الحصول على أوصاف دقيقة للظواهر والحوادث التي سأدرسها، وللإجابة على الاستفسارات الواردة أثناء البحث وإعطاء أحكام وتفسيرات للأحداث تكون واقعية بقدر المستطاع ، وعلى ضوء ما سبق استعنت بالله تعالى في ممارسة عملي في هذا البحث وتطبيق المنهج والخطة التي حددتها لأخرج من خلال هذا العمل بدراسة مستفيضة نافعة في بابها مؤدية غرضها إن شاء الله . هذا وفي أثناء بحثي أخذت في الاعتبار أموراً أشير إلى أهمها فيما يأتي :-

١- قمت بالاطلاع على أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع والمعلومات المتعلقة بالبحث وتدقيقها والنظر فيها وترتيبها . ويظهر ذلك من الاطلاع على قائمة المصادر والمراجع في آخر الرسالة.

٢- محاولة حصر عناصر البحث بقدر المستطاع ، لأن هذا الموضوع من الموضوعات الواسعة، الكثيرة الجوانب المتعددة الأغراض، عقيدة وسياسة إلى أحكام فقهية وموضوعات ثقافية وتاريخية وتراجم وأدب ورحلات وأسفار وشعر وهكذا، فالخوض

- فيها يحتاج إلى جهد كبير وإدراك واسع ، مع قدرة على البحث وسيطرة على القلم بحيث لا يخرج عن الموضوع الأصلي بقدر الإمكان .
- ٣- لما كانت ظروف البحث لا تمكن من كتابة كل ما كتب عن الموضوع، فكنت دائماً أخذُ الأهم وأترك المهم ، والتزم في بحثي القصد والاعتدال ، فلا أجنح للإطالة من غير حاجة ملحة ولا إلى الإيجاز المخل ، كما كنت أكتفي بأقوال المعاصرين للفترة كلما أمكن ذلك .
- ٤- حاولت الربط بين الفترات التاريخية وأحداثها لكونها تشكل حلقة متصلة الأطراف يؤثر بعضها على بعض ، كما حاولت الربط بين الفقرات وتسلسل كتابتي لها حسب زمانها وأهميتها وكذلك الترتيب الزمني لمن نقلت عنهم.
- ٥- حاولت الالتزام بالمنهج البحثي الذي اخترته لنفسى ، وهو العرض للأحداث والظواهر وتحليلها وبيان أثرها ، وأنا لا أدعي أنني أحطت بكل هذا الموضوع الواسع، ولكني أوردت النماذج التي تفي بحاجة البحث .
- ٦- اعتمدت على المصادر الأصلية، وحددت مكان أخذي أو نقلي من المصادر والمراجع.
- ٧- حاولت عدم الخوض والتوسع كثيراً إلا بقدر الحاجة في بعض ما دار بين الدعاة ومعارضيه من قضايا خشية الإطالة، بل ركزت على النتائج، لأن التوسع يحتاج إلى رسائل كثيرة، وليست رسالة واحدة أو جهد فرد واحد.
- ٨- بالرغم من أن الدعوة (الوهابية)(١) كما تسمى هي قطب الرحى في الدعوة في نجد والحجاز في فترة البحث ، فلم يكن هدفي دراسة الدعوة الإصلاحية وتخصيصها بالدراسة فقط وإن كانت هي العنصر الرئيسي، ولم يكن الاهتمام بهذه البلاد إلا بسبب هذه الدعوة وما رافقها من نتائج فهي القاعدة لأي دراسة من هذا القبيل ، فدراستي كانت دراسة مفصلة للوسائل والمناهج والأهداف أياً كانت.

(١) عندما نُعبر عن حركة الإصلاح والتجديد في فترة البحث في نجد بالوهابية فهو من قبيل الاصطلاح والإختصار ومجازة للكتاب الآخرين الذين تحدثوا عنها والانهي في الحقيقة دعوة للإسلام على النهج الوارد في القرآن والسنة وطريقة السلف الصالح خلافاً لما يقصده أعداؤها من التسمية وإن من أهداف هذه الدراسة الرد على هذه المقولة كما هو موضح في موضعه .

٩- اعتمدت عند إيراد الاختلاف والردود على ما يرجحه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المشهورة.

١٠- حرصت بفضل الله تعالى أثناء معالجة الموضوعات أن لا تكون نظرتي محدودة أو قاصرة على أحوال الناس وظروفهم ، بل حاولت أن أتوسع في الآثار والنتائج لأدلل على أهمية الفترة التي ندرسها ، وأثرها في الأمة وصلاحيتها لأن تكون دروساً وعبراً للخلف بعد السلف ، وإن كنت لا أتوقف عن الإشادة بالمحسنين والثناء على جهودهم حسبما يتراءى لي .

١١- رقت الآيات القرآنية وخرّجت الأحاديث النبوية والآثار الأخرى التي وردت في كلامي أو في كلام من نقلت عنهم .

١٢- كما حرصت على توضيح عملي في البحث ، فجعلت عناوين للأقسام وللأبواب والفصول ، والفقرات تدل على ما تحتها من موضوعات كما ذكرت بعض التعريفات والمصطلحات المهمة، وشرحت الألفاظ اللغوية، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط ، كما ترجمت لمن يحتاج إلى ترجمة من الأعلام أثناء البحث ، كما عملت فهارس تفصيلية للمصادر والمراجع وأخيراً الموضوعات .

وبعد .. فهذا هو بحثي، وما أمكن من طاقتي، وقد بذلت غاية الوسع ومنتهى الجهد فأرجو أنني وفقت في ذلك ؛ فإن أصبت فمن الله وأحمده على ذلك، وإن تكن الأخرى فمن نفسي ، واستغفر الله تعالى فأنا لا أدعى العصمة من الخطأ، بل أقول ما قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه: (فإن يك صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان)(١) وحسبي أن هذا العمل استجابة لرغبات كانت تخالج نفسي منذ زمن ومشاركة متواضعة في الدعوة إلى الله تعالى وإني مجتهد، أرجو الأجر وأتحرى الصواب (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)(٢).

(١) أبو داود : سنن أبي داود (كتاب النكاح - باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً

حتى مات) ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) سورة هود : آية ٨٨ .

سادسا : مصادر البحث ومراجعته :

يتناول البحث دراسة لواقع الدعوة الاسلامية في إقليمين مهمين متجاورين من جزيرة العرب والفترة التي اخترتها أشد ما تكون أهمية -آنذاك- في علاقة الاقليمين ببعضهما ، وفي فترة زمنية لافتة للنظر من عمر دعوة الإسلام في عصورها المتأخرة، وقد كُتِبَ عنها الكثير وإن كانت تلك الكتابات غير مكتملة- لأسباب تتفاوت ذكرتها في مواضعها- ومن ثم فإن المصادر التي رجعت إليها في بحثي تنحصر في الموضوعات ذات العلاقة وحسب الترتيب التالي :-

أولا : كتب العقيدة والدعوة التي كتبها من عاشوا الفترة أو من أتى بعدهم من أبناء البلاد ومجاورهم.

ثانيا : كتب التاريخ التي عاصر مؤلفوها الفترة -كذلك - وفي المقدمة مؤرخي جزيرة العرب من أبنائها ممن تربطهم علاقات وثيقة بالدعوة، بل هم من أبناء الدعوة الذائدين عنها والمنافحين أعداءها، وكتاباتهم وإن كانت تاريخية أصلاً، فهي تهتم بالعقيدة والدعوة ، وذات أهداف سامية وغايات نبيلة تعتبر امتداداً وتكملة لكتب العقيدة والدعوة.

ثالثا : بعض الوثائق العربية والتركية المترجمة للعربية وأكثرها محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة وهي حول علاقة تركيا ومصر بالدعوة السلفية ودولتها في فترة البحث .

رابعا : كتب التاريخ التي كتبها مؤرخون آخرون، سواء كان أصحابها معاصرين للفترة أم لا . وفيهم عرب مسلمون وغيرهم .

خامسا : مؤلفات وكتب أخرى ذات علاقة غير مباشرة، أو فيها إشارات مفيدة في البحث أشرت إليها في موضعها من البحث .

وبناء على ما سبق ، فإنني أصنف مصادري ومراجعي إلى مصادر أصلية وفرعية - ثانوية - .

أولاً : المصادر الأصلية مرتبة كما يلي :-

أ- كتب العقيدة والدعوة، وفي مقدمة ذلك مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، كالشيخ حمد بن معمر، وعبد العزيز بن عبدالرحمن الحصين وأبناؤه وأحفاده، وتلاميذهم مثل كتب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف والشيخ عبدالله أبابطين والشيخ حمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وهؤلاء شيوخ أجلاء ، ودعاة مجدودن عايشوا فترة البحث فكانت كتاباتهم وكتابات معارضيتهم بنجد مثل الشيخ عثمان ابن منصور أو في الحجاز مثل علوي الحداد وأحمد زيني دحلان وتلك المؤلفات من أهم مصادر البحث عن الدعوة في ذلك الحين ، وكتبهم هذه كثيرة منشورة ومشهورة.

تأتي بعد ذلك مؤلفات وكتب تتعلق بالعقيدة مؤلفوها خارج نجد والحجاز منهم المؤيدون للدعوة الإصلاحية، مثل محمود الأكوسي بالعراق ، ومحمد الحفظي ببلاد تهامة والشوكاني باليمن ، وصديق حسن خان بالهند، أو المعارضون ومنها كتابات داود بن جرجيس ثم أتباعه ، منهم جميل الزهاوي في العراق ، ويوسف النبهاني وأحمد العظمي في الشام ، والسمنودي والبولاقي في مصر وغيرهم .

ب) كتب التاريخ وفي مقدمة ذلك من عايشوا فترة البحث وأحداثها وفي مقدمتهم المؤرخون المحليون، يأتي في الصدارة عثمان بن بشر (ت. ١٢٩٠هـ) وتاريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد) وقد طبع عدة طبعات ، والنسخة التي بحوزتي من منشورات مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ النشر، يلي هذا الكتاب في الأهمية كتاب (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر) لمؤرخ محلي آخر هو (الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى) ، والمؤلف يسير على نهج ابن بشر في تدوين الحوادث بشكل حولي ، أي يذكر السنة ثم يسرد الحوادث الهامة التي وقعت فيها ، وكتابات مثل سلفه صحيحة ودقيقة، وميزة المؤلف في هذا الكتاب أنه ابتداءً من حيث انتهى ابن بشر في تاريخ الحوادث كما يذكر ذلك المؤلف ابن عيسى المتوفي سنة ١٣٤٢هـ في مقدمة كتابه هذا، والكتاب طبع

على نفقة وزارة المعارف السعودية، وللشيخ إبراهيم بن عيسى كتاب آخر (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من سنة ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ) والمؤرخ في منهجه في هذا الكتاب يسير على نهج كتابه السابق ولكن بشكل مقتضب جداً ، وقد طبع الكتاب ونشرته دار اليمامة السعودية بالرياض، وكتابات ابن عيسى ، وإن كانت مقتضبة فهي كذلك تمثل وجهة نظر الدولة السعودية والدعوة السلفية ، ولكنه يفيد كثيراً وبالذات في رصد حوادث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي مع قرب نهاية القرن الثالث عشر، موضحاً تكتلات القبائل والأحلاف، والأجواء المتوترة التي سادت آنذاك.

يأتي بعد ذلك مؤلف معاصر آخر هو محمد بن عمر الفاخري (ت ١٢٧٧هـ) في كتابه (الأخبار النجدية) وهو كذلك يسير على نهج المؤرخين المحليين في تدوين الحوادث مع الدقة والاختصار الشديد، والملاحظ في تاريخه اهتمامه بتاريخ منطقتة سدير وهو يحاول إظهار الواقعية في تاريخه ، حيث لا تلمس لديه الحماس الذي قد تجده لدى (ابن بشر وابن عيسى) فيما يتعلق بالدولة السعودية والدعوة السلفية ، وبآخره تكلم ابن المؤلف (عمر بن محمد الفاخري) وقد حقق الكتاب وعلق عليه الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد رجعت إلى كتاب تاريخي مهم يعتبر عمدة تاريخ نجد في تلك العصور لكنه سابق لفترة البحث نسبياً فأخرته هنا ، وهو تاريخ الشيخ حسين بن غنام المتوفى (سنة ١٢٢٥هـ) المسمى (روضة الأفكار والأفهام لمرتاب حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام) وله عدة طبعات ، وقد اعتمدت على النسخة التي حررها الدكتور ناصر الدين الأسد ، وطبعت بمطابع شركة الصفحات الذهبية بالرياض ، كما رجعت إلى نسخة أخرى من الكتاب وهي الطبعة الأولى قبل التنقيح طبعت في الهند بمبئي .

وهناك مؤلفات تاريخية مهمة عن تاريخ الدعوة كتبها مؤرخون معاصرون آخرون مثل: (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) للشيخ أحمد زيني دحلان وكتاب (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد) للحيدري البغدادي ،

(ت ١٢٩٩هـ) وكتاب (عجائب الآثار والتراجم والأخبار) للمؤرخ المصري المشهور عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ) وكتب أخرى لمؤلفين عرب، وأترك وغيرهم مترجمة إلى العربية يصعب تفصيلها هنا، وقد سردتها في المكان المخصص في نهاية البحث.

(ج) الوثائق : تعتبر الوثائق ذات فائدة كبيرة لفترة البحث، وبالأخص في علاقة الدعوة السلفية وقوتها السياسية ببعض القوى السياسية المجاورة، في فترة تكالبت القوى المعادية على حرب دولة الدعوة التي انطلقت من نجد، وفي مقدمة الوثائق التي رجعت إليها في بحثي واستفدت منها كثيراً، الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية التاريخية بعابدين بالقاهرة ، وهذه الوثائق التي أعنيها تدور حوادثها حول علاقة الدولة المصرية والعثمانية بالجزيرة العربية، فكانت ذات قيمة بالنسبة لموضوع البحث وهذه الوثائق فيها ما كان عربياً أصلاً مثل رسائل قادة الدول السعودية للدولة العثمانية أو المصرية ، وكذلك الوثائق الصادرة من الحكومة المصرية، ولكن معظم الوثائق كانت تركية ، ترجمت إلى اللغة العربية بإشراف الحكومة المصرية، فجاءت ترجمة دقيقة لأنها تمت من قبل أناس مختصين، كانوا معاصرين للعهد العثماني، وأتقنوا اللغتين العربية والتركية، ومن خلال هذه الترجمة استفاد الباحثون الذين لا يجيدون اللغة التركية من هذه الوثائق.

(د) المخطوطات : كان من ضمن مصادر البحث المخطوطات ومن المعلوم أن المخطوطات هي المصدر الأصلي لكل باحث، ولكن لاعتمادي على المصادر المطبوعة، التي هي أكثر من المخطوطات بالنسبة لبحثي ، فقد أشرت المخطوطات في الترتيب هنا، فصدرت مراجعي بكتب العقيدة والتوحيد، وكتب التاريخ المطبوعة.

وبالنسبة للمخطوطات التي رجعت إليها فأكثرها يدخل في باب الردود في فترة البحث ، وجلّها موجود بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية كما يوجد عدة مخطوطات بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود أشرت إليها في آخر البحث، ومن ضمن تلك المخطوطات التي رجعت إليها ما يتعلق بالتاريخ وتراجم بعض الأعلام وتواريخ وفياتهم، من ذلك مخطوطة (السُّحْب الوابلة على ضرائح الحنابلة) وهي

تراجم مفصلة لبعض العلماء المشهورين من الحنابلة ، ألفه مفتي الحنابلة في مكة المكرمة، في القرن الثالث عشر، الشيخ محمد بن عبدالله الحميد (ت ١٢٩٥هـ)، له نسخة بجامعة الملك سعود بالرياض ، وإن كان هذا المؤلف من معارضي الدعوة الإصلاحية ولم يهتم كثيراً بأعلامها من الدعوة .

يأتي بعده كتاب (تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق) ألفه عبدالله ابن محمد البسام ت ١٢٤٦هـ كتبه عن الأصل الخطي نورالدين شرابية سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م والمخطوط لدى ورثة المؤلف وبحوزتي نسخة منها، كما استفدت كثيراً من المخطوط اليمني الذي كتبه لطف الله حجاب (ت ١٢٤٧هـ) وعنوانه (درر نحو العين لسيرة الإمام منصور وأعيان دولته الميامين) وهذه النسخة مصورة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض ، وجميع المخطوطات التي رجعت إليها أثبتها في المكان المخصص لها في نهاية البحث .

ثانياً : المصادر الفرعية (الثانوية)

وهذه المصادر وإن كانت ثانوية بالنسبة للفئة الأولى من مصادري إلا أنها كثيرة ومتنوعة ومفيدة جداً في البحث ويصعب تفصيلها لكن أورد تصنيفاً لها في الآتي:-
(أ) كتب تتعلق بالعقيدة والدعوة أو التاريخ ، وهي تستند في مادتها على المصادر الأصلية التي رجعت إليها مثل كتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) للشيخ عبدالله ابن عبدالرحمن البسام وكتاب (مشاهير علماء نجد وغيرهم) للشيخ عبدالرحمن ابن عبداللطيف وغيرها .

(ب) كتب عربية لكن فيها بعض الفقرات التي تتعلق بذات الموضوع ككتب الحديث والتفسير والقواميس أو كتب التاريخ المتعلقة بفترات أخرى، أو أماكن خاصة أو كتب التراجم فيها صفحات أو موضوعات ذات علاقة بالبحث.

(ج) البحوث والمقالات والدوريات :

وقد استفدت كثيراً من بعض المجلات والدوريات والمقالات المنشورة في بعض الصحف، وبالأخص المجلات والدوريات المحلية وفي مقدمتها (مجلة الدارة) التي تصدرها داره الملك عبدالعزيز بالرياض، ومجلة العرب ، التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر ومجلة المنهل وغير ذلك .

(د) الإصدارات الأجنبية :

وتشتمل على الكتب المؤلفة بلغات أجنبية، وفي مقدمتها كتب الرحالة مثل (نيبور) وبعده (بركهارت ووليم بلجريف) ومؤلفات عبدالله فلبني وغيرهم .

وجميع المصادر والمراجع التي أشرت إليها سواء الأصلية أو الثانوية ذكرت اسم المصدر ومؤلفه والجزء والصفحة عند الرجوع والحاجة إليه ، كما قمت بسرد تلك المصادر والمراجع في المكان المخصص لها في نهاية البحث مع الإيضاح المطلوب مبيناً اسم المؤلف ثم المصدر ثم سنة الطبعة، والجهة التي طبعته - إن وجدت - ليتمكن طالب الفائدة من الرجوع إلى تلك المصادر والمراجع بسهولة ويسر .

ولا أغفل هنا الرحلات التي قمت بها إلى بعض البلاد للوقوف على ما يتعلق ببحثي في مكتباتها العامة والخاصة والوقوف على آخر ما صدر فيها مما يتعلق ببحثي، من ذلك أنني زرت مصر واطلعت فيها على بعض الوثائق والكتب والمخطوطات وبالأخص المصادر التي قد لا تتوفر في المملكة، كما زرت مكة المكرمة والمدنية المنورة، حيث اطلعت على بعض الموجودات المتعلقة بالبحث بمكتبة الحرم ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وزرت بعض دول الخليج العربية مثل البحرين والكويت ومكتبات جامعات المملكة لمحاولة الحصول على ما يخدم البحث، علاوة على اللقاءات التي حاولت الاستفادة منها .

شكر وتقدير :

وفي الختام فإنني أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الوفاء والامتنان لكل من أعانني في هذا العمل ، وخاصة الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس المشرف السابق على الرسالة ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله السلطان المشرف الحالي ، والذي أمدني بكثير من النصائح العلمية والتوجيهات المفيدة، فكان نعم المعلم والموجه، فאלله يجزيهما عني خير الجزاء.

كما أشكر العاملين في كلية الدعوة والإعلام على ما يبذلونه من جهد في خدمة الإسلام ، وما لقيته من مساعدة ومعاونة وتسهيلهم لأي صعوبات واجهتني منذ التحاقني بالكلية .

كما أشكر المسؤولين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما يقومون به من جهود جبارة في مجال الدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

تمهيد ومدخل

قبل البدء في أقسام الرسالة وأبوابها فسأقدم هذا التمهيد الذي هو عبارة عن مدخل البحث أتحدث فيه عن الموضوعات الأساسية فيه والتي حواها العنوان الرئيس ، وسألخصها في ثلاثة عناصر مهمة هي :-

١- موضوع الدراسة .

٢- تحديد المكان وأهميته .

٣- تحديد الزمان .

وحديثي عن العناصر الثلاثة سوف يكشف لنا عن بعض جوانب البحث وأهميته عندما ندرك أهمية الموضوع ونحدد المكان والزمان.

أولاً : الدعوة الإسلامية :

(أ) أهمية الدعوة وضرورتها :

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن حكمته العظيمة من خلق الثقلين : الجن والإنس، وهو أنه ما خلقهما إلا لأمر عظيم وحكمة بليغة ، وهي عبادته وحده نون سواه لاشريك له، ولتعظيم أمره ونهيه ، وليُعرفَ بأسمائه وصفاته ، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). (١) فبين الله سبحانه أنه خلق الخلق ليُعبَدَ ويُطاع وحده فهو المستحق للعبادة وحده، وسميت الوظائف التي أمر الله المكلفين بها من الأوامر والنواهي عبادة . ثم لما كانت تلك العبادات هي أوامر ونواهي لا يمكن أن تكون ذات أهمية واعتبار ما لم تكن محددة ومرتبطة تتوافق مع عظمة موجبها المستحق لها وتتناسب مع قدرة البشر وفطرتهم، مما لا يمكن للعقول القاصرة الضعيفة المخلوقة التي تتأثر بعوامل كثيرة أن تعرفها على حقيقتها ولهذا

سورة الذاريات آية ٥٦ .

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ، وأنزل الكتب وجعل معالم طرق الهداية وبين الأمر الذي أوجد الخلق من أجله ؛ ووضح وفصل ما أوجبه على عباده للناس حتى يعبدوه على بصيرة، فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق وهم أئمة الهدى، ودعاة البشر إلى طاعة الله وعبادته، والله سبحانه وتعالى أكرم البشر أنفسهم من أنفسهم بأن بعث فيهم رسلاً كراماً ورحمهم بإرسال هؤلاء الرسل .

وما زال الله الرحيم بعباده اللطيف بهم العالم بأحوالهم يبعث رسله تترى حتى ختمهم بأفضلهم وإمامهم وسيدهم نبينا وإمامنا وقدوتنا سيدنا محمد بن عبدالله عليه وأفضل الصلاة والتسليم . فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ووضح مناهج الحق وطريقة الدعوة إليه وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرة بكل وسيلة وعلى كل الأحوال ، وأوذي في الله أشد الأذى كما أوذي وامتحن أصحابه وأتباعه ، لكنه صبر على الأذى وفي سبيل الدعوة ومن أجلها، كما صبر أولو العزم وبلغ كما بلغوا ، كما تحمل وصبر أصحابه رضوان الله عليهم، وقام عليه السلام بأعباء الرسالة خير قيام ، وترك أمته على المحجة البيضاء ليؤها كنهانها لا يزيغ عنها إلا هالك بعد أن أظهر الله تعالى الدين، وأتم نعمته على العالمين ورضى لهم سبحانه - نعمة ومنة - أفضل الأديان ديناً. وبعد وفاته عليه السلام وبلاغه البلاغ المبين ، تحمل أصحابه الأمانة من بعده وساروا على طريقه فدعوا إلى الله عز وجل ، ونشروا دينه في أرجاء المعمورة دعاء للحق ومجاهدين في سبيله لا يخشون في الله لومة لائم. ولا زال المخلصون من أبناء هذه الأمة جيلاً بعد جيل يتناقلون هذا الدين الحنيف خلفاً بعد سلف ، ومع مرور الأيام وطول الأمد وكلما تكاد شمس الإسلام تخبو يقبض الله لهذا الدين الخالد الكامل الشامل من يكشف عنه بعد اندراسه ومن يجدده بعد أن تحلوا لك البدع وتدلتهم ظلمات الجهالة . (١) سنة عامة وحكمة بالغة كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق فيما رواه أبوهريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)). (٢)

(١) عبدالله بن علوي الحداد : الدعوة التامة والتذكرة العامة ص ٦

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم) ج ٤ ص ١٠٥ ورواه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٥٢٤ =

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري كانت بلاد العرب على موعد مع ميلاد أحد أولئك الأعلام المجددين الذين يمن بهم المولى على هذه الأمة - كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح على حين فترة من المصلحين - بعد أن ماتت سنن الدين ومعالمه واندرس ما اندرس من الملة وأقيمت البدع والأمور الشركية، فتجرد الداعية والمجدد للدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الله ، ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من الإيمان والإحسان والعمل الصالح وترك التعلق بغير الله ، وتجريد المتابعة لرسوله عليه الصلاة والسلام، وتبعه جمع غفير ممن وفقهم المولى للحق والهداية، فبذل أولئك نفوسهم لله تعالى ، وأنكروا على من خالف ما جاءت به الرسل من المعارضين عن منهج الله ورسوله، فحملوا الإسلام ورفعوا راية الجهاد وسلكوا دروب الاستشهاد بكل وسائله وطرقه ؛ حتى ظهر الإسلام الصحيح وانتشر في البلاد والعباد، وعلت كلمة الله وظهر دينه وانقمع أهل الشرك والفساد، وبان لذي الألباب من دين الإسلام ما هو مقرر معلوم. (١)

ولم يطل على الأمة القرن الثالث عشر إلا وقد آتت تلك الدعوة المباركة أكلها وثمارها اليانعة، خيراً وفلاحاً وتوحيداً ووحدة واتحاداً، واستمرت تلك الفئة المختارة في نشر هذا الدين والدفاع عنه ، بإقبال منقطع النظير وتضحية عظيمة بالرغم من صعوبة العوائق وكثرة العقبات ، فأصبح منهجهم ودعوتهم في عصرهم مثلاً ودرساً لأمة الإسلام ممن أراد الدعوة إلى الله ونشر دين الإسلام الصحيح وطريقه القويم . وعلاوة على ماورد في القرآن والسنة النبوية من التكليف بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهمية الدعوة وفضلها، فإن حاجة البشر إلى الشريعة ودعوتهم إليها ضرورة فطرية واجتماعية ، والألفة من لوازم حياة الانسان ووجود المجتمعات الإنسانية وصلاحها وبقائها؛ فضلاً عن أنه الحد الفارق بين الإيمان والكفر، كما يقول ابن تيمية (٢)(وحاجة البشر إلى ذلك كحاجتهم إلى الهواء

= والبيهقي في معرفة السنن ص ٥٢ وممن صححه البيهقي والسيوطي والألباني وغيرهم سلسلة

الأحاديث الصحيحة للألباني ج ٢ ص ١٥١ .

(١) سليمان بن سحمان : الضياء الشارق ص ٨٢

(٢) ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ص ١٨٢ .

والطعام والشراب والدواء حيث لاغنى لأحد من البشر عن الشريعة كما لا يستطيع الاستغناء عن الهواء والطعام والشراب . كما يقول ابن القيم الجوزية (١) ويقول في موضع آخر عن فضل الدعوة إلى الله، والحاجة إليها ومكانة الدعوة عند الله تعالى : ((إضافة الدعوة إلى الله للاختصاص أي الدعوة المختصون به، الذين يدعون إلى دينه، وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء خواص خلق الله وأفضلهم عنده منزلة ، وأرفعهم قدراً، لأن مقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد)) (٢) فالدعوة إلى الله أعظم المراتب وأجلها عند الله تعالى (٣) . ومن ثم كانت الدعوة وظيفة الرسل عليهم السلام .

(ب) تعريف الدعوة ومعناها :

الدعوة لغة تطلق على المناداة والطلب، فهي من الدعاء وهو النداء والصيحة والحث على قصده، أي قصد المنادي والطالب (٤)، قال تعالى ((قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)) (٥) وجاء في أساس البلاغة (دعوت فلانا ، ناديت وصحت به، والنبى داعي إليه، وهم دعاة الحق ودعاة الباطل ودعاة الضلال) (٦) فالدعوة بهذا المعنى اللغوي تفيد المحاولات القولية والفعلية، والسعي إلى تحقيق هدف بعينه قد يحتاج الأمر معه إلى جهد وإلحاح.

وأما اصطلاحاً : فقد عرف العلماء (الدعوة الإسلامية) بعدة تعريفات منها :-

-
- (١) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ج ٢ ص ٢
 - (٢) ابن القيم : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٣
 - (٣) محمد بن عبدالوهاب : الدرر السنية ج ١ ص ٤٦
 - (٤) ابن منظور : لسان العرب ج ٤ مادة دعو
 - (٥) سورة يوسف : آية ٢٢ .
 - (٦) الزمخشري : أساس البلاغة ج ١ ص ١٨٩ مادة دَعَوَ .

١- قال ابن الأثير عند ذكره لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه لهرقل ((أدعوك بدعاية الإسلام)) (١) أي بدعوته ، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة. (٢)

٢- إن الدعوة (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضاً ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو مصيبة كادت تلحق بهم) (٣)

٣- وقيل الدعوة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (٤)
وهناك تعريفات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

والتعريف المنضبط للدعوة الإسلامية أن يقال الدعوة : هي الإسلام من حيث المبادئ ، والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبة . ومن هذا التعريف يفهم أن المقصود بدراستنا لواقع الدعوة في هذه الرسالة هي الدعوة من حيث المبادئ وهو الإسلام وأصوله وقضاياها، ومن حيث الوسائل والأساليب وكذلك العوامل والظواهر والحوادث التي أثرت في الدعوة.

ج) موضوع الدعوة وأركانها وأصولها وأنواعها:

١- موضوع الدعوة :

إن موضوع الدعوة، هو الإسلام، أي تبليغه وبيانه للناس وحثهم عليه وقبوله وإخراجهم من عبادة ما سوى الله إلى عبادة الله وحده، ويقتضي

(١) رواه البخاري : صحيح البخاري (باب بدء الوحي) ج ١ ص ٩ ورواه مسلم : صحيح

مسلم - (كتاب الجهاد) باب كتاب النبي إلى هرقل ج ٣ ص ١٣٩٦ .

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ١٢٢ .

(٣) آدم عبدالله : تاريخ الدعوة ص ١٧

(٤) صادق أمين : الدعوة فريضة شرعية ص ٣٩ .

ذلك من العباد الاستسلام لسلطان الله وتحكيم منهجه وشرعه فيهم، وأن تكون السلطة فيهم لمنهج الله وأوامره ونواهيه، حتى تتحقق لدعوة الإسلام السيادة والريادة، ويعبد الله في أرضه وفق مراده تعالى .

٢- أركان الدعوة :

لدعوة الإسلام أركان أربعة :

الأول : موضوع الدعوة، وهو الإسلام أي المدعو إليه .

الثاني : الداعي وهو من يقوم بمهمة الدعوة إلى الله .

الثالث : المدعو، وهو من تُوجَّه له الدعوة

الرابع : أساليب الدعوة ووسائلها .

وهذه الأركان هي أركان الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان. وهناك من يعتبر أركان الدعوة : العقيدة والشريعة والأخلاق، (١) وهذا التحديد لأركان الدعوة لا يستقيم عندما ننظر لمعنى الركن لغوياً.

٣- أصول الدعوة وأنواعها:

أما أصول الدعوة فهي : العقيدة ، والعبادات ، والأخلاق والمعاملات.

وأنواعها تتلخص في ثلاثة :-

أولاً: دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم .

ثانياً: دعوة المسلمين بعضهم بعضاً أمة الخير.

ثالثاً: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ولكل نوع منها دليله

من القرآن الكريم.

ومما يرادف الدعوة الدعاية ؛ ولقد وردت في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، كما جاء في كتابه عليه السلام إلى هرقل عظيم الروم، الوارد في الصحيحين ((أما بعد، فأني أدعوك بدعاية الإسلام)) (٢) أي بدعوته .

(١) أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ١٤ .

(٢) رواه البخاري في الصحيح (باب كيف بدأ الوحي) ج ١ ص ٩ ورواه مسلم (كتاب الجهاد) ج ٢

وعلى الرغم مما يقصد بالدعاية اليوم من ترويج للباطل ونشر الفساد عن طريق قلب الحقائق والمعاني ، فإنَّ الدعاية تظل على المعنى الأصلي الذي أراده الإسلام من نشر الحق ودفع الباطل، واستغلال غير المسلمين لها بتلك الصور الباطلة لا يمنع المسلمين من استغلالها في الحق.

ومما يرادف الدعوة أيضاً بفروق يسيرة :-

- ١- الوعظ : وهو التخويف والتذكير بالخير الذي يُرَقِّقُ القلب وَيُليِّنُهُ .(١)
- ٢- الإرشاد : وهو هداية الناس للخير، بمجانبة الغي، ودلُّهم على الصراط المستقيم.(٢)
- ٣- البشارة : هي الإخبار بما يدخل الفرح والسرور في الصدر.(٣)
- ٤- الحسبة : هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(٤)
- د- حكم تبليغ الدعوة ومن هو الداعية ؟ :-

الأصل في حكم تبليغ الدعوة الوجوب على كل مسلم ومسلمة لورود الأمر القرآني بالحث على الدعوة إلى الله أي إلى دينه، والحث على عبادته وحده، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى امتدح هذه الأمة وشرفها عن غيرها من الأمم، بالقيام بهذا الأمر العظيم، قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)) (٥) وندبهم تعالى إلى هذا العمل الجليل في قوله((ولتكن منكم أمة يدعون إلى

-
- (١) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ٦ ص ١٢٦ .
 - (٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٣٢٥ .
 - (٣) قال ابن فارس : فالبشارة بالخير والندارة بغيره .
 - (٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢١٢ .
 - (٥) سورة آل عمران - آية ١١٠ .

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (١) فأصل وجوب ذلك على العموم إلا أنه أُخِّص به العلماء ورجال الدعوة لمعرفة تفصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفة لجزئياته. (٢) ومن هنا فهو واجب كل فرد بحسبه ومسئوليته ويقدر استطاعته، (٣) وهذا ما يؤيده قول شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يرى أن الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، لقوله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (٤) . فقد أوجب الله ذلك على الكفاية إذا لم يقدّم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر حسب قدرته. (٥) لكون الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب الواجبات. (٦) بل ألحقه بعضهم بأركان الإسلام التي لا يقوم بناؤه إلا عليها وهو وإن كان فرض كفاية فلا يسقط عن المكلفين إلا أن تقوم به فئة يحصل بها المقصود الشرعي. (٧)

وأما الداعي فهو : من يمارس الدعوة إلى الله .

ويلزم الداعية عدة صفات منها باختصار : قوة الصلة بالله وكتابه، وأن يكون مُصلحاً لنفسه، فاهماً لأمور دينه وما يلزمه من أمور دنياه، شجاعاً مخلصاً لدعوته (٨). أما أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) فيجمل صفات الداعية في (العلم والورع وحسن الخلق) (٩) بحيث يكون عالماً بالقدر المطلوب لما يأمر به وينهى عنه على أقل تقدير.

-
- (١) سورة آل عمران - آية ١٠٤
 - (٢) عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٣٠٠
 - (٣) حمد بن معمر : ضمن الدرر السننية ج ٧ ص ٣١.
 - (٤) سورة آل عمران آية ١٠٤
 - (٥) ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ص ١١٦.
 - (٦) ابن تيمية : الاستقامة ج ١ ص ١٩٨.
 - (٧) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السننية ج ٧ ص ٣٣.
 - (٨) محمد الغزالي : مع الله ص ١٧٨.
 - (٩) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٧٢.

كما يجب على الداعية إلى الله إعداد نفسه إعداداً مناسباً لتحمل أعباء الدعوة ويكون ذلك بالإعداد العلمي والنفسي والثقافي، ليستطيع تحقيق الهدف من دعوته إلى الإسلام على بصيرة، مصداقاً لقوله تعالى : ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) (١).

ويترتب على هذا معرفة الداعية أحوال من يدعوهم لأن دعوته لجميع البشر وليست خاصة بشخص أو موجهة لفئة من الناس ، وذلك ليتمكن للداعية من مقابلة ومخاطبة كل فئة بما يناسبها .

ولذا كانت مخاطبة الداعية للناس بقدر عقولهم ومكانتهم وأحوالهم أمثل الطرق للدعوة ، وكذلك الاطلاع على أحوال من سبقنا ، ومعرفة أحوال المخلصين من الدعاة كحال الفترة التي ندرس واقع الدعوة فيها، وواقع الدعوة من خلالها وجهود الدعاة في ذلك حيث أن أهمية أي دراسة إنما تنبع من أهمية علاقتها بالمجتمع .

ثانياً مكان الدراسة ومجتمعها:

تتعلق الدراسة كما يتضح من العنوان بواقع الدعوة الإسلامية في نجد والحجاز ومن هنا فمكان ومجتمع الدراسة يرتبطان بهذين الإقليمين المعروفين، ولقد أخذت - عند اختياري للموضوع - في الاعتبار أهميتهما ومكانتهما، سواء الجغرافية بالنسبة لجزيرة العرب بعمومها ، أم الدينية بالنسبة للحجاز، وكذلك الموقع بالنسبة للحجاز ونجد، وأهمية نجد بعد بدء حركة التجديد، وتركيز الدعاة النجديين على الحجاز وموقف حكام الحجاز وعلمائه من تلك الدعوة . وسأوضح - باختصار - أهمية هذا الجزء من بلاد العرب التي تكون الحجاز ونجد قطب الرchy فيه، وكذلك العلاقة المتصلة بين نجد والحجاز لأهمية ذلك للدعوة الإسلامية من خلال مجتمع الدراسة ومكانها حسب الترتيب الآتي:-

(١) سورة يوسف - آية ١٠٨

أ) جزيرة العرب وأهميتها:

تحتل جزيرة العرب مكانة هامة في العالم المعمور، فهي من أقدم البلاد اليابسة وتتمتع بموقع ممتاز لوقوعها في تلاقي عدة قارات وارتباطها بعدة بحار، وهي تشمل رقعة واسعة على خريطة العالم وتستحوذ على وضع خاص بين البلاد العربية والإسلامية بخاصة وبلاد العالم عامة، وتسمى جزيرة العرب، لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل (١). قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): ((قد اختلف في تحديدها وأحسن ما قيل ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب مسنداً إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام ، قال : وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر)) (٢) فالجزيرة في موقعها في وسط الأرض يمر فيها: القادم من شرقها سائراً نحو غربها، ويتجه المشرق إليها من مغربها ويجتازها المسافر من جنوبها إلى الشمال وهي كذلك تشرف على مضائق وممرات وموقع يجعلها الفريدة في موقعها. (٣) وعلاوة على الأهمية الجغرافية لموقع بلاد العرب فقد خصها المولى الحكيم العليم سبحانه وتعالى بخصوصيات منها:-

١- أنها مهد البشرية الأول حيث أهبط فيها آدم وحواء عليهما السلام، وفيها وقفا بأرض الحجاز كما ورد في عدة روايات عن الصحابة كابن عباس وابن عمر رضوان الله عنهما. (٤) وفيها تكاثر البشر ومنها انطلقوا، فما يذكر امرؤ أصل الخلق الأول إلا وترنو عينيه إلى هذه البقعة، وتهفو نفسه إلى هذا الموضع الأول.

(١) الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٣

(٢) ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) محمود شاكر : شبه جزيرة العرب ص ٩

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١ ص ٨٠ وللعلماء في هذه المسألة وصحة هذه الرواية من عدمها

كلام ذكره ابن كثير وغيره من المفسرين ليس هنا مكانه .

(وهي كذلك المهد الأول للغة الضاد التي نزل بها القرآن الكريم؛ ففيها ولدت اللغة العربية ودرجت على أثرها الفصحى وشب في معانيها الأدب وشدا في آفاقها البيان). (١)

٢- مكان البيت الأول الذي رفع قواعده أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ولا يخفى قدم البيت الحرام وإن اختلف فيمن بناه أولاً وأسسهُ، أهُم الملائكة أم آدم عليه السلام ؟ (٢) ومن هنا فقد خص الله تعالى تلك الديار بمكانة عالية لم تصلها أي بقعة من بقاع الأرض؛ تجعلها محل اهتمام الباحثين والدارسين في كل العصور، فمهما كتب عنها وألّف فهي تبقى على أهميتها ومكانتها. وليس في الأرض بقعة حرّمها الله وقدسها مثل مكة المكرمة، فقد حرّمها الله وقدسها وأعلى مكانها ورفع قدرها منذ القدم؛ حيث حرّمها الله تعالى يوم خلق السموات والأرض. كما في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما! قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن هذا بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وأنه لم يُحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة)). (٣)

٣- وهي مبعث أفضل الرسل وخاتمهم عليه الصلاة والسلام، وهي مهبط الوحي على رسوله عليه السلام (٤)، فيها اتصلت السماء بالأرض، فانطلقت منها دعوة الحق والفلاح للبشرية، ومنها انساحت الجيوش ترفع راية التوحيد وألوية الهدى لتدك حصون الظلم، وتقتلع جذور الجاهلية، فبهذا لها الفضل على العالم أجمعه.

٤- وهكذا بقيت هذه الديار مصدر كل خير وهداية وتوجيه للبشرية في عصورها المختلفة كما كانت بعد البعثة النبوية الشريفة. وعندما عمّ الجهل والانحراف عن العقيدة ديار

(١) إبراهيم الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته ص ٥

(٢) القرطبي: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ١ ص ٥٠٦ والأزرقي: أخبار

مكة ج ١ ص ٣٢ وما بعدها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الحج - باب لا يحل القتال بمكة) ج ١ ص ٣١٥.

(٤) القرآن الكريم يدل على نزول الوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله

تعالى: ((نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين)) سورة الشعراء: ١٩٣، ١٩٤

الإسلام بعد القرون المفضلة، لم يكن لجزيرة العرب إلا أن تُعيد البشرية إلى صوابها وتهبها - كعادتها- أسباب الهداية والرشاد مرة أخرى على يد شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى تلك الدعوة المدوية التي أفاقت الأمة من سباتها الطويل ، وأعدت لدين الإسلام جدته بعد البلى وقوته بعد الضعف .

٥- لم يكن خير هذه البلاد وفضلها ليقف على أهم ما يحتاجه الإنسان في حياته، وهو الهداية والرشاد لطريق الفلاح . بل زادها الله خيراً وحباًها نعمة فوق نعمة، فإذا برمالها - بفضل الله ومنه - عسجد وعقيق وإذا بأرضها تدخر الماء الكثير، وتختزن النفط الوفير، وتحفظ بالمعدن الثمين، وإذا بالخيرات تتدفق من مكامنها لتسد حاجة أبنائها وتغنيهم ويعم فضلها وخيرها العالم الإسلامي، بل العالم أجمع، فتسرع الأمم تخطب ودّها وتتقرب إليها وتنعم بفضلها، فبلد وهب الله عن طريقه الهداية لن ييخل على البشرية بأسباب حياتها وسعادتها. (١)

وليس هنا مكان التفصيل في أهمية جزيرة العرب والأسباب التي جعلها المولى عز وجل لهذه البقاع لتستعد لحمل رسالة الإسلام وأمانة الهدى والخير، والدين الذي ارتضاه المولى لنفسه وشرعه لعباده بما يشير إلى اختيارها لتكون مهد العقيدة ومهبط الوحي ومنطلق السعادة والهداية للبشرية كلها في كل آن وزمان. (٢)

(ب) نجد والحجاز وموقعهما:

بالرغم من الأهمية التي اكتسبتها نجد في جزيرة العرب، بتوسطها بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، مما مكن لها من السيطرة على طرق القوافل التي تجتازها للتنقل بين أرجاء الجزيرة وبالذات قوافل الحج لبيت الله الحرام، واتساع أرضها- بالرغم من هذا- بقيت نجد وقتاً طويلاً مغلقة على نفسها تعيش في عالم النسيان، يلفها الجهل وتخيم عليها

(١) محمود شاكر : مرجع سابق ص ٨

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣١٤٤ (تفسير سورة الشورى)

النزاعات وتحكمها غارات البوادي ولايعيرها أحد الاهتمام المطلوب، في وقت نجد اهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة ببقية أنحاء جزيرة العرب ؛ إما لمكانتها الدينية كبلاد الحرمين؛ أو لاتصالها وقربها من البلدان المجاورة المحيطة بها مثل الشام والعراق وبلاد فارس. كما كانت الظروف والعوامل الإقليمية، كالحق الذي يسيطر على نجد ووعورة تضاريسها، وطباع أهلها الغليظة من الأسباب التي تصرف الناس عن الاهتمام بها أو المغامرة للوصول إلى داخلها، فبقيت حالها تسير من سيء إلى أسوأ لعوامل كثيرة، حتى امتن الله على نجد وعلى أهلها بحركة الإصلاح والتجديد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، والتي كانت فاتحة خير وسعادة لهذه الديار ، بل ولكل بلاد العرب (فتطاولت لها الأعناق وكثر البحث فيها والاشتياق للحديث عن فضلها وفضل أهلها والبحث في حال الأمة في تلك السنين المباركة على أهل نجد، بأمان السبل واتساعهم في معاشهم وأسفارهم وحجهم، وإنزالهم لعدوهم وقهرهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). (١)

فصارت مضرب المثل في الأمن ورخاء العيش وسلامة العقيدة، واتحاد الأمة وتآلف أبنائها بعد الاختلاف والفرقة، فكثُر الحديث عن بلاد نجد، وجمع ما قيل فيها قديما وحديثا من حكم وأشعار وما تناقله الرواة عن تلك الديار، ووجدنا مؤلفات كثيرة تخصها بالذكر والبحث والتأليف.

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى معنى لفظ نجد والحجاز. أما نجد فهو في اللغة (ما ارتفع من الأرض، وما خالف الغور أي تهامة فأعلى نجد ، تهامة واليمن ، وأسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق). (٢) والحجاز من الحجز وهو الحول بين الشيين، وإنما سميت الحجاز الأرض المعروفة لأنها حجزت بين نجد والسراة (فالحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها، لأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة). (٣)

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٦٠٥ (ملخصا)

(٢) أبو الحسن بن فارس : مقاييس اللغة ج ١ ص ١٢٩

(٣) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ١ ص ٣٤.

ويقال : إذا خرجت من المدينة فأنت منجد إلى أن تتوصب في مدار العرج - وادي بين مكة والمدينة - فإذا تصوبت فيها فقد أتهمت إلى مكة، ويقول أهل المدينة : (أخذت التهامية أم النجدية ؟ فالتهامية التي عليها عسفان والجحفة، والنجدية التي على طريق الربذة) أ.هـ (١) .

وخلاصة القول إن الحجاز يطلق على جبل السراة الذي هو أعظم جبال العرب الذي يبدأ من قعرة (٢) اليمن حتى يبلغ أطراف الشام، وسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور، وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر ، فصار ماخلف ذلك الجبل - أي السراة- غرباً إلى البحر تهامة، فتهامة تجمعها كله وصار مادون الجبل شرقاً من صحاري إلى أطراف العراق والسماوة نجداً، وهذا ما قاله الهمداني.(٣)

وقد تطلق على نجد كلها، بل وكثير من البلاد كأطراف البحرين وجزء من العراق وأطراف الشام كما ذهب إلى ذلك الأصفهاني والبكري وغيرهم (٤). وعلى كل فالمطلع على أقوال علماء المنازل والديار يجد الاختلاف في حدود بلاد نجد والحجاز والحد الفاصل بينهما، وهذا يحتاج إلى بحث طويل يستند على الحدود الطبيعية التي تؤيدها اللغة ويدعمها الواقع، وعلى الاصطلاحات التي يمكن من خلالها استنباط حكم قريب من الواقع.

ج) أهمية الموضوعين وعلاقتهما ببعض :

إذا كنا في هذا التمهيد لانتمكن من التوسع في الحديث عن نجد والحجاز وحدودهما وتاريخهما وأقسامهما الجغرافية والإدارية ومدنهما، فنشير في هذه الفقرة إلى أهمية الإقليمين وعلاقتهما ببعض، وأثر تلك العلاقة في الدعوة.

-
- (١) الحسن الأصفهاني : بلاد العرب ٣٣٦-٣٣٨.
 - (٢) قعرة الشئ : أقصاه.
 - (٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٥٨
 - (٤) الأصفهاني : المصدر السابق ص ٤٢٥ والبكري : معجم ما استعجم ص ٣٢١.

فبالنسبة لإقليم الحجاز فكان وما زال المثابة التي تهوي إليها أفئدة المؤمنين، وتهفو لها أرواح العابدين، وتتعلق بها قلوب المسلمين وتتطلع نحوها عيون المخبتين، (ومن ثم أجمع العلماء على أن مكة المكرمة والمدينة المنورة أفضل بقاع الأرض). (١)

ولهذا فالقرآن الكريم فيه آيات كثيرة عن البيت الحرام، عن مكانته وقدمه وحرمته وبركته وخصائصه، والأمر بالحج إليه مثل قوله تعالى : ((إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آياتٌ بيناتٌ مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً. والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)) (٢). وقال تعالى ((وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)). (٣)

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة عن مكة المكرمة وحرمتها ومكانتها. (٤)

ويلي مكة المكرمة في الأهمية والمكانة مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) المدينة المنورة التي رحبت برسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت له ذراعيها عندما أخرجته قومه من أحب البلاد إليه - مكة المكرمة - ورد في القرآن الكريم الثناء عليها وعلى أهلها الذين أيدوا الرسول صلى الله عليه وسلم وآروه هو وأصحابه ونصروهم ، قال تعالى : ((والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٥). ووردت أحاديث كثيرة عن حرمة المدينة - كما حرمت مكة - وفضلها وبركاتها ومن تلك الأحاديث ما هو صحيح السند (٦).

-
- (١) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ١
 - (٢) سورة آل عمران - آية ٩٦ ، ٩٧
 - (٣) سورة إبراهيم آية ٣٥
 - (٤) البخاري : في الصحيح (كتاب العلم) ج ١ ص ٣٢.
 - (٥) سورة الحشر : آية ٩
 - (٦) مسلم : كتاب الحج ج ٢ ص ١٠٠١.

فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة صارت معقلاً للإسلام وقلعة حصينة له، ومشعلاً يشع منه نوره على الآفاق ومنازة للعلم، انتشر الإسلام منها إلى كل الدنيا، وفيها وجوارها وفي ضواحيها وقعت أعظم معارك الإسلام التي انتصر فيها وانهزم الشرك ولم يبق للكفر بعد ذلك قائمة بفضل الله وكرمه. (١)

وأما بلاد نجد فبحكم مجاورتها لإقليم الحجاز ذي المكانة العالية وموقعها الجغرافي المسيطر على كثير من خطوط الاتصال وبخاصة الطرق المتجهة إلى بلاد الحرمين فأهميتها كبيرة، وهي كذلك لها الفضل العام للعرب، فما ورد من الثناء والمدح للعرب فلا شك في عمومها لأهل نجد؛ لأنهم من صميم العرب (٢). وجاء في فضل بعض أهل نجد كتميم ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ((لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: هم أشد أمتي على الدجال، وكانت فيهم سبية عند عائشة، فقال: اعتقها فإنها من ولد إسماعيل، وجاءت صدقاتهم فقال هذه صدقات قوم أو قومي)). (٣)

والعلاقة وقوة الاتصال وعلاقة التأثير والتأثر بين نجد والحجاز قديمة جداً، فهي منذ أن وجد هذان الإقليمان وقامت الحياة عليهما. وعندما أشرقت دعوة الإسلام من مكة المكرمة على يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأضاعت الكون بنور الإيمان، كانت نجد من أول الديار التي استفادت من ذلك الخير العميم؛ فالدارس في علاقة نجد بالحجاز بعد البعثة يجد العلاقة المتوطدة وقوة الصلة وعمق الروابط جاءت مبكرة، فهي من حين بعث صلى الله عليه وسلم بكتبه إلى الملوك والرؤساء بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وكان ضمن هؤلاء الرؤساء هوزة ابن علي (ت ٠٠٨ هـ) صاحب اليمامة ثم إلى غيره من زعماء نجد حينذاك (٤).

واستمرت العلاقة بينهما وكان الكثير من أبناء نجد يغشون الحجاز لطلب العلم والتجارة علاوة على قصد بيت الله الحرام ومسجده (صلى الله عليه وسلم) للحج والزيارة ولأهمية العلاقة وقوتها

(١) على حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ١٩، ٢٠.

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن: منهاج التأسيس والتقديس ص ١٧ وما بعدها.

(٣) البخاري: صحيح البخاري (كتاب المغازي: باب وفد بني تميم ج ٢ ص ٧٧).

(٤) ابن القيم: زاد المعاد ج ٢ ص ٦٣.

اهتم الدعوة في نجد بنشر حركة الإصلاح والتجديد التي انبعثت منها في القرن الثاني عشر في بلاد الحرمين ، وأحسوا بالواجب الملقى عليهم تجاه بلاد الحرمين، كما أدركوا أن بلاد الحرمين تكون البوابة الواسعة الموصلة لصوت الحق إلى أمة الإسلام والتي هي بحاجة إلى تلك الدعوة الإصلاحية . ومن جانب آخر اهتم علماء الحرمين وحكامها بما يجري قريباً من دارهم في نجد من تغيير وإصلاح، فحصل التأثير والاهتمام من كل جانب بالآخر على الصورة المفصلة في البحث مما هو عنصر مهم في الدعوة وواقعها في القرن الثالث عشر وما بعده.

ثالثاً: التحديد الزمني للدراسة:

بعد إيضاح مكان الدراسة ومجتمعها أوضح هنا التحديد الزمني وأهميته، لأنه من الثابت أن كشف المدد الزمنية المجهولة ومعرفتها ، وعلاقتها بالأحداث ، من أهم أعباء الدراسات المتخصصة، بل هي ألزم ما يكون لأي ظاهرة يراد دراستها لكون المدد الزمنية الوعاء الذي تستفرغ فيه أحداثها والسجل المدون لها، ونظراً لكون دعوة التجديد التي قامت في جزيرة العرب بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري تعتبر بحق - كما يتفق أكثر المؤرخين - أول نهضة أيقظت أمة الإسلام في القرون المتأخرة بعد فترة الركود والفوضى السياسية والدينية التي ابتليت بها، وقد أنتجت سلسلة من الأحداث المتتابة كانت الدعوة إلى دين الإسلام وإعادة الأمة إلى دينها الصحيح طريقها وغايتها القصوى؛ فأصبحت تلك الحركة أهم عامل من عوامل التجديد التي بدأت تميز المجتمع العربي منذ ذلك الحين .

وبعد أن تلاقى الدين والسياسة مما هو من ثمار الحركة الإصلاحية في منتصف القرن الثاني عشر بعد فترة إنفصال وجفاء من السياسة للدين طويلة فأحدث ذلك التلاقي من جديد في صورة نادرة فريدة ملحمة كبرى لفتت إليها الأنظار شرقاً وغرباً وجعلت من ذلك الواقع مجالاً رحباً للدراسة والاستفادة.

ومن الملاحظ أن الفترة التي عاشها الشيخ المجدد وأنصاره في القرن الثاني عشر الهجري لقيت اهتماماً كبيراً من الأمة قاطبة ، فألفت فيها المؤلفات وكتب عنها الرسائل وُدونت

عنها الكتب، وعقدت لها الندوات ونظمت بسببها الأسابيع الثقافية إلى حد أشبع معه الموضوع بحثاً وإن بقي فيها جوانب لم تدرس وزوايا خفية إلى الآن.

ولكن الفترة التي تلت وفاة ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ مع أنها امتداد أصيل للفترة السابقة وأحداثها الكثيرة كانت امتداداً لها . بل جرت فيها أحداث أعظم مما سبقها وأثبت الدعاة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ترك مدرسة تسير على نهجه وتتبع خطاه ، تستعصى على المصائب ، وتثبت أمام الأعاصير مهما كانت عاتية ، ومع ذلك فلم تفرد الفترة، وبالذات ما كان يتعلق فيها بالدعوة بمؤلفات خاصة سوى ما يعتبر امتداداً للفترة السابقة التي يمكن اعتبارها الأساس والقاعدة، أو النَّزْرَ اليسير الخاص ببعض المسائل التي جرى فيها النقاش ، وقد نقول بالجملة إن ما كتب عنها غالباً لا يعدو أن يكون عرضاً تاريخياً للأحداث قد لا يقصد به إلا الربط بالتاريخ الحديث أو التكملة لأحداث الفترة الفائتة، كما أن تلك المؤلفات تنحصر مادتها في كتب قليلة معروفة، أو فيما كتبه بعض الرحالة الغربيين ولا يخفى ما لذلك من المساوئ . ومع ذلك لم يراعوا كل دور وكل فترة بمفردها حسب الأحداث الهامة أو السنوات المحددة، وتلك الكتابات - على قصورها ونقصها - قليل منها ما يركز بعمق وتوسع على الدعوة والدعاة وأساليبهم ووسائلهم، وجهودهم خاصة في القرن الثالث عشر، مما يوحي للباحث بالنقص الكبير فيما دون عن بعض جوانب الدعوة وواقعها - آنذاك - كما أن ما ورد من نُبذٍ ووقائع مختصرة كثيراً ما نقل وتذهب أهميتها في خضمِّ الأحداث والكتابات الأخرى وبالأخص ما يتعلق بالفترة السابقة . ومهما كتب عنها وبذل من جهود كبيرة في هذا المجال ، فلاتزال مجالاً رحباً وباباً واسعاً للبحث . فكان اختياري لدراسة واقع الدعوة في القرن الثالث عشر الهجري لأحاول بجهودى المتواضعة المساعدة بقدر ما أستطيع من الدراسة عن تلك الفترة.

والفترة الزمنية المحددة في القرن الثالث عشر الهجري لا يشترط تقيدها بسنة بداية ونهاية لأنها ترتبط بالأحداث والمؤثرات على وجه العموم .

القسم الأول الدعوة والقضايا الرئيسية

الباب الأول : الدعوة نشأتها وأهدافها :

الفصل الأول : نشأة الدعوة في نجد (المؤثرات الدينية في الدعوة، المؤثرات الاجتماعية والسياسية، المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبداية الدعوة).

الفصل الثاني: نشأة الدعوة في الحجاز (المؤثرات الدينية في الدعوة ، المؤثرات الاجتماعية والسياسية، الدعوة الإصلاحية في الحجاز).

الفصل الثالث : أهداف الدعوة (الدعوة إلى توحيد الله ، الدعوة إلى وحدة الأمة).

الباب الثاني : المعوقات التي واجهت الدعوة :

الفصل الأول : المعوقات الأولية (ظهور المعارضة وبدايتها، وسائل المعارضة).

الفصل الثاني: نماذج من المعوقات والعقبات (في مسائل التوحيد والعقيدة، في مسألة الاجتهاد والتقليد، تسمية الوهابية).

الباب الثالث: من خصائص المنهج :

الفصل الأول : الأصالة والتجديد (مفهوم الأصالة، مفهوم التجديد، السلفيون والتجديد).

الفصل الثاني: استفادة الدعوة من القوة السياسية .

الفصل الثالث: منهج يقوم على الجهاد (الجهاد بالكلمة، الجهاد بالسيف والسنان).

الباب الرابع : الدعوة في عهد جديد:

الفصل الأول : الدعوة تنهض من كبوتها (الأسباب التي عجلت بنهوض الدعوة، قنوم المجدد الثاني).

الفصل الثاني: الدعوة في عهد الإمام فيصل وما بعده (وثبة الدعوة في عهد الإمام، ضعف الدعوة بعد الإمام فيصل ونتائجه)

الباب الاول الدعوة نشأتها وأهدافها

ليست (الفترة) الزمنية التي نحن بصدد البحث عن واقع الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية خلالها إلا امتداداً طبيعياً (للفترة) التي سبقتها والتي تبدأ منذ قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية ببلدة (حريملاء) بعد سنة ١١٥٢هـ (١) ومن ثم اتفاه مع الإمام محمد بن سعود ابن مقرن الذي كان أميراً للدرعية إحدى بلدان نجد سنة ١١٥٧هـ. (٢)

ولا بد من الوقوف على العوامل والمؤثرات التي رافقت قيام تلك الدعوة الإصلاحية، وأثرت فيها وهذا يستلزم النظر في الظروف والمؤثرات التي عاشتها وأحاطت بها آنذاك ، ومن المعلوم أنه قد وقعت في بداية القرن الثالث عشر الهجري أحداث هامة واجهتها الدعوة بعد فترة الانتصارات التي عاشتها في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجري والتي نسميها فترة الشباب والفتوة.

ولاشك انه بوقوفنا على الأوضاع والعوامل التي نشأت فيها الدعوة وأثرت فيها وتأثرت بها ندرك أهمية تلك الظروف والأوضاع ، ومن جانب آخر فان الربط بين الفترات وأوضاعها وعوامل التأثير فيها يعطينا دليلاً على أن القصد من "النشأة والأهداف" في هذه الدراسة لايعني بالضرورة أن الدعوة وجدت للتو أو أن مرادنا وجود دعوة جديدة، أو مذهب جديد، أو أهداف ومقاصد خاصة كما ذكر بعض المعارضين عن حركة الاصلاح التي ظهرت في نجد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وأتهموا أتباعها. (٣)

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٨

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٩

(٣) من هؤلاء : مؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ٣ ، ٢١٥ واحمد زيني دحلان ، الدرر السننية في الرد

على الوهابية ص ٤٦ وعلوي الحداد : مصباح الأنام ص ٦ ، ٥ وغيرهم من معارضي الدعوة وأعدائها.

وسنجدل هذا الباب في ثلاثة فصول هي :
الفصل الأول : نشأة الدعوة في نجد .
الفصل الثاني : نشأة الدعوة في الحجاز.
الفصل الثالث: أهداف الدعوة .

الفصل الأول نشأة الدعوة في نجد

عندما نريد النظر في نشأة الدعوة وقيامها وكيف كانت حال الدعوة وأتباعها فلا بد لنا من النظر في الظروف والمؤثرات والأحوال المؤثرة في واقع الدعوة، لأن معرفتنا تلك تدلنا على الاتجاهات الظاهرة والخفية التي أثرت في واقع الدعوة إيجاباً وسلباً، أوقوة وضعفاً.

أولاً: المؤثرات الدينية في الدعوة :

من الملاحظ أن هناك مؤثرات كثيرة كانت تحيط بالدعوة في فترة البحث وقبلها وفي هذا البحث نوجز المؤثرات الهامة، والتي منها مؤثرات دينية وسياسية واجتماعية وطبيعية.

فالمؤثرات الدينية نعني بها العوامل، والواقع السائد في هذه الناحية، مما كان له أثره في تلك الحقبة، على حالة العقيدة في نفوس أتباعها وسلوكهم مع بعضهم ومدى تمسكهم بدينهم عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

ولعل من أهم المصادر وأوثقها التي تعطينا تصويراً شاملاً عن الحالة الدينية في بلاد نجد هي مؤلفات علماء الدعوة ومؤرخيها وأتباعها. (١) وعلى رأسهم عمدة مؤرخي نجد حسين ابن غنام. (٢).

(١) أحمد بن محمد الضبيب : آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٥

(٢) أبوبكر حسين بن أبي بكر بن غنام ولد بالأحساء وتعلم بها ، حتى بلغ مرتبة العلماء مالكي المذهب،

نقله الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد ضم الأحساء إلى الدرعية معلماً ومؤرخاً، له الفضل في تدوين تاريخ نجد وعصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، توفي بالدرعية سنة ١٢٢٥هـ (محمد بن عبدالقادر :

تاريخ الأحساء ج ٢ ص ٣٩٦ ومحمد القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ٧٨.

وعثمان بن بشر (١) وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وأحفاده
كالشيخ عبدالرحمن بن حسن (٢) وابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن (٣)
رحمهم الله!

-
- (١) عثمان بن عبدالله بن عثمان بن بشر ، من بني زيد قحطان ، سكن قومه شقراء ، ولد بجلاجل سنة ١١٩٤هـ طلب العلم حتى أصبح عالماً أديباً مؤرخاً له مؤلفات أشهرها تاريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد) توفي سنة ١٢٩٠هـ على الصحيح (ابن عيسى : عقد الدرر ص ٦٩ ومحمد القاضي : روضة الناظرين ج ٢ ص ٩٣) .
- (٢) الإمام عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب المجدد الثاني للدعوة في نجد ولد بالدرعية سنة ١١٩٣هـ تتلمذ على كبار علمائها منهم جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثم جلس للتدريس والقضاء لحين هدمها إبراهيم باشا ١٢٢٣هـ فكان ممن نقل لمصر، فواصل تعليمه فيها حتى عودته لنجد سنة ١٢٤٦هـ ففرح به القوم، ونفع الله بعلمه وجهوده وجهاده له مصنفات كثيرة، وسيأتي خلال البحث نماذج من جهوده الكثيرة في الدعوة توفي سنة ١٢٨٥هـ (تفاصيل ترجمته ، لدي ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها وابن عيسى : عقد الدرر ص ٢٠ وفيه أسانيد الشيخ عبدالرحمن ومروياته ، وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ٧٨) .
- (٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية، سنة ١٢٢٥هـ وتلمذ على علمائها نقل إلى مصر مع والده وعمره ثمان سنوات فأقام بمصر ٣١ سنة يدرس على علماء نجديين ومصريين منهم والده وأعمامه ممن نقلوا إلى مصر حتى عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ يحمل معه كتباً كثيرة وعلماً نافعاً استفادت منه البلاد والعباد حتى أصبح من أشهر علماء الدعوة كان جريئاً في الحق حرباً على البدع له مصنفات كثيرة وسيأتي في البحث نماذج من جهوده توفي سنة ١٢٩٣هـ بالرياض (تفاصيل ترجمته : ابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠ وابن عيسى: عقد الدرر ص ٧٧ وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٩٣) .

فتلك المصادر تؤكد أن الأمة الإسلامية منذ القرن العاشر الهجري ظلت أمداً طويلاً تعاني الانحطاط والضعف، والتدهور في كثير من النواحي وفي مقدمة ذلك الانحطاط والتدهور في العقيدة وما يرتبط بها من العبادات والمعاملات والأخلاق وكان حظ نجد وافرأ في هذا الشأن نتيجة لتوافر عدة عوامل ، سياسية وقبلية وسلوكية وفكرية وعلمية وطبيعية ومناخية انفردت بها نجد وسكانها .

وقد كانت تلك العوامل والأوضاع تدفع المجتمع النجدي إلى الانحطاط والتدهور والبعد عن حقائق الدين أكثر من غيره من أي مجتمع إسلامي آخر في حواضر العالم الإسلامي كالشام ومصر والبحرين وبلاد الحرمين ، وغشيتها تلك السحابة المظلمة من الجهل والضلال والبعد عن هدي الإسلام -إلا من رحم ربي- وأصبح الناس في تلك النواحي في حال يتألم منها من عايشوا أحداث تلك الفترة وتأسفوا لحال الأمة مما جعل ابن غنام رحمه الله يقول في وصف حال بعض أهلها: (فارتكسوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى لغلبة الجهل عليهم، واستعلاء نوي الأهواء والضلال، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة، وقد ظنوا أن آباءهم أدرى بالحق وأعلم بطريق الصواب، فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين ؛ أمواتهم وأحيائهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث ، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد بل أن كثيراً منهم كان يرى في الجمادات كالأحجار والأشجار القدرة على النفع والضرر، ولقد زين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك ثواباً لتقريبهم به لله عز وجل). (١) وقريب من هذا الوصف لحال المسلمين، ما ذكره بعض علماء الفترة ومحاولو الإصلاح فيها (٢) مثل العالم المشهور (محمد الصنعاني) (٣) وما ذكر الشيخ حسين النعمي (ت ١١٨٧هـ) بهذا الخصوص (٤).

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ج١ ص ١٠ .

(٢) محمد الصنعاني : تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص ٨٧

(٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن صلاح الحسني الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير الصنعاني، ولد بكحلان سنة ١٠٩٩هـ وطلب العلم حتى بلغ مرتبة الاجتهاد والإمامة، أصيب بمحن كثيرة بسبب سلفية معتقده، ممن ناصر الدعوة الإصلاحية من أيامها الأولى وكان لموقفه الأثر في واقعها في اليمن وجنوب الجزيرة العربية له مؤلفات كثيرة توفي سنة ١١٨٢هـ في صنعاء (ابن بشر : عنوان المجد ج١ ص ٥٢ والشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص ١٣٣ وصديق خان : أبجد العلوم ص ٨٦٨).

(٤) حسين النعمي : معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٩٤، ٢١٨ .

وقريب من أقوال هؤلاء المحققين عن حال المسلمين في ذلك الزمن ما ذكره المؤرخون (١) كالجبرتي (٢) والألوسي (٣) وغيرهما إلى حد يتأسف منه حتى غير المسلمين من حالهم المؤسفة المزرية، من ذلك ما ذكره المؤرخ الأمريكي (لوثرروب ستودارد) (٤) الذي يعطينا تصويراً رائعاً عن حالة المسلمين الدينية في تلك الفترة حيث يقول : ((وأما الدين فقد غشيتة غاشية سوداء، فالبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرياب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمانم والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة في فناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان وانتشرت الرذائل، وهتك ستر المحرمات على غير خشية أو استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر

-
- (١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٣١ والألوسي : غاية الأمانى ج ١ ص ٢٢ .
- (٢) عبدالرحمن بن حسين الجبرتي الحنفي ، مؤرخ مصر ومدون وقائعهما في عصره، عرف عنه سلفية العقيدة، مما كان سبباً في إيذائه فقتل ابنه في حياته فبكاه حتى كف بصره، ثم استشهد بعده مخنوقاً، له مؤلفات أشهرها تاريخه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وافته سنة ١٢٣٧هـ بالقاهرة (سركيس : معجم المطبوعات ص ٦٧٦ والزركلي : الأعلام ص ٣٠٤ ومقدمة عجائب الآثار).
- (٣) أبوالمعالى محمود شكري بن السيد عبدالله محمود شهاب الدين الألوسي ولد سنة ١٢٧٣هـ ببغداد من أسرة عريقة في المجد والعلم فنشأ نشأة علمية له مواقف مشهورة في الدفاع عن دين الإسلام ، له عدة مؤلفات وقد إلى نجد في مهمة خاصة قابل الملك عبدالعزيز الذي أكرمه توفي سنة ١٣٤٢هـ (له ترجمة وافية كتبها تلميذه محمد بهجت الأثري : أعلام العراق ص ٨٦ وعشائر العراق ج ١ ص ١٦ وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء الدعوة وغيرهم ص ٤٦٨ والزركلي : الأعلام ج ٧ ص ١٧٢)
- (٤) لوثرروب ستودارد : ولد سنة ١٨٨٣م في بروكلين في أمريكا، كان أبوه خطيباً واعظاً جوالاً اشتهر ستودارد مؤرخاً وكتلياً اجتماعياً ، نال الدكتوراة في الحقوق، رحل إلى أوروبا دارسا فهاله ما رآه في الغرب من انحراف وضياع في القيم والأخلاق ، ألف كتباً في الحضارة والتاريخ، ترجمت لعدة لغات توفي سنة ١٩٢١م (عجاج نويهض : حاضر العالم الإسلامي - المقدمة - ج ١ ص ٤٣).

مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه تعالى على من استطاعه، ضرباً من الاستهزاءات، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الاصنام)) انتهى. (١)

وعلاوة على تلك النصوص وغيرها عن حال الأمة الإسلامية، وواقعها الديني السيء فهناك دليل آخر قد يكون أكثر دلالة على الكشف عن حال المسلمين آنذاك بل قد يزيد من الخطورة التي تواجهها الأمة، مما هو أشد أثراً في عقيدتها وانحرافها، وما حل بالأمة من التدهور والبعد عن الطريق السوي، والوقوع فيما نهى عنه المشرع الحكيم، وحذر منه (صلى الله عليه وسلم) بنهيه عن التعلق بالقبور أو إسراجها أو البناء عليها وتعظيمها، أو تعظيم أحد من الخلق من نبي مرسل أو ملك مرقب. ونعني بذلك ما هو وارد وشائع لديهم في بعض كتب العقيدة المتداولة - حينئذ - مثل كتب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) وكتابي (دلائل الخيرات) لمؤلفه محمد الجزولي (ت ٨٧٠هـ) (وروض الرياحين) لمؤلفه عبدالله اليافعي الشافعي (ت ٧٦٨هـ) ففيها العجب العجاب مما هو مخالف للعقيدة في الغالب ومعول قوي من معاول هدمها. (٢)

وإذا كانت هذه حال أمة الإسلام على وجه العموم فماذا عن بلاد نجد؟! التي قلنا إنه قد توافر من عوامل الانحراف والجهل بالدين لها أكثر من غيرها، نظراً لعدة عوامل بيئية وفكرية وجغرافية وفقدان للسلطة السياسية، وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يدفع إلى الانحراف والضلال بصورة لا يمكن تصورها وإدراك نتائجها.

والناظر في واقع تلك الفترة من خلال ما كُتب من تاريخها - مع قلته - يظهر له أنه قد عمُ الانحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة معظم بلاد نجد (٣) من شركيات وبدع وخرافات: كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة بغير الله وغيرها من أنواع العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها

(١) لوثرود ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ (ترجمة عجاج نويهض).

(٢) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ١٢٣ ، الجبرتي - مصدر سابق ج ١ ص ٨٤.

(٣) انظر روضة الأفكار لابن غنام ج ١ ص ١١ .

إلا لله تعالى، إضافة إلى التوسل بالأولياء والصالحين وتقديسهم من أحياء وأموات، والاعتقاد بالجمادات والأشجار والأحجار، في جلب نفع ودفع ضرر، حتى أصبحت تلك الأمور المنكرة من العادات التي لاتجد من ينكرها - بل أصبحت مع مرور الزمن وتقادم العهد- من أساسيات الدين وواجباته في نظرهم ومن بقي منهم مسلماً فلا يعدو أن يكون مسلماً بالاسم فقط، لكنهم بعيديون عن روح الإسلام، ومنهجه القويم، إلا من رحم الله وقليل ما هم.

وقد فصل عمدة التاريخ في نجد حسين بن غنام وغيره من معاصري تلك الأزمنة مظاهر ذلك الانحراف، فابن غنام بعد أن أجمل ما أصاب أمة الإسلام من انحراف عن الحق يذكر أن بعضاً من أهل نجد كغيرهم من بلاد الإسلام في مطلع القرن الثاني عشر كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك وقد ارتكسوا وارتدوا إلى الجاهلية (١)

ثم بدأ يعدد ويسمى لنا القبور والأشجار والأحجار وما يفعل بقربها من الأمور والأهوال المحزنة. (٢) كما يذكر ابن غنام والشيخ محمد بن عبدالوهاب بعض الأولياء من الأحياء والأموات الذين افتتن بهم الناس وتعلقوا بهم، وصرفوا لهم كثيراً من العبادات، (٣) بل إن الشيخ ابن عبدالوهاب -رحمه الله- يذكر أن البادية لا يمارسون أركان الإسلام من صلاة وغيرها (٤) وإذا كان بعض المؤرخين يوردون التعليقات والأسباب التي أودت بالأمة إلى هذا المنحدر الخطر. (٥)

(١) ابن غنام روضة الأفكار ج ١ ص ١٠

(٢) تفاصيل ذلك لدى ابن غنام : المصدر السابق ، ج ١ ص ١١ وما بعدها وابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١١

(٣) ابن غنام المصدر السابق ج ١ ص ١٢ ومحمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنية ج ١ ص ٥٢ ، ٦١ ، ٧١ وج ٢ ص ٥٢ ، ٧٣ وضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٤١ ، ٦١ ، ١٤٩ ، ٤٤٠ .

(٤) ابن عبدالوهاب ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ١٨٨ .

(٥) ابن بشر الصدر السابق ج ١ ص ٦ ، ٧ (قال ابن بشر : والسبب الذي أحدث ذلك في نجد -والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار صار معهم رجال ونساء يتطيبون ويداؤون فإذا كان أحد من أهل البلد مرض أتى أهله إلى متطبة ذلك القطن من البادية فيسألونه عن الدواء لعلته ويقولون لهم : اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا وكذا، إما خروفاً بهيماً أسوداً، وإما تيساً أصمغ وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة ويقولون لهم : لاتسموا عليه ، وأعطوا المريض منه كذا وكذا فربما يشفى مريضهم فتنة لهم واستدراجاً وربما يوافق وقت الشفاء حتي كثر ذلك في الناس وطال عليهم الأمد ووقعوا بهذا السبب في عظام ..) قلت : وقد يكون العكس بأن يطلب البادية الدواء من الحاضرة بنفس الأسلوب وقد أدركنا في صغرنا كثيراً من ذلك .

فإن لذلك عدة أسباب لكن سببها الرئيسي غربة الدين التي أخبر عنها الرسول (صلى عليه وسلم) بأمرٍ من ربه تعالى لتكون علماً من اعلام نبوته، ودلائل صدقه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطويبي للغرباء)) (١).

وإن مما يرتبط بالواقع الديني وعوامل التأثير فيه وفي دعوة الإسلام حال العلم والعلماء، والقضاء والإفتاء والتأليف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقد أصاب الأمة في تلك النواحي الخلل الذي أصاب العقيدة.

فبالنسبة للعلم والتعليم فلاشك أن الجهل الذي أطبق على البلاد في تلك الأزمنة من أسباب تدهور الحالة الدينية بنجد ، حيث يندر في نجد وجود الطقات العلمية، والعلماء قلة بخلاف الحال في بلاد الحرمين أو الشام مثلاً، نظراً لصعوبة الحياة في نجد، وعدم الاستقرار فيها مع عدم وجود تجمعات سكانية كبيرة، وسلطان يهتم بالتعليم وما يتعلق به ، وقلة الطوائف التي تحصل بينها المنازعات المذهبية والردود والمناقشات (٢) ولقد كان الملاحظ أن الناس إلى ما يقرب من خمسين سنة بنجد قد لا يجدون في بعض البلدان من يقرأ عليهم الرسائل المرسلة لهم من قريبتهم المسافرين خارج بلدتهم.

ولكن بالرغم من صعوبة التعليم، وعدم توفر وسائله ، فقد كان هناك محاولات لنشر العلم لابس بها على حسب الإمكانيات المتوفرة لديهم -حينئذ- فكانت هناك كتاتيب محدودة جداً لتعليم القراءة والكتابة.(٣)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان) ج ١ ص ١٣٠ .

(٢) عبدالله العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ص ١٤-٢٣ وصالح الأطرم : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٢٦٤ ، عنوان البحث (اعتماد فقه الشيخ على الكتاب والسنة).

(٣) العثيمين : المرجع السابق ص ١٧

وإذا كان الواقع العلمي في نجد قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري يسوده الغموض كبقية تاريخ المنطقة، فإن الصورة تتضح لنا ونعرف أهمية الواقع التعليمي بعد ذلك عندما ننظر في ذلك الواقع بعد تلك الفترة من حين قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبالأذات في القرن الثالث عشر الهجري حيث حصل للأمة العناية بالتعليم وشيوع المدارس وكثرة العلماء وعودة الأمة إلى واقعها الديني الصحيح ، والحركة الكبيرة التي صاحبت الدعوة من إعداد الجيوش والغزوات وفتح البلدان، وتحرير الرسائل والربود، حيث سارت حركة الجهاد بالعلم واللسان، جنباً إلى جنب مع حركة الجهاد باللسان بل سبقتها، فكانت هناك حركة كلامية راجت فيها سوق الكتابة والتأليف، بل غطت على الحرب الكلامية والمناقشات التي سبقتها لدى الطوائف الأخرى في العراق والشام والبحرين وبلاد الحرمين، كما كان لأعلام الدعوة في نجد من عهد الشيخ وتلاميذه ومن بعدهم صولات وجولات مع مخاليفهم في الداخل وفي العراق واليمن والبحرين والحجاز، مما جعل الأساس والقاعدة القوية للحركة التعليمية التي راجت في القرن الثالث عشر (١) وأثرت في واقع الدعوة في هذه الناحية بعد ذلك - كما سيأتي - بل كانت الركيزة والمنطلق لما تنعم به بلاد نجد وعموم جزيرة العرب الآن في هذا العهد الزاهر من حركة تعليمية فريدة.

وبالنسبة للقضاء والإفتاء فإنه إذا كانت المصادر تعطينا صورة متشائمة عن نجد من ناحية العقيدة والعلم والتعليم، فإنها في نفس الوقت تذكر لنا بعض العلماء الذين كان لهم اعتبارهم وبالأذات في مجال القضاء بدليل أننا نقرأ أن كثيراً من بلاد نجد كان لها قضاة محليون، ومن الواضح كذلك أن اهتمام العلماء كان يركز على مادة الفقه، وربما كان ذلك منسجماً مع الهدف الرئيس من التعليم لديهم، وهو أن يصبح العالم مؤهلاً ليتولى القضاء حتى أصبح في نجد فيما يظهر اكتفاءً ذاتياً في هذا المجال.(٢)

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١٣ ، ١٧٠ وعبدالله البسام : علماء نجد ج ١ ص ١٤

(٢) عبدالله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩ ومنصور الرشيدى: بحثه بعنوان (قضاة نجد

أثناء العهد السعودي ، مجلة الدارة عدد ٣ شوال ١٣٩٨هـ)

هذا بالنسبة للحاضرة أما البادية فلم يكن فيها علماء أو قضاة شرعيون وإنما كانوا يتحاكمون في مشكلاتهم إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبايلهم(١) إلى حين بدأ قادة الدعوة يرسلون لهم الدعاة والقضاة في مقر وجودهم.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعتبره الإمام الغزالي (ت ٥٠٥) القطب الأعظم في الدين الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين. (٢) فقد أهمل وضعف سلطانه، حتى عمت البدع والمنكرات وانتشرت الخرافات والضلال واستشرى الخطر؛ وبالأخص عندما ضعفت الخلافة الإسلامية، وتقطعت أوصالها، فأصبح كل أمير وحاكم والياً على ماتحت يده، يطمع في بقاء حكمه واستمرار سلطته دون النظر في حال الرعية وإصلاح عقيدتها، غير أنه بما يراه من منكرات وبدع بل أن كثيراً من الحكام كان يُسَوَّل لهم الشيطان أن بقاء سلطانهم مرهون بوجود الخرافات والمنكرات، وهذا لا ينفى بالطبع وجود بعض القلة من العلماء الذين كانت لدى بعضهم الرغبة في الإصلاح والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات التي كانت سائدة ممن استقوا أفكارهم من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكتب المصلحين كابن تيمية وابن القيم وغيرها. ولكنهم لم يتمكنوا من نشر أفكارهم، وإزالة ما شاع من منكرات خوفاً على أنفسهم، وخشية مواجهة الأهالي لعدم وجود قوة سياسية تساندهم، من هؤلاء الشيخ عثمان بن أحمد بن قائد النجدي المتوفي سنة ١٠٩٧هـ الذي ألف عدة كتب منها ماهو في التوحيد والعقيدة، من ذلك كتاب (نجاه الخلف في اعتقاد السلف)(٣) كما ألف أيضاً (كتاب التوحيد)(٤) ومن العلماء الذين كانت لديهم الرغبة في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن سيف ت ١١٤٠هـ (٥) وقد لانتسى هنا جهود الشيخ سليمان بن علي ابن

-
- (١) مؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ٢٢ .
 - (٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٠٦
 - (٣) الفاخري : الاخبار النجدية ص ٨١
 - (٤) منصور الرشيدى : المرجع السابق ص ٢٨
 - (٥) ابن حميد : السحب الوايلة (مخطوط) ص ١٧ وعثمان بن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٣ وعبدالله ابن محمد البسام : تحفة المشتاق - مخطوط - ورقة ٧١.

مشرف ت ١٠٧٩هـ (١) وابنه الشيخ عبدالوهاب بن سليمان ت ١١٥٣هـ (٢) وهما جدُّ
الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووالده اللذان كان لهما جهود في محاولة تصحيح العقيدة وإزالة
المنكرات. (٣)

وعلى كل الأحوال فلم تكن جهود أولئك العلماء القليلة لتستطيع الوقوف في وجه ذلك
السيل الجارف، والموج المتلاطم من البدع والمنكرات، بسبب فقدان الوازع السلطاني الذي يقيم
شرع الله على عباد الله، ويكف ويمنع عن حرمان الله، ولكنها توطئة لما انبجحت عنه الدعوة
السلفية، حفظوا التراث وأبقوا صلة العلم ما أمكنهم ذلك حتى هيا الله تعالى لهذا الأمر العظيم
الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي كان أقرب ما نصفه بالطبيب الماهر الذي عرف الداء فقدم الدواء
الكافي والبلسم الشافي بعون الله وتوفيقه، ولقد كان من أوائل اهتماماته الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وإصلاح الفرد والمجتمع، وبعد قيام تلك الدعوة بدأ يعيد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
شأنه وسلطانه الذي ضعف وتلاشى، مع ضعف السلطة الإسلامية في الأمة، حيث كان الدعاة
يبيّنون في كتبهم المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، والمنكر الذي تجب إزالته. (٤) ولم يأت القرن الثالث عشر الهجري إلا وقد عادت للأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفته التي حددها الإسلام الحنيف من حين بزوغ شمسهِ، وبعد ذلك
سميت الجهة التي تقوم بمهمات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدولة: هيئات الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، وانيطت بها كثير من المهام الدينية والاجتماعية فيما يتعلق بعملها. (٥)

(١) ابن حميد المصدر السابق ورقة ٩ وابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ٦٢ والفاخري: مصدر سابق
ص ٧٤ وإبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث ص ٦٢.

(٢) ابن غنام: روضة الأفكار ج ١ ص ٧٥ والفاخري: مصدر سابق ص ١٠١ وابن بشر: مصدر سابق ج ١
ص ٨ وعبدالرحمن بن حسن: الدرر السنية ج ٩ ص ٢١٥.

(٣) عبدالوهاب بن سليمان: المسائل النجدية ج ١ ص ٥٢٣.

(٤) محمد بن عبدالوهاب: ضمن الدرر السنية ج ١ ص ٢٠ وضمن روضة الأفكار لابن غنام ج ٢ ص ٢١١

(٥) مؤلف مجهول: لمع الشهاب ص ٤٩ وسليمان بن سحمان: الهدية السنية ص ٢٦، ٢٩

ثانياً : المؤثرات الطبيعية والاجتماعية والسياسية :

عندما ننظر في واقع الدعوة في القرن الثالث عشر الهجري، والظروف والمؤثرات التي رافقت نشأة الدعوة في تلك الفترة، فمن المفيد أن نشير إلى بعض الظروف والأحوال الاجتماعية والسياسية السائدة، التي صاحبت قيام الدعوة وأثرت فيها وتأثرت بها. حيث تعتبر تلك الظروف إرهاباً وتوطئة لقيام الدعوة الإصلاحية من جزيرة العرب، التي نمت وازدهرت، وقوى عضدها واشتد عودها مع مطلع القرن الثالث عشر، فجنى أبناء البلاد ثمارها المباركة وخيرها العظيم.

وفي بداية المبحث نشير بإيجاز إلى عوامل التأثير في المجتمع النجدي التي أحاطت بالدعوة لما لها من التأثير في الجانب الاجتماعي والسياسي للدعوة.

فمن المعلوم ما تتمتع به نجد من موقع فريد في جزيرة العرب، وتكوين جغرافي خاص حيث تقع وسط جزيرة العرب، وهي عبارة عن هضبة واسعة الصحاري، شاسعة القفار متباعدة الأرجاء نائية الأنحاء، وعرة التضاريس، قليلة المياه، مناخها قاري خصوصاً عندما يشتد الحر صيفاً، وتصعب القفار، وتعوز الحال، وهي خلو من الأنهار والبحار والبحيرات التي توجد عليها التجمعات السكنية، وتولد على شواطئها الحضارات، فليس لها سواحل على بحار أو محيطات أو منافذ على العالم.

مما جعل نجداً في تلك العصور التي لم تتوفر فيها وسائل الاتصالات الحديثة مغلقة على نفسها، في عالم المجهول في كثير من أحوالها، ليس فيها ما يلجئ طامعاً، أو يُغري قاصداً أو يأوي وافداً، أو يدفع للاتصال لمعرفة ذلك المجهول على أقل اعتبار، وقد يؤيد ذلك أنه لم يكثر الاهتمام بها من العالم الخارجي إلا عندما حاول اتباعها تجاوز حدود نجد. كما أنها ليست مركزاً تجارياً أو زراعياً كالشام مثلا، يجعلها مطمعاً للغير من أفراد أو جماعات أو دول من خارجها، فبقيت قروناً في عالم المجهول تقريباً، إضافة إلى خلوها من الطوائف المتعددة المتناحرة، التي تحصل بينها المناظرات والمناقشات فنتج الرسائل والمؤلفات والرود، وتفرد المدارس والجماعات التي تُخرِّج الفلاسفة والعلماء والمفكرين في شتى الفنون والعلوم، ويتناقلها الخلف والسلف (١) وقد نستدل على هذا

(١) طه حسين : كتاب (ألوان) ص ٣٦ وما بعدها.

المؤثر بدعوة الشيخ ابن عبد الوهاب، فعندما جهر بدعوته وعارضه كثير من العلماء والحكام وحصلت المناقشات والمراسلات من نجد وخارجها ووُجِدَت المؤلفات، ونشطت حركة الفكر من تعليم وتدرّيس وتأليف وغيرها، فكان الأثر المشاهد لهذه الدعوة، الذي يوصف بأنه ولادة جديدة لأهل نجد، ولو لا هذه الدعوة وما تبعها من تأييد ومعارضة وعداوة؛ لما كان لها ذلك الدور - فيما يبدو - بعد أن انبرى أتباعها بتلك القوة والحماس لنشرها بجميع الوسائل، والذود عنها بكل ممكن ومقدور، ومن ثم فقد فَرَضَتْ تلك الأمور وغيرها - أعني قبل الدعوة الإصلاحية - على المواطن النجدي أن يعيش حياة البداوة ويستمرى الشقاوة والمشقة، في عالم يختلط فيه الوحش مع الإنسان، والذئب مع الغنم. وهذا دفع أهل نجد إلى التمسك - راغبين أو راهبين - بحياة البداوة، والتلذذ بما هم فيه من عدم الاستقرار، أو التوطن في دار، فبقوا قبائل متفرقة، وجماعات متعددة، لا يربطهم وطن، ولا يؤلف بينهم دين، ولا تجمعهم مصلحة، بل كانت مصلحتهم ما بقوا على تلك الحال! واستمروا على ذلك المنوال من التفرق والتناحر والتناز والتدابير والتباعد!! أما البادية فلم يزالوا في حلِّ وارتحال شأن سكنة البوادي، بطوناً وقبائل وشعوباً؛ لكل جماعة - مهما كانت قليلة - شيخ نافذ الكلمة فيهم، ولكل منهم قوانينهم وأعرافهم وتقاليدهم. (١)

وإذا كانت هذه حالهم وطبيعة بلادهم، فأين أسباب الاجتماع والتقارب؟! وأين نور العلم والتعليم؟! ومن ثم أين القادة والمفكرون؟! أين الدعاة والعلماء والمرشدون والموجهون؟ لاشك أنهم قلة كما سبق. بل أين المجتمع الذي تُستفرغ فيه تلك الأفكار - إذا ما وجدت - وتنفذ فيه الشرائع كما جاءت وفق مراد الله تعالى؟!

ولهذه الأسباب كيف نستغرب وجود الجهل والخرافات والضلالات المتنوعة، بعد أن بقي ابن نجد، متجولاً في باديته بغير هدى، صعب القيادة، شديد المراس، متأثراً بما يحيط به من قوى تدفعه إلى الانعزال والتوجس والريبة.

(١) عبدالله بن علي القصيمي: الثورة الوهابية ص ٦٣ وما بعدها.

وقد نستدل على ماكانت عليه بلاد نجد من سوء الأحوال، أنه عندما أكملت الدولة العثمانية سيطرتها، وبسطة نفوذها على أكثر بلاد الإسلام، بما فيها جزيرة العرب في القرن العاشر الهجري، لم تشأ أن تخضع نجداً لها ، ولم تجعلها ضمن التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية.(١) وهكذا كان للتفرق والتمزق الذي أصاب نجداً من الأضرار الجسيمة على المنطقة حيث كان من أقوى المؤثرات في اختلال العقيدة، وضعف سلطان دعوة الإسلام آنذاك. مما جلب للأهالي الولايات والمحن والتنازع بين الإمارات الصغيرة، والقبائل المتفرقة المتناحرة المتنازعة.(٢) وفي الوقت الذي ما كانت الأمة تعيش إلا وضعاً بئيساً، وتعاني أمراً تعيساً، تتخبط هنا وهناك بحثاً عن الفرج وطلباً للمخرج، من تلك الدوامة التي تطحن طحناً وفي حين كان المجتمع يصارع الجهل والضلال ! ولينفذ من دياجير التفرق والتناحر والتنافر فإذا ببصيص الأمل يلوح في الأفق! وإذا بأشعة الرجاء تشرق في الكون؛ لتحقق للأمة حلاماً؛ بالعودة إلى الدين القويم؛ وسلوك الطريق المستقيم لتذوق نعمة الأمن والإيمان، ولتستطعم حلاوة الاستقرار بعد فقدانها دهرأ طويلاً ، فليس مستغرباً ولا مستبعداً أن تكون الأمة تواقاً إلى إرادة قوية، وعزيمة صارمة، تستطيع مواجهة واقعها المرير، فماذا حصل !؟

لقد كبر الأمل، وعظم الرجاء في النفوس المتلهفة إلى الهدى والخير، عند قيام الشيخ ابن عبد الوهاب بدعوة الإصلاح والتجديد، التي انبعثت كالبركان الثائر على ما حوله من بدع ومنكرات وخرافات، فجاءت كالطوفان يسحق ما في طريقه، ويطمس ما يعوقه مهما كان. وما زال الشيخ محمد يواصل دعوته وإصلاحه بكل جد وقوة؛ بإنكار مظاهر الكفر والبدع، وصدع بالحق في المدينة المنورة والبصرة وحريملاء والعيينة (٣). حتى استقر به المقام في بلدة العيينة حيث كانت كغيرها مرتعاً خصباً للبدع والضلالات، فباشر في إزالة ما يخالف العقيدة من قبور تُعبد، وأشجار تُعظم وكان لأمير العيينة، دور هام في مؤازرة الشيخ ومساعدته. (٤).

(١) ساطع الحصري : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٢٢٨ .

(٢) انظر نماذجاً من تلك الحوادث والنزعات ونتائجها لدى أحمد المنقور، تاريخ الشيخ المنقور ص ٦٣

وعثمان بن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١٠٢٨٠ ، ١٠٩٠ .

(٣) حسين بن غنام : روضة الافكار ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ وعثمان بن بشر :عنوان المجد ج ١ ص ٧ .

(٤) ابن غنام المصدر السابق : ج ١ ص ٧٨ وابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٩

والمولى - عز اسمه - العالم بخفايا النفوس ودقائق الأمور المحيط علمه بكل شئ ، جعل لكل شئ سبباً ، بيده أسباب السموات والأرض وهو سبحانه أعلم بأصلح مكان وزمان للدعوة، وهو سبحانه أعلم بأجدر الناس لتحمل أعباء الدعوة وإصلاح الأمة وهدايتها، لأنه تعالى أرحم بعباده من أنفسهم، فقدر سبحانه وتعالى أن تكون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعملية الإصلاح والتجديد التي قادها في نجد فاتحة الخير وبداية الفلاح لهذه الأمة ، من ذلك الحين وما بعده، وشاء المولى عز وجل أن يكون استقرار الداعية في الدرعية واتفاقه مع أميرها محمد ابن سعود سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) أو السنة التي تليها (١) فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً ، فقد زاد ذلك من فرص شرح مبادئ الدعوة، وبيان أهدافها ومن ثم المساعدة في نشرها ونجاحها نجاحاً منقطع النظير تأسيساً بنجاح الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه - رضى الله عنهم - بعد الهجرة للمدينة المنورة .

ونتيجة لاتفاق الدرعية المشهور عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م تم قيام ما يعتبر أول قوة سياسية دينية لها شأنها في وسط جزيرة العرب المترامية الأطراف، وأصبحت قاعدتها الدرعية، وأصبح سلطانها يلقب فيما بعد بلقب الإمام (٢) وبدون شك أن هذا التحول كان له أعظم الثمار المباركة والنتائج الخيرة على الأمة بعد ذلك، فكان تحولاً نحو التوحيد والوحدة، وجمع أشتات الأمة المتنافرة والبلاد المتباعدة المتناحرة بعد أن اتسعت عملية الإصلاح تلك، وأتت ثمارها اليانعة في القرن الثالث عشر، مما هيا لهذه الأمة أن تستعيد عزها ومجدها وتتبوأ الصدارة والريادة، بفضل الله وكرمه ، فكان لابد لأي باحث في واقع الدعوة بعد القرن الثاني عشر أن يشير إلى واقع الأمة -آنذاك- لتكتمل الصورة وتتضح الحقيقة. ومن جهة أخرى فإن ما حصل في نجد يضيف إلى تاريخ الدعوات، وعمليات الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وقيام الدول وحصول النهضات أمراً مهماً، وهو أن من أهم نهضات الأمم وتطورها؛ التغيير الاجتماعي المبني على أسس سليمة، وقواعد صحيحة والذي مبدؤه تغيير ما في النفوس من مفاسد وانحرافات عن الطريق المستقيم، كما وجه إليه القرآن الكريم ودل عليه أصدق دلالة في قوله تعالى : ((إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم)).(٣)

(١) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٨٠

(٢) عبدالفتاح أبو عليه : محاضرات في تاريخ النولة السعودية الأولى ص ١٤ ، ١٥ .

(٣) سورة الرعد : الآية ١١ .

ثالثاً: المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبداية الدعوة :

من المؤكد ان الباعث الأول لقيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته السلفية الإصلاحية هو: ما وصل إليه حال العالم الإسلامي - ونجد على وجه الخصوص- من تدهور وانحطاط وتخلف، في كافة المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية. (١) وسبق - باختصار-إيضاح بعض صور ذلك التدهور والضياع الذي يصعب إدراك أبعاده وأثاره على الأمة وعقيدها.

ونظراً لأهمية دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، وثمارها العظيمة، فكان لابد لأبي باحث في دعوة الإسلام وواقعها وبخاصة في الجزيرة العربية- في القرون الثلاثة المتأخرة، من الإشارة إلى الشيخ محمد - رحمه الله - ودعوته وأهدافها وأثارها؛ لكونها أبرز دعوة كان لها أعظم المعطيات والآثار في عالمنا الإسلامي في عصره الحديث.

إنه الداعية المجاهد الإمام الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ابن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف التميمي(٢) . وزاد ابن بشر وابن عيسى في ذكر نسبه كاملاً فأوردوا أجداده رحمهم الله.(٣) ولد سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) ببلدة العيينة بنجد ونشأ بها وكانت وفاته يوم الأثنين آخر ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م) بالدرعية.(٤)

والمصادر التاريخية تدل على أنه كان لبني تميم بصفة عامة وبالأخص أسرة الشيخ (آل مشرف) دور فكري وسياسي في المنطقة، وتبرز أهمية أسرة الشيخ في المجال الديني بالذات.(٥)

-
- (١) محمد بن عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣
 - (٢) ابن غنام : المصدر السابق وعبدالرحمن القاسم : الدرر السنية . ج ١٢ ص ٣
 - (٣) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٨٩ وإبراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٥
 - (٤) حسين بن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٥ ، ١٨٠
 - (٥) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٤٢ وعبدالله البسام : علماء نجد ج ١ ص ١٧١ و ٣٠٢ ، ج ٢ ص ٣٨٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٨ ، ٤٩٢ ، ٦٦٩ ، ٨٤٢ ، ٨٩٣ ، وغيرها .

وكان ممن لهم أقوى الأثر في حياة الشيخ من العلماء جده المشهور الشيخ سليمان ابن علي بن مشرف (ت ١٠٧٩هـ) ووالده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان (ت ١١٥٣هـ) وعمه إبراهيم ابن سليمان (ت ١١٤١هـ). حيث كانوا من كبار علماء المنطقة، (١) قال حفيد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب - عبدالرحمن حسن - : ((فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ فنون العلم وصار له همة عالية، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجه عن الأصحاب فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما)) (٢) وهكذا كان الشيخ مؤهلاً لأعباء الدعوة التي قام بها خير قيام.

وإن مما له أهمية في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته ، رحلاته العلمية، حيث لم تكن البيئة العلمية التي نشأ فيها بالرغم من غزارتها مشبعة لنهمه، ومحققة لطموحاته وبالأخص -كما هو معلوم - إن دراسة أهل نجد آنذاك على قلتها تركزت على مادة الفقه، وبالذات الفقه الحنبلي، أما بقية المعارف وفي مقدمتها أصول الدين - بالرغم من أهميتها وحاجة الأمة إليها - فكان حظها من العناية أقل في حين كانت نجد في حاجة ماسة إلى عالم قادر، وخبير متمرس، يعلمهم العقيدة وأصولها كما يعلمهم الفقه وعلوم الدين، وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن الناس منذ القرن العاشر الهجري لا يعرفون أحداً من العلماء تكلم بالتوحيد، ودعا إليه وعرف الشرك ونهى عنه، حتى أظهر الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب في آخر هذه الأمة. (٣). فكان استعداده للسفر والترحال والجهاد في سبيل الله وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة (فبدأ رحلته بمكة المكرمة لحج بيت الله الحرام) (٤) وقد شاهد الفتى ما ضاق به صدره من البدع والخرافات والشرك. (٥) واتقن بغير

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ٩ ص ٢١٥ وابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٩٠ وابن حميد

: السحب الوابلة: (مخطوط) ورقة ٨ .

(٢) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٥ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ٩ ص ٢٠٩ .

(٤) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٦

(٥) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٧

واحد من العلماء في مكة والوافدين إليها، ووقف على ما عندهم وطلب العلم على بعضهم (١) وقد استفاد الشيخ من تلك الرحلة، ويفهم من بعض المصادر أن الشيخ -رحمه الله- تبلورت لديه الرغبة في الإصلاح والتجديد للدين وأنه سيجد شدة ومقاومة، مما يستوجب منه الاستعداد والتفاني، والأخذ بكل الأسلحة وفي مقدمتها سلاح العلم، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: ((فلما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصداً المدينة مع الحجاج يريد الشام، فعرض له بعض السراق فضربوه وسلبوه، وأخذوا ما معه وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج فقدم المدينة، بعد أن خرج الحجاج منها فأقام بها وحضر عند العلماء)) (٢) منهم الشيخ عبدالله بن سيف النجدي (ت ١١٤٠هـ) الذي أجازته من طريقين. (٣) كما أخذ العلم عن علامة المدينة المنورة ومحدثها محمد حياة سندي (ت ١١٦٣هـ) (٤) الذي يذكر ابن بشر أن الشيخ ابن عبدالوهاب وقف يوماً عن الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فرآه محمد حياة فأتى إليه، فقال الشيخ، ما تقول في هؤلاء؟ قال ((إن هؤلاء مُتبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)) فأقام فيها ماشاء الله. (٥) قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ((كان للشيخ محمد حياة سندي أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص التوحيد وعبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى والاشتغال بالكتاب والسنة)) (٦).

ويعد أن اقتنع الشيخ بالمدة التي قضاها بالمدينة، وحصل على قدر كبير من العلم، ولما كان يعلمه من حال نجد وحاجتها إلى الإصلاح، فلم يقر له قرار، وقرر الرحيل إلى بلده حيث الشرك والجاهلية يغشيانها والفتن والمنازعات لاتهدأ، فال على نفسه العودة لمحاربة ذلك والقضاء على

-
- (١) البتيوني: الرحلة الحجازية ص ١١٩ بينما لم يذكر ابن غنام وابن بشر أنه درس في مكة على مشائخ.
(٢) عبدالرحمن بن حسن: المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٦.
(٣) ابن غنام: المصدر السابق ج ١ ص ٧٦ وابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ٧ وعبداللطيف ابن عبدالرحمن: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ ص ٢٨ والدرر السننية ج ١ ص ١٨٩.
(٤) ابن غنام: المصدر السابق ج ١ ص ٧٦.
(٥) ابن بشر: عنوان المجد ج ١ ص ٧.
(٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن: مصباح الظلام ص ٣٩٢.

المبطلين والدجالين (فخرج من المدينة إلى نجد) (١) فبدأ في إنكار ما يخالف الدين، مما وقع فيه الناس في بلدته العيينة، واستحسن الناس ما يقوله لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون. (٢) ولكن مقامه هذا بالعيينة لم يطل سوى سنة واحدة، فقد وجد في نفسه الرغبة في السفر إلى البلاد العربية. (٣) فتجهز الشيخ وقصد البصرة في طريقه إلى الشام. فوصل البصرة للاستزادة من العلم، فسمع الحديث والفقہ من جماعة، وقرأ بها النحو وغيره من العلوم، وأخذ ينكر ما يرى ويسمع من الشرك والبدع ويزجر المخالفين. (٤) وكان ممن قرأ عليه في هذه الرحلة الشيخ محمد المجموعي. (٥) ومن جهود الشيخ في البصرة كذلك تأليفه (كتاب التوحيد) على رواية حفيده عبدالرحمن بن حسن (٦) ولكن موقفه من الخرافات والبدع أثار عليه الرؤساء وأصحاب المصالح فأذوه وأخرجوه، وناله أشد الأذى منهم، مما اضطره إلى مغادرة البصرة وثني عزمه عن التوجه للشام بسبب ضياع نفقته فيمم شطر الأحساء عائداً إلى نجد (٧) حيث نزل في الأحساء على عالمها الشهير عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت ١١٨١هـ) الذي أخذ عنه وعن غيره من علماء الأحساء التفسير والحديث. (٨) ثم عاد نهائياً إلى نجد كما عليه أكثر المؤرخين .

هذا مجمل مختصر رحلات الشيخ حسبما جاء في المصادر المعتبرة، وهناك روايات أخرى يطول ذكرها وفي مقدمتها رواية (لمع الشهاب) وبعض المستشرقين الذين ينقلون عنه غالباً. وعلى كل فإذا كانت حياة الشيخ ودعوته لازالت مجالاً رحباً للدراسة والاستفادة، فإن من أهم ما

-
- (١) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٦ .
- (٢) سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب : التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢٦ وابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٧ .
- (٣) عبدالرحمن آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ص ٢٢ .
- (٤) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٦ .
- (٥) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٨ .
- (٦) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية (المقامات) ج ٩ ص ٢١٥ بينما يذكر ابن غنام في الروضة ج ١ ص ٧٧ أن الشيخ الف كتابه في حريملاء بعد ذلك .
- (٧) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٨٨ وابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٨ ولع الشهاب ص ٦ .
- (٨) حسين بن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٧ وعبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٥ وسليمان بن عبدالله : المصدر السابق ص ٢٥ وعبدالله البسام : علماء نجد ج ٢ ص ٦٢٧ .

يتعلق بحياته ؛ رحلاته العلمية وأثرها في الدعوة والأمة وأن مما له أهمية في دعوة الشيخ - رحمه الله- وشديد الصلة برحلاته العلمية، مراحل دعوته التي مرت بعدة مراحل كان لها الأثر في تكوينها لحركة إصلاحية هامة وكشف أهداف دعوته.(١)

وهكذا بقيت دعوة الشيخ المباركة تواصل مراحل انتصاراتها وتحقق أهدافها - كما هو موضح في موضعه - وما هي إلا سنوات في عمر الزمن وإذا بالقرن الثالث عشر الهجري يقترب، والشيخ يرى آثار دعوته، ويطمئن إلى ثمار جهده وجهاده، حيث شاهد نجاح دعوته الإصلاحية التي قام بها، ولس شيعوع ذكرها في أفاق الجزيرة العربية حتى تجلت سنة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) في الجزيرة في صورتها الحقيقية.(٢)

(١) يتبين ذلك من تاريخ ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) مسعود الندي : محمد بن عبدالوهاب ص ٥٢.

الفصل الثاني نشأة الدعوة في الحجاز

لقد أصاب إقليم الحجاز ما أصاب ديار الإسلام -آنذاك- من اختلال العقيدة، وتدهور الأخلاق وانتشار البدع نتيجة لعدة عوامل ومؤثرات دينية وسياسية واجتماعية وفكرية نجل هنا أهمها، ونبين ما أمكن بيانه من أثرها على الدعوة، وعلى الأمة بعمومها.

أولاً: المؤثرات الدينية في الدعوة :

من أهم العوامل والأسباب التي أثرت في العقيدة ، المؤثرات الدينية والموقع والمركز الديني لإقليم الحجاز في قلب العالم الإسلامي. لما خص به المولى - عز وجل- هذا الإقليم من فضائل وخصائص ينفرد بها عن غيره من الأقاليم.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن مكة المكرمة والمدينة المنورة ومكانتهما، ولكننا نقول: بالرغم من مكانتهما العالية، وقدسيتهما المتناهية -وبالأخص مكة المكرمة- فقد أصاب إقليم الحجاز ما حلّ بغيره من ديار الإسلام في تلك الأزمنة، حتى أصبح الحجاز مرتعاً خصباً للبدع والخرافات وسوقاً رائجة للطوائف والضلالات، ولاشك أن موقع الحجاز الجغرافي بتوسطه العالم الإسلامي، ولما لببت الله الحرام من مكانة وقدسية، ووفود أعداد كبيرة إليه من بلاد الإسلام- باختلاف تقاليدهم وعاداتهم ومذاهبهم - جعل الأقليم قابلاً للتأثر كما يشير إلى ذلك بعض الرحالة والمؤرخين.(١)

وإذا كان ما أصاب بلاد الحرمين من تردي في الوضع الديني، وأثر ذلك على الأمة وعقيدتها ودعوة الإسلام المباركة قد أصبح أشهر من أن يذكر ، وتناقله الكتاب والمؤرخون حتى أصبح مضرب المثل، فإننا نكتفي هنا بإيراد بعض النماذج من البدع والخرافات، وأنواع الشركيات التي ابتليت بها بلاد الله المقدسة .

(١) محمد لبيب البتيوني : الرحلة الحجازية ص ٤٢

فالشَّيخ حسين بن غنَّام يورد لنا صوراً من ذلك بعد أن يَئُون ما أصاب الأمة عموماً في مطلع القرن الثاني عشر الهجري ثم يقول: ((وأما ما يفعل الآن في الحرم المكي الشريف - زاده الله رفعة وتشريفاً- فهو يزيد على غيره كثيراً، ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان، ما يملأ القلب أسى وحرزناً، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود وكان لأهل الباطل فيه جولات، ولقد جهروا بذلك وتظاهروا به عياناً، ولم يَنْبَرِ من أهل العلم من يزيل هذا الضلال)).(١)

وكان أشد ما وقع فيه الناس التعلق والطواف بالقبور، من ذلك ما يفعل عند قبة أبي طالب -حاكم ظالم- (٢) وعند قبر المحجوب (٣) من تعظيم أمره والتماس الشفاعة وغفران الذنوب. ومن ذلك أيضاً ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين -رضى الله عنها- وقبر عبدالله ابن عباس في الطائف، علاوة على ما يُفعل عند قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تعفير الخدود، والإِنْحاء والسجود واتخاذ ذلك عيداً تُقدَّم فيه الذبائح والنذور للأولياء مما هو أظهر من أن يُخفي، وأعظم من أن يُذكر لشهرته، وقد لَعَنَ - عليه السلام- فاعله وكفى بذلك زاجراً.(٤) كما انتشرت لديهم طرق الصوفية التي دخلتها كثير من البدع المحرمة. والرافضة والطوائف الضالة الأخرى(٥) علاوة على البدع الكثيرة التي لا حصر لها .

-
- (١) حسين بن غنَّام : روضة الافكار ج١ ص ١٣ .
- (٢) قال ابن غنَّام : (إنه حاكم متعد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجاً من مال، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم) المصدر السابق ج١ ص ١٣ ويذكر الدحلان أنه تولى شرافة مكة حتى توفي سنة ١٠١٢هـ (خلاصة الكلام) ص ٦٣ .
- (٣) كان اسمه عبدالرحمن المحجوب وإنه مستجاب الدعوة توفي بعد سنة ١٠٤٩هـ (السباعي: تاريخ مكة ج١ ص ٢٧١) .
- (٤) حسين بن غنَّام : المصدر السابق ج١ ص ١٣ وحسين النعمي : معارج الألباب ص ٢٠١ وعبداللطيف بن عبدالرحمن: مجموعة الرسائل والمسائل ج٣ ص ٢٨٤ وابن سحمان : الضياء الشارق ص ٩ .
- (٥) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الهدية السنوية ص ٧٩ وعلي بن موسى : وصف المدينة ص ٥٣ .

وعلى كل الأحوال فلم يكن يعكر صفو المتصوفة والقبورين وأصحاب العادات والبدع المحدثّة إلا الحملات العسكرية التي يقوم بها جند الدعوة بعد قيام الدولة السعودية التي بلغت مع إطلالة القرن الثالث عشر الهجري أكثر من ستين غزوة في نهايتها هدمت تلك المشاهد، وأبطلوا تلك العادات المحدثه، فأعادوا إقليم الحجاز إلى العقيدة السلفية الصحيحة، وقضوا على البدع والخرافات التي زعزت عقيدة الأمة، وفككت كيانها قرناً طويلاً.

وبالنسبة للواقع التعليمي وأثره في الدعوة - آنذاك - في الحجاز، فإنه وإن كان الإقليم قد حافظ على مكانته السياسية والثقافية زمنياً، وبقي مصدر توجيه ومنطلق فكر ومنازة علم وثقافة إلا أن كل ذلك لم يستطع مقاومة التدهور الذي أصاب الأمة، حيث كان نصيب الجانب العلمي الثقافي من ذلك التدهور والانحطاط وافراً. وليس هذا مكان الحديث عن التعليم في الحجاز ومراحله وأنظمتها الثقافية ووسائلها. (١) ولكن على كل الأحوال فالمطلع على تاريخ المنطقة وتراجم علمائها يجد عدداً كبيراً من العلماء ممن انجبتهم تلك البلاد المقدسة، كان لهم جهود كبيرة في مجال التعليم والقضاء والفتوى والتأليف، وبالرغم من ذلك فقد انتشر - كما قلنا - كثير من البدع نتيجة لضعف الوازع الديني والإعراض عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسار العلماء على نهج حكامهم في السكوت على الباطل، حتى توارث الخلف عن السلف ذلك الواقع السيء .

ثانياً: المؤثرات السياسية والاجتماعية :

استطاع العثمانيون استعادة سلطانهم، ومدّ نفوذهم على أجزاء الوطن العربي في بداية القرن العاشر الهجري، فرحب بهم العرب، وفتحوا لهم بلادهم ، وكان إقليم الحجاز من أوائل الأقاليم التي أقامت اتصالات مع العثمانيين، ولكن ما إن اكتمل الأمر لهم، وقضوا على المماليك الشراكسة ، حتى خيب الحكم الجديد كثيراً من الآمال التي عقدها عليه العرب، حيث اندفع بعض أولئك الحكام

(١) انظر : محمد بن عبدالرحمن الشامخ : التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ص ١٢ وما بعدها
وعبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٥٣ وأحمد السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٩٤ .

إلى مصالحتهم وعاثوا في البلاد نهباً وسلباً وظلماً. حتى انطلقت من نجد شرارة الإصلاح والتجديد التي أيقظت العرب وأفاقتهم من سباتهم الطويل. (١)

ولم يفد إقليم الحجاز من حكم العثمانيين سوى فتور العطاء الفكري، والتشجيع على انتشار الخرافات والبدع والتمزق السياسي، والنزاعات بين أسرة الأشراف الذين كانوا يحكمون الحجاز تحت الحكم العثماني، بل إن سلطة الأشراف - كذلك - كانت تتصف بالقسوة مع مواطنيها، بعد أن أصدروا القوانين الجائرة، التي تكشف عن جورهم وقسوتهم (٢). ولم يعرف الإقليم الاستقرار طوال تلك الفترة، يقول السباعي :

((وكانت مكة لا تتمتع باستقرار حتى تفاجئها حركات ثورية جديدة، لأن أشرافها يحتكمون في خلافهم على الأماره إلى سيوفهم فتعرض البلاد في أكثر سنينها إلى فتن شعواء، وقد تتجدد في العام الواحد لأكثر من مرة .

أما في موسم الحج فكثيراً ما كانت تتعرض لهذه الفتن ويتعرض الوافدون إليها لأحوال لاتطاق ولعل للدولة العثمانية أكبر الأثر في إثارة الفتن أيام المواسم، لأن أوامر عزلها إن استطاعت العزل ترسلها إلى مكة صحبة الحاج الشامي، وتكل إليه إمضاءها بقوته العسكرية فيمضيها في أوقات الموسم)). (٣)

وكانت النزاعات بين الأشراف مع بعضهم لاتهدأ أبداً، حيث اتخذوا من بيوتهم حصوناً ومن نوافذهم متاريس، ومن شوارع مكة ميادين لقتالهم، فكان أصحاب الحوانيت والحجاج عرضة للسلب والنهب في كل مناسبة، كما كان أصحاب البيوت لا يأمنون على أموالهم فيها، وكثيراً ما اتخذ المتخاصمون من عرصات المسجد وأروقته ميادين لقتالهم، وهكذا ساءت الأحوال الدينية والسياسية والاجتماعية في إقليم الحجاز في تلك العصور بصورة لا يمكن تصورها، وإدراك نتائجها وأخطارها على العقيدة والدعوة، بل وجميع أحوال الأمة.

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ج ١ ص ١٥ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ج ٢ ص ٣٤٦ وإبراهيم الفوزان : إقليم الحجاز ص ٦

(٣) أحمد السباعي : مرجع سابق ج ٢ ص ٤٥٩

ثالثاً : الدعوة الإصلاحية في الحجاز :

نظراً لما كانت عليه الأحوال في الحجاز من سوء - كما أسلفنا - فقد اهتم الدعاة في نجد من حين قيام الدعوة الإصلاحية بهذا الإقليم، وما يعانيه من ظلم ومنازعات بين الحكام مع بعضهم من جهة، وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى، وكان المؤمل من حكام الحجاز التجاوب مع هذه الدعوة والترحيب بها؛ نظراً لمكانة الأشراف الدينية، ولما لبلاد الحرمين من قدسية لدى المسلمين، حيث قبلتهم ومُتعلّق افئدتهم، ومنطلق الدعوة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والتبشير بدين الحق الذي عم بسببه العدل والمساواة أرجاء الكون، فظن بهم الخير، على أمل أن تكون تلك البلاد كما كانت في عصورها السالفة، لكن ما حصل منهم العكس !! لقد خاف أولئك الحكام والأمراء على مراكزهم وعروشهم، وسار عامة الشعب بما فيهم العلماء وراء حكامهم ورغباتهم، كما هابت الدولة العثمانية والتي كانت لها السيطرة على كثير من بلاد الإسلام، هذه الشرارة التي اتقدت من جزيرة العرب والتي ستحرق ما في طريقها من خرافات وبدع وتُوحّد الأمة بعد الفرقة وتحررها من سيطرة القوى الخارجية، فما كان من هؤلاء وأولئك إلا الوقوف في وجه الدعوة، ومحاربتها للقضاء عليها في مهدها!

وأما بالنسبة للشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - فاهتمامه بالحجاز كان مبكراً رافق اهتمامه بنجد إن لم يسبق ذلك ، وقد سبق أن أوضحنا ذلك حين تحدثنا عن رحلاته العلمية التي بدأها بالحجاز والتي يفهم من بعض الروايات أنه قام ببعض محاولات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز أثناء تلك الرحلات قبل بدء دعوته في نجد(١) يقول الرحالة (نيبور) (٢)

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٧ وعبدالرحمن آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ص ٢١ وأحمد العطار : محمد بن عبدالوهاب ص ٣٧..

(٢) كارستن نيبور ، مستشرق رحاله دنماركي الأصل، ولد في المانيا سنة ١٧٢٣م أرسلته حكومته في رحلة إلى اليمن ومصر ووصلت البعثة القنفذة سنة ١٧٦٢م وكانت مهمة (نيبور) المهندس تدوين المعلومات الجغرافية، ومات أعضاء البعثة سواه، طاف البلاد وإن كان لم يصل نجدا، ثم عاد إلى بلاده مات سنة ١٧٢٠هـ - ١٨١٥م (إدوار جوان : مصر في القرن التاسع عشر ص ٤٢٠) وجاكين بيرين : المرجع السابق ص ١٤٦ ونجيب العقيقي : المستشرقون ج ٢ ص ٥١٥)

مانصه: ((الحالة المؤسفة التي آلت إليها المدينتان المقدستان، تلك الحالة التي أثارت سخط الله ورسوله وأغضبت محمد بن عبدالوهاب ودفعته على الإقدام على الإصلاح، إن شريف مكة لم يعد سوى أمير ذي سلطة زمنية، وقد فقد سلطته الروحية في نظر المسلمين وهو يحصل على إبراد ضخم من الحج)) (١).

ولكن يظهر أن الظروف لم تمكن الشيخ من بدء دعوته في الحجاز، ورأى أن نجداً أقرب للقبول، وهي بلده وفيها قومه وعشيرته، فاتجه إلى نجد ومارس دعوته عملياً، كما كان الحجاز من أول من ناصب الشيخ العداء لما أحسوه من أثر دعوته بينهم فأعلنوا معارضتهم له في فترة مبكرة إن لم تسبق المعارضة في نجد فهي مرافقة لها، حيث يذكر أحمد بن علي القباني البصري، في رده على الشيخ ابن عبدالوهاب الذي أُلّفهُ عام ١١٥٥هـ وسماه (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب) أن عبدالوهاب الطنطاوي نزل مكة قد صرح بتبديعه لابن عبدالوهاب (٢). وقول الطنطاوي هذا في زمن موافق لوجود الشيخ في حريملاء قبل انتقاله للعيينة مما جعل العجلاني يميل إلى أنه تم سنة ١١٥٧هـ (٣) والقصد من هذا أن دعوة الشيخ كان لها آثار إيجابية في الحجاز دفعت العلماء فيها وحكامها من الأشراف والأتراك إلى معاداتها، ومحاولة القضاء عليها والحد من آثارها. ولقد اشتدت الخصومة بين أتباع الدعوة النجدية وقوتهم السياسية المتمثلة في الدولة السعودية الأولى من جهة وبين علماء الحجاز وحكامه من الأشراف من جهة أخرى، وتطورت من الحرب الكلامية ومنع النجديين من الحج والمناظرات؛ إلى المنازلات القتالية في أطراف نجد والحجاز حتى استطاع الدعاة السلفيون مع بداية القرن الثالث عشر الهجري تطهير الحجاز من أدران الشرك والخرافات وضمه إلى ركب الدعوة. (٤)

-
- (١) جاكين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب (ترجمة قدرى قلججي) ص ١٧٦
 - (٢) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٣١٠.
 - (٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢١١.
 - (٤) تفاصيل ذلك لدى محمد بن عبدالوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٣١٨ ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ١٣١ وما بعدها والذحلان : خلاصة الكلام ص ٢٢٨ وابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٢٣ والسباعي: تاريخ مكة ج ١ ص ٢٣٠ وما بعدها .

الفصل الثالث

أهداف الدعوة

بعد دراستنا وبحكم معاشتنا للدعوة ومبادئها، والأصول التي قامت عليها، والمصادر

التي استقت منها مبادئها ومناهجها وأصولها، والطريقة التي سلكها الدعاة في دعوتهم يمكننا

أن نجمل أهداف وغايات الدعوة في الآتي :-

١- الدعوة إلى توحيد الله وحده بالعبادة

٢- الدعوة إلى وحدة الأمة المسلمة.

أولاً : الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة :

قال الله تعالى : ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) ، ففي هذه الآية بيان الحكمة العظيمة من خلق الجن والإنس ، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده، وقصر هذه الغاية على العبادة، التي هي التوحيد لأنه الذي وقعت فيه الخصومة (١) قال في فتح المجيد : ((قال شيخ الإسلام: التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله؛ لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا الله ، ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات، كما دل القرآن الكريم على ذلك)) (٢) وعملاً بهذه الآية الكريمة وما شاكلها من كتاب الله العزيز الدالة على وجوب أفراد الله وحده بالعبادة لاشريك له (٣). وسيراً على هداها (٤) ، واقتداءً بالأسوة الحسنة من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضوان الله عليهم ، ومن سار على نهجهم القويم وطريقهم المستقيم (٥) ولهذا جعل الدعاة السلفيون هذا الهدف نصب أعينهم وسعوا وجاهدوا في سبيل تحقيقه بكل طريقة ممكنة، ووسيلة متاحة، فبذلوا في سبيله نفوسهم رخيصة، وضحوا بأموالهم، تجديداً لما اندرس من دعوة الإسلام وبياناً لما خُفي من معالم الدين الحنيف، ونشر أعلام الهدى والحق في أرجاء الأرض (٦) وهذا الهدف يتحقق في الأمور التالية :-

- (١) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد ص ٢ وعبدالرحمن بن حسن : قرّة عيون الموحدين ص ٢.
- (٢) عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٤ ، عندما يقول الدعاة السلفيون : شيخ الإسلام فمرادهم العلامة أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى! كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن فتح المجيد ص ٧.
- (٣) محمد بن عبد الوهاب : ضمن الدرر السننية ج ٢، ص ١٢ وعبدالعزيز الحصين: ضمن الدرر السننية ج ٢، ص ٨٠.
- (٤) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : ضمن الدرر السننية ج ٤ ص ١٣ ،
- (٥) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : ضمن الدرر السننية ج ١، ص ١٩٦ وعبداللطيف بن عبدالرحمن : منهاج التأسيس والتقديس ص ٧٩ ومجموعة الرسائل ج ٣ ص ٢٦.
- (٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السننية ج ١ ص ١٨٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧.

- ١- تصحيح العقيدة وتجديدها بتخليصها مما علقها من البدع والخرافات ، ومن ثم إفراد الله وحده بكل أنواع العبادة، كما دلَّ على ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة ومواضع متعددة. وكما دلَّت عليه سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) (١) وهذا لا يتحقق إلا عن طريق تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق بحيث يعترف المخلوق بسلطان الخالق عليه في جميع الأمور، فلا يلتفت إلا إليه ولا يتعلق إلا به (٢) ، وهذا ما تهدف إليه الدعوة السلفية وهكذا اتخذت كل دعوه مخلصه معاصرة السلفية أساساً لها ومنطلقاً تنطلق منه لتعم الأرض ببركاتها وخيراتها وتشق عنان السماء بنورها. فالعقيدة الصحيحة تطلق القوى والطاقات، وتحارب البدع والخرافات لتخلص الإنسان من العبودية لغير الله إلى عبادة الله وحده، وما اصدق قول ربيعي بن عامر- رضى الله عنه -حين دخل على رستم قائد الفرس -كما روى الطبري في خبر ابتداء أمر القادسية سنة ١٤هـ - فسأله ما جاء بكم؟ فقال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ((٣)).
- ٢- تحكيم شرع الله وذلك بالالتزام بمنهج الإسلام، وتطبيق أدلته الشرعية الواردة في الكتاب والسنة. (٤) وأن لا يكون الحكم إلا بحكم الله ورسوله ، وإن لم تفعل الأمة وولاتها وقَّع خطرٌ عظيم من تقديم الآراء والأهواء على شرع الله. (٥) ومن هنا فلا بد من تركيز النشاط الإنساني للقيام بتطبيق أحكام الإسلام وحدوده وشعائره الظاهرة والباطنة (٦)

- (١) الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد ضمن : الدرر السنية، ج ٧ ، ص ٣٦١ وعبدالرحمن بن حسن: ضمن الدرر السنية ج ٧ ، ص ٠٨ .وعبداللطيف بن عبدالرحمن نفس المصدر ص ١٦١ .
- (٢) عبدالله خياط : مجلة البحوث الإسلامية - العدد الأول- السنة الأولى ، رجب وشعبان ورمضان سنة ١٣٩٥هـ - ١٣٧ (مقال عنوانه :حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر).
- (٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، أخبار سنة ١٤هـ ، (ابتداء أمر القادسية) ج ٢ ص ٣٩٢.
- (٤) حمد بن معمر ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ٢ وعبدالله أبابطين : ضمن الدرر السنية ج ٣ ص ١٢٢ .
- (٥) عبدالرحمن بن حسن : ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢١ .
- (٦) حمد بن معمر ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ١٣٨ .

٣- القيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم . (١) لكون الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ، ولأن مدعى أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجب عليهم أن يدعوا إلى ما دعى إليه (صلى الله عليه وسلم) والخلل في هذه المسألة خلل واضح لا يمكن السكوت عليه . (٢) ومن قبيل الدعوة إلى الله كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكون هذه الوظيفة من فرائض الدين وأركانه كما يقول السلف ولأن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودلالة القرآن الكريم على ذلك مما لا يخفى على أحاد المسلمين فضلاً عن المتعلمين ، (٣) مع الحث على الصبر والتحمل لما يصيب الداعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقام الدعوة إلى الله ، (٤) ولما يراه أولئك الدعاة من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام الدين رأوا أنه لا بد أن يكون في كل جهة طائفة تتصدى لهذا الأمر (٥) لقوله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٦) يقول الإمام فيصل رحمه الله : (٧) ((وأنا ملزم كل من يخاف الله ويرغب في الفلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يكون عليمًا حليماً رقيقاً فيما يأمر به وينهى عنه وألزم كل أمير أن يكون عوناً لهم، وهم خاصة في الحقيقة رجال الحسبة عوناً له على

-
- (١) محمد بن عبدالله السلطان: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٦٤ .
(٢) الإمام سعود بن عبدالعزيز: ضمن الدرر السنية ج ١١ ، ص ١٩ .
(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ، ص ٥٥٥ والدرر السنية ج ٧ ، ص ١٤٤ .
(٥) الإمام فيصل بن تركي : ضمن الدرر السنية ج ١١ ، ص ٥٦ ، ٥٨ .
(٦) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .
(٧) الإمام أبو عبدالله فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ولد بالدرعية سنة ١٢١٣ هـ هو الإمام الزاهد والخليفة العادل، تولى الإمامة بعد استشهاد والده سنة ١٢٤٩ هـ كان أشهر الأئمة في القرن الثالث عشر في نجد، ولهذا يعتبر عهده (غرة في جبين الدعوة الإصلاحية) امتدت فترة حكمه حوالي خمس وعشرين سنة توفى سنة ١٢٨٢ هـ (ابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣ وما بعدها وابن عيسى: عقد الدرر ص ٤٦ ، وعبدالرحمن القاسم: الدرر السنية ج ١٢ ص ٥٤ وحافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٣٢-٢٣٦).

ما حَمَلَهُ اللهُ تعالى من الأمانة)) (١) ومن أهم أسباب تحقيق عبادته تعالى وحده إيتاء العبادات ، ومن أفرضها الصلاة حيث عَظُم أمرها اللهُ تعالى وأمر بالمحافظة عليها (٢)، وإقامة شعائر الدين الأخرى من زكاة وحج بشروطها وأركانها وبذل الصدقات، وعدم الغش في التعامل، والصدق والتراحم بين الناس ، وحفظ حقوقهم وأعراضهم وأموالهم، ومنع الناس من ارتكاب المحرمات كالزنا واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر وغير ذلك من أنواع الفساد (٣).

٤- الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، ولينتشر الإسلام ودعوته -كما سبق- لمافي ذلك من الثمار اليانعة، والخيرات والبركات الكثيرة للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة فالجهاد ركن الدين ومبناه العظيم وهو أوجب الواجبات بخاصة إذا دهم العدو بلاد المسلمين واشتد خطره (٤).

٥- إصلاح الفرد والمجتمع، بجميع أوجه الإصلاح التي تتحقق به السعادة والفوز والرفعة في الدارين الدنيا والآخرة، مما يحقق أفراد الله تعالى بالعبادة، فصلاح العبد وفلاحه وسعادته ونجاته وسروره ونعيمه في أفراد الله بالعبادة والإجابة إليه بما شرعه لعباده (٥). فعبادة الله ومحبته هي الغاية التي فيها إصلاح النفس، وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس إلا بذلك وبدونه تكون فاسدة، وهذا دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل (٦).

(١) الإمام فيصل بن تركي : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٢) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ١١، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) حسن بن الشيخ محمد وإخوانه : ضمن الدرر السنية ج ٢، ص ٣٢ وعبدالرحمن بن حسن: المصدر

السابق ج ٧، ص ٣٧ والامام فيصل بن تركي : مصدر سابق ج ١١ ، ص ٥٦.

(٤) محمد بن عبداللطيف آل الشيخ : ضمن الدرر السنية ج ٧ ص ١، ١٢.

(٥) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ١٥٤.

(٦) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ٧ ص ١١١

العلم والحث عليه ، لقوله تعالى :

((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)) (١).
ومن هنا اهتمت الدعوة السلفية بالعلم، كما قام الدعاة بالتزام منهج الإسلام في طلب العلم والحث عليه وشد الرحال في طلبه ولاشك أنه لا يمكن معرفة أحكام الإسلام، والتزام منهجه وفق مراد الله تعالى إلا بالعلم وبذله. (٢)
ولهذا تبين أن الواجب طلب العلم ومن أوجب ذلك تعلم ما أنزل الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك، كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم؛ فكلما يحتاج إليه الناس قد بينه الله ورسوله بياناً شافياً فكيف بأصول التوحيد والإيمان؟ ثم إذا عُرِفَ ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ونظر في أقوال الناس، وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول فإن الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى (٣) ، فوجب على من رزقه الله العلم والحكمة أن يبثه في الناس وينشره لعل الله أن ينفع به ويهدي على يديه من أدركته السعادة، وسبقت له الحسنى. (٤). فالتزام طريق الإسلام ومنهجه وفق مراد الله تعالى على ما سبق يحقق الهدف وهو أفراد الله بكل أنواع العبادة وحده دون سواه.

(١) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٢) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج١١ ص ٢٧ .

(٣) محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ٨ .

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ، ص ٢٥٣ والدرر السنية ج ٤ ص ١٧٠ .

ثانياً: الدعوة إلى وحدة الأمة :

لقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف والخلف على وجوب وحدة الأمة المسلمة، والنهي عن التفرق والتنازع ، حتى أصبح هذا الأمر من المسلمات ومن ضرورات الدين. لما في الاجتماع والاتفاق والتوحيد والاتحاد والوحدة من المصالح التي تتوقف عليها سعادة الفرد والجماعة وفلاحهما في الدنيا والآخرة، ولما في التفرق والتناحر والاختلاف من المخاطر والمصائب التي لا يمكن حصرها، وإدراك نتائجها الوخيمة، وهو ما يشهد له العقل والواقع في حياة الناس منذ الأزل. فالتفرق والاختلاف عذاب وهلاك في العاجل والآجل، والجماعة والائتلاف رحمة وسعادة ونعيم في الدارين كما دل على ذلك القرآن الكريم، (١) من ذلك قوله تعالى ((ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) (٢) وبهذا ندرك ضرورة تحقيق دين الإسلام في وحدة الأمة واتحادها، كما أنه يلزم لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وحدة الأمة المسلمة، ولأن وحدة الأمة لا تكون إلا بالتزام شرع الله وإفراده بالعبادة كما سبق أنفاً.

والمطلع على هذه الدعوة، وعمل قادتها ودعاتها يدرك اهتمامهم وسعيهم الجاد، ومثابرتهم الدائمة في تحقيق أهدافها بكل وسيلة مهما كانت التضحيات ومهما عظم البذل ، ومهما كانت النتائج؛ فكان الحماس المتقد لهذه الدعوة هو الشعور المسيطر عليهم في جميع الأحوال مما فاض واشتهر وعرفه القاصي والداني وأصبح مثلاً ، ولعله من المفيد ان نجمل بعض الامور التي اتبعها أولئك الدعاة لتحقيق وحدة الأمة المسلمة لتحصل لها القوة والعزة والسعادة وأعادوا للأذهان سيرة سلفنا الصالح ، وهم وإن لم يحققوا كل هدفهم بوحدة الأمة المسلمة كلها من أدناها إلى أقصاها إلا أنهم حققوا بعون الله كثيراً من أهدافهم في هذا المجال - وما لا يدرك كله لا يترك جله - يشهد بذلك شينان واقعان محسوسان ومشاهدان : اولهما : انتشار الدعوة وإيقاظ همم المسلمين، وبعث روح العقيدة والتحرر لديهم، حتى أصبحنا نجد أثر هذه الدعوة المباركة ماثلة للعيان في أفاق آسيا، وأدغال أفريقيا، وميادين أوروبا وأمريكا هنا وهناك، علاوة على هذه الوفود التي تتقاطر على هذه البلاد المباركة للحج والعمل والكسب والاستفادة من خيرات هذه البلاد والنهل من معين الدعوة الذي لا ينضب بفضل الله ومَنه.

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٢ ، ص ١٩٧ ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ .

(٢) سورة الانفال : الآية ٤٦

ثانيهما: هذا الكيان الشامخ ، والدولة الإسلامية العريقة في جزيرة العرب التي بقيت قرونا تعانق بقوتها وعزتها السحاب بفضل الله ثم بفضل عقيدتها، وبقي قادتها وأبنائها ينشرون الدعوة ويذودون عن حمى الإسلام وينصرون أبناء الإسلام في كل بلد، يمدون لهم العون والمساعدة ويؤازرونهم ويشاركونهم أفراحهم وأحزانهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد ننبه في هذه المناسبة إلى أن من أسباب ذلك وفي مقدمة أسباب انتصار الدعوة وتحقيق أهدافها- وقد يكون من ثمار الحماس لها عدم الفجوة أصلاً بين المجال النظري للدعوة والتطبيق العملي لاتباعها، فلم يكن هناك حركة أمينة على مبادئها محافظة عليها كما هو شأن الدعوة السلفية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من أسباب تحقيق هدفها، فأصبحت منهج فكر وخطة حياة، وجزءاً من كيان كبير يسعى لوحدة الأمة، ويخدم دعوة الإسلام بكل أمانة واقتدار (١) ونجمل وسائل تحقيق هذا الهدف في الآتي :-

١- الحث على الاعتصام بدين الإسلام، والنهي عن التفرق، حيث نهى الله تعالى عن التفرق وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم، كما أرشد المولى تعالى إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه، ومن أعظمها الاعتصام بكتاب الله تعالى ودين الإسلام علماً وعملاً (٢) من ذلك قوله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) (٣) ، كما درج الدعاة على التذكير بما امتن به تعالى على البلاد بدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب -رحمه الله- الإصلاحية، حيث كانوا على غاية التفرق والاختلاف فبصرهم الله تعالى الدعوة، وسلك بهم سبل الهدى والسعادة وجنبهم مسلك الهلاك والغواية فجمعهم بعد الفرقة، وألف بين قلوبهم، وأعزهم على من عاداهم، مما يتطلب معرفة هذه النعمة والعض عليها بالنواجذ واتباع الجماعة وعدم الفرقة. (٤) ووجوب الجماعة والسمع والطاعة

(١) محمد خليل الهراس : الحركة الوهابية ص ٦٩.

(٢) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ٤ ص ٤٤٢.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٢٣.

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ١١ ص ٦٧.

بعد أن فرض تعالى الجماعة على الإسلام ومن دان به ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين. (١) فكان من فضله ورحمته تعالى جمع المسلمين على إمام واحد وحصل لهم الأمن والراحة والعافية وكف أيدي الظلمة مما لا يخفى. (٢) ومن أسباب الاعتصام والاتحاد النصح للأمة خاصهم وعمهم، لقوله صلى الله عليه وسلم ((الدين النصيحة)). حديث صحيح (٣). ولاريب أن على رؤساء الناس المطاعين ما ليس على من سواهم من النصح والحث على التآلف والاتحاد ليحصل للأمة كل خير في الدنيا والآخرة. (٤).

٢- وجوب تولية الإمام ومبايعته من الرعية، حيث علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وإن الخروج عن طاعة ولي الأمر والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد والعدول عن سبيل الهدى الرشاد. (٥)

والإمامة أو الولاية أو الرئاسة أو الأمانة بأي من هذه الأسماء أو غيرها سميت تكليفاً لمن انيطت به وليست تشريفاً إلا لمن أدى حقها لأن على من كلف بها مسئوليات عظيمة، وواجبات كبيرة، لا يعرف أهميتها ويدرك أثرها إلا من وفقه الله إلى الخير والهدى، وأعانه على القيام بحقوق هذا الأمر العظيم؛ لكونه خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله (صلى الله عليه وسلم) في إقامة العدل والدين، فعليه بذل الجهد والاجتهاد والنصيحة لجميع الأمة، وغير ذلك من الواجبات الجسيمة، وليس هنا مجال تعداد تلك

-
- (١) عبدالرحمن بن حسن : ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٧ .
(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ٧ ص ٢٦٩ .
(٣) أخرجه البخاري ج ١ ص ٢٠ وأخرجه مسلم ج ١ ص ٥٥ وأبو داود في سننه ج ٤ ، ص ٢٨٦ وصححه كذلك السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٨ .
(٤) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٢ ص ٢ (رسائل وفتاوي) .
(٥) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ٧ ، ص ٢٨٨ .

الواجبات والحقوق التي تلزم الراعي والرعية، لكن القصد الإشارة إلى أنه مما يلزم لتحقيق وحدة الأمة وجود الإمام وقيامه بواجباته المطلوبة، ومن هنا كان أحق الناس بالإمامة من أقام الدين الأمثل فالأمثل (١).

٣- الجهاد في سبيل الله : وإن مما تتحقق به وحدة الأمة وانتصارها الجهاد في كل ميادينه: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الأعداء من المشركين والفسقة المفسدين في أرض الله دفعاً لعنادهم وخروجهم عن جماعة المسلمين والسمع والطاعة، وكذلك جهاد أهل البدع (٢) مع النهي عن التشدد في الدين والغلو فيه وإذا كان الدعاة بجهادهم يحرصون على إيجاد قوة إسلامية وإعادة الهيئة للأمة العربية الإسلامية كما كانت في عهدها السالف في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين، فهذا يُرد ما رماهم به أعداؤهم من دعوى تكفيرهم لعموم المسلمين والسعي في تفريقهم وغير ذلك من الأشياء ، حيث كانت الدولة العثمانية ورجالها على رأس من حارب هذه الدعوة، وعملوا كل ما في وسعهم لكسب ملايين الأتباع ليحولوا بين هذه الدعوة وبين هدفها في جميع قبائل العرب وشعوب المسلمين حول دعوة موحدة تجمع حقوقهم (٣) .

والحق أن موقف الدعوة من التوحيد والدفاع عنه، ومحاربتها شركيات القبورين وغيرهم إنما هو دفاع عن وحدة المسلمين السياسية (٤) ذلك أن أصحاب هذه القبور متفرقون كل فرقة تُعظم قبراً لاتعظمه الفرقة الأخرى، بينما أهل التوحيد يعبدون الله وحده، ويتجهون إليه بكل مشاعرهم وحواسهم . فإذا ما انضم المجتمع الإسلامي كله إلى صف أهل التوحيد قويت وحدته الدينية التي على أساسها تقوم كل وحدة (٥).

(١) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٤ وما بعدها وج ٤ ص ٤٧٩ ، ج ٧ ، ص ٩٨

وعبداللطيف بن عبدالرحمن : الدرر السنية ج ٧ ، ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : المصدر السابق ج ٣ ، ص ٣٣٣ ومجموعة الرسائل والمسائل : ج ٤ ص ٥٤٦ .

(٣) محمد رشيد رضا : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ (المقدمة).

(٤) منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢٧١ .

(٥) محمد بن عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٥٣ .

فالدعوة السلفية حركة إصلاحية هدفها العودة بالمسلمين إلى ما كان عليه عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين من تمسك بأهداب الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه وتحكيمه في جميع شؤونهم الدينية والسياسية. وغني عن البيان الأثر الذي تركته هذه الدعوة من الإصلاح الديني والسياسي والإجتماعي في الأمة مما هو جزء لا يتجزأ من واقع الدعوة الإسلامية بفضل الله ومَنَّهُ .

الباب الثاني

المعوقات التي واجهت الدعوة

سبق في الباب السابق الحديث عن نشأة الدعوة بنجد والحجاز، والذي يُعدُّ تأسيساً وتأسيساً للدعوة في القرن الثالث عشر؛ بقصد إعطاء وصفٍ لأهم الأحداث والظروف المؤثرة ولغرض الوصول إلى نتائج عملية، يعتمد عليها؛ لأن ذلك يتطلب الحصول على أوصاف دقيقة للظواهر والحوادث، وللإجابة عن الأسئلة والمشكلات الواردة أثناء البحث. وكما اتضح فإن كثيراً من الأحداث التي واجهت الدعوة في فترة البحث كان القصد منها إعاقة الدعوة، ومحاولة القضاء عليها بأي صورة أو الحد من سيرها وسرعة انتشارها بأي وسيلة؛ فلا غرابة والحالة هذه أن ندرك أهمية المعوقات وصعوبة العقبات التي كانت في طريق الدعوة، وهي وإن كان كثير منها مرتبطاً بظروف النشأة وجزءاً منها، ومن أقوى المؤثرات فيها، فمن المفيد تخصيصها بباب مستقل لإبرازها بصورة واضحة، ولبيان آثار تلك العوائق - إيجاباً وسلباً - على الدعوة وعلى القوة المساندة لها. وقد ورد بخطة البحث الواردة بالمقدمة (١) أن النظرية البحثية التي بنيت عليها الدراسة، وتحديد مشكلة البحث، هي: ما مدى تأثر الدعوة بالأحداث التي واجهتها؟ لأن الدعوة واجهت معارضة شديدة، ومقاومة عنيفة على عدة أصعدة. وقد لا يغيب عن البال الهجمة العسكرية الشرسة التي كانت قمة الهجوم على الدعوة في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري. وما حلَّ بالدعوة ودولتها من دمار وخراب للبلاد، وتقتيل وامتحان للعباد وعلى رأسهم القواد والدعاة؛ حيث يُلخِّص ابن بشر نتائج تلك الأحداث بعد حديثه المسهب عنها بقوله: (٢)

((فلما حل القضاء وانتهى الأمد المكتوب وانقضى، انحلَّ نظام الجماعة والسمع والطاعة، وتطايرت شررُ الفتن في تلك الأوطان، وتعذرت الأسفار بين البلدان وعاشت فيها العساكر المصرية فقتلوا صناديد الرجال، وصادروا أهلها فأخذوا ما بأيديهم من الأموال..... وتفرقت

(١) انظر مقدمة هذا البحث ص ٨

(٢) ابن بشر: عنوان المخرج ٢ ص ٥٤.

علمائهم وخيارهم ما بين طريد وشريد، وثارت في غالب البلدان الفتن والقتل والقتال والمحن، وظهر المنكر وعدم الأمر بالمعروف وصار الرجل في جوف بيته وجِلُّ خائف، وتذكروا ما بين أسلافهم من الضغائن الخبيثة القديمة وتطالبوا بالدماء فكل منهم يطلب أولاد أولاد غريمه ، فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان وهجر كثير منهم الصلاة وأفطر في رمضان، وجُرُّ الرباب والغناء في المجالس، وسفت الذواري على المجامع والمدارس ، وهجرت المساجد بعد النداء للصلوات واندرس السؤال عن أصول الإسلام ، وأنواع العبادات وظهرت دعوى الجاهلية في كل البلاد حتى أنعش الله أهل نجد بشبل من أشبال ملوكها وسلاطينها وبذل نفسه وجرده سيفه لاجتماعها .. فأحيا الله به ما اندرس من معالم آبائه ورفع به مقام أهل الإسلام، الوافي بالعقود، تركي بن عبدالله ابن سعود)) (١) وهذا النص فيه أبلغ الدلالة وأدق التصوير لحال الأمة بعد تلك الحروب الضروس التي واجهتها الدعوة في بداية القرن الثالث عشر بعد فترة عزها وانتصاراتها مع نهاية القرن الثاني عشر حيث بقيت العوائق والعقبات -التي سنذكر أهمها- تعمل عملها، وتنخر في عظم الدعوة حتى هوت تلك الهوية السحيقة المشار إليها، وهو ما يدفع إلى إيضاح الظروف المهمة التي رافقت قيام الدعوة ونشأتها في فترة البحث .

(١) الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، الفارس المغوار، كان ممن قبض عليهم إبراهيم باشا لكن استطاع الهروب في الطريق إلى جنوب نجد؛ فكون الأنصار وجاهد حتى أقام كيان الدولة، قتل شهيداً سنة ١٢٤٩هـ في الرياض على يد ابن اخته مشاري بن عبدالرحمن بن سعود (ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١٣، ٤٩ والفاخري : الأخبار النجدية : ص ١٥٤ وما بعدها وحافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٥).

الفصل الأول المعوقات الأولى

أولاً : ظهور المعارضة وبتديتها :

إن المُطَّلِعَ على واقع الدعوة - آنذاك - يجد أن المعوقات والعوائق التي توضع في طريق الدعوة ظهرت ووجدت من حين ظهرت الدعوة الإصلاحية في نجد ، وأشرقت شمسها، وظلت تسير في خط موازٍ لها، فمن الثابت ما واجهه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من معارضة تجاه نشاطه في الدعوة، وما ناله من الأذى عندما كان بالبصرة ثم بحريملاء (١) والمصادر التاريخية تشير إلى بداية توسع قاعدة الدعوة وانتشارها بعد وفاة والد الشيخ محمد سنة ١١٥٢هـ . حيث احتل مكانة والده وأصبح أكبر شخصية علمية في المنطقة، وأتى إليه ناس كثيرون، حتى انتظم حوله جماعة اقتنوا به واتبعوا طريقه ولازموه. (٢) وإذا كانت المصادر لم تحدد من أول معارضي الشيخ - حينئذ - عندما لم تكن المعارضة سوى معارضة فكرية ، فإننا نجد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يذكر في إحدى رسائله التي بعثها إلى ابن قاضي الدرعية (عبد الوهاب بن عبدالله بن عيسى) أنه منذ خمس سنوات وهو يقوم بنشاط ضد الدعوة ، أي عندما كان الشيخ بحريملاء سنة ١١٥٠هـ (٣). كما أن المعارضة آنذاك لم تكن في نجد فقط فقد تعدت إلى البلاد الأخرى ، كبلاد الحرمين والأحساء والبصرة (٤) . عندما كان ابن عبد الوهاب ((قد أعلن دعوته ، واشتد في إنكار الشرك والبدع وجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيح للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، وجدد سنة محمد (صلى الله عليه وسلم) ولم يخش في الحق لومة لائم وحذر الناس والعلماء منهم خاصة، فذاع ذكره في بلدان العارض، وأتى إليه ناس كثيرون وانتظم حوله جماعه اقتنوا به واتبعوا طريقه ولازموه وقرؤوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وصنف في تلك السنين كتاب التوحيد)) (٥).

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ٧٧، ٧٨ ومؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ١٣ .

(٢) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٧ .

(٣) انظر ابن غنام المصدر السابق ج ١ ص ٨٠ وابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٨

(٤) محمد بن عبد الوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٩٠، ١٨٥ . عباس العزاوي :

تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢١٠ .

(٥) ابن غنام : روضة الأفكار - ج ١ ص ٧٧ .

ولكن الوضع الاجتماعي والسياسي في حريملاء لم يكن مهياً للاستمرار فيها، فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يؤمئذ عثمان بن حمد بن معمر (ت ١١٦٣هـ)، الذي أكرم الشيخ وأتبعه وناصره، فقام الشيخ -بمساعدة أمير العيينة- بهدم القباب والمشاهد الكثيرة المبنية على قبور الصحابة والأولياء والأشجار التي يعظمونها ويتبركون بها ؛ كقبة قبر زيد بن الخطاب - رضى الله عنه- في الجبيلة وكشجرة قريوة وأبي دجانة والذيب . (١) كما ألزم الناس بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة ونهى عن الربا وشرب المسكرات . فآثرت جهوده في المجتمع الذي أخذ يطهر نفسه بنفسه من برائن الشرك وأثار المعاصي ، فكثرت أقاويل أهل البدع والضلال وطارت قلوبهم خوفاً وفزعاً، وبخاصة رجمه للزانية التي اعترفت بالزنا فنفذ فيها الشرع المطهر، فتطاوت ألسنة علماء السوء ينكرون ما فعل (٢). وكان أشد العلماء معارضة له :-

١- سليمان بن محمد بن سحيم ت ١١٨١هـ (مطوع الرياض) ٢- سليمان بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٨هـ) أخو الشيخ الأكبر وقاضي حريملاء. ٣- عبدالله بن عيسى المويست ت ١١٧٥هـ (قاضي حرمة) ٤- مرشد بن أحمد التميمي ت ١١٧١هـ (قاضي حريملاء) .. وكان أهم قضية يدور النزاع فيها: البناء على المساجد وتعظيم القبور والمشاهد، وقضية التكفير والقتال. (٣) وبالرغم من العقبات الكبيرة التي حاول المعارضون وضعها في طريق الدعوة في العيينة فقد بلغت شأناً كبيراً وقطعت مشواراً بعيداً، فانتشرت انتشاراً واسعاً لا يمكن تصوره، خلال فترة قصيرة فجرى تطهير المجتمع والعودة إلى الطريق الصحيح لدين الله وإحياء سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) في حين أن المعارضة استطاعت أن تحقق كثيراً من أهدافها، إلى حد يصف معه ابن غنام موقف الطرفين بقوله ((وهكذا لم يبق وثن في البلاد التي تحت حكم ابن معمر، وعلت كلمة الحق وأحييت سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلما شاع ذلك واشتهر وتحذت به الركبان، أنكرته قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب وقالوا مثل ما قال الأولون : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا

(١) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٧٨ .

(٢) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٨٠ .

(٣) محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنوية ج ٢ ص ٢٥ وج ٦ ص ٦٠ وضمن روضة الأفكار ج ٢ ص

٩٠ وما بعدها وإبراهيم الحيدري : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ص ٢٢٢ .

لشيء عجيب) فتجمعوا لردّه والإنكار عليه ومخاصمته ومحاربتة ، فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلبونهم عليه ، فناصرهم في ذلك أهل الباطل والضلال من علماء تلك البلاد، وصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، وأغروا به الخاصة والعامة ، خصوصا السلاطين والحكام...)) (١) وهكذا تكالب الحكام مع العلماء في حرب الدعوة، فعندما عجز علماء نجد وحكامها عن الوقوف في وجه الدعوة، اتجه المعارضون إلى جلب العوائق للدعوة من خارج نجد حيث ظنوا أن تلك القوى سوف تقدر على ما عجز عنه حكام وعلماء نجد ، وكان المرشح لهذه المهمة الصعبة أمير الأحساء، فتوجه وفد من المعارضة النجدية إلى الأحساء حتى استطاع التأثير على علمائها؛ الذين قاموا بدورهم بمساعدة هؤلاء لدى حاكم الأحساء رئيس بني خالد (سليمان بن محمد) ت ١١٦٦هـ فأغروه وصاحوا عنده ، وكان لحاكم الأحساء سلطة على أمير العيينة الذي أزر الشيخ وعاونه، إضافة إلى ما كان عليه أمير الأحساء من خلاعة ومجون، وكثرة للحق وأهله وطمع في الاستيلاء على بلاد نجد (٢) فنتيجة لذلك كتب أمير الأحساء وأتباعه من مدعي العلم إلى أمير العيينة بطلب قتل الشيخ أو إجلائه من بلده وإن لم يفعل سيعاقبه فامتثل أمير العيينة للتهديد ، فخرج الشيخ من العيينة منفيًا قاصدًا الدرعية ووصلها سنة ١١٥٧هـ (٣) ووجد الترحيب والتكريم اللائق بالشيخ وأهدافه من أميرها محمد بن سعود ، وجاء اتفاق الدرعية المشهور بين الشيخ والأمير فتحا مبيناً دخلت بسببه الدعوة والبلاد في طور جديد، عندما اتحد الدين والسياسة وسارا في طريق واحد لهدف إسلامي نبيل سعدت بسببه الأمة وارتقت به إلى أعلى المنازل والدرجات .

(١) ابن غنم : المصدر السابق ج ١ ص ٧٩.

(٢) ابن غنم : المصدر السابق ج ١ ص ٨ ومؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ١٦٧ والفاخري: الأخبار

النجدية ص ٨ وابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٢٧.

(٣) ابن غنم : المصدر السابق ج ١ ص ٨٠ ومحمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ٢٩ . ٣٠.

وابن سحمان : الأسنة الحداد ص ٣ وابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١١.

ثانياً: وسائل المعارضة :

من المؤكد أن المعارضة التي واجهت الدعوة، والعقبات التي وقفت في طريقها، أكبر حجماً وأشد خطراً مما نتوقع إذا تصورنا أن ميدان الاختلاف وأساسه حول مبادئ الدين والعقيدة، وهذه الأمور في مقدمة المهمات التي يهتم بها الإنسان، وليس من السهل أن يتنازل عن شئ منها، كما أنه من الصعب أن يُقنَع المرء بأخطائه فيها، وما نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه خلاف ما درج عليه العام والخاص وألفوه (١) فكانت المواجهة عنيفة استخدمت فيها كل الوسائل المتاحة وكان في مقدمة ذلك في البداية بل وفي أكثر مراحل الدعوة كتابة الرسائل والردود وبعث الرسل والموفدين.

١- كتابة الرسائل والردود:

وهذه الوسيلة هي أيسر وسيلة ممكنة ومؤثرة لديهم -آنذاك - قبل انتشار وسائل النشر والإعلام، وبالنسبة للدعوة الإصلاحية في نجد فإن الطرفين المتنازعين استعملوا هذه الوسيلة في وقت مبكر من حين وجدت الدعوة، لكن الشيخ ابن عبد الوهاب أول من بدأها أثناء رحلاته العلمية قبل أن يستقر به المقام في حريملاء، حيث ألف أهم كتبه ورسائله وهو (كتاب التوحيد) في البصرة على رواية حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن (٢) ثم قام سليمان بن سحيم (مطوع الرياض ت ١١٨١هـ) بكتابة رسالة عبارة عن بيان عام للمسلمين يحذرهم من فتنة وبدعة الشيخ ابن عبد الوهاب - كما يسميها ابن سحيم - (٣). ويظهر أن الرسائل التي خرجت بعد ذلك من الأحساء وبلاد الحرمين والبصرة بعد ذلك والتي تشنع بالشيخ ابن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة كانت استجابة لنداء ابن سحيم هذا.

(١) سليمان بن سحمان : تبرئة الشيخين الإمامين ص ٨٣.

(٢) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية (المقامات) ج ٩ ص ٢١٥.

(٣) الرسالة بطولها ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٩.

وبعد انتقال الشيخ الدرعية كثر أنصاره وأتباعه وكثرت الرسائل التي كان يستخدمها خصومهم والتي فيها التشهير بهم ويدعوتهم ، تُرد من داخل نجد وخارجها . وكان من أهم تلك الرسائل وأشدها خطراً على الدعوة علاوة على رسائل ابن سحيم في الداخل، رسائل عبدالله المويس (قاضي حرمة) وسليمان بن عبدالوهاب (قاضي حريملاء) إلى حد أن رسائل سليمان بن عبدالوهاب تسببت في ثورة أهالي حريملاء وردتهم سنة (١١٦٥هـ) حيث سبق لهم أن استجابوا للدعوة، وحين علم الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله- أن أخاه يسعى في الفتنة و يلقي على الناس الشبهات أرسل إليه ينصحه ويؤنبه على صنيعه ويحذره العاقبة، فاعتذر سليمان لأخيه، وأكد العهد، ولكن لم يلبث أن انكشف غدره وحسده لأخيه - كما يقول ابن غنام- فألب أهالي حريملاء على الثورة على الدعوة ودولتها في الدرعية، وتبع تلك الثورة الجماعية ثورات منفوحة سنة ١١٦٦هـ وضمراء سنة ١١٦٧هـ وثورة العيينة في نفس العام، مما نتج عنه فتن ومحن قاسية على الدعوة وأتباعها يصعب تتبع تفاصيلها (١).

ويدخل في هذا الأسلوب استجلاب الرسائل والمؤلفات التي تعارض الدعوة وتحارب مبادئها التي من أهمها منع تزيين وتعظيم القبور، والتوسل بالأولياء والصالحين، كما درج المعارضون على استنساخ تلك الرسائل والمؤلفات التي تردهم من الأحساء والبصرة والترويج لها بقراءتها في المساجد والأماكن العامة، ومما قاله الشيخ ابن عبدالوهاب بهذا الخصوص في رسالته إلى محمد بن عباد ت ١١٧٥هـ مطوع ثمراء: ((وكذلك ابن إسماعيل (ت ١١٨٥هـ) أنه نقض ما أبرمت في التوحيد، ونعرف أن عنده الكتاب الذي صنفه رجل من أهل البصرة. (٢) كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية وأتاكم به ولد محمد بن سليمان (راعي وثيثية) وقرأه عندكم، وجادل به جماعتنا، وهذا الكتاب مشهور عند المويس، وأتباعه مثل : ابن سحيم وابن عبيد ، يحتجون به علينا

(١) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٠ وما بعدها.

(٢) المراد به احمد بن علي القباني كما سبق ص ٦٨ من هذا البحث .

ويدعون الناس إليه، ويقولون : هذا كلام العلماء)) (١) كما يذكر في رسالته إلى (مطوع مرات) أن أهالي الأحساء ونجد استكتبوا مصنف القباني وأخذوا يتبادلونه. كما يذكر أيضا أن مكاتيب ورسائل أهل الأحساء المملوءة بسبابة التوحيد، واستحلال دم من اتبع الشيخ وأنكر الشرك ، موجودة وكلها تسعى إلى الصد عن دين الله، والمجاهرة في محاربة ما نادى به الشيخ من إخلاص العبادة لله (٢).

والملاحظ أن الشيخ محمد - رحمه الله- في حياته كان وحده يتولى الردود وتحرير الرسائل بكل قوة واقتدار، وبعد وفاته تولى أبنائه وأحفاده وبقية أتباعه القادرون تلك المهمات حيث استمرت المواجهة على أشدها بذلك السلاح سواء من المهاجمين على الدعوة أو المدافعين عنها في القرن الثالث عشر الهجري كله كما سيأتي.

بعث الرسل والموفدين :

-٢-

أشرنا فيما سبق كيف استطاع المعارضون التأثير على علماء الأحساء ورئيسها مما تسبب في طرد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة بعد الشوط الكبير الذي حققته الدعوة بمؤازرة أمير العيينة، وهكذا استمرت تلك الفئة المعارضة في استغلال محاولة التأثير على الدعوة بإثارة القوى المعارضة من خارج نجد في أكثر مراحل الدعوة، بعد أن أحس أولئك بعجزهم وضعف قواهم المحلية الذاتية عن الوقوف في وجه تيار الدعوة، فلم يجدوا بداً من السفر والتنقل بأنفسهم بعد أن شط بهم الهوى، وتفرقت بهم السبل، فشدوا الرحال وقطعوا الفيافي يحاربون الدعوة ومبادئها ويندبون بأتباعها. وكان لهم كثيراً مما أرادوا ، من ذلك ما سببه نشاطهم من سجن فريق من أنصار الدعوة من الحجاج سنة ١١٦٢هـ في مكة المكرمة (٣) وكان في مقدمة من تولوا المهمة بمكة المكرمة المويس

(١) محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ٥٤ وضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٧٤

(٢) محمد بن عبدالوهاب : ضمن مجموعة الأفكار ج ٢ ص ١٨٤

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢ .

وابن إسماعيل وابن ربيعة(١). وكذلك ما حصل من الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (قاضي حريملاء) الذي لم يكتف بفتنة حريملاء - المشار إليها سابقاً - بل تشير بعض المصادر إلى أن المذكور سافر إلى المدينة المنورة لِبَثِّ الدعاية السيئة ضد الدعوة في الحجاز(٢).

وكان من جهود المعارضة في هذا المجال ما قام به الشيخ مرشد بن أحمد التميمي (قاضي حريملاء) الذي جد ونشط في المقاومة ، وخبّ وعارض وشنّع على الدعوة وأتباعها ولما لم تجد جهوده تجاوباً تحمل المشاق والأخطار مسافراً إلى الحجاز ثم اليمن، ثم قابل عالم اليمن السلفي المشهور الأمير (محمد بن إسماعيل الصنعاني) الذي كان قد أيد الدعوة ونتيجة لجهود مرشد تراجع عن تأييده كما تذهب بعض المصادر (٣) بل بقيت آثار موقفه على الدعوة في القرن الثالث عشر كما يظهر من موقف الشيخ محمد بن علي الشوكاني (٤) كما سيأتي .

وهكذا استطاع المناوئون تشويه صورة الدعوة، وإثارة الرأي العام الإسلامي ضدها، وضد أصحابها، والإهابة بهم وبحكامهم للرفع للخلافة العثمانية وملك فارس وغيرهم من عوام المسلمين في العراق والشام والهند، وتوزيع المنشورات على الحجاج بمساعدة أمراء مكة ورجال الدولة، فيها التُّهْمُ بتكفير أهل الدعوة، ومروقهم عن الدين وعدّهم من الخوارج الذين يجب قتالهم، فشنوا عليهم غارة

-
- (١) ابن عبد الوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٢
 - (٢) أحمد زيني دحلان : الدرر السنوية في الرد على الوهابية، ص ١٣٨.
 - (٣) تفاصيل ذلك : لدى ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٥٣ ومحمد الصنعاني: ديوان ص ٧٧ وسليمان ابن سحمان، تبرئة الشيخين الإمامين ص ٨٢ .
 - (٤) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد وعالم سلفي، ولد في شوكان سنة ١١٧٣ هـ طلب العلم بصنعاء وولى قضاها حتى مات، كان من معارضي التقليد، له مؤلفات كثيرة في عدة فنون، توفي سنة ١٢٥٠ هـ (الشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ٢١٤ وسركيس : معجم المطبوعات ص ١١٦ ومحمد زيارة: نيل الوطر ج ١ ص ٢ و ج ٢ ص ٢٩٦ وصديق خان : أبجد العلوم ص ٨٧٧) .
 - (٥) محمد بن عبد الوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٢.

شعواء ظلماً وعدواناً(١) فكانت من أشد المحن التي عرفها التاريخ الإسلامي الحديث عندما استعر لهيب تلك المحنة واشتعلت نارها، وغطى البلاد ضورها في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري .(٢).

(١) محمد رشيد رضا : صيانة الإنسان (المقدمة) ص ٨.

(٢) الضور : بضم الضاد السحابة السوداء كما في القاموس المحيط ج٢ ص ٧٧.

الفصل الثاني نماذج من المعوقات والعقبات

في الوقت الذي كان أعداء الدعوة يَجِدُون في إعاقَة الدعوة ووضع العراقيل في طريقها؛ كانت الدعوة من جانبها تواصل انتصاراتها الفكرية والعسكرية، ولم يحن القرن الثالث عشر الهجري إلا وكانت قد تبلورت كثير من الخلافات والدعاوي والأكاذيب في كثير من المسائل التي كان يجري النقاش فيها على أشده، والتي في مقدمتها مسائل التوحيد مثل: التكفير والقتال، وحكم زيارة القبور والتبرك بها والتوسل والشفاعة والاجتهاد والتقليد، ومسائل التوحيد الأخرى، علاوة على بعض القضايا الفرعية ولا تغفل هنا دور المصالح والأهواء لبعض الحكام والعلماء في كثير من البلاد، علاوة على كون حكم العرب ليس في أيديهم، حيث كان الأتراك يخشون بروز قوة عربية إسلامية تسحب بساط الخلافة من تحتهم لتعيده إلى أصحابه السابقين العرب المسلمين، وكان كثير من معارضيتهم يضربون على هذا الوتر الحساس، ويستغلونه لحريهم، وبهذا ندرك أن كثيرا من القضايا المثارة والمختلف فيها ليست الهدف بذاتها، بل ما كانت القضايا التي أثارها مخالفتهم، وأعطوها أكبر من حجمها في أكثر الأحيان، إلا وسيلة لتحقيق غايات معينة وأهداف خاصة. فحولوا تلك القضايا إلى أسلحة حرب، ومعاول هدم للدعوة في الداخل والخارج، مع استمرار محاربة الدعوة بكثير من الأسلحة الفكرية وغيرها؛ في ميدان أوسع وأشمل من ميدان الحرب المسلحة، ولكن الهجمة المسلحة التي حلت بالدعوة سنة ١٢٣٣هـ كانت ثمرة لذلك وأثرا من أثارها، ونورد في الفقرات التالية أهم القضايا التي جرى فيها الاختلاف مرتبة حسب ظهورها وبروزها كعقبة في طريق الدعوة.

أولاً: في مسائل التوحيد :

لاجرم أن مسألة التوحيد أول مسألة وأهم قضية اهتم بها الدعاة وتناولوها لمحاولة إصلاحها، فاثارت الخصومة مع بعض مدعي العلم، لكون منهجهم ذلك كان خلاف ما درج عليه الناس وألفوه، وسكت عنه العلماء لعدم القوة السلطانية التي تساعد هم على إزالة المنكر

والأمر بالمعروف فسكت العلماء والحكام وتقبل الجميع تلك المنكرات وتناقلها الأتباع عن سبقتهم من الآباء والأجداد مع طول الأمد وتقادم العهد، وإن كانت بدعاً وخرافات تنافي التوحيد أو تنقص منه. ولكن علماء الدعوة أنكروا كل اعتقاد أو عمل يتنافى في نظرهم مع مبادئ التوحيد، ووصفوه بأنه شرك أو موصل للشرك، فوجد معارضوهم في موقف الدعوة هذا فرصة لإثارة الحكام والعوام عليهم، فحاول هؤلاء الوقوف في وجه الدعوة بنفس سلاحها، فكان لهذا الموقف أشد الأثر على الدعوة وإنحاول سبر غور خلاف الطرفين بمعرفة موقف كل منهما من معنى التوحيد.

فالتوحيد عند الدعوة هو: أفراد الله بالعبادة، فهو دين الإسلام، وأصل الدين الذي أرسلت به الرسل وأنزلت الكتب من أجل إيضاح مقتضاه (١). كما هو قول شيخهم محمد ابن عبد الوهاب (٢) ومن سبقه من الأعلام كابن تيمية (٣) وابن القيم (٤) ولكن معارضوهم استغلوا هذا الموقف للتشهير بهم، والتنفير من دعوتهم، ودليلهم في ذلك أن مجرد النطق ب ((لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) كاف وإن شاب هذا اللفظ والاعتقاد بعض الأعمال الشركية، المنافية للتوحيد أصلاً، أو المنقصة لكمالها (٥) بل يذهب بعض المعارضين إلى أن توحيد الربوبية -الذي أقر به المشركون - يكفي للإسلام عن توحيد الأكوهية. (٦)

ومسائل التوحيد التي جرى فيها النقاش، واحتدم بسببها الخلاف بين الطرفين كثيرة وكلها تتصل بتوحيد الأكوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد، مثل الدعاء والاستغاثة والتوسل والحنف بغير الله، وزيارة القبور والبناء عليها والشفاعة والبدعة والأمامة وما يتصل بذلك كالتكفير.

-
- (١) عبدالرحمن بن حسن: فتح المجيد ص ١٢ وسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب: مجموعة التوحيد ٥٢
 - (٢) محمد بن عبدالوهاب: كتاب التوحيد ص ٢ ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٤.
 - (٣) ابن تيمية: الفتاوى ج ١ ص ٧١ وكتاب العبودية ص ٢٨.
 - (٤) ابن القيم: مدارج السالكين ج ٢ ص ٥٣.
 - (٥) سليمان بن عبدالوهاب: الصواعق الإلهية ص ٤٢ وما بعدها.
 - (٦) أحمد زيني دحلان: الدرر السننية في الرد على الوهابية ص ١٣١.

والقتال والاجتهاد ونحوها حتى كونت هذه الاختلافات مجالاً رحباً للنزاع بين الطرفين ومن تبعهما بين مؤيد ومعارض. واستمر ذلك مدة من الزمن تقرب من قرنين على صورة ربود ورسائل ومناظرات ومناقشات حادة يصعب إيراد تفاصيلها. مع الإشارة هنا إلى أن الصراع الذي كان يجري في تلك الجوانب شديد الصلة بالحرب العسكرية بين دولة الدعوة بنجد ومعارضيهما وتأثره بها. وقد نستدل على هذا الاستنتاج بما جرى للدعوة مع بداية القرن الثالث عشر الهجري حيث نجد أنه مع قوة الهجمة العسكرية، أُلصق بالدعوة كثير من الأباطيل وقد شوّهت صورتها من أعدائها الجدد والتقليديين بأراء ومعتقدات هي بعيدة عنها، كما اتسعت رقعة بلاد الدعوة، فأصبح حكام الدعوة مجاورين لبعض الطوائف التي لاتدين بمذهب أهل السنة والجماعة في العراق والأحساء والحجاز فازدادت الفجوة وتوسع الاختلاف بين الدعاة السلفيين وأولئك الأعداء وحاول الخصوم إثارة أصحاب الطوائف وأتباعهم ضد الدعوة. (١) نظرا لكون دعاة الدعوة حرباً على كل بدعة محدثة في دين الإسلام مهما كان مصدرها وأين وجدت، وأياً كان منتحلها. فتكالب أولئك الأعداء جميعاً على الدعوة لإعاقتها وجعل العقبات في طريقها حين رأوها تهدد كيان بدعهم المقامة على الباطل والضلال، فصار موضوع الدعوة وسلاحها لمواجهة العقبات التي في طريقها بمثل سلاح الأعداء وعتادهم، فاستمر الدعاة في توضيح دعوتهم، وشرحها وبيان أهدافها وإظهار حقيقتها خالية من الأكاذيب التي أُلصقت بها، سالكين معتقد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين من أصحاب المذاهب الأربعة الخالدة.

وإذا تجاوزنا كتب وربود إمامهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشهورة التي كانت الأساس والقاعدة للربود بعد ذلك، نجد ربود أبنائه وأحفاده وتلاميذه مثل الشيخ عبدالله ابن محمد (٢) في رده على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد المسمى

(١) انظر عبدالله بن علي القصيمي الثورة والوهابية ص ٢٧، وعبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٥٧-٧٠-١٠٠

(٢) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرف ولد سنة ١١٦٥هـ في الدرعية ونشأ ودرس في كنف والده الداعية المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تفقه في جميع العلوم ومهر في الفروع والأصول ولي قضاء الدرعية قبل تدميرها، له مواقف بطولية ونقل فيمن نقل من الأعلام إلى مصر وتوفي بها سنة ١٢٤٢هـ (ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٩٢، ٢٠٨، وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ٤٨).

(جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية) وردود ابنه سليمان بن عبدالله (١)
وعبدالرحمن بن حسن بن محمد (ت ١٢٨٥هـ) وابنه عبداللطيف (ت ١٢٩٣هـ) ومن الأتباع كذلك
نجد ردود الشيخ حمد بن معمر (٢) وعبدالله بن عبدالرحمن أبابطين (٣)

(١) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠هـ طلب العلم على أشهر
علمائها منهم والده وابن غنام، وجدُّ حتى أصبح عالماً نحريراً فقيهاً أصولياً محدثاً يسامي كبار
الحفاظ القدامى، استشهد بصورة بشعة على يد إبراهيم باشا في آخر سنة ١٢٢٣هـ (ابن بشر: المصدر
السابق ج ١ ص ٩٣، ٢١٢) وسليمان البغدادي: هدية العارفين ج ١ ص ٤٠٨ وعبدالرحمن ابن عبداللطيف:
المرجع السابق ص ٤٤).

(٢) حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر التميمي، ولد سنة ١١٦٠هـ بالعينينة وطلب فيها العلم، ثم سافر
للدرعية في أوج عزها وأخذ العلم عن أشهر علمائها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأخيه سليمان حتى
أضحى من كبار علماء المنطقة تولى المهمات والمناظرات، عين كبير القضاة بمكة المكرمة من قبل
الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢١هـ توفي بها سنة ١٢٢٥هـ (ابن بشر: المصدر السابق ج ١
ص ١٥٤، ج ٢ ص ١٧٧ والدحلان: خلاصة الكلام ص ٢٩٣ ومحمد القاضي: روضة الناظرين ج ١ ص ٨٤
وعبدالرحمن بن عبداللطيف: المرجع السابق ص ٢٠٤ وعبدالله البسام: علماء نجد ج ١ ص ٢٣٩).

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الملقب - أبابطين - يرجع البسام نسبهم إلى المغيره، ولد سنة
١١٩٤هـ بالخرج، انتقل إلى شقراء واستمر في مثابرتة وطلب العلم، حتى غدا عالماً من أعلام
عصره في نجد، ولى القضاء في عدة جهات وكلف بعدة مهمات، ألف الرسائل والردود توفي سنة
١٢٨٢هـ بشقراء (ابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ٦٩ وابن حميد: السحب الوايلة - مخطوط -
ورقه ١٢٥، وابن عيسى: عقد الدرر ص ١٦، والبغدادي: هدية العارفين ج ١ ص ٤٩١ وعبدالله
البسام: علماء نجد ج ٢ ص ٥٦٧).

ويعددهم سليمان بن سحمان (١) وغيرهم من العلماء السلفيين في نجد، أما من خارجها فنجد الشيخ محمد بشير السهسواني (٢) والشيخ محمود شكري الأكوبي العراقي (ت ١٣٤٢هـ) والمؤرخ عبدالرحمن الجبرتي المصري (ت ١٢٣٧هـ) وهكذا أخذ الدعاة على عاتقهم مهمة تنفيذ مزاعم معارضيتهم وإبطال أكاذيبهم في مجموعة من الرسائل والمؤلفات المشهورة. ومن المفيد أن نركز في بحثنا هنا على مسألتين مهمتين من مسائل التوحيد وقضايا العقيدة جرى النقاش فيهما بين الدعاة ومعارضيتهم ، ونعني بهما : زيارة القبور والبناء عليها، وقضية التكفير والقتال .

١- سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي أصله من تبالة من أعمال بيشة نزح والده إلى أبها، فولد بها قرب أبها سنة ١٢٦٧هـ حفظ القرآن على يد والده ثم ارتحل مع أسرته إلى نجد، فحل ضيفاً مهاجراً على الإمام فيصل، ثم قرأ على أشهر علماء الرياض تنقل في عدة بلدان للعلم وجهاداً في سبيل الدعوة الإصلاحية، كان شاعراً مجيداً، من أكثر من كتب عن الدعوة وناقح خصومها تأثر كثيراً بأحوال الدعوة حتى توفي سنة ١٣٤٩هـ بالرياض (من مصادر ترجمته: عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية، ج ١٢ ص ٨٧ وعبدالرحمن بن عبداللطيف : علماء الدعوة ص ٨٧ ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٩٠ وإبراهيم بن عبيد : التذكرة ج ٢ ص ٣٤٧ ومحمد القاضي : المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦ وعبدالله البسام : المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٩ وعمر غرامة العمري : قلائد الجمان ص ١٦ وما بعدها).

٢- محمد بشير محمد بدر الدين السهسواني الهندي ، عالم إسلامي كبير، كان من المجتهدين المجددين للدين، طاف البلاد الإسلامية، وأقام بمكة المكرمة ناظر الدحلان توفي سنة ١٣٢٦هـ في دلهي (محمد رشيد رضا: صيانة الإنسان (المقدمة) ص ١٧ والزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٥٣ وعبدالرحمن بن عبداللطيف: المرجع السابق ص ٤٦٢) .

إن من أعظم مكائد الشيطان للعباد - وما نجا منها الا من لم يرد الله تعالى له فتنة - ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبِدَ أربابها من دون الله تعالى (١) . ومن هنا كان مما ابتليت به هذه الأمة في القرون المتأخرة من تقليد للأمم الأخرى وبسبب اشتداد غربة الدين، أن وقع المسلمون فيما حذر منه الشارع الحكيم؛ من التعلق بالقبور بطرق وصور مختلفة، حتى أصبح ذلك لدى العامة من الناس، بل وبعض الخاصة من أمور الدين المشروعة، وغدا الناس في وضع يصعب معه تخليصهم من هذه البدع والمنكرات، واختلط عليهم الحكم الشرعي، وبالذات ما يتعلق بزيارة القبور التي لاخلاف بين العلماء في زيارتها التي سنها الشارع ، والتي يقصد منها الاعتبار والاتعاظ والدعاء للميت، بخلاف الزيارات البدعية لأجل الصلاة عند القبور أو الطواف بها أو تقبيلها واستلامها، وطلب قضاء الحاجات وغير ذلك من الأمور التي تختص بالله تعالى. (٢)

ومما سبق ندرك أهمية هذا الأمر، وصعوبة إزالة ذلك المنكر الذي عمّ وطمّ خطره منذ القدم. وعندما انبلج صبح الدعوة، وأشرقت شمسها في منتصف القرن الثاني عشر دعوة إصلاح وهداية، كان في مقدمة اهتمامات الدعاة ، العقيدة وإصلاحها، فجرى قطع الأشجار التي تُعظَّم، وهدم القباب والمشاهد المقامة على قبور الصالحين والأولياء - كما سبق - مما أثار عليهم العامة والخاصة لمخالفته لما هو معهود لديهم ، وبالرغم من ضراوة المواجهة في هذه الناحية ظل الدعاة على موقفهم المعارض لتلك المنكرات واستمر الأعداء في تلبيسهم ومكرهم، واتهام الدعاة بالمخالفة والخروج عن الدين، والذي من أسبابه موقفهم من بدعة القبور وفتنتها، وسدهم الذرائع الموصلة

(١) ابن القيم : اغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٠١

(٢) محي الدين البركوي : زيارة القبور الشرعية والشركية ص ٢٧ وحمد بن معمر: مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦١٧ وما بعدها، والهدية السنوية ص ٤٢ ، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب: التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢٢٢ .

إلى فتنة القبور، والتي تؤدي إلى الوقوع في أنواع الشركيات والبدع والخرافات،
قدوتهم في ذلك منهج الرسول - عليه السلام - وسلفهم الصالح، حيث كان الدعاة يرون
أن زيارة القبور تنقسم إلى قسمين : زيارة مشروعة، وزيارة ممنوعة؛ فالزيارة المشروعة
هي التي تتم على ضوء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كانت لغرضين:-

أولهما : بالنسبة للزائر للاتعاظ ، وتذكر الآخرة للاستعداد لها بالعمل الصالح واتباع
السنة، كما ورد في الحديث : ((زوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر

بالآخرة)) (١) وفي رواية : ((زوروا القبور فإنها تذكر بالموت)) (٢).

ثانيهما : الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به فينساه بهجره، فيدعو له ويترحم
عليه، ولهذا شرع للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، ويسأل لهم
الرحمة فقط، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلى عندهم (٣).

وهكذا استغل كثير من المعارضين هذا الموقف المخالف لما درج عليه الناس
للتشهير بالدعوة، وتكفير أصحابها واعتبارهم خارجين عن دين الإسلام
وكان أشهر من تبنى العداوة بهذا الخصوص - علاوة على
المعارضين السالفين - في فترة البحث من العلماء المحليين بنجد

(١) أخرجه أبو داود : سنن أبي داود ج ٣ ص ٢١٨، وقال السيوطي: حديث صحيح (الجامع

الصغير) ج ٢ ص ٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود ج ٣ ص ٢١٨ (باب زيارة القبور) .

(٣) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٢٧٩ .

عثمان بن منصور (١) الذي كان يعمل في الخفاء ضد الدعوة. أما خارج نجد فهناك داود بن جرجيس (٢) وجميل الزهاوي (٣) في العراق، وأحمد زيني دحلان (٤) في الحجاز، ومختار باشا العظمي (٥) في الشام وغيرهم .
وفي الحقيقة أن الواقع السيء الذي وصلت إليه حال الأمة -آنذاك- والناتج عن تحول مسألة زيارة القبور المشروعة، إلى التبرك بها والتعلق بأصحابها من الموتى عبر العصور المختلفة، وجعل القبور مشاهد مقدسة ينذر لها ويذبح ويصلى عندها، بل تُدعى للعون والمساعدة ، - هذا الواقع السيء، والمنحدر الخطر الذي انحدرت إليه الأمة - كان

- (١) عثمان بن عبدالعزيز بن منصور بن أحمد التميمي ولد في الفرعة - بالوشم- في أوائل القرن الثالث عشر وطلب العلم ثم سافر للعراق والزيير للدراسة، جلس للقضاء والتدريس حصل له نزاع مع علماء الدعوة بسبب معتقده، توفي سنة ١٢٨٢هـ بحوطة سدير (ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٦، وعبدالله البسام : علماء نجد ج ٢ ص ٦٩٣).
- (٢) داود بن سليمان بن جرجيس الخالدي البغدادي النقشبندي الشافعي ، ولد سنة ١٢٢١هـ طلب العلم حتى تفقه، قام برحلات إلى الحجاز ونجد والشام حصل له نزاع طويل مع علماء الدعوة السلفية بنجد وأكثروا من الرد عليه توفي سنة ١٢٩٩هـ في بغداد (البيطار: حلية البشر ج ١ ص ٦١ وسركيس : معجم المطبوعات ص ٨١٤، وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ٩٨ الهامش).
- (٣) جميل صدقي بن محمد بن فيض الزهاوي ، ولد ببغداد سنة ١٢٧٩هـ شاعر ينحو منحى الفلاسفة من ملاحق نهضة الأدب العربي المعاصر، له مؤلفات كثيرة كان له بعض الاعتقادات المنحرفة توفي سنة ١٣٥٤هـ (المزركلي : الاعلام ج ٢ ص ١٢٧)
- (٤) أحمد بن زيني دحلان، فقيه مكي مؤرخ، ولد بمكة سنة ١٢٣٢هـ ينتمي إلى إحدى الأسر العلمية المشهورة بمكة، كان من كبار علماء عصره، ومن المقربين للأشراف والأتراك، ولي الإمامة والقضاء والتدريس بالمسجد الحرام، له عدة مؤلفات وكان من معارضي الدعوة الإصلاحية، حصل له مع أتباعها جدال طويل فأكثروا من الردود عليه، توفي سنة ١٣٠٤هـ بالمدينة المنورة (عبدالحى كتاني: فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٩١ وسركيس : مصدر سابق ص ١٩٠ وأحمد السباعي: تاريخ مكة ج ١ ص ٥٨٧).
- (٥) مختار بن أحمد المؤيد العظمي ولد سنة ١٢٣٧هـ بدمشق زار مصر وطلب العلم ثم سكن المدينة المنورة له كتب، توفي سنة ١٣٤٠هـ بدمشق (الشطي: تراجم أعيان دمشق ص ١٣١ وسركيس: المصدر السابق ص ١٧١٥).

مستنداً قويا للمعارضين وأصحاب المصالح والأهواء في معارضة الدعوة! (١) ولم
لا يكون لهم ذلك وبعضهم قد صنف كتابا سماه (مناسك حج المشاهد) كما يقول الشيخ
عبدالرحمن بن حسن(٢) وابنه عبداللطيف!؟ (٣) وإذا كان موقف الدعاة يخالف ما درج
عليه الناس من جواز شد الرحال من أجل زيارة القبور وإن كان قبر الرسول (صلى الله
عليه وسلم) فهم لا يكفرون من قام بهذا العمل ولا يصح عندهم تكفيره، مالم يرتكب شركاً
أكبر كسؤال الميت جَلْب نفع أو دفع ضرر. (٤)

وكان مما افتراه خصوم رجال الدعوة لإثارة الرأي العام الإسلامي ضدهم بعمومه بهذا
الشأن، هدم القبة المبنية على القبر النبوي بالمدينة المنورة، عند استيلائهم عليها (٥)
سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) (٦) حتى شاعت تلك المقولة وما شابهها من الزور والبهتان
ضد الدعاة وتناقلها الكتاب والمؤرخون، وبخاصة الأوربيون الذين يتلذذون بذكر هذه
الأسطورة الباطلة، فنرى (ستودارد) مثلاً بعد ثنائه على الدعوة الوهابية، وغرضها في
الإصلاح يقول: ((ليس هذا جميع ما في الأمر، بل عدُّ الوهابيون المباني الدينية
المزخرفة من نواهي الإسلام، فهدموا قبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة
المنورة، وخرّبوا ما ذن المساجد، فهم على إيغالهم في الاعتصام بالفروض الدينية وقواعد
الآداب، كانوا على ضعف شديد في المدارك وبُعدٍ في التعصب، فلذلك كان من حسن حظ
الإسلام أنهم باعوا بخسران سلطتهم السياسية فقصرُوا مساعيهم ودعوتهم على التعاليم
الدينية فحسب)) (٧) وقد كذب فيما ادعاه لأن واقع الدعوة قديماً وحديثاً يبين خلاف ذلك .

-
- (١) مثل محمد عطا الكسم : الأقوال المرضية في الرد على الوهابية ص ٢ وما بعدها .
(٢) عبدالرحمن حسن : فتح المجيد ص ٤٤١ .
(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٤٤٦
(٤) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ٩ ص ٤٢ وسليمان بن عبدالله بن محمد : التوضيح عن
توحيد الخلاق ص ٢٤٦ .
(٥) مسعود الندي : محمد بن عبدالوهاب ص ١٨٣ .
(٦) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٧
(٧) لوثرود ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٢٦٤ .

وإذا كان جماعة المستشرقين وغيرهم يرددون هذه التهمة المكنوبة مع أنها باطلة أصلاً ومفتراة قطعاً ؛ فدعاة الدعوة ينكرونها وينفون كون ذلك من قواعد مذهبهم أصلاً وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه (١) في حين يعترفون ويفاخرون بهدم القبر الأخرى في مكة والمدينة (٢). بل الحاصل أنهم منَّعوا ما يُفعل عند قبر النبي (عليه السلام) من بدع ومنكرات كما يقول الجبرتي . (٣) والمستشرق (برايجس) (٤) الذي كان والياً على البصرة من سنة ١٧٨٤م من قبل بريطانيا ينفي هذه التهمة . (٥) والداعية عبداللطيف بن عبدالرحمن -رحمه الله- يوضح هذه المسألة ويبينها بما يطول إيرادها هنا (٦).

التكفير والقتال :

-٢-

إن هذين الموضوعين من أخطر الموضوعات وأهم القضايا التي أثارت جدلاً بين الدعاة ومعارضيهما في وقت مبكر جداً من عمر الدعوة الإصلاحية وبقي النزاع فيهما على أشده إلى زمن قريب، وإن كانت مسألة التكفير سابقة لمسألة القتال وقد يكون من المفيد أن نوضح مفهوم المسألتين باختصار.

فالتكفير المراد به جواز تكفير المسلم المعين عند ارتكابه من المنكرات ما يستحق تكفيره. وأما القتال فهو : هل يجوز مقاتلة المسلم عندما يرتكب ما يستحق مقاتلته مما يخالف به دين الإسلام وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟

-
- (١) محمد بن عبد الوهاب : ضمن روضة الأفكار ج٢ ص ٩٤ والدرر السنية ج١ ص ٥٢ .
- (٢) ابن بشر : عنوان المجد ص ١٢٣ .
- (٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج٣ ص ٩١ ، ١١٧ .
- (٤) سيرهار فورد جونر برانجس ، إنجليزي ولد في بريطانيا وعين موظفاً في وكالة البصرة التجارية من عام ١١٩٨هـ ثم ممثلاً للحكومية البريطانية لدى باشا بغداد مع بداية القرن الثالث عشر ثم حاكماً على بغداد، وقد شهد بنفسه الحملات التي تجرى ضد الدعوة الإصلاحية، وكانت علاقاته حسنة مع حكام النولة السعودية (مسعود الندوي) : محمد بن عبد الوهاب ص ١٩٨ وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : النولة السعودية الأولى ج١ ص ٤٩١).
- (٥) brygdes, H.J, A Brief History of the Wahabs, P.105
- (٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٤٠١ .

وعلى كل الأحوال فالمطلع على رسائل وكتب معارضي الدعوة من حين قيامها يلاحظ كيف استغل هؤلاء تلك القضيتين الهامتين لدى أمة الإسلام لحرب الدعوة، والتشهير باتباعها إلى أبعد الحدود، وقد أدرك أتباع الدعوة أهمية هذا الأمر فشمروا عن ساعد الجد، وبذلوا قصارى الجهد في الدفاع بنفس سلاح الأعداء، فلو تجاوزنا عن ردود الشيخ ابن عبد الوهاب القوية المؤثرة على أعدائه التقليديين مثل سليمان بن سحيم، ومثل شقيقه سليمان بن عبد الوهاب، نجد الأتباع ساروا على نفس النهج في خطين متوازيين، فنجد بعد ذلك كتب المعارضين في الحجاز والعراق ونجد التي تحمل السم الزعاف، مثل علوي الحداد (١) (مصباح الأنام) (٢) وأحمد زيني دحلان في كتابه (خلاصة الكلام) (٣) وعبدالله بن داود الزبييري ت ١٢٢٥هـ (الصواعق والرعود) وداود بن جرجيس الخالدي (صلح الإخوان من أهل البيان) وكتابه الآخر (المنحة الوهبية في الرد على الوهابية) وجميل صدقي الزهاوي (الفجر الصادق) (٤) في العراق. وفي نجد عثمان بن منصور (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) وكتابه الآخر (غسل الدرن عما ركب هذا الرجل من المحن) وكتابه (تبصرة أولى الألباب) (٥) وعبدالله بن عمرو في كتابه (الرد العنيف) وقد انبرى الدعاة للرد على تلك التهم في مؤلفات مماثلة، وكان أكثر الردود على داود بن جرجيس الذي طمَّ خطره وعمُّ شره، فرد عليه الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن أبابطين

(١) علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، له عدة مؤلفات، كان من معارضي الدعوة الإصلاحية في نجد توفي سنة ١٢٣٢هـ في مكة غالباً (ابن سحمان: الأسنة الحداد ص ٢ والزركلي: الأعلام ج ٢ ص ٢٤٩).

(٢) ص ٨٠ وما بعدها. (٣) ص ٢٢٧ وما بعدها. (٤) ص ٢٥ وما بعدها.

(٥) هذان الكتابان الأخيران للشيخ عثمان بن منصور غير موجودين فيما أعلم ولم يطلع عليهما الدعاة فيما يظهر وإنما ورد ذكرهما على لسان المؤلف في كتابه (جلاء الغمة) كما ذكر ذلك الشيخ عبداللطيف في كتابه: مصباح الظلام ص ٣٠.

بكتابه (الانتصار لحزب الله الموحدين) ورده الآخر (تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس) ، كما رد على ضلالات ابن جرجيس الشيخ عبدالرحمن بن حسن بكتابه (القول الفصل النفيس في الرد على المفتري دواد بن جرجيس) طبع سنة ١٣٦٥هـ ، وممن رد عليه كذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بكتابه (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس) طبع أول مرة سنة ١٣٠٥هـ ، وللشيخ عبداللطيف ردٌ آخر على كتاب ابن جرجيس (المنحة الوهبية) اسمه (تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس) ، وبالنسبة لما رمي به الدعاة من تهمة تكفيرهم المسلمين، فإن محسن العاملي الدمشقي (١) يذهب إلى القول أن كُفر وشرك جميع المسلمين هو أساس مذهب الوهابيين ومحوره الذي يدور عليه ولايتحاشون منه وكتبهم مشحونة بالتصريح به (٢) وقد رد عليه الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في مجلة المنار وفي كتابه (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة). (٣)

وعلى كل الأحوال فالمطلع على تلك الرسائل والكتب التي تعرضت لقضية التكفير والقتال -آنذاك- يلاحظ أن المعارضين قد وسعوا دائرة الاختلاف في هذه المسألة، وافترضوا على الدعاة أشياء كثيرة، كما أولوا مسائل أخرى يضيق المجال عن تعدادها، حتى أصبح موقفهم هذا من أقوى العوائق التي تقف في طريق الدعوة، وقد كان للدعاة جهود كبيرة مؤثرة في هذا المجال ، كالمناظرتين اللتين حصلتا بين الشيخ حمد بن ناصر ابن معمر وبين علماء مكة المكرمة في أثناء حكم الشريف غالب في مطلع القرن الثالث عشر

(١) محسن بن عبدالكريم بن علي الأمين الحسيني العاملي، فقيه أصولي متكلم وأديب مؤرخ، ولد بشقراء في جبل لبنان، طاف البلاد وتوطن النجف وقرأ على أشهر علماء الشيعة الأمامية، له مؤلفات كثيرة، توفي بدمشق سنة ١٣٧١هـ (من مصادر ترجمته: أعيان الشيعة - للمترجم له - ج ٣٣ ص ٤٤٣ وسركيس : معجم المطبوعات ص ٧٧٥ والزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٢٨٧).

(٢) محسن العاملي : كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبدالوهاب ص ١٨-١٤٧.

(٣) محمد بن عبدالله السلطان : رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٢٧٩ ومابعدها.

والذي استطاع -رحمه الله - من خلالهما إقناع علماء مكة بوجهة نظر علماء الدعوة في هذه المسألة،(١) ومجمل المناظرتين مدون في رسالته المسماة (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب).

ولكن بالرغم من النفي الصريح من الدعاة لهذه الفرية المكنوية، والبهتان العظيم - وأعني اتهامهم بتكفير المسلمين وقتالهم، ووضوح موقفهم ووضوح الشمس في رابعة النهار- إلا أن مسألة التكفير والقتال واستغلالها سلاحاً لحرب الدعوة بقيت فترة طويلة من الزمن عقبة كئداء في طريق الدعوة. وأصبح المعارضون ممن ذكرنا بعضهم يرددون هذا الافتراء والهديان المحموم بين حين وآخر. فكان لجهودهم أثارها الوخيمة، فلو ضربنا صفحاً عن موقف هؤلاء الذين يبدو أنهم يتقربون إلى الله - في اعتقادهم - بعداء دعاة الدعوة، وترديد التهم ورميهم بكل نقيصة وعيب؛ فإن بعضاً من العلماء الآخرين الذين نَصَفُهم بالمحايدين والمشهورين بالفضل والدراية - التبس عليهم أمر هذه الطائفة المختارة في هذه المسألة، وسلخوا مسلك هؤلاء الخصوم في رمي السلفيين بهذه التهم وما شاكلها وكل ذلك نتيجة التمويه والتضليل من قبل أعداء الدعوة ورميهم بكل نقيصة .

ف نجد مثلا ابن عابدين (٢) - أحد مجتهدي الحنفية المتأخرين - يقول في حاشيته المشهوره (رد المحتار على الدر المختار) :

((كما وقع في زماننا من اتباع عبدالوهاب !! الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم)) (٣)

(١) ابن غنم : روضة الأفكار ج٢ ص ٢٢٧ ط الهند، والدخلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٣.

(٢) محمد علاء الدين محمد أمين بن عمر بن عابدين الحسيني الشامي الحنفي، فقيه من علماء دمشق

ولد سنة ١١٩٨هـ له مؤلفات ولي القضاء توفي بدمشق سنة ١٢٥٢هـ على الأرجح (محمد جميل

الشطبي : تراجم أعيان دمشق ص ٢٤ و خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ص ٣٦)

(٣) رد المحتار ج٢ ص ٢٠٩

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بعضاً من الذين كانوا يؤيدون الدعوة ويتفقون معها على المبادئ التي تدعو إليها كثيراً مانجد في بعض مواقفهم ما يدل على التباس الأمر عليهم في بعض الأحوال، وقد يكون من أسباب ذلك الخوف من بطش خصوم الدعوة، فنجدهم يقدحون في الدعوة وأهدافها، كما حصل من العالم اليمني القاضي محمدا بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة في التوحيد وغيره فضلاً عن آخرين، لم يتمكن كثير منهم من المعرفة الصحيحة لمذهب السلفيين من أهل نجد، بالرغم من كون هؤلاء العلماء الكبار أمثال : الصنعاني والشوكاني سلفي المعتقد.

وإذا كنا قد ألمحنا إلى ما قيل من اضطراب موقف الصنعاني نتيجة جهود مرید ابن أحمد التميمي (قاضي حريملاء) الذي توجه لليمن ونقل صورة غير صحيحة لعلماء اليمن عن مبادئ الدعوة السلفية في نجد (١) فإن تلميذه العالم اليمني محمد بن علي الشوكاني كان يتأثر بتلك الدعايات التي أُلصقت بالدعوة لديهم، ويتألم من الوضع السيء الذي تعيشه الأمة المسلمة ودعوتها السلفية بسبب الغشاوة التي أعمت الأبصار نتيجة للدعاية السيئة والعوائق التي وضعت في طريق الدعوة (٢).

والمحدث الشوكاني عاش طويلاً، وشاهد بداية الدعوة في نجد وازدهارها، وكذلك انحطاطها عند سقوط الدرعية في نهاية الدور السعودي الأول، ومع كل ذلك لم يتفهم حقيقة الدعوة مما يعطينا الدليل الواضح على قوة المعارضة، والمعوقات التي واجهتها الدعوة - آنذاك - في الداخل والخارج . والناظر في شراسة الحرب وقوة الهجمة التي وجهت ضد الدعوة والتي ذهب في أهونها مع حاكم الرياض آلاف القتلى - فما بالك بحربها في العراق والحجاز ومع العثمانيين والمصريين - لا ينقصه الإدراك وكيف تداعت ردود الفعل تجاه الدعوة ودولتها، وأفرزت المواقف والانتهاكات الكثيرة وعلى رأسها اتهام أتباعها بالكفر والخروج عن الإسلام، ومع كون الزمن كفيلاً بتغيير تلك

(١) انظر : ص ٨٨ من هذا البحث.

(٢) الشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ٥ .

الصورة، ولكن هذا لم يحدث إلى زمن قريب ، فقد بقي الصراع ماشاء الله أن يبقى، لما اقتضاه المولى - عز وجل - من استمرار الصراع بين الحق والباطل، وابتلاء أوليائه ومحبيه ولن تجد لسنة الله تبديلاً. (١)

وإذا كان هذا موقف الشوكاني المضطرب من الدعوة بالرغم من طول باعه في العلم وقربه لبلاد الدعوه نسبياً فلاشك أن الدعاية السيئة قد استطاعت التأثير عليه وعلى أمثاله. وقريب من هذا الموقف ما كان عليه العالم السلفي الشهير في بلاد الهند صديق خان. (٢) فهو لم يصل إلى موقف محدد واضح تجاه الدعوة السلفية، حيث أن الناظر في كتبه يجد الاضطراب والغموض حول موقفه، وبالذات تهمة التكفير والقتال، ونجد ما بهت به الدعاة من دعوى التكفير بالعموم غير المشروط عالقة في ذهن هذا العالم في كتابه إتحاف النبلاء (٣) ، مع أنه كثيراً ما امتدح الدعوة، وعتب على المعارضين الذين جهلوا حقيقتها، أو يعرفونها ويغلب عليهم التعصب والهوى، فيكفرون الدعاة بدون حجة أو برهان وقد أورد صديق خان كلام ابن عابد السابق ورد عليه وأبطله، بكلام الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عن هذه الطائفة في رسالته التي ألقاها لأهل مكة عند دخول السلفيين البلد الحرام سنة ١٢١٨هـ (٤) وكان مما قاله الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في هذا الصدد: ((ولانكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك

(١) سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب : التوضيح عن توحيد الخلاق ص ١٢ . ١٣ .

(٢) محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري، من رجال النهضة الإسلامية

ودعاة التجديد، ولد ببلاد الهند سنة ١٢٤٨هـ وتعلم في دلهي وسافر إلى (بهوبال) وتوطنها وتزوج ملكتها، له نيف وستون مصنفاً، كما له مراسلات وعلاقات وطيدة مع علماء عصره وبالذات في نجد، وتلمذ عليه بعضهم ورحلوا له، توفي سنة ١٣٠٧هـ (صديق خان : التاج المكلل ص ٤٤٣ والبيطار : حلية البشر ج ٢ ص ٧٣٨ وعبدالرحمن بن عبداللطيف : مرجع سابق ص ٤٥١).

(٣) صديق حسن خان : اتحاف النبلاء المتين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين - ص ٤١٣ .

(٤) صديق خان : المصدر السابق ص ٤١٣ .

الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات ويتظاهرون بأفعال الكبائر والمحرمات وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرتنا لمن هذه حاله ورضاه به)) (١) وهذا المواقف المتعددة المتفاوتة في داخل الجزيرة وخارجها تعطينا الدليل على قوة الدعوة وأثرها، ومدى الجهد الذي بذله الدعاة لنشرها بالرغم من كثرة العقبات والعوائق التي وقفت في طريقهم. ومدى ما أحدثته الدعاية السيئة تجاه الدعوة، والعاقبة للمتقين .

ثانياً : في مسألة الاجتهاد والتقليد :

قبل الدخول في موقف الدعاة السلفيين من مسألة الاجتهاد والتقليد، واتخاذ معارضيتهم من هذه القضية سلاحاً لحربهم، وأثر ذلك على واقع الدعوة - عندئذ - فمن المفيد إيراد إلمامة يسيرة عن الإجتهد والظروف التي كانت محيطة به، وساعدت على بروز تلك الاختلافات؛ التي كثيراً ما كانت عاملاً من عوامل الترويج لأفكار المعارضة.

فالاجتهاد من الأمور التي تحل صاحبها الصدارة في الأمة؛ لمكانته العقلية والعلمية بعدما تتوفر له شروط الاجتهاد التي تؤهله للتصدي للاجتهد والإفتاء وفق اجتهاده. من هنا كانت مسألة الاجتهاد من فضائل الدين وخصائصه (حيث جعل الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين . ولما كانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولا بد من بيان نصوص الدين لكل فئة من الناس، وكل عصر ومصر ومصر للمساعدة في بيان مراد الله فيها، حسب المقتضى الشرعي؛ فاقترضت حكمة علام الغيوب ظهور قوم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوموا بأعباء الحوادث، إجراء لهذه الأمة مع علمائها مجرى بنى إسرائيل مع أنبيائهم) (٢).

ومع بُعد الناس عن عصر النبوة والتشريع، وانتشار الإسلام والمسلمين في الآفاق واختلاطهم بغيرهم من الأجناس، وتأثرهم بأهل البلاد المفتوحة، مما سبب بُعد العرب عن أصول لغتهم العربية الفصحى، وكذلك انتقال الولاية من أيدي العرب المسلمين وضعف

(١) عبدالله بن محمد : ضمن الهدية السنوية ص ٣٤.

(٢) زين الدين المناوي : فتح القدير ج ١ ص ١٠ (بتصرف)

السلطان العربي في الأمة، وما تبعه من تمزق الخلافة الإسلامية، لهذه الأسباب اختلف العلماء بعد ذلك في هل يجوز الاجتهاد مطلقاً بعد عصر الأئمة المشهورين الذين قَعَدُوا القواعد وأصلوا الأصول والذين في مقدمتهم الأئمة الأربعة أم لا؟! وهل يخلو الزمان من المجتهدين؟ وللجواب على هذا التساؤل نقول : الراجح أنه يوجد أفراد من المجتهدين على مر العصور وأنه لم يخل زمن من مجتهد أو مجتهدين حسب حال الأمة وتمسكها بالكتاب والسنة، وأما الاجتهاد في المذهب فهو كثير ومن توفرت له شروط الاجتهاد فله أن يجتهد ولا يسوغ له التقليد مع القدرة على الاجتهاد (١).

ونظراً لحاجة الأمة إلى الاجتهاد، حسب قواعده المقررة، لسعة هذا الدين وشموليته وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ ولواجهة القضايا والمسائل التي تتجدد مع التطور البشري وتجدد الأيام والرقى الحضاري في الحياة، والأمور التي لن تجد حلها الاكمل، والأمثل إلا في شريعة الإسلام، ومنهجها القويم، كان الاجتهاد ضرورة لا بد منها، مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وسلم) عن المغيرة : ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)) (٢) ، قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - في كتاب (المقامات) بعد ذكره ما جرى من حرب الأشراف بمكة لهذه الدعوة، ثم ذكر هذا الحديث : ((وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور - محمد بن عبدالوهاب - فيما تقدم موجودة في الشام والعراق ومصر وغيرها بوجود السنة وأهلها، وأهل الحديث في القرون المفضلة وبعدها؛ فلما اشتدت غربة الإسلام، وقل أهل السنة واشتد النكير عليهم، من الله بهذه الدعوة فقامت بها الحجة واستبان بها المحجة، فياسعادة من قبلها وأحبها ونصرها

(١) انظر، النعمي : معارج الألباب ص ٦٢ وعبدالعزيز السعيد : رسالة الاجتهاد ص ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) ج٣ ص ٢٦٣ ومسلم (كتاب الأمانة) ج٣ ص ١٥٢٣ وأحمد في المسند ج٣ ص ٤٤٦ والحاكم في المستدرک ج٤ ص ٤٥ وأبوداود (باب الجهاد) ج٢ ص ٣ ورواه غيرهم بعده روايات فالحديث صحيح مستفيض عن جماعة من الصحابة كما يقول الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص ١٣٤، ١٤٤ .

فضلا من الله ونعمة)) (١) ونتيجة لما عاشته الأمة الإسلامية في القرن الثاني عشر وما قبله من فترة انحطاط في العقيدة والأخلاق، وشيوع البدع والمنكرات، مما تبعه ركود ذهني وتمسك بما هو موروث عن الآباء والأجداد دون نظر وتمحيص، ظلت الأمور في العالم الإسلامي عدة قرون لاتكاد تتغير إلا في نطاق محدود ، وإن حصل تغيير فهو من سيء إلى أسوأ، وكان نتيجة ذلك إغلاق باب الاجتهاد، وإبطال الجهاد استجابة لسعى خصوم الأمة وأعدائها، بعد أن كان الفقهاء الكبار قد اجتهدوا فيما واجههم من الأمور فأنشأوا فقهاً متكاملًا يغطي احتياجات الأمة، فلم يحس أولئك الخلف أنهم بحاجة إلى اجتهادات جديدة، فأغلقوا باب الاجتهاد منذ القرن الخامس الهجري لعدم الحاجة إليه وانطقت عليهم الخدعة، ولم يدركوا نتائج هذا الأمر الخطير، ومرت عدة قرون دون أن يحس الناس بحاجة لمراجعة هذا القرار مكتفين بما بين أيديهم من ثروة هائلة. (٢) وهذا ما تألم منه بعض المحققين - آنذاك - وجدوا في التحذير منه، وبيان آثاره السيئة على الأمة (٣) قلت : وإن كان هذا رأياً لبعض الفقهاء المحققين سواء السابقين أو المعاصرين لكن لم يكن إجماعاً من الأمة ، لأن هذه الأمة لاتجتمع على ضلالة، وقد وجد فيها مجتهدون ومجددون كبار في سائر القرون وإلى أن يشاء الله .

ومهما يكن الأمر فإنه بسبرغور واقع الأمة نجد أنه مع بداية القرن الثاني عشر الهجري بدأت الحال تتغير مع التقدم الحضاري للبشرية، واختراع الآلة وتقدم الأبحاث العلمية والمكتشفات والمخترعات (٤) وترافق ذلك مع انبعاث الصحوة الإسلامية التي انطلقت من نجد في منتصف القرن الثاني عشر، وما أحدثته تلك الحركة الإصلاحية من تجديد في أمر الدين، وعودة بالأمة إلى دينها القويم وصراطه المستقيم. وهنا كان لا بد

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ٩ ص ٢٢١.

(٢) محمد الغزالي : واقعا المعاصر ص ١٥٨.

(٣) انظر حسين النعمي : معارج الالباب ص ١٠١ وصالح بن محمد الفلاني : إيقاظ هم أولى الأبصار ص ٢٨، ٨٢ .

(٤) سيد محمد موسى الأفغاني : الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه ص ٩٣.

من فتح باب الاجتهاد لمواجهة هذه المتغيرات وبيان حكم الله فيما تواجهه الأمة من القضايا ، إذ مهمة الفقه الدائمة مواجهة كل ما يهجم المسلم في حياته اليومية.

ولكن الدولة العثمانية التي كانت لها السيطرة على العالم الإسلامي، ومن سار في ركابها من العلماء رفضوا فتح باب الاجتهاد !! على أساس أنه لا يوجد لديهم من تحقق فيه شروط الاجتهاد، مما كان له نتائج خطيرة يطول نقاشها .!! (١)

وقد دفع هذا الأمر كثيراً من علماء الفترة إلى التشكي والتآلم من علماء زمانهم؛ لركونهم إلى التقليد والإعراض عن الاجتهاد، فحثوهم على الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة وترك التعصب المذهبي (٢). ونستدل على خطورة هذه المسألة والوضع السيء التي وصلت إليه حال بعض العلماء وتمسكهم بالتقليد الأعمى، بموقف أحد علماء القرن الثالث عشر حيث يزعم أن أحكام الدين لا يمكن أخذها من الكتاب والسنة، ولا إجتهد الصحابة وإجماعهم وأن الاجتهاد بدعه في الدين! (٣) وقريب منه ما ذهب إليه محسن العاملي (٤) وعلوي الحداد (٥) وأحمد زيني دحلان (٦) ونتيجة للأوضاع الدينية التي كانت تعيشها الأمة وركون كثير من العلماء للتقليد وموقف الدولة العثمانية الذي قد تكون أسبابه سياسية محضة، يهدف إلى القضاء على أي فكر قد يوقظ الأمة من سباتها الطويل ويفتح أعين الناس على واقعهم السيء، كان الظرف مهياً لإدخال قضية الاجتهاد في النزاع بين علماء الدعوة ومعارضيه في زمن مبكر من عمر الدعوة، فكان أن اتهم المعارضون الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عندما كان بالعيينة - أنه يدعي الاجتهاد ويرفض التقليد، وأنه يحرم كتب المذاهب. (٧)

-
- (١) انظر، محمد الغزالي - مرجع سابق ص ١٥٩ .
- (٢) صالح بن محمد الفلاني : إيقاظ همم أولى الأبصار ص ٨٤. وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٣٦٧ وصدیق حسن خان : التاج المكلل ص ٥١٨ .
- (٣) مختار المؤيد العظمي : جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام ص ٤٣ . ١٠ .
- (٤) كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب ص ٨٠ ، ٧ .
- (٥) مصباح الأنام وجلاء الظلام ص ٨٠ .
- (٦) خلاصة الكلام ص ٨٠ ، ٨٣ والدرر السنية ص ١٤٥ .
- (٧) سليمان بن عبد الوهاب : الصواعق الإلهية ص ٢٥ وسليمان بن سحيم : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ١٩ ص ٩٤ ..

وسارع كثير من العلماء إلى تفخيم هذه القضية وتوسيع دائرة الاختلاف فيها، فألفوا الكتب والرسائل التي تنتقد الدعوة وتكفرهم بسبب موقفهم من مسألة التقليد ودعوتهم للاجتهاد حسب القواعد الشرعية، من هؤلاء الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (١) ومحمد بن عبدالرحمن بن عفالق (٢) في الأحساء ، وهما من الجيل الأول من المعارضين . ودرج على هذا الموقف الناقد للدعوة بسبب الاجتهاد كثيراً من المعارضين الآخرين من أمثال داود بن جرجيس (٣) والحيدي (٤) في العراق (٥) وعلوي الحداد (٦) وأحمد زيني دحلان (٧) بمكة ومحسن العاملي بالشام (٨).

ومن ثم بقي الخلاف بين الطرفين حول المسألة تغذية المصالح ، وتحرك الأهواء وتروّج له الدعاية السيئة التي تهدف إلى تشويه صورة الدعوة بأي وسيلة، وبالأخص خارج نجد، وبالذات في القرن الثالث عشر عندما اتسعت دائرة الخلاف بين أتباع الدعوة وخصومهم، وشملت المعارضة بعض القوى الأخرى التي ما فتئت تسعى للتكيل بالدعوة

-
- (١) كتابه (سيف الجهاد لدعى الإجهاد)
 - (٢) رسالته المسماة (تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين)
 - (٣) رسالته المسماة (أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد) وقد طبعت بالهند سنة ١٣٠٥هـ
 - (٤) إبراهيم بن صبيغة الله بن محمد بن أسعد الحيدري البغدادي ولد سنة ١٢٣٦هـ على الأرجح طلب العلم على علماء بلده، له عدة مؤلفات توفي ببغداد سنة ١٢٩٩هـ (الحيدري : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ص ١٢ والبغدادي : إيضاح المكنون ج ١ ص ٩٣ وما بعدها والزركلي : الأعلام ج ١ ص ٤٤)
 - (٥) الحيدري : عنوان المجد ص ٢١٦
 - (٦) مصباح الأنام ص ٨٠
 - (٧) الدرر السنوية في الرد على الوهابية ص ١٤٤
 - (٨) كشف الارتياح ص ٧.

والقضاء على دعوتهم، مثل الأشراف والدولة العثمانية، فجعلوا من القضية سلاحاً من الأسلحة الكثيرة التي استخدموها للطعن في الدعوة وتجهيل أتباعها ، وتضليلهم والافتراء عليهم بمخالفة ما عليه إجماع الأمة ومن ذلك الاجتهاد الذي لم يصلوا إلى درجة - حسب رأي معارضيههم - والإعراض عن التقليد .

ووصل الحال بالنبهاني (١) إلى أن يصرح في رسالته التي سماها (السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة) بقوله : ((إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان - منهم أو من غيرهم مهما كان - هي دعوى كاذبة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها)) . (٢)

وقد شمر أتباع الدعوة عن مساعد الجد، وبذلوا الجهد لبيان حالهم، وإيضاح صحة منهجهم وإثبات أنه الموافق للكتاب والسنة، فهم يرون أن الله تعالى أوجب على عباده طاعته وطاعة رسوله المبلغ عن ربه تعالى ، ولم يوجب على عباده طاعة مخلوق بعينه في كل أمر ونهي عدا رسوله (صلى الله عليه وسلم)، مما يُوجب الامتثال التام لما ورد في القرآن والسنة لأنهما المصدران الأساسيان للتشريع، واللذان يجب التحاكم إليهما عند الاختلاف (٣) لقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)) (٤).

(١) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني ولد سنة ١٢٦٥هـ بقرية (اجزم) بحيفا وبها نشأ، سافر إلى مصر وتعلم بالأزهر، وذهب إلى الإستانة فعمل في تحرير جريدة (الجواذب) ثم رحل للشام تنقل في عدة مناصب قضائية ثم جاور في المدينة المنورة، له كتب جمع فيها الصالح والطالح، وحمل على أعلام الإسلام، توفي سنة ١٣٥٠هـ في مكان مولده (البيطار: حلية البشر ج٤ ص ٤٩٢. ٤٩٨. والكتاني: فهرس الفهارس ج٢ ص ٤٢٧

وأبوالمعالي الألويسي : غاية الأمانى ج٢ ص ١٣)

(٢) محمود الألويسي : غاية الأمانى ج١ ص ٥٨ .

(٣) محمد بن عبدالوهاب : الدرر السنية ج٢ ص ١٢ وحمد بن معمر: الرسائل والمسائل النجدية ج٢ ص ٢

وعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : الهدية السنية ص ٢٨ وعبدالله أبابطين : الرسائل والمسائل النجدية ج٢

ص ١٢ .

(٤) سورة النساء - الآية ٥٩

لهذا يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : ((وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه - ابن تيمية- إماماً حق من أهل السنة وكتبهم عندنا أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة فإن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم(١).

ثالثاً : تسمية الوهابية :

إن الباحث في الدعوة الإسلامية وواقعها في الجزيرة العربية خلال الفترة من منتصف القرن الثاني عشر إلى ما يقارب منتصف القرن الرابع عشر، وأمور العقيدة والسياسة في الجزيرة عموماً ونجد والحجاز وعلاقتها ببعضهما وواقع الدعوة في هذه الفترة، يجدها فترة كثيرة التعقيد، متشعبة المشكلات، متعددة النزاعات في وضعها الداخلي، وفي علاقاتها الخارجية ويجد من مميزات هذه الفترة كثرة ما كتب وألف عنها من رسائل وكتب متعددة (حيث لفتت انظار العالم للمنطقة دعوة التجديد وعملية الإصلاح التي قامت في نجد، والتي فجرت اليقظة العربية)٠(٢)

وفي رأبي أنه قلما وجدت دعوة أو فكرة مهما كانت، حصل لها من الصعوبات والعقبات والكذب والإفتراء والزور وكثرة الخصوم وتعددهم مثلما حصل لهذه الدعوة؛ بل إنها كثيراً ما ظلمت وتعدّي عليها لمجرد أنها دعوة صدق وحق . ولدت ونشأت بين أناس من الأعراب جرى الإيمان في عروقتهم، وأشربت العروبة نفوسهم، نشأوا على الصدق؛ ودرجوا على الإخلاص ، وكان هناك عدة أسباب تدفع تلك العداوة وتغذيها، أشرنا إلى بعضها. كما أشرنا إلى أهم الأباطيل التي الصقت بالدعوة ورجالها، ولكن من أخطر ما رميت به وأثر على خط سيرها، وابتلي به أتباعها إلى وقت ليس ببعيد تسميتهم بالوهابية . فما منشأ وبداية ونتائج هذه التسمية ؟

(١) عبدالله بن محمد : ضمن الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية ص ٢٨.

(٢) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٢٥٩.

منشأ وبداية إطلاق لفظ «الوهابية» على دعوة الإصلاح :-

لا تعطى المصادر تاريخاً محدداً لبداية إطلاق اسم (الوهابية) على دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب أو تسمية أتباعه (الوهابيون) وكثيراً ما يخلط بين الاسمين، فتطلق الوهابية على الدعوة، أو العكس بإطلاق (الوهابيون) على الدعاة وعلى الدعوة على حد سواء. وإذا كانت بعض المراجع تؤكد أن أول من أطلق هذه التسمية على أتباع دعوة الشيخ معارضوهم؛ (١) فهل يمكن التسليم بهذا؟ وهل معارضو الشيخ داخل نجد أول من استعملها؟ المصادر لم توضح ذلك، وإن كان بعض المستشرقين يميل إلى أن المخالفين أطلقوا عليه هذه التسمية في حياته. (٢) كما أن منير العجلاني يجزم أن معارضي الشيخ داخل نجد أول من استعملها تفريقاً لهم عن الحنابلة، الاسم الدارج في نجد - آنذاك - وللتفجير منهم (٣). وفي اعتقادي أن كلا الرأيين السابقين لا يمكن التسليم بهما.

فبالنسبة لاستعمالها في حياة الشيخ فيظهر أنه كان في نجد، لكن لم يكن للتجريح أو التعريض بالدعوة واتباعها، بل كان شعاراً للمدح، وتمجيدها للدعوة، فالشاعر الشعبي حميدان الشعويعر المتوفي في حدود سنة ١١٦٠هـ الذي كان في بداية أمره لم يتبين حقيقة الدعوة يقول في إحدى نصائحه: (٤)

تبغي النعيم بجانبها
وغيره بالك تقربها

كأنك للجنة مشتاق
أتبع ماقال الوهابي

(١) عبدالله العثيمين : محمد بن عبد الوهاب ص ١١٣.

(٢) Margoliouth, D.S, Wahhabiya Treaties P. 48

(٣) منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢٢٤.

(٤) عبدالله الحاتم : خيار ما يلتقط من شعر النبط ج ١ ص ١٤٥

فالشاعر هنا لا يريد التشهير كما أصبحت عليه الحال بعد وفاة الشيخ، ولا يوجد في كتب المعارضة في نجد وخارجها في حياة الشيخ ما يدل على لمز الدعوة وأتباعها بهذا اللقب، ويتتبع المصادر التي تحدثت عن الشيخ وأتباعه نجد هذه التسمية بدأت تشيع، ويشم منها رائحة العداوة بعد بداية القرن الثالث عشر، وبخاصة مع بداية المواجهة العسكرية مع الأشراف ثم مع القوات المصرية العثمانية، وهذا يدل أن التسمية بمعناها السيء وافدة وليست من المعارضة المحلية لسببين :

أحدهما: أن عبد الوهاب بن سليمان والد الشيخ - رحمه الله - كان على درجة علمية كبيرة، جعلت له مكانة عالية في نجد، وبالأخص لدى بني قومه، أهلته للقضاء والفتوى وإنكار البدع المخالفة للدين (١) والمعارضون يدعون أن والده معارض له، وأنه لم يظهر دعوته إلا بعد وفاة والده، وهذا يعارض أقوالهم، وقد يناقضها، فكيف ينسبوه إلى والده صاحب المكانة والمنزلة العالية في المنطقة، وفي ذلك رفعة له وليس احتقاراً وتنقيراً كما يهدفون ويقصدون؟ وأما المعارضون خارج نجد فهم أقل معرفة بقيمة والده ومنزلته فليس - في نظرهم - ما يمنع من هذه التسمية لقصد سيء .

ثانيهما : إن الوهاب من أسماء الله تعالى ولن ينسبوه إلى اسم الجلالة، بل معارضوهم في نجد كانوا كثيراً ما يسمونهم بالخوارج والملاحدة والقرامطة والمبتدعة بدعوى أنهم خرجوا عن سلطان المسلمين، وعن إجماعهم وابتدعوا في الدين ما ليس منه (٢) كدعوى التكفير والقتال والاجتهاد والتقليد، ومنع التوسل والتبرك بالقبور وغيرها مما وقع فيه الاختلاف، وهذا لا يؤيد الاعتقاد بأن تسميتهم بالوهابيين من قبل النجديين، ويؤكد أن التسمية وافدة من خارج نجد .

(١) عبد الوهاب بن سليمان : مجموعة المسائل والرسائل النجدية ج ٤ ص ٢٢ وهو ما تؤيده رواية ابن

بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٩٠

(٢) سليمان بن عبد الوهاب : الصواعق الإلهية ص ٤٢ وما بعدها، وسليمان بن سحيم: ضمن روضة

الأفكار ج ٢ ص ٨٩.

٢- نتائج التسمية :

وإذا كنا نميل إلى أن هذه التسمية بدأت تشيع، وتحولت إلى صفة للذم، وعلامة للقدح في الدعوة مع بداية الحملات العسكرية في أوائل القرن الثالث عشر من قبل الأشراف ومن ثم العثمانيين ومن سار في ركابهم، فقد وجدوا في هذه القضية بغيتهم بعد أن دأب هؤلاء وأولئك على نشر الدعايات الفاضحة والافتراءات الكاذبة والإيعاز إلى علمائهم بتأليف الكتب ضد الدعوة السلفية، فآلف مأجورهم كتباً شحذوها بالأكاذيب والترهات وحشوها بالأحاديث الموضوعية والضعيفة والحكايات السمجة ضد الدعوة، زاعمين أن هؤلاء مبتدعون وخارجون عن الإسلام، وهابيون ، أي أصحاب مذهب جديد في الدين (١) وكما درجت على نبرهم بهذا الوثائق التركية (٢).

وهكذا نتيجة لجهود الأعداء، وبالذات خارج نجد أصبحت تلك التسمية سلاحاً قوياً من أسلحة خصوم الدعوة، بعدما أحاطوها بكل شر ورذيلة، ونسجوا الخرافات والأقاويل عن (الوهابية) وأتباعها، وجعلوها رمزاً للوحشية والجمود والهمجية ومخالفة أمة الإسلام، والخروج عن إجماعها - كما ينعتهم الخصوم- (٣). واتّحدت القوى الخارجية المعادية، مثل الإنجليز والأتراك والمصريين على جعلها (شبحاً مخيفاً) ؛ بمحاولة إظهار طائفة الوهابية في صورة مذهب مستقل، وطائفة ضالة. (٤) وهكذا انتشرت فرية الوهابية انتشار النار في الهشيم ، حتى إذا ما بلغت أقصى الديار، تحولت إلى شبح مخيف، ووحش كاسر يرعب بمجرد اسمه وذكره لدى العامة. وأصبحت كل حركة أو دعوة إصلاح وتجديد في ديار الإسلام في القرنين الماضيين يرى فيها الأوربيون ومن دار

(١) محمد بشير السهسواني : صيانة الإنسان ، ص ٢٠٩ ٢٦٨ ٣١٦.

(٢) من أوائل ذلك الوثيقة رقم (٤) بدفتر (١) معيه تركي ص ٦ وتاريخها أواخر ذي الحجة سنة

١٢٢٢هـ فبراير ١٨٠٨م بدار الوثائق القومية بالقاهرة وهي من محمد علي إلى النولة العثمانية

يعتذر عن حرب الوهابيين في حينه.

(٣) مثل : إبراهيم السمنودي : سعادة الدارين ص ٣٤ .

(٤) مسعود النوي : محمد بن عبد الوهاب ص ١٦٥

في فلکهم خطراً على مصالحهم، تُربطُ حباً لها بالوهابية كالحركة السنوسية في ليبيا وحركات دعوات السلفية في الهند، وغيرها من حركات التجديد والإصلاح، بل ما دعا أحد إلى الله، أو أمر بمعروف ونهى عن منكر في أي قطر من الأقطار إلا سموه وهابياً!! (١)

ولاشك أن المرجع الأصلي لتلك الدعوات واحد، وهو (الكتاب والسنة)، وأن السلفية في نجد فجرت الصحوة الإسلامية في ديار الإسلام ، من ذلك الحين إلى يومنا هذا، ولكن مما يؤسف له أنه وإلى وقت قريب، فإن كثيراً من الشعوب العربية والإسلامية كانت تتصور الدعوة الوهابية - كما يسمونها- ملة أخرى غير إسلامية أو مذهب أو دين جديد، ولا يستطيع أحد أن ينسب ببنت شفة ليتحدث عنها ويذكرها بخير فضلاً عن أن يدعو لها !! (٢)

وإلى الآن ما زلنا نواجه ببعض الأسئلة عن المذهب الوهابي! وهل هو من الإسلام؟! وأخف الأسئلة: ماهي الوهابية في الإسلام؟! وبالذات من بعض المسلمين في مواسم الحج! مما يدل على مدى جهل كثير من المسلمين بحقيقة هذه الدعوة ، وأثر جهود دعاة الضلال، وعلماء السوء في تشويه صورتها ورميها بكل فرية ونعتها بكل نقيصة .

وننبه هنا إلى أن بعض العلماء التابعين لهذه الدعوة والمتعاطفين معها بدأوا منذ زمن لا يتحاشون استعمال كلمة الوهابية في كتاباتهم، إضافة إلى من كانوا يستعملون هذا التعبير من باب صدق النية أو لمجرد الدلالة على هذه الدعوة أمثال المؤرخ المصري الجبرتي، ولكن يظهر أن بعض المدافعين عن هذه الدعوة أحسوا أن هذه التسمية أصبحت حقيقية واقعة لا بد من الاستفادة منها لصالح الدعوة، وهذا ما يظهر من كتابات أتباع الدعوة وشعرائها مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري، كما هو جارٍ من الشيخ سليمان ابن سحمان، الذي أخذ يكثر من استعمال هذا المصطلح ، في كتاباته وردوده على كثير من الخصوم والمعاندين في أواخر القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، بل إنه يفاخر

(١) إسحاق بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) محمد أمان الجامي : طريق الدعوة إلى الإسلام ص ٢١١ .

بالوهابية في شعره (١) وجمع له رسالة سماها (الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية) وقبله الملا عمران بن رضوان يقول (٢) :

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي

ثم تتابعت الكتب المؤيدة للدعوة والتي تحمل عناوينها الوهابية أمثال مؤلفات عبدالله القصيمي ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ، وممن درج على استعمال هذا اللفظ في كتاباته طه حسين (ت ١٣٩٣هـ) ، وأحمد أمين (ت ١٣٧٣هـ) ، وأحمد عبدالغفور عطار (ت ١٤١١هـ) ومحمد حامد فقي (ت ١٣٧٨هـ) ومحمد البهي ومحمد خليل الهراس وعبدالكريم الخطيب وغيرهم .

ولابد أن هذا الاتجاه من قبل أتباع الدعوة والباحثين فيها كان نتيجة لأن كثيراً من الناس في مشارق الأرض ومغاربها أصبحوا على علم بحقيقة الدعوة الوهابية، وأن ما يدعو إليه السلفيون بات واضحاً بدرجة كبيرة، وأن ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ في الزمن الفائت أصبح أضعف من ذي قبل في أذهان الناس كثيراً، كما أن لتغير الأوضاع السياسية في المنطقة وغياب شمس الدولة العثمانية العدو التقليدي للدعوة أثره في ذلك، وكذلك وجود القوة السياسية للدعوة وهي الدولة السعودية التي احتضنت الدعوة من أول أيامها تدافع عن الدعوة وتنافح عنها .

وفي بحثنا عن العوائق والعقبات المؤثرة في الدعوة - آنذاك - نشير إلى أنه إضافة إلى تسمية الدعوة السلفية وأتباعها بالوهابية، وشيوع هذه التسمية في القرن الثالث عشر الهجري مع بداية الغزو المصري العثماني للجزيرة فقد رُمي مؤيدوها قبل ذلك بما هو أشد وأقبح مثل : المبتدعة والملاحدة والخوارج والكفرة والقرامطة (٣) .

(١) سليمان بن سحمان : ديوانه ص ٩٠

(٢) الملا عمران بن رضوان : ضمن الهدية السنوية ص ١١٥ .

(٣) كما يسميهم سيد أمير علي : روح الإسلام ص ٣٣٦

ومما درجت على رميهم به الوثائق والمؤلفات التركبية (١) ومن سار في ركابها من العلماء والمعارضين .

ولكن المؤرخ التركي أيوب صبري(٢) يكثر جداً من التعبير عنهم بالسلفيين ولم يستعمل لفظ الوهابية (٣) ، وقد قام أتباع الدعوة السلفية ومؤيدوهم بتفنيد المزاعم وردّها بكل قوة واقتدار وحيز البحث لأيمكنا من إيراد موقف الطرفين .

وفي نهاية البحث عن المعوقات والعوائق التي واجهتها الدعوة، نشير إلى أن من العوائق كذلك التي كان لها أثرها السيء أسلوب بعض رجال الدعوة، الذين كثيراً ما أساءوا إليها بتصرفاتهم والتي تكون نتيجة جهل ببعض مبادئ الدعوة أو أخطاء غير مقصودة ونتيجة الحماس والاندفاع من بعض الدعاة والقواد (٤) وبخاصة من استجاب للدعوة من مكان

-
- (١) مثل الوثيقة رقم ٦٤ محفظة (٤) بحرياً وتاريخها ٢٥ شعبان ١٢٣١هـ / ٢١ يونيو ١٨١٧م وموضوعها :الإشعار بالإعداد لحملة إبراهيم باشا، والوثيقة رقم ١٢٢ محفظة (٤) بحرياً وتاريخها ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ / ١١ يوليو ١٨١٧م وموضوعها : تحرك إبراهيم باشا في القصيم والوثيقة (١١) محفظة (٤) بحرياً وتاريخها ٢٣ محرم ١٢٣٤هـ وموضوعها : حول حرب الدرعية والوثيقة رقم (٢٣) محفظة (٦) بحرياً وتاريخها ٢٧ صفر ١٢٣٤هـ / ٢٦ ديسمبر ١٨١٨م. إلى الجانب العالي وموضوعها : التهنئة بانتصارات إبراهيم باشا والوثيقة رقم (٢٤) محفظة (٦) بحرياً وتاريخها ٢٣ صفر ١٢٣٤هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨١٨م إلى الجانب العالي وموضوعها : التهنئة بانتصارات إبراهيم باشا وهذه الوثائق بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- (٢) أيوب صبري باشا ولد (بتساليا) بتركيا ، التحق بالبحرية ثم مكث مدة بمكة والمدينة ثم عاد إلى استنبول وتولى التدريس، له عدة مؤلفات يتحرى الدقة في كتاباته وإن كان يتحامل على الوهابية أحياناً ، توفي سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م (البغدادي : هدية العارفين ج ١ ص ٢٣٩ وإيضاح المكنون ج ١ ص ٢١٨ ومقدمة كتابه: مرآة جزيرة العرب ج ١ ص ٣٠)
- (٣) أيوب صبري : مرآة الجزيرة العربية ج ١ ص ١٤١.
- (٤) حمد الجاسر : ملاحظات وتعليقات مجلة العرب السنة الرابعة الجزء التاسع والعاشر سنة ١٣٩٠هـ ص ٧٦٤، ٩٣٧.

بعيد، كما يذكر (محمد بن أحمد الحفظي) (١) وهو ممن سارع إلى الاستجابة للدعوة في بلاد عسير، لكنه مستاء من تصرف بعض أولئك الأتباع المخالف لمبادئ الدعوة السلفية في الحقيقة (٢) والشيخ عبدالرحمن بن حسن ينتقد بعض المواقف من قادة الدعوة. (٣)

وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان يلقي باللوم على بعض الأمراء في معاداة الدولة التركية مما أوقد نار الحروب الدامية بين الطرفين. (٤)

وقد يكون من أسباب الإساءة للدعوة عدم وجود رجال متنورين مثقفين يساعدون في الوصول إلى هدفهم (وهم وللأسف مع قلتهم - كما يقول السائح الأسباني "أرمانو" الذي طاف نجداً سنة ١٩٢١م - تنقصهم أيضاً الدعاية لأجل إظهارهم على حقيقتهم البريئة الشريفة) (٥) وقد نبرر هذا بأن التركيز كان على العقيدة لشدة الحاجة إلى تصحيحها ومتى ما صلحت صلح ما سواها، وإنهم في تلك الفترة لم يعتنوا بالأمور الأخرى التي تعتبر من الأمور الفرعية .

-
- (١) محمد بن أحمد الحفظي بن عبدالقادر البكري الجعثمي العدناني، ولد سنة ١١٧٨هـ في (رجال ألمع) حيث استقرت أسرته التي اشتهرت بالعلم والدفاع عن العقيدة السلفية، رحل في طلب العلم كان أشهر علماء منطقته حماساً للدعوة السلفية وتأييدها توفي سنة ١٢٣٧هـ (محمد بن إبراهيم الحفظي: نفحات من عسير ص ١٧، ٢٣، ٤٤).
- (٢) محمد الحفظي : اللجام الكمين ص ٤٨ .
- (٣) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنوية ج ٩ ص ٢٢٦ .
- (٤) ابن سحمان : تيرئة الشيخين ص ٦٣ .
- (٥) محمد جميل غازي : محمد بن عبدالوهاب ، مجدد القرن الثاني عشر ص ٤٥

الباب الثالث من خصائص المنهج

الفصل الأول : الأصالة والتجديد :

إن الناظر في منهج الدعوة الإسلامية وطريقة الدعاة في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري، يجده لا يخرج عن منهج الدعوة الإسلامية الأصلي، فليست بدعاً في الإسلام، أو خروجاً عنه كما موّه المعاندون، وحاول اتهامها الطاعنون، فميزة هذه الدعوة أنها لا تتمثل في شيء جديد في مبادئها وأصولها، لأنها لم تأت بجديد ولا جديد في الإسلام، فهي أحكام ووحى نزل من عند الله تعالى على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فبلغ رسالة ربه، وأدى أمانته، فأكمل الله للمسلمين دينهم ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)). (١) وانقطع الوحي بوفاة عليه أكمل الصلاة والتسليم ولم يبق أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره والاستمسك بالمحجة البيضاء التي ترك الأمة عليها، وأخبر بأن من سار عليها لن يهلك ولن يضل كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهما مصدر الدين وأصله، وقد حفظهما المولى للأمة (٢).

فالدين الإسلامي هو الدين الحق الذي ارتضاه المولى تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" بلغه رسولنا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين فهو دين كامل، ودعوته عامة شاملة، تفضل به المولى على عباده رحمة للعالمين، وهذه نقطة الفصل بين الدعوة الإسلامية، الدعوة الربانية التي تتصف بالكمال والشمول والثبات والواقعية والاستمرارية، وبين الدعوات الأخرى المتصفة بالاضطراب وعدم الاستقرار والقصور والزوال وغير ذلك من صفات النقص، مصداقاً لقول الحق

(١) سورة المائدة - الآية ٣

(٢) عبدالله بن عبدالمحسن التركي : مؤلفات الشيخ الإمام (تقديم ملحق المصنفات) ص ١

تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)) (١)، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-!:((الكلمة الطيبة التوحيد وهي كالشجرة والأعمال ثمارها في كل وقت وعكسها الكلمة الخبيثة وهي الشرك)) (٢) وقد عبر طه حسين عند حديثه عن هذه الدعوة، وأثارها على الأمة العربية والإسلامية مما لفت إليها أنظار العالم الحديث في الشرق والغرب، واضطرته ان يهتم بأمرها وأحدثت أثراً خطيراً؛ لم يكن تأثيرها في الجزيرة العربية وحدها، بل في علاقاتها بالأمة الأوربية، حيث قال : (قلت : إن هذا المذهب جديد وقديم معاً، والواقع انه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الوثنية، وهو الدعوة للإسلام كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خالصاً لله وحده، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس، وهو إحياء للإسلام وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب، فقد انكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة، وكانوا يعظمون القبور، ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله، ويعظمون الأشجار والأحجار، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة الجاهلية، فعاشوا من الغزو والحرب، ونسوا الزكاة والصلاة، وأصبح الدين اسماً لا معنى له ، فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يجعل من هؤلاء العرب الجفاة المشركين (٣) قوماً مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً (٤) .

(١) سورة إبراهيم - آية ٢٤-٢٦ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب : ضمن الدرر السنية ، ج ١٠ ص ١٢٥

(٣) القول بنسيان الصلاة والزكاة فيه مبالغة خاصة في حاضرة نجد، وكذا الحال وصفهم كلهم بالمشركين .

(٤) طه حسين الحركة الأدبية في الجزيرة العربية ص ٢٢ وألوان ص ٤٤ (بتصرف) .

وعلى هذا فنحن عندما نشير إلى وجود بعض الميزات والخصائص التي امتاز بها منهج الدعوة السلفية في تلك الفترة، وكانت من عوامل التأثير وأسبابه، فليس القصد أنها دعوة جديدة أو أن لها منهجاً مغايراً لدعوة الإسلام التي سار عليها قدوة الأمة (صلى الله عليه وسلم) وسلفها الصالح في القرون المفضلة، كلا! بل لنبين أن ما وصلت إليه الأمة من تدهور وانحطاط في العقيدة والأخلاق وجوانب الحياة الأخرى - آنذاك - كان من نتائجه إهمال بعض الحقائق المتعلقة بدين الإسلام، وعقيدة الإيمان. (١) ومن ذلك عدم وجود سلطة دينية إسلامية تقيم شعائر الله، وتنفذ حدوده وأحكامه وكذلك عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق مراد الله تعالى؛ مما ترتب عليه انحدار الأمة إلى ذلك الدرك الخطر، والهاوية السحيقة ونتج عنه كثير من المساويء التي منها: اختلال العقيدة وتلويثها بالبدع والخرافات، وإغلاق باب الاجتهاد والتزام التقليد الأعمى، وإماتة روح الجهاد في الأمة، والإعراض عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحرصت دعوة التجديد في هذه الجزيرة على بعثه من جديد، وإحياء ما اندرس من تعاليمه السامية، وتوجيهاته السديدة، وسننه العامه، ونتيجة لتلك الأهداف الجليلة والأغراض النبيلة تحقق لمنهجهم في الدعوة ما لم يتحقق لكثير من الدعاة والمصلحين، بعد القرون المفضلة كما

(١) لا يفهم من العبارة التفريق بين دين الإسلام وعقيدة الإيمان فهذا غير وارد.

قال الإمام مالك -رحمه الله-: ((إنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)) (١) علاوة على أن هذه الدعوة كانت تلتزم بالبساطة والوضوح خالية من التعقيد والفلسفات (٢)، حجر الزاوية فيها التوحيد، وشعارها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مما يتناسب مع بساطة مجتمع الجزيرة، هذا إضافة إلى بعض الظروف المحلية الخاصة بإقليم نجد، التي قد تدخل في مفهوم الأصالة بالنسبة لابن الجزيرة العربية؛ من ذلك كونها وجدت في منطقة صحراوية في مجتمع تغلب عليه البداوة والبساطة خلوا -تقريباً- من القوة السياسية أو النزعات المذهبية والطوائف الأخرى، وهذه الحال شبيهة بحال الحجاز عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، بخلاف الأحياء أو الحجاز مثلاً؛ في مجتمع يغلب عليه الجهل، وصفاء الذهن وخلوه من الفلسفات والأهواء المادية.

يقول عباس محمود العقاد (ت ١٣٨٢هـ) عن هذه الدعوة : ((وسبق هذه الدعوة في تاريخها يرجع إلى بساطة المجتمع الذي ظهرت فيه، وإلى ابتعاده داخل شبه الجزيرة عن عوائق الحياة العصرية بين الأمم الإسلامية الأخرى التي تختلط فيها عوامل السياسية والاجتماع)) (٣) وفي أناس يحافظون على المبدأ (وفي أعراب يصعب قياد بعضهم لبعض إلا بالدين، فإذا كان فيهم من يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، وهؤلاء القوم أسرع الناس قبولاً للحق والهدى، لسلامة طباعهم، ويقائهم على الفطرة الأولى) هكذا يقول ابن خلدون(٤) ويقول عنهم الرحالة الأسباني (دومنغو باديا) علي بك الذي قدم إلى مكة المكرمة سنة (١٢٢١هـ الموافق ١٨٠٧م) بدعوى أنه حاج مغربي، وصادف دخول السلفيين لمكة المكرمة، فمما يقول معدداً خصالهم: ((فهم لايسرقون قط لا عن طريق القوة ولاعن طريق الحيلة، إلا إذا اعتقدوا أن المتاع يخص عدواً أو كافراً، وهم يؤدون أثمان مايشسترونه، ويطيعون قادتهم طاعة عمياء، ويتحملون

(١) عبارة الإمام مالك - رحمه الله- ذكرها الشيخ السهسواني في كتابه (صيانة الإنسان) ص ٧٩

نقلا عن كتاب المبسوط لمؤلفه محمد بن أحمد السرخسي.

(٢) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله ص ٧٩.

(٣) العقاد : المرجع السابق ، ص ٧٩.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥١.

صامتين كل أنواع المشاق، وهم على استعداد لأن يتبعوا قادتهم إلى أقصى أنحاء المعمورة، إن الحقيقة تفرض على أن أعترف أنني وجدت جميع الوهابيين الذين تحدثت إليهم على جانب من التعقل والاعتدال)) (١).

وإذا كان منهج الدعوة في الجزيرة في هذه الفترة بآثره المعروف وتأثيره الهادف قد أعطى نتائجها الخيرة فقد يكون من المفيد إيضاح بعض الجوانب عن تلك المميزات والخصائص والآثار الناتجة عن ذلك؛ حيث الغرض من هذه الرسالة إعطاء الأوصاف والحقائق الممكنة عن ذلك المنهج الذي يصلح منهاجاً وطريقاً لدعاة الإسلام اليوم، وقبل هذا فإنه من المناسب أن نشير باختصار إلى مفهومي الأصالة والتجديد حيث أن منهج الدعوة أخذ بهذين المبدئين العظيمين في صورة نادرة فريدة.

أولاً : مفهوم الأصالة :

الأصالة مشتقة من الأصل، قال في القاموس : الأصل أساس الشيء وأسفله وصار ذا أصل أي ثبت ورسخ (٢) فالعنى اللغوي لمفهوم الأصل والأصالة يعطينا دالتين مهمتين هنا، هما: الأولى: وجود أساس قوي وقاعدة متينة لهذا الأصل، والثانية: الثبات والاستقرار فيه للمحافظة عليه، وبقائه مع سهولة الحركة في الفرع فوق الأصل، وهاتان ميزتان من مميزات دين الإسلام لعمومه وشموله، وثباته أمام عبث العابثين وكيد الكائدين، مع عموم منهجه واستقراره وتجده، كما سبق الاستدلال على ذلك بالآية السابقة في هذا البحث (٣). فالأصالة باختصار العودة والرجوع إلى ذلك الأصل، الذي له تلك الميزات والخصائص . ومن هنا فإننا نقول إنه منذ قامت الدعوة السلفية في نجد بدأ المسلمون يدخلون عهداً جديداً من الأصالة التي أطلق عليها آنذاك (العودة إلى منهج السلف) (٤) وهو مذهب أهل السنة والجماعة الذي أصله وقاعدته الكتاب والسنة والإجماع وهو طريق السلف

(١) دومنغو باديا : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٠٢ ، تأليف جاكلين بيرين ، ترجمة قدرى قلججي .

(٢) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢٨

(٣) الآيات ٢٤ - ٢٦ من سورة إبراهيم .

(٤) أنور الجندي : القرن الخامس عشر الهجري وتحديات الدعوة ، ص ٢٠٨

الأسلم والأعلم والأحكم، خلافاً لمن قال : طريقة الخلف أعلم (١). فهذا النهج هو الطريق المستقيم والمفهوم القويم، الذي يستمد تعاليمه ومفاهيمه من جوهر التوحيد الخالص، وهو نفس النهج الذي حدده الإمام الشافعي حين وضع أصول الفقه، والإمام أحمد بن حنبل حين دعا إلى الاستمساك بمفهوم السنة الصحيح، وحين رفض الفلسفات اليونانية والهندية التي حاولت أن تنفذ إلى منهج الإسلام، حين قال ((اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به)) (٢) ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وابن القيم، فصاغوا هذه المفاهيم الحقّة فحرروا الإسلام من المذاهب والنحل والفرق التي حاولت النفاذ إليه، ونقله من أسلوبه القرآني الأصلي إلى أساليب المتكلمين والفلاسفة، فظل هذا المنهج لم يتوقف يحمله المجتهدون والمجاهدون جيلاً بعد جيل وخلفاً بعد سلف، فلم يخل زمن من هؤلاء الدعاة الأبرار، فظل جهودهم يقوى ويضعف حسب الظروف والأحوال حتى جاء الشيخ المجاهد الإمام محمد بن عبد الوهاب في نجد؛ بعزيمة قوية وإرادة صلبة، ووفقه المولى إلى الأسباب التي ساعدت في إنجاح قصده وإظهار دعوته، فسي منهج فريد أصيل، حقق لأمة الإسلام الخير والسعادة والتوحيد والوحدة، بعد أن استقر المنهج الإسلامي في مكانه الصحيح، وظهر في صورته الأصلية ديناً ودولة عقيدة وشريعة روحاً وعقلاً، دنياً وأخرى. (٣) وقد امتلأت كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بما يدل على أصالة منهج دعوته وكذلك كتب من بعده من علماء الدعوة في القرن الثالث عشر الهجري.

فالشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب يذكر في رسالته إلى الشيخ عبدالله الصنعاني (٤) بعد مكاتبة بينهما، وضحت للصنعاني صحة ما يدعوا إليه السلفيون وأجابهم بالموافقة، فقال الشيخ عبدالله بن محمد :

-
- (١) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : الهدية السنوية، ص ٢٨.
(٢) مقدمة مسند الامام احمد، تحقيق الاستاذ احمد شاکر ص ٩٤
(٣) أنور الجندي : المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٤) عبدالله بن عيسى الصنعاني الكوكباني اليماني، متكلم، كان حياً إلى سنة ١٢١٨هـ من آثاره (السيف الهندي في إبانة طريقة الشيخ النجدي) أي محمد بن عبد الوهاب ألفه ١٢١٨هـ حمل في رسالته تلك على الدعوة الإصلاحية (صديق خان: أجد العلوم ص ١٩٦ والبغدادي : هدية العارفين ج ١ ص ٤٨٨)

((إنه لا يقدم رأي على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)) (١) كما يذكر الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد - رحمه الله - أن كتب العلماء تقرأ ليستعان بها على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل، فتكون من نوع كتب الآلة ، أما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله الحاكمة بين الناس، الملزمين بالأخذ بهما فلا ريب أن هذا الاعتقاد مناف للإيمان. (٢)

ويذكر الجبرتي في تاريخه بخصوص كتاب المسألة والمعاهدة بين السلفيين النجديين والشريف غالب بمكة، ومما فيه : (الاتفاق على اتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث). (٣)

وعلى كل الأحوال فإن أفعالهم وأقوالهم دالة على التزامهم منهج الأصالة المتمثل في اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الفعلية والقولية وأقوال السلف الصالح وأفعالهم، مما أعطى لمنهجهم في الدعوة الميزة الفريدة، والانتصارات الرائدة، والقبول والصمود والشمول.

وأهم ميزات هذا المنهج المتصلة بالأصالة، الاهتمام بالعقيدة والتركيز عليها، وكانت مسألة العقيدة أول قضية وأهم مسألة تناولها الدعاة وأثارت الاختلاف بين هم وبين خصومهم، فقد أنكروا كل اعتقاد أو عمل مما لا يتفق مع مبادئ العقيدة في نظرهم، ووصفوه بأنه شرك مناف للتوحيد أو مناف لكماله.

ثانياً : مفهوم التجديد :

قد يظن بعض الناس أن مصطلح (تجديد الدين) من المصطلحات الحديثة أو التعبيرات الوافدة، كمصطلح (الاستشراق، والاستعمار، والغزو الفكري) وما شاكلها ولا يعلم ما رواه أبوهريرة رضى الله عنه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) (٤).

(١) عبد الله بن محمد : ضمن مجموعة الرسائل، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد : تيسير العزيز الحميد، ص ٥٤٨

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١١٦

(٤) رواه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم)، ج ٤ ص ١٠٩، ورواه الحاكم في المستدرک، ج ٤،

ص ٥٢٤، والبيهقي في معرفة السنن، ص ٥٢ وصححه البيهقي والألباني وغيرهم سلسلة

الأحاديث الصحيحة للألباني، ج ٢ ص ١٥١.

فهذا المصطلح من المصطلحات الإسلامية التي وجدت مع وجود الدين الإسلامي ولا يخفى أن المصطلحات الإسلامية عموماً هي عبارة عن كلمات عربية الأصل، استعملت في التشريع الإسلامي، وقد وردت أصلاً في القرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو عند العلماء بعد إعطائها معنى خاصاً قوي الصلة بمعناها الأصلي لعله ما (١).

وبالنسبة للتعريف الاصطلاحي الشرعي لمعنى تجديد الدين، فللعلماء فيه عدة أقوال (٢) يضيق المجال عن ذكرها بالتفصيل، لكنها في جملتها لاتخرج عن أن التجديد هو ((بيان ما اندرس من معالم السنن، ونشرها وحمل الناس على العمل بها، وقمع البدع وأهلها، والعودة بالمسلمين إلى ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين على يد خليفة من الخلفاء الراشدين، أو على يد عدد من المصلحين كل واحد منهم في ناحيته، أو على يد جماعة مصلحة تقوم الاعوجاج الذي حصل، وتنفض الغبار الذي ألم بواقع المسلمين من انحراف عن منهج الله القويم، ويكون ذلك كل مائة سنة - كما في لفظ الحديث- من الزمان ، لأنها مدة طويلة يعود الناس فيها إلى الاعوجاج وتظهر في تلك المدة الانحرافات عن دين الله سبحانه)) (٣) وبالمقارنة بين ما اعتبره العلماء تعريفاً لمفهوم التجديد في الدين، وبين حال الدعوة، نجد أن الدعوة السلفية التي عمت معظم جزيرة العرب مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري وما بعده لاتخرج عن كونها تجديداً لدين الإسلام بعد أن أحييت تلك الدعوة - بتوفيق الله - ما مات في سنن الدين ومعالمه وأظهرت ما اندرس من الرسالة المحمدية (٤)

-
- (١) ابن الأثير : النهاية، ج ١ ص ٥٠، الراغب : المفردات، ص ٢١٣، ابن فارس: مقاييس اللغة ج ١، ص ٤٨٦، وابن المنصور : لسان العرب ج ٤ ص ٢٦٤.
- (٢) للتوسع في ذلك أنظر (المناوي : فيض القدير، ج ٢ ص ٢٨١، ومحمد شمس الحق العظيم أبادي: عون المعبود ، ج ١١، ص ٢٩١.
- (٣) محمود الطحان : مفهوم التجديد بين السنة وأدعياء التجديد المعاصرين، ص ٣.
- (٤) سليمان بن سحمان : الضياء الشارق ، ص ٨٢.

كان ذلك خلال فترة زمنية عصيبة، ورحلة شاقة، وحياة نكدة، محاطة بالمخاطر، محفوفة بالمكاره، ولكن هذه سنة الله تعالى، فكانوا بقدر ما يصيبهم من الأذى والامتحان من أعدائهم فقد كان دافعاً لهم للتضحية والبذل وكانت الخصومة الرهيبة، والعداوة الظاهرة سبباً لزيادة إيمانهم وقوة إقدامهم وتمسكهم بالمبدأ بعد أن خالط قلوبهم ومازج أرواحهم، واستولى على أفئدتهم قول الحق تعالى: ((ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) (١) وإذا كان مجال البحث لا يُمكن من إيراد الأصل اللغوي لمعنى التجديد فإن مفهوم التجديد في الدين يبعث في الذهن أموراً متصلة ببعضها قد لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويستلزم منها المعنى الآخر وهي ذات أهمية في بحثنا ، ذكر منها صاحب كتاب (مفهوم تجديد الدين) ثلاث معان مهمة هي :-

أولاً : أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس عهد به، وهذا يناسب الربط بين الأصالة والتجديد في هذا المبحث.

ثانياً : أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً خَلِقاً في نظر الناس وفي نفوسهم بإعراضهم عنه.

ثالثاً : أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل حاله التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق، ويكون معنى جدد الشيء صيره غير بال ولا خَلِقٍ، ويجدد بأن يعاد إلى مثل حاله الأولى (٢).

وإضافة لما سبق فهناك معنيان أو دالتان أخريان، ترتبطان بمفهوم التجديد سوى ما سبق من المعاني التي يبعثها معنى التجديد للدين في الذهن وهما:

أولاً : أن من مستلزمات التجديد وتبعاته - غالباً- الجهد والمشقة المرافقة له، والتي يبذلها المجدد أو المجددون، لأن من معاني الفعل (جدد) جد أي اهتم به وأسرع فيه، يقال جدّ جدّ بالضم والكسر، وجدّ به الأمر وأجدّ فيه إذا اجتهد (٣).

(١) سورة العنكبوت ، آية ١-٣

(٢) بسطامي محمد سعيد : مفهوم تجديد الدين ، ص ١٤

(٣) ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثر ، ج ١ ، ص ٢٤٤.

ولولا تلك الميزة للمجتهد، والبذل والتضحية والصعوبة التي يواجهها المجدد والابتلاء الذي يصيبه، لما كان المجددون قلة، بعد فترة طويلة، كما صرح بذلك حديث التجديد -السالف- ولقلنا ما أكثر المجددين ! كما أن معاني (جدد واجتهد وجاهد) ألفاظ متجانسة تعطي معانٍ متقاربة وتوحي بتلك المعاني.

ثانياً: أن التجديد في الدين لابد له من مؤثر فيه، وهو من يقوم بالتجديد - وهذا مرتبط بما قبله - فالشيء المجدد لا يجدد نفسه، بل لابد ممن يقوم بالتجديد إذ لا يتصور وجود التجديد بدون آله وهو من يقوم بالتجديد فهناك قوة خارجية عن ذات المتجدد، وحتى عن التجديد ذاته، وهو ما أوضحه الحديث الشريف، وهو أصدق ما يكون لمعنى التجديد في الدين، مما يوضح لنا أهمية عملية التجديد ومسئوليات التجديد للدين وتبعاته.

ونزيد الأمر إيضاحاً فنقول : إن للدين بهذا الخصوص معنيين:

(١) ما أنزله الله تعالى على رسوله (اليوم أكملت لكم دينكم).

(٢) ما يدين به الناس فعلاً (ليعبدوا الله مخلصين له الدين).

فالذي يصيبه البلى ويحتاج إلى تجديد هو الدين بالمعنى الثاني، وتجديده هو جعله موافقاً للدين بالمعنى الأول وهو الدين المحفوظ الكامل الذي لا يخلق ولا يبلى ولا يجدد.

ولا شك في أن المسلمين عموماً قد فهموا تلك المعاني والمميزات من روح الإسلام وأدلتها، وقام المجددون بذلك الأمر خير قيام لأن دين الإسلام وإن كان ديناً ربانياً من الله تالي فهو لا يتجدد . وينتشر بنفسه دون قوة المسلمين التي تقف وراءه تدافع عنه وتبينه للناس، وهذا ما يقوم به المجدد، وهذه المعاني قد تكون مما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شعائر الدين وبيان أحكامه للناس حسب الأدلة الشرعية، بعد ما اقتضته حكمته تعالى من جعل هذا المنهج الإلهي يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة. (١)

(١) انظر تفاصيل ذلك لدى سيد قطب : كتاب هذا الدين، ص ٥ وما بعدها.

قال تعالى ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)) (١) وقال الحق تعالى: ((ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) (٢) وقال عز اسمه : ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم)) (٣)

والمجال هنا يضيق عن التوسع في البحث في التجديد وتعريفه ومفهومه الصحيح والخاطيء وانحرافات بعض مدعي التجديد وتعداد المجددين وغير ذلك، وقد أُلّف في هذا الباب كتباً لا بأس بها يمكن الرجوع إليها لراغب الاستزادة (٤).

ثالثاً: السلفيون والتجديد :

من حين قامت دعوة الإصلاح، وعملية التجديد في نجد وعلماؤها يحرصون على التأكيد على مبدأ التجديد للدين الذي التزموه، في ضوء الأصالة سواء على يد الشيخ المجدد محمد ابن عبد الوهاب أو من جاء بعده من علماء الدعوة.

وبالنسبة لدعوة التجديد في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري فإنه مع بداية القرن وماتلا ذلك من فتنة الأتراك العثمانيين والمصريين والقضاء على دولة الدعوة بنجد سنة ١٢٣٢هـ أصبحت الجزيرة في أسوأ حالات الفوضى والفتن واختلال العقيدة، فكانوا بسبب ذلك في أشد الحاجة إلى مجدد نشيط يعيد للدعوة قوتها كما كانت من قريب، فقدم من مصر المجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن - حفيد محمد بن عبد الوهاب - سنة ١٢٤١هـ فقام بحركة إصلاح واسعة النطاق؛ بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والرجوع إلى الحق لأن فترة الفوضى وعهد الاضطراب الذي خلفه محمد علي وقواده وجنوده صرف الناس عن أعمال البر وسلوك طريق الخير والتمسك بالمبادئ الإسلامية السامية، إلى الاشتغال بالأحقاد الدفينة والانصراف إلى ما يفرق جمعهم، ويشتت

(١) سورة العنكبوت : ٦٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥١

(٣) سورة الرعد : ١١

(٤) مثل : ابن عساكر: تبين كذب المفتري. والمنائي، : فيض القدير، وأمين الخولي : المجددون في الإسلام، وعبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام، وبسطامي سعيد: مفهوم تجديد الدين، ومحمود الطحان: مفهوم التجديد، وغيرهم.

شملمهم، ويبعدهم عن السمو الروحي، وتهذيب النفوس والمثل العليا. (١).

قال المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في أحداث سنة ١٢٤١هـ: ((وفيها أقبل من مصر العالم النحرير، البحر الزاخر الغزير، مفيد الطالبين، المحفوف بعناية رب العالمين، جامع أنواع العلوم الشرعية، ومحقق العلوم الدينية والأحاديث النبوية والآثار السلفية، وارث العلم كابراً عن كابر، الذي صارت الأصاغر بإفادته شيوخاً أكابر، قاضي قضاة الإسلام والمسلمين، مفتي فرق الأنام الموحدين ناصر سنة سيد المرسلين، الموفق للصواب في الجواب، الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ... فاغتنب بطلعته خاص المسلمين والعالم فعظموه وقاموا بما يستحقه من الإِعظام وبذل نفسه للطالبين ، وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين)) (٢) ومن حين وصوله نجداً بأشر عملية الإصلاح والتجديد؛ فأخذ في التدريس والتأليف والنصح وبادر بتوجيه كتاب عام إلى الأمة يذكرهم بحالهم وأثر دعوة الشيخ عليهم، وما أصيبوا به بعد ذلك من فتن وابتلاء ومحن، وقد كان لكتابه هذا أعظم الأثر في توحيد الأمة حيث جمع شملهم بعد الفراق، واتفاقهم بعد الاختلاف. (٣) ويقول: فلبني (ت ١٩٦٠م): ((لقد لعب الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف دوراً مهماً في جعل الدين عاملاً له أثره في حياة العرب والمسلمين في الجزيرة العربية)). (٤)

وإذا كانت دعوة التجديد تلك قد عمّت كثيراً من بلدان العالم الإسلامي وتعددت أنصارها وأتباعها فقد اقتضت حكمة المولى تعالى استمرار الصراع بين الحق والباطل، ومن هنا فإن أتباعها إن كثروا فكذاك كثر أعداؤها الذين مازالوا ينفرون ويبهتون الدعوة وأتباعها بكل الأقاويل الباطلة والافتراءات الكاذبة، ولكن بعض أولئك الخصوم في هذيانهم المحموم؛ قد يعترفون مكرهين بفضل هذه الدعوة السلفية وصحتها وأنها الحق الموافق لدين الإسلام الصحيح، ومنهج الأصيل، ومُسَلِّمِين كُرِّها بأنها عملية إصلاح وتجديد، ونحن في هذا البحث نكتفي بإيراد نماذج لبعض النصوص الدالة على الفكرة المرادة من أقوال هؤلاء، لأن ذلك أقوى في الدلالة على المقصود هنا لكثرة ما كُتِبَ وألِفَ

(١) أحمد علي : آل سعود ، ص ٨٧ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد، ج ٢ ص ٢٠

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٦ .

(٤) PHILBY, SJ, ARABIA ISLAND HISTORY P. 89

عن هذه الدعوة السلفية، فمن ذلك ما اعترف به المؤرخ عثمان بن سند الوائلي(٣) وهو من أشد معارضي الدعوة من النجديين الذين عاشوا خارج نجد ، وتأثروا بالمواقف المعارضة من الحكام وأرباب المصالح، فاندفعوا في بث الأكاذيب والترويج للأباطيل تجاه هذه الدعوة، فهو يقول :

((وهذه الفرقة المَعْبُورُ عنها بالوهابيين هم أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي ولكنهم في الحقيقة يسمون أهل الحديث لأنه كان نظيرهم موجوداً في زمن الدولة العباسية، وينكرون المناكير بالشدّة والغلظة مثل الوهابيين، ويثرون على الخلفاء بسبب أن الجهاد في اعتبارهم ركن من أركان الدين، وكانوا يسمون الحنابلة، وأهل الحديث في ذلك الزمن، وكانوا ينكرون المنكر مع الغلظة والفظاظة وتسلسلوا إلى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي، ثم ظهرت هذه الفرقة التي عمّت وطمّت في القرن الثاني عشر الهجري ويُسَمون بالوهابية. وإلا في الحقيقة فأفعالهم وأثارهم هي أفعال الحنابلة الأقدمين، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة وأفعال الظاهرية، فالمعنى واحد، وإنما في كل عصر يسمون باسم على اصطلاح ذلك العصر)) (٢).

وإن هذا النص فيه أصدق الدلالة على ما نهدف إليه في هذه الفقرة من فكرة الربط بين أصالة المنهج وتجديده في هذه الدعوة وكونهما من ميزاتهما، ثم يقول أيضاً :

((ومن محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ونحوها، ومن محاسنهم أنهم أمّوا البلاد التي ملكوها وصار كل ما تحت حكمهم في هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين)) (٣).

(٣) عثمان بن سند بن عبد الرحمن بن سند الوائلي ثم النجدي البصري، ولد في حريملاء سنة ١١٨٢هـ ورجل إلى الزبير وبغداد وقرأ على علماء الحنابلة، حتى أجاد في أكثر العلوم ثم حج وجاور بمكة وقرأ على علماء الحرمين، له مؤلفات التحق بداود باشا وصار من خواصه توفي سنة ١٢٥٠هـ في بغداد (البيطار: حلية البشر، ج ١، ص ٣٩٣، وجميل الشطي: مختصر طبقات الحنابلة، ص ١٤٩، سركيس: معجم المطبوعات، ١٣٠٦، ومحمد القاضي: روضة الناظرين، ج ٢، ص ٨٤).

(٢) عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود - ص ٨٢ (مخطوط).

(٣) المصدر السابق، ص ٨٤

((والحاصل أنه ليس على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهم بإقامة الدين، ذلك مثل أمره-
أي الشيخ محمد بن عبدالوهاب - للبوادي بإقامة الصلاة جماعة ومنعهم من النهب ومن بعض
الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة إلى التوحيد، فصار الأغبياء الجاهلون
يستحسنون حاله وحال أتباعه)) . (١)

ونحن نتساءل هنا ماذا يريد من هؤلاء هذا وأمثاله غير هذا؟! فماذا ترك هؤلاء الدعاة حتى
يطالبون به؟! لم يبق سوى الخضوع للدولة التركية. وأشباهاها والسير وراءهم في نشر البدع
والخرافات وتشجيع أرباب الطرق الصوفية وغيرها حتى ترضى الدولة العثمانية عنهم والتي صارت
سلبيات حكمها للعرب أكثر من إيجابياتها خصوصا في عصورها المتأخرة والتي كثر دعاة التغريب
فيها. ومما يؤسف له أن هذه الفكرة التركية الأصل وجدت لها رواجاً لدى الكثير من المفكرين
المتأخرين ممن حسبوا على الإسلام وأمته. (٢)

فهذا مكنم الخلاف ونقطة الفصل، وسبب نقمة معارضي هذا المنهج السلفي
الأصيل الذي سلكه الدعاة .

وعلى كل حال فإن الأبواق المعارضة للدعوة مهما سعت وجدّت في معارضتها، ومحاولة
إظهار هذه الدعوة على غير حقيقتها، فإن ذلك لا ينقص من الحق شيئاً لأن الزيد يذهب جفاء، وأما
ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، والعاقبة للمتقين.

(١) المصدر السابق. ص ٨٥

(٢) طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، ج ٢ ، ص ٤ ، وما بعدها.

الفصل الثاني

استفادة الدعوة من القوة السياسية

من الثابت أن الدين الإسلامي دين كامل شامل أكمله المولى للأمة وأتم به عليهم النعمة، ورضيه لهم ديناً، قال تعالى : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)) (١) فأحكم تعالى هذا الدين ، وثبت بنيانه وأعلى سلطانه ((كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)) (٢)

وغرضنا القول- باختصار- إن الإسلام لا يفرق بين الدين والسياسة، فليس في الإسلام رجل دين ورجل سياسة، فالحياة في نظر الإسلام وحدة متكاملة، لا تخرج عن دائرة الدين وتعاليمه وتشريعاته، ولقد كان من مظاهر غربة الدين وانحراف المسلمين عن أصول عقيدتهم، وانتشار البدع ومن أسباب عدم الاهتمام بالسياسة وإهمالها، تفرق كلمة الأمة، ويُعد الفجوة بين القيادة الدينية والقيادة السياسية، وفي عصور الأمة الأخيرة تولى زمام القيادة والريادة أناس لا يفهمون الدين وأحكامه، في حين أننا لو نظرنا لسيرة السلف الصالح، والقذوة الحسنة من حين عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين لوجدنا القادة السياسيين هم القادة الدينيين لافرق بين هؤلاء وأولئك، والمسلم الحصيف لا يتصور وجود رجل سياسي يدرك الأمور، ويحقق للناس مصالحهم السياسية ما لم يكن مدركاً لأمر دينه، فالسياسة جزء من الدين في نظر الإسلام وهذا من البديهيات، ونحن عندما نقول بعدم الاتفاق بين بعض المصلحين وأوضاع بلادهم السياسية فليس القصد أن الدعاة يحرصون على التغلب السياسي أو الإخلال بالأمن، كلا! ولكن ابتلي المسلمون في العصور المتأخرة بمن تسلطوا على الأمة واستولوا على السلطة وهم جهلة بعيون عن الدين، وكثير منهم يجنحون إلى أصحاب المذاهب المنحرفة والأمم الضالة؛ ليحققوا طموحاتهم ويشبعوا رغباتهم، فيقعون في خوف ورهبة من الإسلام ورجاله فتقع المشكلة ويحصل الاختلاف، وقد اقتضت حكمة

(١) سورة المائدة - الآية ٣

(٢) سورة هود - الآية ١

المولى أن يبتلى عباده المؤمنين وأن يكونوا قلة، في حين يكون أهل الباطل والضلال، وأولياء الشيطان هم الكثرة، سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلاً (١) ((إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)) (٢)، وقد سبق أن أشرنا إلى أهمية القوة والسلطان في نشر الدين، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما دل القرآن الكريم .

أما الدعاة السلفيون فقد أدركوا أهمية القوة السياسية لنشر الدعوة وموازرتها، والقيام بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، وتحقيق مصالح الأمة، وهذا يظهر جلياً في تصرفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين بدأ دعوته، حيث ترك حريملاء لانقسام الأسرة الحاكمة فيها وتوجه إلى العيينة، وسعيه إلى الاتفاق مع القوة السياسية فيها، وحرصه على جعل قوة سياسية تستظل بدين الإسلام، وعندما نفته العيينة توجه إلى الدرعية حيث وجد قوة أقوى من ذي قبل، حتى يمكننا أن نعد بكل ثقة اتفاق الدرعية المشهورة عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤هـ) فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً.

يقول المؤرخ الألماني (داكبرت) في كتابه ((عبدالعزیز)) الذي ألفه سنة ١٩٥٣م وعرّبه أمين رويحه: ((وكان لآل سعود إلى جانب سيفهم الذي يستخدمونه في الفتح سلاح معنوي آخر يدينون له بأعظم قسط من نجاحهم، ذلك السلاح من صنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد رجال الدين المطاردين في سبيل عقيدتهم والذي لجأ إلى عاصمة آل سعود في ذلك الحين فلقى لديهم الحماية والأمان وكانت تملأ قلبه فكرة تجديد القوى العربية على أساس ديني؛ ناسباً إلى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح، وانقسامهم إلى شيع، وإلى ابتعادهم عن خلقهم العربي الأصيل، سبب تلاشيهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الأجنبي ... إلى أن قال : فرأى الشيخ أن سبب الإنقاذ هو الرجوع إلى تعاليم الدين المشروعة ... الخ)) (٣)

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ١ ص ٢٢٢

(٢) سورة الانعام - الآية ١١٦ .

(٣) ميكوش داكبرت ، ص ٢٨ وقوله : ((ذلك السلاح من صنع الشيخ))

توحي بأن الشيخ محمد أتى بجديد وهذا غير صحيح فدعوة الشيخ ليست سوى تجديد لدعوة السلف الصالح فلزم التنويه .

ولا يظن أن الشيخ ابن عبد الوهاب - رحمه الله - كان اهتمامه بهذا الأمر في بداية نشاطه أو في فترة معينة، كلا! لقد استمرت هذه الفكرة في باله وشغلت ذهنه، واهتم بهذا الأمر، أعنى القوة السياسية والركون إليها، والإفادة من القوى المحلية بقدر المستطاع، ولقد عدّ هذا الشيء المقابل والأمر الثاني في المعادلة في منهجه في الدعوة، فهو يقول في رسالته إلى فاضل آل مزيد (١) بعد الديباجة وسبب المكاتبة: ((وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين، الأمر الأول: إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس .

والأمر الثاني: أن هذا الذي أنكروا علي وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهما يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله ولكن ما أقدر أن أظهره في كل مكان لأجل أن الدولة ما يرضونه. وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل عرف الحق واتبعه هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم)). (٢)

وقد تنبه إلى هذه المزية التي أنعم بها المولى على أهل نجد كثير من معاصريهم من علماء الإسلام ومن ذلك مثلاً ما صرح به إسماعيل الجراعي - صاحب اليمن - في رسالته إلى الشيخ محمد حيث قال: ((فالذي سرنى عنك الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان وفي غربة الإسلام أنك تدعو به، وتقوم أركانه فوالله الذي لا إله غيره ما نحن فيه عند قومنا ما نقدر على ما تقدر عليه من بيان الحق والإعلان بالدعوة)) (٣).

(١) فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام - آنذاك - تدل رسالة الشيخ محمد إليه أنه حسن المعتقد، وقد طلب من

الشيخ التوضيح عما أشيع عنه وما يدعو إليه، والمذكور كان حياً بعد منتصف القرن الثاني عشر .

(٢) محمد بن عبد الوهاب: ضمن روضة الأفكار، ج ٢ ص ١٥١، والدرر السنوية ج ١ ص ٥٩.

(٣) إسماعيل الجراعي: ضمن الدرر السنوية، ج ١ ص ٦٤.

فالشيخ رحمه الله لم يحارب الدولة، ولم يكف بمسالمتها، ولكن استفاد من القوة السياسية لنشر الدعوة، ومعاونته في تحقيق ما يدعو إليه مؤكداً على تلك الحقيقة المهمة ((والذي يصدق كلامي هذا أن العالم ما يقدر أن يظهره - حتى من علماء الشام- من يقول هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة، وأنت والله الحمد لاتخاف إلا من الله)) (١) وبخصوص مشاركته في تسيير أمور الحكم ((فقد بقي للشيخ الحل والعقد والأخذ والعطاء، ولا يركب جيش ولا يصدر رأي من محمد بن سعود ولا من ابنه عبدالعزيز إلا عن قوله ورأيه، ولما اتسعت ناحية الإسلام وأمنت السبل وانقاد كل صعب من باد وحاضر جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، ولكن الأخير لم يقطع أمراً دونه، ولا ينفذ إلا بأذنه)) (٢) وهكذا حرص رجال الدعوة من القادة الدينيين على تحويل قادة الدولة السياسيين علماء مصلحين وداعين إلى الله تعالى، ومن ثم فالناظر في سيرة أولئك الحكام يجدها سيرة العلماء الأفاضل كما هو معلوم من حال الإمام عبدالعزيز وابنه سعود وابنه الإمام عبدالله والإمام تركي وابنه الإمام فيصل (٣) وغيرهم، حيث نجد مزاحمتهم الأهالي على حلقات العلم والاستفادة منها، بالرغم من مسؤولياتهم، بل إن لهم رسائل ونصائح لاتقل في دلالتها ومضمونها عن رسائل علماء زمانهم الأفاضل. (٤) وقد نستدل على قوة التلاحم بين القادة السياسيين والقادة الدينيين -علاوة على ذلك وفي كل الأحوال- بحال الشيخ عبدالرحمن بن حسن الذي أُلح عليه الإمام تركي بن عبدالله للقدوم من مصر إلى نجد ليكون المجدد الثاني بعد جده، وسبق أن سقنا ما أورده ابن بشر بخصوص قدومه وجهوده. (٥)

-
- (١) اسماعيل الجراعي : المصدر السابق .
(٢) ابن غنام : المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٤ .
(٣) مؤلف مجهول : لمع الشهاب، ص ٥٤ ، والدرر السننية، ج ١، ص ٧ .
(٤) ابن بشر : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٦ ، وما بعدها، والإمام عبدالعزيز بن محمد: رسالة الإمام عبدالعزيز الأول ، ص ٥ ، ورسائل الإمام سعود بن عبدالعزيز: ضمن الدرر السننية، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ٢٩١ ، ج ١١ ، ص ٨ وما بعدها، ورسائل الإمام تركي بن عبدالله وابنه فيصل رحمهم الله ! ضمن الدرر السننية ج ١ ص ٢٤٢ وج ١١ ص ٤٦ وما بعدها .
(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠ ، وعبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٢٤٧ ، وما بعدها .

ولن يغيب عن البال موقف الدعاة والرعاة على حد سواء ودفاعهم عند حصول الهجمة العمياء على الدرعية عام ١٢٢٣هـ / ١٨١٨م مما نتج عنه تقتيل عدد من أكابر العلماء والقواد وتغريب من تبقى منهم على قيد الحياة، حتى الأطفال والنساء من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، كما كان لأولئك العلماء مواقف جليلة عندما حصل الخلاف بين أمراء آل سعود بعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ حيث سعى أولئك العلماء وفي مقدمتهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى تهدئة الوضع والإصلاح بين الجميع وبيان مغبة الخلاف والاختلاف (١) ويتبين لنا حرص الدعاة على الاستفادة من القوة السياسية باتفاقهم على أنه من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا جماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وهذه أمور متلازمة لا يستقيم بعضها بدون بعض وبها قوام الدين وإصلاح البلاد والعباد. (٢)

ومما يؤسف له أنه بالنسبة لواقع الأمة المسلمة اليوم فلا تزال قضية الاتفاق بين رجال العلم ورجال السياسة تكون الحاجز الصعب بين الدعاة والقوى السياسية في كثير من ديار المسلمين، وقد نعلل لذلك أن القوى المعادية استطاعت التأثير على بعض الجماعات الإسلامية المحلية، بأنه لا يمكن تحقيق طموحات تلك الجماعات والوصول إلى أهدافها في الدعوة إلى الله، إلا بمحاربة الدولة أو الحكومة القائمة مما هو بعيد عن منهج الإسلام في الدعوة، وقد مني منه المسلمون والإسلام بأسوأ النتائج بعد البعد عن منهج الإسلام في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد نبه إلى هذا الخطأ الإمام ابن تيمية رحمه الله! (٣) ومهما يكن فالثابت على أرض الواقع أن القوى التي توحى للمسلمين بهذه الأيحاءات لا تطبقها في مناهجها وتعاملها مع القوى السياسية لديها، ولا شك أن هدف الأعداء من كل ذلك إقناع المسلمين بما ينادي به أولئك الأعداء من فكرة الفصل بين الدين والدولة، وإلا فهذه دولة إسرائيل التي تعتبر في نظر الغرب مضرب المثل في (الديمقراطية) ما قامت إلا على أساس ديني شكلاً ومضموناً، وفي أوروبا بل في كل البلاد الخارجة عن النطاق الإسلامي، نادراً ما نسمع عن جماعة دينية تحارب الدولة. والدعاة السلفيون من حين بداية دعوتهم إلى الآن

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة، ص ٢٤٧.

(٢) محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السننية ج ٧ ص ٣٢٩.

(٣) ابن تيمية : كتاب الاستقامة ، ج ١ ص ٣٣ ، ٤١.

في هذه البلاد يسلكون هذا النهج الفريد الذي حقق أعظم النتائج، وأعني به التلاحم بين القيادة الدينية والسياسية وإن كان الدعاة يحاربون الأمراء الذين لم يقبلوا الدعوة كما هو موضح في موضعه.

ولاشك أن أمة الإسلام اليوم شعوباً وحكاماً ودعاة أشد ما تكون حاجة إلى أن نبين لها هذه الحقائق ونكشف جوانب هذا المنهج الرائع مما يكون أساساً مهماً وتعليلاً مقبولاً لنجاح الدعوة وانتصارها؛ حيث يذكر علماء الاجتماع أن الدعوة الدينية تقوى السلطة السياسية، وتساعد في انتصارها وصلاحتها وبخاصة إذا كانت السلطة عربية؛ لأن العرب لا يجمعهم إلا الدين لتتفق أهواؤهم وتجتمع قلوبهم، وهذا لا يكون إلا بمعاونة الله في إقامة دينه. (١) وقد يكون هذا ليس خاصاً بالعرب لكنه سمة من سماتهم. قال تعالى: ((وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)) (٢) وقال تعالى: ((وقل رب أدخل صدقاً وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً)) (٣). قال قتادة في معنى هذه الآية ((إن النبي صلى عليه وسلم علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ، وفرائض الله ، وإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم)) (٤).

وللميزات التي احتواها منهج الدعوة استطاع ذلك المنهج الفريد الاستجابة للواقع السائد، ومعالجة قضاياها ومن ثم تحقيق حاجات المجتمع ومتطلباته فسار مع الدعوة، في ركبها اليمون، واستظل بظلها الوريث الضلال ، فكان لمنهجها المبارك التأثير القوي في المجتمع والأمة، مما أحدث التغيير والتبديل إلى الأفضل والأحسن للفرد والجماعة في العقيدة والأخلاق والمجتمع كما قال الله تعالى: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (٥).

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٧

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٣.

(٣) سورة الإسراء آية ٨٠.

(٤) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٩

(٥) سورة الرعد : آية ١١

الفصل الثالث

منهج يقوم على الجهاد

الجهاد من الجهد، والجُهد الطاقة والمشقة، وقيل : بالفتح المشقة وبالضم الوسع، والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة (١). ولعلنا بهذه الإيماءة إلى المعنى العام للجهاد ندرك أنه لا يقصد بالجهاد - كما قد يتبادر للذهن - مجرد القتال؛ الذي هو أحد صور الجهاد وأنواعه، فالجهاد باب واسع يدخل فيه كل عمل يهدف إلى نصرة الدين ونشر الدعوة وإقامة شرائع الإسلام كما أراد تعالى ؛ من ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله؛ بالنصح والتأليف والاجتهاد في المسائل وفق قواعد الشرع الحنيف.

ودعاة الدعوة في الجزيرة العربية عندما يجاهدون في سبيل الله، فإن جهادهم كان في أكثر من ميدان باللسان والسنان كحال الدعاة والمصلحين في كل زمان؛ بالوعظ والإرشاد والنصح والتوجيه، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وألغوا الكتب والرسائل والنصائح والردود والمناظرات، كما حملوا السلاح وتحملوا المشاق والصعاب من قتل وجوع وعطش . (٢) مواجهين أكثر من عدو ابتداء بصعوبة المعيشة وسلوك الصحاري القاحلة والجبال الشاهقة، والوديان والوهاد المقفرة الموحشة ومواجهة الجهل والبدع والشرك الذي ضرب أطنابه في كل مكان ومن ثم الحرب التي شنت عليهم من علماء السوء وأمراء بلدان نجد وغيرهم وانتهاء بمحمد علي (٣) والدولة العثمانية والعلماء المستأجرين، والغزو الفكري الشيوعي الصليبي الصهيوني، فضلا عن موقف علماء العالم

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات ص ١٠١

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السننية ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) محمد علي باشا بن إبراهيم أغابن علي المعروف ب (محمد الكبير) ولد سنة ١١٨٤هـ في (قوله) التابعة لليونان حالياً، احترف التجارة حتى أثرى، تعلم القراءة بعد الأربعين وقدم إلى مصر وكيلا لقوة المتطوعين التي جاءت لرد الفرنسيين خادع المماليك، حتى ولى مصر سنة ١٢٢٠هـ كلفه الوالي العثماني بحرب الدولة السعودية استفاد منه أعداء الإسلام وفتح المجال للاوروبيين في بلاد العرب، اعتزل لولده - بالتبني - إبراهيم باشا بسبب إصابته بمرض عقلي، مات بالقاهرة سنة ١٢٦٥هـ (ادوارجوان: مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٩٩ وعبدالرحمن زكي : أعلام الجيش والبحرية في مصر ج ١ ص ١٥).

الإسلامي وغيرهم ، فكان جهاد أولئك الدعاة على كل الجبهات وبأنواع الأسلحة مع أكثر من عدو بعد أن تيقن لديهم (أن الدين لايقوم إلا بالجهاد، ولهذا أمر (صلى الله عليه وسلم) بالجهاد مع كل بار وفاجر، تفويتنا لأدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما وإرتكابا لأخسف الضررين ، لأن ما يدفع بالجهاد من فساد الدين أعظم من فجور الفاجر) (١).

وما سبق عن نشأة الدعوة والعقبات التي واجهتها وموقف الدعاة منها يعتبر بعضاً من صور ذلك الصراع القائم والنزاع الدائم بين الحق والباطل والهدى والضلال، وبأنواع الأسلحة بالكلمة والنفس والمال ، ابتداءً من محاربة الشرك في البلاد، وهدم القباب المقامة على القبور، وقطع الأشجار المعظمة في نجد والحجاز، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما منطلقه الميزة التي اتسم بها منهج الدعوة، الذي يرسم الصورة الواضحة لقصة الصراع المر بين الحق والباطل، منذ خلق الله آدم إلى يومنا هذا . حيث لاتخلو أحداث هذه القصة وفصولها، ولا لحظة من لحظاتها من صورة من صور الصراع المرير، ولكن النصر والغلبة في نهاية المطاف للحق وجنده كما قال تعالى : ((وإن جندنا لهم الغالبون)) (٢) ونزيد الأمر إيضاحاً بالحديث عن جوانب جهادهم الذي يعتبر في أكثر الأحوال من مميزات منهجهم في الفقرات التالية :-
أولاً : الجهاد بالكلمة :

وهذا باب واسع من أبواب الجهاد ، وفضله عظيم، لقوله تعالى : ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)) (٣) وإنه لمن أسباب الاختلاف مع خصوم دعاة الدعوة الذي برر جهادهم موقفهم من البدع والخرافات المخالفة لعقيدة الإسلام، والتي توارثها الناس وسكت عن إنكارها العلماء حتى أصبحت من المسلمات، بل إن بعضاً منها أصبح مع مرور الزمن من الأمور المشروعة في الدين وإن كانت مخالفة له (٤).

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج٧ ص ٩٨ .

(٢) سورة الصافات: الآية رقم ١٧٣ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٣٣

(٤) حسن بن حسين بن الشيخ محمد : الدرر السنية ج٧ ص ٤٣ .

فللجهاد عند أولئك الدعوة شأن عظيم، فهم يحثون عليه ويأمرون به امتثالاً لأمر الله تعالى في كتابه العزيز، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتداءً بالسلف الصالح، ويمارسونه عملياً على أرض الواقع بكل أشكال الجهاد وصوره ويحذرون من التقاعس في الجهاد أو التهاون في أمره، حيث توعد الله تعالى من تثاقل عن الجهاد ورضى بالإخلاق إلى الأرض بالوعيد الشديد وبعد ما امتن به المولى عليهم من نعمة الإسلام والاجتماع، وإن من أعظم شكر المنعم على فضله الجهاد بأنواعه(١).

ويأتي في مقدمة الجهاد بالكلمة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تحدثنا في باب سابق عن مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبيل قيام الدعوة وعند نشأتها، وما نتج عن إهمال القيام بواجبه من مساوئ. وبعد ذلك اهتم الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بصورة فريدة حققت أكبر النتائج للدعوة، ولم لا يكون هذا الاهتمام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات وإتمامه بالجهاد هو أعظم المعروف الذي أمرنا به؟ (٢)

ومن هنا نجد رجال الدعوة يستلهمون من منهج الإسلام العظيم، وسبيله القويم الطريق الأمثل والأقوم، المحقق للغرض مستلهمين من أقوال السلف الصالح، ومواقفهم تجاه البدع والمنكرات النهج الصحيح للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ملتزمين بربط العلم بالعمل وبالسياسة الشرعية، والناظر فيما سطره علماء الدعوة وقوادها عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجد لهم مقالات لطيفة، وعبارات دقيقة مفيدة، عن المنكر الذي يجب إنكاره ومن يقوم بذلك، ومقالاتهم في جملتها لاتخرج عما ورد في الكتاب والسنة، وعمل الصحابة والتابعين لهم بإحسان وعباراتهم تدل على سعة أفقهم، والسعي إلى تحقيق الهدف المراد في الدعوة بالقدر المطلوب. (٣) وهكذا نظرتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عموماً إنما تكون بالقدر الذي توجبه الشريعة ومبادئها ويحقق الغرض والمصلحة. (٤)

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج٧ ص ٥ والرسائل والتوجيهات الصادرة من قواد الدعوة وعلمائها

للحث على الجهاد وبيان فضله كثيرة جدا انظر الدرر السنية ج٧ (كتاب الجهاد)

(٢) انظر ابن تيمية : كتاب الاستقامة ج٢ ص ١٩٨ .

(٣) للتوسع في هذا الموضوع ، : انظر الدرر السنية ج٧ (كتاب الجهاد) .

(٤) محمد خليل الهراس : الحركة الوهابية ص ٦٩ .

وأما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤكد الشيخ عبدالرحمن بن حسن أنه فرض باليد واللسان والقلب مع القدرة. (١) معللاً ذلك بأن الأمور الدينية والدينية لا تتم بطريقة متلى إلا بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه علامة من علامات الإيمان، مذكراً بما أنعم به المولى على هذه البلاد من العودة إلى دين الله الصحيح منبهاً إلى العواقب المترتبة على الغفلة والإعراض عن واجب الأمر بالمعروف الملقى على الجميع وفي مقدمتهم ولاية الأمور، لأنه لا يخفى أن العامة يتبعون الخاصة، ومحذراً من عودة الضعف والتساهل في هذا الأمر لديهم والخطورة المترتبة على ذلك. (٢) كما يوصي الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رسالة مماثلة إلى ضرورة الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبيناً النصوص الدالة على وجوبه، وإن هذا الأصل من أكد الأصول الإسلامية، بعد أن ألحقه بعض العلماء بأركان الإسلام التي لا يقوم إلا بها. وإن الرسل إنما أرسلت وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك بغير الله وشرع الجهاد لذلك. (٣)

ونشير فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى وظيفة أو ولاية من يقوم بذلك ، ويسمى (المحتسب) حيث كانت تلك الولاية لدى الدعاة كما كان متبعاً في القرون الأولى للإسلام (٤) ولذلك يذكر صاحب كتاب (لع الشهاب)، أنه في عهد الدولة السعودية الأولى كان رجال الحسبة يشرفون على أمور البيع والشراء لمنع هذه الأمور من المفاصد العامة. (٥) وقد أخذ أمر الجهة المختصة التي تتولى هذه الوظيفة يتضح أكثر في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى عام ١٢٥٠هـ إذ أمر بتشكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أول خطاب ألقاه على الأمة. (٦) كما شدد في خطابه على الأمراء في المناطق أن يعاضدوا هذه الهيئة لأنها دعم لهم، كما هم دعم لها منبهاً على أن يكون الأمر مراعيًا للشروط المطلوبة. (٧)

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ٧ ص ٣١

(٢) عبدالرحمن بن حسن : المسائل والرسائل النجدية ج ٤ ص ٣٧٩.

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : المسائل والرسائل النجدية ج ٤ ص ٥٥٥

(٤) محمد السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٥٩.

(٥) مؤلف مجهول ص ٤٩.

(٦) عبدالفتاح أبوعلية : الدولة السعودية الثانية ص ٢٤٩.

(٧) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٦٦

إلا أن أمر الهيئة لم يدم لأن فيصلاً أُسر على يد خورشيد باشا ونفي إلى مصر سنة (١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م) ثم ما لبث أن عاد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هيئته وسلطته من جديد بعد تسلم الإمام فيصل للحكم للمرة الثانية عام ١٢٥٩هـ فقد أمر في خطاب الولاية بالتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه من فرائض الدين ، وأنه من أركان الإسلام العشرة كما قال بعض السلف، مذكراً بالنعيم والمصالح المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (١) وإذا كان الهدف هنا محاولة بيان بعض خصائص ومميزات منهج الدعوة في المكان والزمان المعينين : فإنه بالنسبة لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي حرصت الدعوة وأتباعها على تطبيقها، فقد أثمرت الثمار المطلوبة على مدار تاريخ الدعوة وذلك بفضل الله، ثم بفضل تمسك أتباعها بها عن قناعه وإدراك تامين، ومن ثم عدم وجود فجوة بين المجال النظري والتطبيقي لأتباعها، وبالذات في محيط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهرب ذلك وعدم المهادنة والتزام الحكمة والموعظة الحسنة. ومن هنا فإنه لاتعرف حركة إسلامية بعد القرون المفضلة كانت أمينة على مبادئها وملتزمة بها في مجال التطبيق العملي مثل الحركة الوهابية، ولعل هذا مما ضمن لها البقاء والرسوخ ومواجهة الأعاصير، حيث أصبحت منهج فكر وخطة حياة وجزءاً من كيان المؤمنين بها (٢) وقد يظهر ذلك جلياً في المقارنة التي يجريها ابن بشر والجبرتي وعثمان بن سند وعبدالقادر عودة (ت ١٣٧٤هـ) وغيرهم عن حال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة قبل دخولها في حظيرة الدعوة السلفية ودولتها وبعد ذلك (٣) قالشيء بضده يذكر وتعرف قيمته وتدرک أهميته، والله أعلم.

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٥

(٢) الهراس : الحركة الوهابية ص ٦٩

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٠، ١٤١، ١٥٣، ١٥٤، ١٩١ والجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١١٦

(وهذا الزرخ المصري له كلام جيد مهم بهذا الخصوص) وعثمان بن سند: مطالع السعود (مخطوط) ص

٨٢ وعبدالقادر عودة : التشريع الجنائي ج ١ ص ٧١٢.

ثانياً : الجهاد بالسيف والسنان :

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أن من مميزات منهج الدعوة الذي أُحْيِيَتْ به سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الجهاد، وأن الدعوة طرقت أبواب الجهاد التي في مقدمتها القتال الذي هو أحد أوجه الجهاد، لتحقيق منهج الإسلام، ونشر دعوته.

ونزيد الأمر إيضاحاً في هذا المبحث حيث كان جهادهم ومقارعة الخصوم بالسيف، وفي الميدان الحربي في مقدمة الميادين الجهادية التي خاضوا غمارها، واصطلوا بناها حتى بلغت شهرتهم الآفاق ، وأصبحت تضحياتهم وجرأتهم مضرب المثل.

١- أهداف الجهاد والقتال :

كان الدعوة ينادون بالجهاد المشروع، وفي مقدمة أهدافهم نشر عقيدة التوحيد الخالصة لوجه الله وعدم إشراك غيره معه في عبادته، تحقيقاً لقول الحق تعالى : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)) أي الشرك (١) ((ويكون الدين كله لله)) ومن ذلك رد العدوان الذي وقع عليهم من أعدائهم فمن اتبع طريق التوحيد سلم من المحاربة ومن خالفه فقد حل الدم والمال ، وعلى هذا المبدأ سار أتباع الدعوة في حروبهم التي خاضوها داخل نجد وخارجها. (٢)

ومن أهداف الجهاد لديهم وغاياته تجديد الدين والدعوة، بعد فترة الانتصار والفتوحات، ولكن مع مرور الزمن بدأ الناس في القرن الثالث عشر الهجري يرغبون عن الدين، ويعرضون عنه واتجهوا إلى الدنيا والتنافس فيها كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن (٣) . وابن بشر يسهب في سرد جهود أئمة الدعوة وقادتها في هذا المجال في فترة البحث وبخاصة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله! (٤)

ولاشك أن ما ذكره ابن بشر وغيره من المؤرخين عن جهود قادة الدعوة بهذا الخصوص له أهميته

(١) محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنية ج ١ ص ٦٢

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : النولة السعودية الاولى ص ٤٥ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ١ ص ١٦١

(٤) ابن بشر : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٤

لمن اطلع على حال الدولة والدعوة في تلك الفترة؛ والتي تتسم بكثرة الفتن والمنازعات، ومواجهة الأطماع الخارجية، مما حقق أعظم النتائج للدعوة، وإعادة سلطتها الدينية والسياسية في القرن الثالث عشر بعد سقوط الدرعية المشنوم، فأعطت الدعوة نقلة جريئة إلى الأمام. وأن من أهداف الجهاد ومشروعيته؛ مقاتلة من خرج عن طاعة ولي الأمر وشق عصا الطاعة وفارق الجماعة وإن كان المخالف مسلماً كما يقول بعض أعلام الدعوة (١).

٢- في ميدان القتال :

ونظراً لرغبة الدعاة وقوة إيمانهم وعزمهم على تحقيق أهداف جهادهم التي في مقدمتها إزالة البدع والمنكرات المنتشرة ، لتخليص العقيدة، مما أصابها وألصق بها من برائث الشرك ومارمي به دعاة الدعوة في وقت مبكر من عداوة ظاهرة من قبل خصومهم ، وبعد أن سلك الدعاة الطرق الممكنة للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ من ذلك الوعظ والتدريس والمراسلة والمناظرات وتأليف الكتب التي تكشف للناس حقيقة الدعوة. (٢) يأتي القتال آخر تلك الوسائل بحيث لا يمكن أن يقاتلوا أحداً قبل نصحه وإرشاده، وبيان الحق له كما يصرح بذلك قادتهم وأئمتهم. (٣) ثم إذا لم تفد ولم تجد نفعاً هذه الوسائل، يأتي أسلوب (الجهاد والقتال) أخيراً، وهكذا فالدعوة سلكت الأسلوب السلمي في أغلب مراحل انتشارها بالرغم من العداوة والحرب التي بدأها بها الأعداء كما حصل من دهام بن دواس حاكم الرياض (٤) ولم تلجأ إلى أساليب الحرب إلا عند فشل أساليب السلم والتعدي عليهم من قبل أعدائهم، ومع ذلك لم يسلم هؤلاء الدعاة من رميهم بتهمة قتال المسلمين ، والتشنيع بالدعوة وأتباعها- كما سبق - ودرج على تكرار ذلك وتناقله معارضو الدعوة، وبالرغم من

(١) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج٧ ص٥ ، ومؤلف مجهول نفس المصدر ج٧ ص ٣٧٣.

(٢) ابن غنم : المصدر السابق ج١ ص ٧٧.

(٣) الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد : ضمن الدرر السنية ج١ ص ٣٠٩

(٤) ابن غنم : المصدر السابق ج١ ص ٨٩ ومؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ٣٣

انتصار الدعوة وظهور حقيقتها ، فلا زال بعض من الكتاب المعاصرين للأسف يظنون هذا الظن السيء بالدعوة إلى وقت قريب. (١)

ولاشك أن الذي أوقع هؤلاء الباحثين ومن على شاكلتهم الدعاية السيئة التي بُنت عن الدعوة فيما مضى، وعدم استقصاء بعض المؤلفين لمبادئ الدعوة من ينابيعها الأصلية من كتب ورسائل أتباعها ومؤرخيها. ويمكننا تلخيص الموقف العام والمواجهة العسكرية للدعوة منذ أيامها الأولى حتى نهاية القرن الثالث عشر مع ثلاث فئات أو في ثلاث مراحل هي :-

١- المعارضة والمقاومة المحلية من العلماء والأمراء وكان أخطر هؤلاء حاكم الرياض وحاكم الخرج (٢).

٢- التدخل المسلح من خارج نجد وفي مقدمة أولئك حاكم الأحساء ورئيس نجران ، وأخيرا أشرف مكة المكرمة وولاية العراق. وهكذا تألب على الدعوة وأتباعها هذا العدد من أمراء السوء وأدعياء العلم والمرتزقة من سوق الكرامات ، وعباد الشهوات والغرائز والأهواء، حيث كانت الضلالات والانحرافات غذاء لأمثال هؤلاء الناس في المجتمع، ولا يتصور سكوت هؤلاء على من يحارب منكرهم ويمقت ضلالاتهم فكان أن لاشفاء لداء الكفر إلا بالسيف (٣).

٣- زحف القوى الكبرى من خارج الجزيرة العربية (٤) ونعني بها قوة الأتراك ومن سار في ركابهم مثل محمد علي في مصر وغيرهم، وقد كان موقف تلك القوى وحربها الضروس للدعوة من أشد الابتلاءات وأقسى الامتحانات التي واجهت الدعوة بعد أن لفتت إليها

(١) انظر مثلا : عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٤٣٩ ومحمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٧١ وعبدالكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص ٧٥ ط الثانية .

(٢) تفاصيل تلك المعارك لدى ابن غنم : ج ١ ص ٩٠ وما بعدها وابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٧ وما بعدها.

(٣) عبدالحليم الجندي : انتصار المنهج السلفي ص ١٦٢ ويمكن الرجوع إلى تفصيلات تلك المعارك ونتائجها في كتب التاريخ التي تحدثت عنها.

(٤) تفاصيل علاقة الدعوة وقوتها السياسية بتلك القوى لدى : عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الأولى ج ١ ص ٢٧١ وما بعدها.

الأنظار بانتصاراتها التي حققتها في حروبها في نجد والعراق والحجاز حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري، وعندما استطاعت ضم مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى حظيرتها، وتطهيرها من الخرافات والبدع المنتشرة فيها. فلم تكن القوى الكبرى المعادية للإسلام لتغفل أو تنام عن تلك الأحداث الجسام التي تجرى في المنطقة العربية فأوجست القوى المعادية خيفة من القوة الناشئة مما فرض على القوى المحلية في العراق والشام والحجاز والعالمية السائدة (من إنجليزية وفرنسية وتركية وفارسية) اتباع سياسة معينة إزاء الدولة العربية الإسلامية الناشئة والتي تحول بين أعداء الإسلام وتحقيق تطلعاتهم ومآربهم في الجزيرة العربية والخليج ذي الموقع الاستراتيجي، ولهذا لم يكن مستغرباً موقف تلك القوى المعادي للدعوة ودولتها، وأن تكون الدولة العثمانية هي الوسيلة أو القوة الأجدر بمحاربة الدعوة المنطلقة من نجد، وتحقيق أغراض هذه القوى، حيث كانت الدولة العثمانية هي المسيطرة على بلاد الإسلام وقد استطاعت القوة الفتية انتزاع السلطة والسيطرة على بعض البلاد الخاضعة للعثمانيين كالحجاز ذي الأهمية الدينية الكبيرة وتهديد بعض الولايات التركية كالعراق والشام، بل يغالي البعض ويقول: إن بعض أهل الدعوة يرون الترك في نظرهم أهل ارتداد وجود مغتصبين للخلافة اغتصاباً وحقها أن تكون أبدأ في العرب. (١) مما دفع الدولة التركية ومؤرخيها إلى اعتبار قيام هذه الحركة الإصلاحية إنفصلاً عن الدولة يهدد مستقبلها، ويشجع ما تعانيه من حركات وثورات إنفصالية شبيهها بما كانت تواجهه في بلاد البلقان. (٢) من هنا كان أكثر من سبب يدفع الدولة التركية إلى النقمة على الدعوة وحربها. (٣) فما كان من الدولة العثمانية إلا ان كلفت بعض

(١) لوثرروب ستودارد: المرجع السابق ص ٢٦٢

(٢) أحمد جودت التركي: ترتيب جديد لتاريخ الدولة العثمانية ج ٨ ص ١٠٢ ١٦٢، وسليمان فائق: تاريخ بغداد ص ٣٧.

(٣) عبدالرحمن بن حسن: ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٢٢٣.

القوى التابعة لها مثل الوالي العثماني في العراق والشام بالوقوف في وجه الدعوة ، لكن تلك القوى عجزت عن كبح جماح تلك القوة العربية الفتية. (١) ولم يكن أمام الدعوة إلا مواجهة ذلك التحدي غير المبرر والقيام بالحملة تجاه الولايات العثمانية كما حصل في العراق حين استطاعت قوة الدعوة اكتساحه والإغارة على كربلاء وإحداث الرعب في بغداد ذاتها. (٢) وهكذا استعرت الحرب بين الطرفين وبعد عجز الدولة العثمانية عن القضاء على الدعوة ودولتها بواسطة تلك القوى صدر الأمر السلطاني سنة ١٢٢٢هـ إلى محمد علي والي مصر بالتصدي لها، فقام بالمهمة المناطة به واستعمل كل الأسلحة لحرب الدعوة. (٣) وحشد محمد علي طاقاته مع طاقات الولايات العثمانية الأخرى في العراق والشام والحجاز لحرب الدعوة، وجاءت الهجمة الموسعة الشرسة التي وجهت ضد الدعوة (٤) وهكذا استمرت الحرب بين جيش الدعوة وتلك القوات الكبيرة بقيادة محمد علي وابنه طوسون (٥) ومن ثم ابنه

-
- (١) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٧ وحيدر الشهابي : الغرر الحسان ج ٢ ص ٥٣٤ وأحمد دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٦٧.
- (٢) عباس الغزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٦٢.
- (٣) وثيقة (٤) دفتر (١) معية تركي بتاريخ الحجة ١٢٢٢ هـ ديسمبر ١٨٠٧م بدار الوثائق القومية بالقاهرة وأيوب صبري :مرآة جزيرة العرب ج ١ ص ١٤٤ وحيدر الشهابي : تاريخ أحمد باشا ص ١٩٢ ومؤلف مجهول لمع الشهاب ص ١٠٦ وأحمد جودت التركي : المصدر السابق ج ٧ ص ٢١١.
- (٤) وثيقة ٧ دفتر (١) بتاريخ ١١/٧/١٢٢٣ هـ معية تركي من محمد علي إلى الباب العالي بدار الوثائق القومية.
- (٥) طوسون باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢١٠ هـ وولاه أبوه قيادة الجيوش التي كلفها بحرب الدعوة السلفية ودولتها بنجد، انهزم في أول الأمر، مما اضطر والده إلى القدوم بنفسه للإشراف على جيشه، حصل على بعض الانتصارات ثم عاد إلى مصر ومات شاباً بعد مرض لم يممه سنة ١٢٣١ هـ (خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ص ٧٤).

الأخر إبراهيم باشا (١) في مسلسل مرعب حتى تمكنت تلك القوى من القضاء على قوة الدعوة السياسية وهدم الدرعية في أواخر عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م كما هو مفصل لدى المؤرخين (٢).

(١) إبراهيم باشا بن محمد على باشا ، ولد سنة ١٢٠٤هـ في (نصرتلي) من بلاد الترك، تزوج محمد على والدته فاعتبره ابنه - كما عليه بعض المؤرخين - قدم مصر مع أخيه طوسون، كان بعيد الطموحات قاد الحملة ضد الدعوة الإصلاحية حتى استطاع القضاء على الدولة السعودية كما اكتسح الشام مما حدا بأوروبا الى إيقافه عند حده توفي سنة ١٢٦٤هـ بعد أن حكم مصر فترة قليلة بعد تنازل والده له (ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١٨٥ وعبدالرحمن زكي : أعلام الجيش والبحرية في مصر ج ١ ص ١٧ والزركلي : الأعلام ج ١ ص ٧٠).

(٢) تفاصيل تلك الأحداث ونتائجها في الوثائق المصرية التركية وفي تاريخ ابن بشر والجبرتي وغيرهم.

الباب الرابع

الدعوة في عهد جديد

الفصل الأول : الدعوة تنهض من كبوتها:

ونعني بالعهد الجديد واقع الدعوة بعد مضي زمن يسير من سقوط الدرعية سنة ١٢٢٢هـ على يد إبراهيم باشا، ومحاولة القضاء على الدعوة، وهو ليس واقعاً جديداً كما يتبادر من العنوان، ولكن عودة الواقع الصحيح للدعوة قبل الغزو المشين، كيف ولم تمض برهة من الزمن حتى نهضت الدعوة من تلك الكبوة السحيقة التي تكالب الأعداء على إيقاعها فيها وعادت إلى ماضيها المشرق الوضاء، الذي كانت تعيشه قبل الهجمة الشرسة؟ وكيف تحملت الأمة ذلك الامتحان القاسي والابتلاء الشديد، إمتثالاً لقوله تعالى ((ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) (١) وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة)) (٢) والقصد أن الله ابتلى تلك الطائفة من المسلمين بتلك الجيوش الباطشة لهذه الحكمة. (٣)

وإذا كان الهدف من هذه المحن والابتلاءات القضاء على الدعوة السلفية فهل قضي عليها أم لا؟ للباحثين في الجواب عن هذا التساؤل رأيان متناقضان :

أحدهما : أقوال العلماء المتحمسين للدعوة وأتباعها الذين يدركون قيمة العقيدة وأثرها في النفوس، ومنهم من عايش الأحداث وسبرغورها، واكتوى بلهيب نارها، فاعتبروا ما حصل للدعوة انتصاراً في الحقيقة، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد ذكره لتلك الأحداث وأسبابها ونتائجها:

(١) سورة العنكبوت الآية (١-٣)

(٢) رواه أحمد في المسند ج ١ ص ١٧٢، ١٧٤ والترمذي ج ١ ص ٦٤ وغيرهما، وله شواهد، قال الألباني:

فالحديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٦٥.

(٣) سليمان بن سحمان : كشف غيايب الظلام ص ٧٨.

((لكن الله سبحانه منّ على أهل نجد بحفظ دينهم، وهجرتهم إلى ما يمنعهم من هذا العدو من أرض الله فاعتصموا بحبل الله، وصارت لهم العاقبة)) (١) وهذا رأي ابن سحمان (٢) وكثيرون غيره بما فيهم بعض المستشرقين (٣) .

ثانيهما: الرأي القائل إن الدعوة الإصلاحية ودولتها السياسية قد قضي عليها ولن تقوم لها قائمة بعد الهجمة العثمانية المصرية، وهذا رأي خصوم الدعوة ممن اغتبطوا بما أصاب المسلمين الموحدين ، أمثال أحمد زيني دحلان (٤) وجميل الزهاوي الذي يذكر أن الدولة المصرية قد أفنت الوهابيين وأبادتهم ولم يبق منهم أحد (٥) ويعلق - عدو الإسلام- زويمر (ت ١٩٥٢م) على هذه الحادثة بقوله: ((لقد انتهت هذه الحركة بخيبة كاملة ولقد ثبت الآن أن وجودها السياسي كان مجرد تمثيلية رائعة)) (٦) .

ولاشك أن الواقع أثبت خطأ الرأي الأخير حيث لم يمض زمن يسير على تدمير نجد وسقوط الدرعية حتى عاد للدعوة نشاطها وجدتها ونهضت من كبوتها ولم يجن محمد علي والدولة التركية إلا الهوان والذلة والخسران المبين (٧) وفيما يلي نلخص الأسباب التي عجلت بنهوض الدعوة. وكيف كان ذلك .

(١) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٩ ص ٢٢٩ .

(٢) سليمان بن سحمان : كشف غياهب الظلام ص ٧

(٣) ستودارد : حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٦٣ .

(٤) أحمد دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٣٨ .

(٥) جميل الزهاوي : الفجر الصادق ص ٢١

(٦) Zewemer. Arabia the cradie of Islam p. 191

(٧) عبدالرحمن بن حسن : مصدر سابق ج ٩ ص ٢٢٧ وعبدالرحمن الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ ص ٥٨٣

وعبدالعزيز الأهل : داعية التوحيد ص ١٣

أولاً: الأسباب التي عجلت بنهوض الدعوة :

إن المتتبع لما ذكره ابن بشر في تاريخه عن سير المعارك التي دارت في الحجاز ونجد بين قوات الدرعية من جهة والقوات المصرية العثمانية من جهة أخرى وما انتهت إليه تلك المعارك الطاحنة من نتائج، وواقع البلاد والعباد في الفترة القصيرة التي تلت تلك الحملة، يجد العجب العجاب وتأخذه الدهشة والاستغراب من هول الهجمة وما أحدثته من دمار في جميع مناحي الحياة، وما أصاب الأمة في عقيدتها ومجتمعها وأخلاقها في أثناء وجود بقايا الجيوش التي جثمت على صدر الأمة وكان مما أجمله ابن بشر قوله: ((فلقد انحل نظام الجماعة، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بطاعة وعملت المكروهات والمحرمات جهاراً وجرأرباب والغناء في المجالس، وسفت النواربي على الجامع والمدارس، وهجرت وأهملت المساجد وسل سيف الفتنة، حتى صار الرجل يخاف في بيته، وتعذرت الأسفار بين البلدان وتقطعت السبل، وتطايير شرر الفتن في الأوطان حتى ظهرت دعوى الجاهلية)) وما قال :

((وأكثر عساكر الترك العبث في الأسواق بالضرب والتسخير لأهلها، حتى كانوا يجمعون الرجال في الأسواق، ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات ويسخرونهم في هدم البيوت والدكاكين ويحملونهم خشبها ويكسرونه، ويرون (٢) لهم الماء ويحملونهم فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره)) (٣) ولما رحل الغزاة من الجزيرة ونزل رؤساء البلدان في بلدانهم وقعت الحروب بين هؤلاء ومن بقى من أمراء آل سعود ممن لم يقتل أو يعذب، وممن سبق لآل سعود أن أجلوهم من البلدان، فاشتعلت فيها نار الفتن وكثر القتلى بينهم. وتذكروا الضغائن القديمة من البغي والإثم، فقتل بعضهم بعضاً في الأسواق، ونواحي البلدان فكان كل أهل سوق يمشون بجمعهم وسلاحهم دائماً ليلاً ونهاراً)) (٤).

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٢١٢ .

(٢) هكذا في الأصل ولعلها يروون وهي عربية من روى .

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٨ .

وإذا كان ما قام به إبراهيم باشا من أعمال مضمّنية وتخريب وتقتيل بأمر الباب العالي وإشراف والده (١) كان الهدف منها إيجاد اليأس لدى أبناء الدعوة، بعدم إمكانية أي قيام أو نهوض جديد لها أو لقوتها السياسية، وإفقادهم بصيص أي أمل في المقاومة مستقبلاً (٢) فما حدث هو العكس، لقد كان الوضع المتردي الذي أحدثته وانتجته تلك الأعمال دافعاً للخلاص من المحنة، والنجاة من الحالة التي غرقوا فيها، حيث كانت حالهم السيئة من الأسباب التي عجلت في النهوض بالدعوة، وتكوين قوة سياسية نجدية جديدة تتحمل مسؤولية القيام بتلك المهام الثقيلة، مما هو شديد الارتباط بواقع الدعوة في فترة البحث .

وليست هذه الأخطار هي كل ما يهددهم كلا ! لقد تركت الحملة المصرية فراغاً سياسياً وعسكرياً في الجزيرة العربية حاولت الدول المستعمرة استثماره فجاء الإنجليز بقواتهم لملء هذا الفراغ مبتدئين من البحرين كمفتاح للخليج والجزيرة العربية (٣)، كما قضوا على القواسم السلفيين في رأس الخيمة في الخليج العربي عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩هـ بعيد سقوط الدرعية (٤). ولقد كانت تلك الأمور نذير شر وصيحة قوية مدوية للأمة، لتلم شعنتها، وتجمع شتاتها، وتحزم أمرها، وتأخذ بقواها الذاتية الممكنة لتعود إلى عقيدتها، وتتمسك بوحدتها من جديد، وتضحى في سبيل ذلك بكل ممكن ومقدور، لتتخلص من هذا الكابوس الثقيل على قوم يعشقون الحرية، ويأنفون الضيم ولايسكتون على الظلم، ولايمكن أن يحكمهم غيرهم (٥) ولايرضون منكرأ شعارهم :

ولا يُقيم على ضيم يُراد به
إلا الأذلّان عيرُ الحي والوتد

-
- (١) وثيقة رقم (١٧) وتاريخ ١١/٢١/١٢٣٤هـ محفظه (٦) بحريرا بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
 - (٢) عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٢٠٢
 - (٣) أحمد عسة : معجزه فوق الرمال ص ٣٢ .
 - (٤) صالح العابد : نور القواسم في الخليج العربي ص ١٥٧ ط بغداد عام ١٩٧٦م
 - (٥) ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ج ٤ ص ٥٨ .

وهم ذاقوا حلاوة الإيمان في الماضي القريب، ونعموا بطعم الاتحاد والوحدة، كما تجرعوا كأس الفتن والردة، وقاسوا ويلات التفرق والتناحر، فكان لابد من موازنة الأمرين، ومعرفة الحالين، فأصبح ذلك إرهاباً لهم للتمسك بما من الله به عليهم - في ذلك الزمن - من الدين والعض عليه بالنواجذ في ظل الفتن المظلمة، وسُحِبَ الشر المدلّمة، وظلمة الليل الحالك، والسواد البهيم، فلم يكن مستغرباً تسابقهم إلى الاتحاد والالتحام والتماسك يداً واحدة ضد العدو من جديد، وإبطال كيده وإفساد تخطيطه، فبدأ الشعب في شبه الجزيرة يلتف مجدداً حول قيادته، ويزداد حنيناً إلى العودة إلى الإسلام الصحيح والتمسك بمبادئ الدعوة الإصلاحية، بالرغم مما كان يعاني منه أهل تلك الفترة من معارضة لهذا الاتجاه من الحكم المصري في نجد وتتابع حملاته عليها. (١)

وإذا كانت الدولة السعودية الأولى انهارت من الوجهة والمفهوم السياسي بسقوط الدرعية، إلا أنها تركت في المنطقة مقومات الدولة من جديد، إذ ظلت أفكار الدعوة ماثلة في أذهان الناس، وظل المجتمع يكن ولاءه للأسرة السعودية التي تبنت الدفاع ضد الحكم العثماني وتحرير البلاد وتوحيدها، وعلى رأس المؤيدين القوى الفاعلة في الأمة من نوي الرأي والمكانة، والكلمة المسموعة من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما لهم من منزلة دينية مؤثرة، إضافة إلى ما وصلت إليه الحال من سوء في عموم البلاد مما عجل بإيقاد الانتفاضات لإعادة الحكم السعودي الإسلامي، وطرد الحكم العثماني المصري الذي ظل يقاوم هذا الاتجاه بقوة (٢) ولكن إحدى الانتفاضات والثورات وهي التي قام بها الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (ت ١٢٤٩هـ) كانت أقوى ثورة استطاعت الصمود، وكان قد لاذ بالخرج متخفياً عند تسليم الدرعية عام ١٢٣٣هـ فاستطاع تجميع قواته ومحاصرة عساكر الترك والسيطرة على الدرعية، ثم اضطر إلى الانتقال إلى الرياض وجعلها قاعدة الحكم بعد سنة ١٢٣٨هـ. (٣) وكان لحنكته السياسية ومقدرته القيادية

(١) Philby, Saudi Arabia, P. 153

(٢) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٤. وعبدالفتاح أبوعلية : المرجع السابق ص ٢٦.

(٣) ابن بشر : المرجع السابق ج ٢ ص ٣

الأثر في السيطرة على الأمور، وبايعه الأهالي بالسمع والطاعة فأحيا الله به ما اندرس من معالم الدين، ورفع به المولى مقام أهل الإسلام كما يقول ابن بشر (١) وهكذا أعاد الدعوة جدتها وقوتها السياسية في عهد جديد كما هو مفصل لدى المؤرخين.

ثانياً: قدوم المجدد الثاني للدعوة :

لم يمض زمن يسير على فتنة الدرعية والقضاء على الحكم السعودي، الذي يشكّل القوة السياسية والمعنوية للدعوة إلا وبدأ أبناء البلاد يتنسمون عبير الحرية من جديد، ويحن منهم من هجر وطنه أو رحل منه إلى وطنه، كما بدأ يخب في نفوسهم الأمل بإعادة مجدهم، وتجديد دعوتهم التي امتن المولى بها عليهم في ذلك الزمان، مما لازال أريجها يسيطر على عقولهم، ولهيبها يتقد في نفوسهم، فعاودهم الشوق إلى وطنهم والحنين إلى أهليهم، فأخذ بعض أولئك يتوافدون على بلادهم ليواصلوا مسيرة الدعوة ونصرتها كما كانوا من قبل.

وكان من الأسباب المشجعة على ذلك الاتجاه جهود الإمام تركي بن عبدالله - رحمه الله - بعد أن اضطلع بمسئولية تجديد الدعوة السلفية بعد اندثارها، واستعاد السلطة في أكثر بلاد نجد فأدرك هذا الإمام الماجد حاجته إلى أولئك القواد والعلماء المبعدين، أو الذين هربوا من بطش الغزاة ليساعدوا على هذا العبء؛ فكان يكاتب المشهورين منهم كالشيخ عبدالرحمن بن حسن وبعض أبناء عمه من آل سعود، ويرسل إليهم القصائد الطنانة؛ ليساعده على مهام الحكم، ويعينوه على لم شعث الأمة المتفرقة، والبلدان الممزقة. (٢) فكان في مقدمة من تمكن من العودة من أولئك الذين لهم الأثر على الدعوة ومسيرتها الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعد ما لمس في منفاه في مصر من لين في المراقبة وسهولة في المغادرة، فخاطر بالخروج من مصر متوجهاً إلى نجد سنة ١٢٤١هـ (٣) فوصل إلى نجد العالم النحرير الذي يعتبر المجدد الثاني للدعوة السلفية (٤)

(١) ابن بشر المصدر السابق ج ٢ ص ٨

(٢) عبدالله البسام : علماء نجد ج ١ ص ٥٩ .

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠

(٤) عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية ج ١٢ ص ٦٠ وأحمد علي : آل سعود ص ٨٧ .

ومن هنا كانت عودته وجهوده العظيمة في الدعوة من الأسباب التي عجلت بنهوض الدعوة وانطلاقها من جديد، فإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود -رحمهما الله- قد تعاونوا وتشاركوا في تحمل مسؤولية الدعوة الإصلاحية وتجديد الدين وتوحيد البلاد تحت رؤية التوحيد في ظل دولة إسلامية، فتوافق الدين مع السياسة، فكذا الحال بالنسبة للشيخ عبدالرحمن ابن حسن الذي تعاون مع الإمام تركي بن عبدالله، وبعده ابنه فيصل، على السير على نهج الآباء في تجديد الدعوة وإعادة دولتهم الإسلامية التي لمت شعث الأمة وحققت للبلاد أكبر الانتصارات وأعظم النتائج؛ مما لا زالت الأمة تجني ثماره الياضعة، وتنهل من معينه الثر، وعند تحقق رغبة الإمام تركي بعودة هذا المجد فرح به فرحاً عظيماً.

كما اكتمل الفرح وازداد الخير وعم الفضل بقدم ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن الذي تبعه من مصر بكمية كبيرة من الكتب العلمية التي كانت نجد في أمس الحاجة إليها، كما كانت البلاد في أشد أحوالها إلى مجدد نشيط مثل الشيخ عبدالرحمن وابنه ليقوما بحركة علمية واجتماعية رائدة، واسعة النطاق، تدعو إلى الأخلاق الفاضلة، والعودة إلى الخير والحق؛ لأن فترة الفوضى وعهد الاضطرابات التي خلفته قوات العثمانيين والمصريين صرفت الناس عن دينهم، وعن سلوك الهدى والتمسك بالمبادئ الإسلامية وأعمال البر، إلى الاشتغال بالأحقاد المقوتة والضغائن المدفونة والانصراف إلى ما يفرق الجمع ويشتت الشمل، ويبعدهم عن السمو الروحي، وتهذيب النفوس والمثل العليا.

وقد كانت دعوتها للناس بجميع الطرق الممكنة لديهم والوسائل المتوفرة في عصرهم (١) وكان الشيخ عبدالرحمن كثيراً ما يتعاهد أهل البلاد، يعلمهم دينهم، ويذكرهم نعمة هذا الدين واجتماع شملهم بالإسلام (٢) وكان هذا العالم الفاضل وابنه وتلاميذهما من العلماء يرافقون الإمام في غزواته يجاهدون بالسيف واللسان، ويقدمون الاستشارة ويؤمنون الناس في الصلاة والمناسبات ويسجلون الوقائع والأحداث لأخذ الفوائد والعبر، فيشحنون الهمم ويحثون على

(١) أحمد علي : المرجع السابق ص ٨٧.

(٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٢٣

الإقدام والصبر وطلب الجنة والمثوبة من الله عز وجل (١)، كما كان للشيخ عبدالرحمن وابنه جهود عظيمة في جمع الأمة، ومقاومة التفرق، ومحاربة النزاعات، وكان الشيخ عبداللطيف مع علمه الغزير، وفضله الكبير سياسياً داهية، خبيراً بشئون المجتمع، وعندما وقعت الفتنة بين أولاد الإمام فيصل من بعد؛ كان (الشيخ عبداللطيف جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) فلم يقرُّ له قرار، ولم ينعم له بال حتى هدأت الفتنة، وانجابت الغمة بفضل رأيه السديد وسعيه في إخمادها مما جعل كل مواطن يعرف فضله وقدره (٢) ، وإضافة إلى فضل الشيخ عبدالرحمن وابنه وعلمهما ودورهما في نشر الدعوة وتجديد الدين، ونشر الفضيلة ومحاربة الفتنة والرذيلة فقد كانا شجاعين يسيران في مقدمة الجيوش المحاربة في سبيل الله ورزقهما المولى - عز وجل - عمراً مديداً ساعد في الإفاده منهما ومن علمهما -رحمهما الله تعالى وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء-. (٣)

(١) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٢٢٨ وابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢١ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) عبدالله البسام : مرجع سابق ج ١ ص ٥٦ وما بعدها .

الفصل الثاني

الدعوة في عهد الإمام فيصل وما بعده

أولاً : وثبة الدعوة في عهد الإمام :

عند دراسة واقع الدعوة في القرن الثالث عشر الهجري، ومحاولة الدعوة وقوتها السياسية العودة إلى عهد أوجها وازدهارها بعد الحملة العثمانية المصرية ومحاولة التخلص من آثارها، وجهود القادة والدعاة فلا بدّ من ذكر الإمام فيصل بن تركي -رحمه الله- وجهوده المؤثره في ذلك. والإمام فيصل بن تركي من الأمراء السعوديين الذين جرى ترحيلهم إلى مصر، وعندما استطاع والده إعادة ملك آبائه شجع ابنه على العودة إلى نجد هارباً سنة ١٢٤٣هـ فاستبشر الوالد والمسلمون بعودته، وعدوها نعمة كبرى فصارت سنة عودته كلها ميمونة حيث قدم الأهالي على الإمام تركي بالبيعة والطاعة (١) . كما ابتهجت البلاد بغيث عام شمل المدن والقرى والبراري، بعد فترة من الجذب والقحط . (٢)

وقبل الدخول في بعض التفاصيل عن حياة هذا الإمام والقائد الضرغام نشير إلى أن الإمام فيصل قبل أن يكون إماماً للمسلمين كان لديه من الاستعداد والتمكين والمقدرة ما يجعله أهلاً لذلك حتى أطلق عليه بعض الباحثين المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية(٢) إضافة إلى أن فترة حكمه الطويلة ، تميزت بأمر كثيرة منها ما هو فريد وعجيب، ومن هنا فهي فترة تستحق أن نقف عندها للتفكير والتأمل والدراسة والإفادة، لأنها تجمع بين المتناقضات، بين الحرب والسلم، والفتن المختلفة، وهي فترة انتقالية تحتاج إلى حنكة وسياسة، ومن ثم فأقرب ما نصف به هذا الإمام أنه (مهندس تلك الفترة).

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج٢ ص ٣٢ ، ٦٤

(٢) الفاخري : الاخبار النجدية ص ١١٦ .

(٣) عبدالفتاح أبو عليّة : الدولة السعودية الثانية ص ٢٧ أما أكثر المؤرخين والباحثين فيعتبرون أباه الإمام تركي هو المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية، انظر محمد بن عبدالله السلطان: الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ص ٦٩ .

ويرى بعض الباحثين أن فترة حكمه والحوادث التي وقعت فيها، والأعمال التي تمت في الحقول الإدارية والاجتماعية والسياسية ما هي إلا مجموعة لوحات تعطينا صورة معبرة عن أوضاع البلاد في جميع النواحي (١).

ونستدل على مقدرته واستعداداته المبكرة أنه منذ طفولته شارك في الجهاد لنشر الدعوة، فقد شارك الجيش السلفي الذي فتح مكة سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) وكان عمره في سن الخامسة عشرة (٢). كما كان في مقدمة المدافعين عن الدرعية، وأسر مع من أسر من آل سعود ورحلهم إبراهيم باشا إلى مصر وظل بها سجيناً عشر سنوات (٣) كان متديناً منذ صغره حفظ القرآن صغيراً، مُلمّاً بمبادئ الدين الحنيف، مَيَّالاً للبحث والدراسة. ويذكر ابن بشر أنه نظراً لعلمه وفضله كان المرضى في مصر يأتون إليه في داره ليقروا عليهم، لما يرون من أثر الشفاء حتى شاع هذا في مصر (٤) تولى فيصل الأمامة بعد استشهاد والده على يد ابن اخته مشاري بن سعود سنة ١٢٤٩هـ (٥) وقد أكثر المؤرخون الحديث عن الإمام فيصل وأكثر من تحدث عنه ووقف على دقائق حاله المؤرخ ابن بشر الذي يعتبر مؤرخ الدولة السعودية - آنذاك - بل مؤرخ الإمام فيصل بالذات حيث عاصره وأثنى على جهوده وتحدث عنه كثيراً (٦). كان شجاعاً شارك في الغزو مع والده منذ سنة ١٢٤٥هـ فأثبت مقدرته في قيادة الجيوش، وهكذا توالى انتصاراته، ومن هنا فقد تلخص حياته وجهوده في إقامة الكيان السياسي في الجزيرة العربية في ثلاث مراحل هي :-

المرحلة الأولى : دور المشاركة من صغره مع قادة الدعوة والدفاع عنها ونشرها.

المرحلة الثانية : فترة حكمه الأولى والتي لم تدم طويلاً وقد كثرت فيها المنازعات والمواجهات مع قوة

محمد علي التي كانت لاتزال تواصل غاراتها والقضاء على الجهود المبذولة لإعادة

تجديد الدعوة .

(١) أبوعلية : المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢) Philby, op.Cet 71

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٥ وج ٢ ص ٢٢

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٤ .

(٥) ابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ وما بعدها وضاري الرشيد: نبذة تاريخية عن نجد ص ٦٥ .

(٦) ابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ٤٧ .

المرحلة الثالثة: وهي فترة حكمه الثانية التي دامت حوالي ٢٢ سنة بدأها من عام (١٢٥٩هـ) وفيها استتب له الأمن ، وساد في أكثرها الاستقرار ربوع البلاد، فمن صفاته العدل والكرم وتحاشي سفك الدماء، والرأفة والرحمة بالرعية. (١) وعلاوة على ذلك كان عالماً جليلاً وداعية مخلصاً وكان يسعى جهده إلى تجديد الدين ونشر الدعوة، فعلاوة على حمل السلاح لنشر الدعوة، فقد دأب على إرسال النصائح وبعث الرسائل إلى داخل البلاد وخارجها يدعو إلى التوحيد. له نصائح تدل على سعة علمه وحرصه على خير الرعية (٢) ومن جهوده البارزة، كذلك اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأسيسه ما يسمى بهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (٣) كما اهتم بالقضاء وأعاد له صورته المشرقة وافتتح عهده بمؤتمر عام سنة ١٢٥٠هـ في الرياض (٤) يعتبر المؤتمر الثاني في تاريخ الدعوة السلفية بعد مؤتمر سنة ١١٦٧هـ (٥)؛ علاوة على اهتمامه بالنواحي المالية والإدارية مما كان له أقوى الأثر في توحيد البلاد وتجديد الدعوة وتكاتف الأمة وتآلفها . وفي رأيه أن كثيراً من تصرفاته الرائدة تعتبر بدايات أولية لما تعيشه البلاد حالياً من تطور وازدهار، في حين لم يغفل عن متطلبات الدعوة والجهاد في سبيل نشرها، ومواجهة الأخطار التي تحاك ضدها في الداخل والخارج . (٦)

وهكذا استطاع هذا الإمام المجاهد بحنكته وسياسته السيطرة على البلاد وتوحيدها، وإعادة سلطان الدعوة في أشد الظروف وأحلك الأيام التي مرت بها هذه الجزيرة، فاستقام له الأمر وبإيعه الأهالي وتمتعوا بالنعم الجمّة في عهده الذي استمر في دوره الثاني أكثر من اثنتين وعشرين سنة، حكم فيها حكماً عربياً إسلامياً، فأقام العدل وعزز الأمن ، وأعاد إلى البلاد شيئاً من اليسر وسالف

-
- (١) أمين الريحاني : نجد وملحقاته ص ٩٧ .
(٢) الامام فيصل : ضمن الدرر السنية ج٢ ص ١٢٥ وج ١١ ص ٤٦ وما بعدها وعبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٣٠٧ .
(٣) الامام فيصل : المصدر السابق ج١ ص ٥٨ وابن بشر : المصدر السابق ج٢ ص ٦٦ .
(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج٢ ص ٦٥
(٥) ابن غنم : روضة الافكار ج١ ص ١٠٢
(٦) انظر تفاصيل حروبه وجهاده لدى ابن بشر ج١ ص ٦٦ وما بعدها .

المجد، وامتد سلطانه على نجد والأحساء وإلى أطراف وسواحل الجزيرة العربية الشرقية (١) كما استطاع إقامة علاقات حسنة مع القوى الكبرى (٢) وتوفى في ٢١ رجب ١٢٨٢هـ بعد حياة حافلة قضاهها في الجهاد والكفاح، فأعاد للبلاد استقرارها وللدعوة جدتها، فقد كان جامعاً لصفات الخير والصلاح، فيما نحسب رحمه الله تعالى. (٣)

ثانياً: ضعف الدعوة بعد فيصل ونتائجه :

(١) أسباب الضعف ومقاومة الدعاة له :

من حين بدأ التدخل الخارجي في شئون البلاد وهي تعيش في فتن واضطرابات ونزاعات تقوى وتضعف حتى ليتمكن القول إن تلك الحالة السيئة التي بقيت تلف نجداً، وتخيم على بلاد العرب منذ العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري لم تنقطع ماعدا فترة الهدوء النسبية التي حكم فيها الإمام تركي وابنه الإمام فيصل للفترة الثانية، والذي كانت سحابة حكمه السعيد التي أمطرت على البلاد الأمن والرخاء وريعت فيها دعوة الإسلام بعد دهرها، لم تكن أطول عمراً من عمره ! بعد أن تنازع أنجاله الحكم وأضاعوه؛ فأضاعوا الخير والأمن والاستقرار من البلاد فترة، وإذا كان بعض معاصري الإمام فيصل -رحمه الله- يصفونه بأنه من أكبر دعاة ومجاهدي ومجدي تلك الفترة (٤).

فقد كان لموته ((أعظم الأثر في تعجيل عهد الفتن والمنازعات في البلاد)) (٥).

(١) أمين الريحاني : مرجع سابق ص ٥٥

(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ص ١١٦.

(٣) إبراهيم بن عيسى : عقد الدرر ص ٤٦ وعبدالله بن محمد البسام: تحفة المشتاق ص ١٤٩ (مخطوط)

(٤) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنوية ج ٧ ص ٩٩ وج ١١ ص ٣٢ وعبداللطيف بن عبدالرحمن: الرسائل المفيدة ص ١٤٩، ٣٠٧

(٥) Philby, Saudi Arabia, P 217

وقد خلف الإمام فيصل أربعة أبناء (١) وطبقاً للقاعدة المتبعة في الحكم لديهم التي أقرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- رفقا بالأمة وحفظاً لوحدها فقد جعل ولاية العهد إلى ابنه الأكبر الأمير عبدالله الفيصل (٢) فبايعه العلماء والأهالي بعد والده بما فيهم إخوته (٣) لكن ما كان الإمام فيصل يطبق أجفانه حتى رفع ابنه الثاني سعود (٤) راية الثورة ونقض البيعة التي أعطاهم لأخيه عبدالله وسعى في شق العصا واختلاف المسلمين على إمامهم مما أوجب قتاله وقتال من أعانه لورود الدليل الشرعي، كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن ومعاصروه من العلماء (٥)

- (١) ابن عيسى : مصدر سابق ص ٤٨ .
- (٢) عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ولد بالدرعية، ورحل مع والده إلى مصر بعد هدم الدرعية، كان الساعد الأيمن لوالده طيلة حكمه فقاد الجيوش وناب عنه في غيابه، تولى الإمامة بعد والده سنة ١٢٨٢هـ كان شهماً شجاعاً ، لكن أخاه سعود نقض العهد فثارت الحرب بينهما توفي سنة ١٣٠٧هـ (ابن بشر المصدر السابق ج ٢ ص ٩٩ والفاخري: المصدر السابق ص ١٨٤ وما بعدها وابن عيسى: عقد الدرر ص ٤٦، ٨٨ وبعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٧١، ١٩٤)
- (٣) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٤٢ وعبداللطيف بن عبدالرحمن: المصدر السابق ص ٢٨٦ وانظر ابن غنم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٩ عن موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ولاية العهد .
- (٤) سعود بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود، ولد في الرياض وتولى إمارة الخرج لوالده، ثار على أخيه عبدالله وهرب إلى عسير لطلب المساعدة في حرب أخيه استطاع السيطرة على الحكم بعض الفترات، توفي مريضاً سنة ١٢٩١هـ في الرياض (الفاخري : الاخبار النجدية ص ١٤٩، ١٥٤ وابن عيسى : عقد الدرر ص ١٧٧، ١٨٧ وعبدالله بن محمد البسام : تحفة المشتاق (مخطوط) ورقة ١٤٩، ١٥٤ .
- (٥) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٤٢ وعبداللطيف بن عبدالرحمن : الدرر السنية ج ٧ ص ٢٤٤ وحمد بن عتيق : نفس المصدر السابق ج ٧ ص ٢٦ ((والعلماء أقوال كثيرة حول أسباب ذلك الخلاف، لكن من أهمها ما ذكره الأمير سعود نفسه للشيخ حمد بن عتيق وردها وفندها)) انظر حمد بن عتيق : الدرر السنية ج ٧ ص ٢٥٨ .

ومهما كانت أسباب الاختلاف بين الإخوة فإنه تطور وعظُم ووجد فيه أعداء الأمة بغيتهم حتى أصبح خلافاً وفتنة عظيمة، و ناراً مشتعله تلتهم الأخضر واليابس ، بعد أن تقاتل الطرفان وتحالفت القبائل (وقام من في جيوش سعود من شرار نجد وفجارها ومنافقيها يعثون في الأرض فساداً يسفكون الدماء ويقطعون الثمار، ويخيفون الأراامل والمحصنات وينتهكون حرمة اليتامي والأيامى)(١)، مما لا يحتاج منا بعد هذا إلى كثير بيان، وبخاصة عندما نتذكر حياة القبيلة العربية وصعوبتها في مثل هذه الظروف، وما كانت تعانيه الأمة من جراح لم تندمل بعد من آثار الحملات الخارجية المستمرة وتربص الأعداء الكثيرين بالدعوة، فبدأت الحروب الطاحنة بين الأخوة سنة ١٢٨٣هـ حتى سنة ١٣٠٩هـ عندما انهارت قوة آل سعود السياسية ، وأحس آخر أئمتهم عبدالرحمن الفيصل (٢) بعجزه عن مقاومة طلائع قوة آل رشيد حكام حائل . (٣)

وقبل الحديث عن نتائج ذلك النزاع وأثره على الدعوة نشير - باختصار- إلى أهم جهود دعاة الدعوة في تلك الفترة، بعد أن سلك أولئك منهج آبائهم وأجدادهم في الدفاع عن دعوتهم ونشرها بكل الوسائل. ولكن لو ألقينا نظرة على واقع الدعوة بعد منتصف القرن الثالث عشر وقارناه بالفترة السابقة، لوجدنا ما يمكن أن نسميه التوسع في القضايا الكثيرة، والأمور الهامة التي عالجها دعاة بدعوتهم، وإن كان كثير من القضايا موجودا فيما مضى ودار النقاش حولها، ولكنه اشتد في هذه الفترة وتطور، مع اشتداد الهجمة، وتنوع وسائلها، وكثرة الخصوم في جبهات كثيرة وبالذات خارج نجد، بل وخارج جزيرة العرب ، إضافة إلى الأمور التي جدت وكان لابد للدعاة من معالجتها، فكان أن أدخل في وسائل الدعوة ومنهجها بعض المستجدات، مما لا يخرجها عن خط سيرها الأصلي ومن الممكن تلخيص تلك الجهود في الآتي :-

- (١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٧٤ .
- (٢) عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود ولد في الرياض سنة ١٢٦٨هـ وتولى أمارتها لوالده كما تولى عدة مهمات لأخيه عبدالله وبعد موت سعود بن فيصل تولى أمارة الرياض ثم تنازل لأخيه عبدالله وبعد سقوط دولتهم رحل بأسرته إلى البادية في طريقه إلى الكويت، وبعد استرداد ابنه عبدالعزيز الحكم عرضه عليه فرفض توفي سنة ١٣٤٦هـ في الرياض (ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٩ وفؤاد حمزه : البلاد العربية السعودية ص ١١)
- (٣) تفاصيل ذلك لدى إبراهيم بن عيسى : عقد الدرر ص ٦٠ وضاري الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد ص ١١ وأبوعليّة : مرجع سابق ص ١٧٥ وغيرهم.

- ١- تحرير النصائح والرسائل والردود، التي تحتوي النصيح، والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتذكير بنعم ربهم عليهم، والتحذير من فتن الشهوات والشبهات .. الخ. وفي هذه المرحلة عادت للدعوة عافيتها، وفي نفس الوقت كثر الأعداء فكان لابد لهم من الدفاع عن دعوتهم، فوجدنا كثرة كتب الرد والدفاع وشرح أهداف الدعوة ومبادئها، وعلى قائمة المدافعين الشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن والشيخ حمد العتيق(١) والشيخ سليمان بن سمحان وغيرهم .
- ٢- الدعوة إلى الجهاد والحث عليه، بعد أن تكالب عليهم الأعداء، وغزوه في عقر دارهم فأصبح واجب الجهاد أكبر من ذي قبل؛ فانبرى الدعوة للحث على الجهاد وحمل السلاح في وجه العدو(٢) فدأبوا على منازلة الغزاة الذين يسمونهم بأهل البدع والشركيات من قبل جزاء السيئة بمثلها(٣) ، علاوة على تقديم المشورة في الحرب وإمامة الصلاة وإلهاب المشاعر، وقد حضر ابن بشر بعض الغزوات وسجل لنا مشاهداته وأعمال بعض الدعاة وجهودهم. (٤)
- ٣- مقاومة الفتن والنزاعات التي بدأت تنخر في عظم نولة الدعوة بعد نزاع أبناء الإمام فيصل والتحذير منها ومن نتائجها، والدعوة إلى الاجتماع وعدم الفرقة، لكن وقع المقذور، وحصل المحذور لما قدره المولى من الامتحان والابتلاء لهذه الأمة، فنقض الأمير سعود بن فيصل العهد الذي أعطاه لأخيه عبدالله وناصبه العدا، فلم يجد الدعاة بدأ من بذل الوسع والجد والاستمرار في الكفاح والجهاد في سبيل صمود هذا الكيان، وإعطاء أوضح الصور

- (١) حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة ولد بالزلفي سنة ١٢٢٧هـ طلب العلم، ثم سمت همته وقدم للرياض وقرأ على أشهر مشائخها حتى أضحى علماً من أعلام عصره، ولي القضاء والتدريس، له مؤلفات ورسائل توفي سنة ١٣٠١هـ ببلدة العمار بالأنفلاج (ابن عيسى: عقد الدرر ص ٨٦ وعبدالله البسام: علماء نجد ج ١ ص ٢٨٨ وعبدالرحمن بن عبداللطيف: مشاهير علماء نجد ص ٢٤٤ وفيه وفاته ١٣٠٦هـ)
- (٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٧٣.
- (٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الدرر السنوية ج ٧ ص ١٧٩.
- (٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢١، ١٣٢

وأجملها عن الصدق والإخلاص للدعوة وفي مقدمة أولئك الدعاة الشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن -رحمه الله- من خلال نصائحه ورسائله التي سجلت قصة ذلك الصراع والتي تعتبر فصلاً من فصول قصص الصراع بين الحق والباطل في كل مكان وزمان حيث اهتزت ركائز المجتمع الإسلامي في ذلك الحين بسقوط الدولة السعودية الثانية عام ١٣٠٩هـ ضمن الدول الإسلامية في محيط العالم الإسلامي الكبير(١) أعقب ذلك بفترة ليست طويلة سقوط الدولة العثمانية عام ١٣٣٧هـ وبعد الخلافة الإسلامية.

ب- الآثار والنتائج:

والمطلع على رسائل بعض الدعاة - عندئذ- وبالذات رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (الرسائل المفيدة) يدرك المعاناة الشديدة التي عاشها هذا الداعية العظيم والمجاهد الكبير وأمثاله من الدعاة بعد أن اشتدت الكربة واستحكمت الغربية، وقلّ المعاون والمساعد، وكثر المخالف والمعاند، وافتتن كثير من الجهلة بفتاوي من ينتسب للعلم بجواز الاستعانة بالأعداء الطغاة(٢) وكان مما أنتجته الفتنة الاختلاف والنزاع حتى بين الدعاة بعد أن ارتدى في حماة شرها كثير منهم فأصاب الشيخ عبداللطيف نفسه البلاء والامتحان والخذلان، بعد اتهامه تارة بالمهادنة، والجهل تارة أخرى، ولم يتورع أحد زملائه المشهود لهم بالدين والخلق من غمز الشيخ عبداللطيف (بالطير المبرقع)(٣) ولكنه بداعي إطفاء الفتنة وحرصه على الأمة وحده عليها يعفو ويصفح(٤) وليست هذه الآثار والنتائج المترتبة على الفتنة فقط بل كان لها آثار ونتائج كثيرة أضعفت الدعوة ومزقت كيائها السياسي وفرقت الأمة بعد وحدتها، منها الآثار الدينية، والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية. فمن الآثار والنتائج الدينية كما يقول دعاة الفترة: ظهور الشرك ومسبة التوحيد، وإضاعة الصلاة

(١) عبدالرحمن الرويشد (مقدمة) الرسائل المفيدة ص ٣.

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الدرر السنوية ج٧ ص ٧٩ والرسائل المفيدة ص ٢٥١

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل ج٣ ص ١٨٦ والرسائل المفيدة ص ١٧٣.

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل ج٣ ص ٦٩ والرسائل المفيدة ص ٧٤.

والزكاة، وفشو اللواط والمسكر، وانتشار السلب والنهب والخوف، يعقب على ذلك الشيخ عبداللطيف بقوله: ((إذا عرفت هذا عرفت شيئاً من جنابة الفتن، وأن منها قلَّع قواعد الإسلام ومحو آثاره بالكلية، وعرفت حينئذ أن هذه الفتنة من أعظم ما طرقت أهل نجد في الإسلام وإنها شبيهة بأول فتنة وقعت فيهم، قاله الله في الجد والاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في الجهاد)) (١)

ومن آثارها السياسية والاقتصادية أن عمت البلاد الحروب، وامتد لهيبها إلى خارج نجد وتأججت الحرب بين القبائل التي تحالفت مع أحد الأمراء ضد الآخر، مما أسرع بعودة روح العداة التقليدي بين القبائل والبلدان وشجعت كثيراً من المقاطعات على الانفصال وظهرت قوة آل رشيد -أمراء حائل - الذين استطاعوا ضم نجد لهم (٢) وتدخل الأتراك مباشرة في شئون نجد كما يقول الشيخ عبداللطيف لمساعدة الأمير عبدالله. (٣) وبالنسبة للآثار الاقتصادية، فقد التهمت الحروب الأموال، وقضت على الأرزاق، وتوقفت حركة التنقل والبيع والشراء وساد النهب والسلب والخوف بعد ضعف السلطة المركزية. ((وهكذا اشتد الغلاء وتتابع القحط حتى اضطرت الناس إلى أكل الميتة وجيف الحمير، فتفاقم الأمر وعظُم الخطب ومات خلائق كثيرة جوعاً وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية بعد حرقها بالنار، ويدقون العظام ويأكلونها ويأكلون الرطبة، وهو القت " وغيره، فأثر ذلك في وجوه الناس وأجسامهم، وسبب لهم الموت)) (٤).

وأما الآثار والنتائج الاجتماعية فهي كثيرة منها انتشار الخوف والفرع واستمرار لهيب الحرب الذي توقده الطاقات البشرية من الرجال، حيث انتشرت الأوبئة والأمراض ووجد الطغام من المردة وعُباد الشهوات والغرائز بغيتهم، فأخذوا يغيرون على البلدان والبيوت والمسافرين، يهتكون الأعراض ويستبيحون الشرف، وأوجدت الحروب أبناء أشقياء لا يؤمنون بدين، ولا يزينهم خلق أو حياء، كما تمزقت وحدة المجتمع، وانقطعت أوامر القربى، وظلت الأوضاع السيئة والحروب والنزاعات تفرع

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٧٥.

(٢) ابن عيسى : عقد الدرر ص ٦٧ وأمين سعيد : تاريخ النولة السعودية ج ١ ص ١٧٧.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ١٧١ والرسائل المفيدة ص ١٦٠.

(٤) ابن عيسى : المصدر السابق : ص ١٦٧ (القت ، المراد به علف النواب وهو البرسيم في لغة الحجاز)

والفاخري : مصدر سابق ص ١٩٢.

على الرؤوس زمنأ طويلاً، كما أثرت الفتن على الحياة الثقافية والعلمية، فانشلت حركة الكتاتيب والتأليف نتيجة لعدم الاستقرار. كما اندثرت المدارس وساد التفرق والتفتت ، كما أدمت تلك الفترة وأحداثها المروعة قلوب الشعراء وألبتها ، فنراهم يتسابقون إلى دعوة الأمة إلى الوحدة والاتحاد والتمسك بحبل الله المتين (١) وبقيت تلك الأوضاع السيئة لمدة ثلاثين سنة تقريباً حتى أذن المولى تعالى بإنجلاء الغمة ورفع الكابوس، فانبلج نور الحق وظهرت طلائع التوحيد والوحدة من جديد على يد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن (ت ١٣٧٣هـ) - رحمه الله - .

(١) ابن عيسى : المصدر السابق ص ١٢٥.

القسم الثاني
دعاة الدعوة وجهودهم

محتويات القسم الثاني دعاة الدعوة وجهودهم

توطئة :

الباب الأول : المعلمون والمربون ومدارسهم .
ويحتوي على تمهيد وفصلين كما يأتي :-
تمهيد .

الفصل الأول : (أشهر المعلمين والمربين وجهودهم) وفيه أربعة مباحث لخصتها في

الفقرات التالية :

أولاً : أبناء الشيخ وذريته .

ثانياً : القادة والأمراء

ثالثاً : علماء آخرون

رابعاً : نصيب النساء في التعليم والدعوة.

الفصل الثاني : (أماكن التعليم وأشهر المدارس) وفيه ثلاث مباحث لخصتها في الفقرات

التالية :

أولاً : الكتاتيب والمدارس .

ثانياً : حلقات التدريس .

ثالثاً : السفر في طلب العلم .

الباب الثاني : (الخطباء والوعاظ والمرشدون والمفتون) .. ويحتوي على ثلاثة فصول كل

فصل تحته مباحث سقتها في فقرات كما يلي :-

الفصل الأول : (الخطباء والخطابة) :

أولاً : الخطابة مع انطلاقة الدعوة .

ثانياً : استفادة الدعاة من الخطابة وأشهر الخطباء .

ثالثاً : موضوعات الخطابة وأقسامها .

(أ) خطب الجمع والأعياد .

(ب) خطب أخرى .

الفصل الثاني : (الواعظون والمرشدون) .

أولاً : موضوعات الوعظ .

ثانياً : الأساليب .

الفصل الثالث : (الفتوى والمفتون)

أولاً : أسس الفتوى وخصائصها .

ثانياً : نماذج من الفتوى .

الباب الثالث : (الرسائل والمناظرات والردود وكشف الشبه)

ويحتوى على فصلين كل فصل تحته مباحث لخصتها في الآتي :-

الفصل الاول : (الرسائل والمناظرات) .

أولاً: في الرسائل .

(أ) في نجد .

(ب) في الحجاز.

ثانياً: في المناظرات .

الفصل الثاني : (الردود وكشف الشُّبه)

أولاً: المراحل التي مرت بها كتابة الرسائل والردود .

ثانياً: جهود الدعاة في هذا الميدان .

الباب الرابع : (الرحلات والأسفار) :

وقد لخصت هذا الباب في فصلين تحت كل فصل مباحث سقتها في الفقرات

التالية:-

الفصل الأول : (أهمية الرحلات والأسفار للدعوة)

أولاً: جهود الدعاة المبكرة .

ثانياً: استمرار اهتمامهم بالرحلات .

الفصل الثاني: (أشهر الرحالة ونماذج من رحلاتهم)

أولاً: الرواد وجهودهم .

ثانياً: سفراء الدعوة .

الباب الخامس : (الشعر وتأثيره وجهود الشعراء) .

وهو يحتوى على مقدمة وفصلين تحتها مباحث سقتها كما يلي :-

المقدمة .

الفصل الاول : (الخصائص والأغراض الموضوعية في شعر الدعوة) .

أولاً: شرح أهداف الدعوة .

ثانياً: شعر الدفاع عن الدعوة .

ثالثاً: معالجة قضايا الدعوة .

الفصل الثاني : (الخصائص والأغراض التقليدية)

أولاً: الاهتمام بالسياسة وأحوال المجتمع .

ثانياً: شعر الهجاء .

ثالثاً: شعر المديح .

رابعاً: الأغراض الأخرى .

(أ) شعر الوصف .

(ب) البكاء والرثاء والشكوى .

توطئة :

سبق الحديث عن ظروف نشأة الدعوة والمعوقات التي واجهتها في فترة البحث وكيف واجهت العقبات التي وقفت في طريقها حتى استطاعت أن تعم أغلب جزيرة العرب، وكذلك بيان أهم مميزات منهج الدعوة وخصائصه مما هو مرتبط بواقعها آنذاك، وأثر ذلك المنهج في مقاومة الهجمة التي شنت على الدعوة في العقد الثالث من القرن الثالث عشر، وكيف كانت تلك الهجمة الشرسة فاتحة الفتن والنزاعات على الدعوة واتباعها عندئذ.

ولقد اعتبرنا ما ذكر فيما سبق من الأوضاع والأسباب والمؤثرات التي ترتبط بذات الدعوة، ولكن قد يرد على بال البعض ممن يهتم بتلك الدعوة وشؤونها وجهاد أتباعها التقليل من شأن الجوانب الأخرى؛ التي كان يمارسها الدعاة لكونها بعيدة عن الميادين الجهادية التي نذروا أنفسهم لها، وخاضوا غمارها وبرزوا فيها، فاشتهر أمرهم وذاع خبرهم، فخافهم أعداء العرب والإسلام، فصبوا عليهم جام غضبهم، كما قد يُظنُّ كذلك أن جهادهم ومقارعة خصومهم للرد عليهم ومحاربة خرافاتهم وبدعهم، شغل الدعاة وأبعدهم عن الاهتمام بالميادين الأخرى الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أهميتها وارتباطها بالدعوة وواقعها.

ولهذا فإن ما سأنكره في هذا القسم، من الأساليب الضرورية في نشر الدعوة، وهي وإن كانت ترتبط بذات الدعوة، لكنها شديدة العلاقة بالمجتمع وحاجاته وهي إلى أساليب الدعوة المؤثرة وجهود الدعاة أقرب.

ولأجل التصنيف المنطقي في منهج البحث، والتوزيع المقبول المناسب لأقسام الرسالة وأبوابها، ولأجل البرهنة على أن الدعوة شملت جميع جوانب الحياة، وأصلحتها بعمومها، فإننا نعتبر القسم الأول يتعلق بالدعوة والقسم الثاني يتعلق بالدعاة؛ وهذا التصنيف لا يقتضي بالضرورة التفريق بين ذات الدعوة ومبادئها وأهدافها، وبين الدعاة وجهودهم؛ فهذا اعتبار غير وارد أصلاً، وغير مقبول مطلقاً؛ لقوله تعالى: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (١) وقوله تعالى: ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

(١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤

لَهُدْمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) (١).

وسيكون البحث في هذا القسم إن شاء الله على النحو التالي :

(١) سورة الحج الآية ٤٠، ٤١ .

الباب الأول

أشهر المعلمين والمربين ومدارسهم

تمهيد :

عند دراستنا لواقع الدعوة من خلال جهود الدعاة، فإنه يأتي في مقدمة تلك الجهود العلم والتعليم والتربية باعتبارها من الوسائل والأمر المرتبطة بالأمة المسلمة ودعوتها المباركة في كل أن وحين ، ولقد سبقت الإشارة إلى واقع العلم والتعليم عند الحديث عن نشأة الدعوة، مما هو مرتبط بظروف النشأة، ونظراً لقوة الترابط بين العلم والدعوة فإنه لا يمكننا أن نهمل أثر العلم والتعليم عليها وعلى واقعها . ومن ناحية أخرى فالباحث في علاقة التعليم بالدعوة - في فترة البحث - يجد العلاقة قديمة ومتأصلة، ومؤثرة كثيراً في منهج الدعوة، عندما جعل الدعاة وعلى رأسهم إمامهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- العلم والتعليم والتربية أساس الدعوة وقاعدة انطلاقها . (١) حتى تحقق ما يسميه أحد الباحثين أعظم الانتصارات العلمية (٢) عندما لم يكن للدعوة سلاح سوى العلم. ومع وجود قوة سياسية تناصر الدعوة ازدادت الحاجة إلى العلم؛ لإقامة كيان قوي يقوم على الإسلام الصحيح، والقوة المادية والمعنوية؛ فاشتدت الرغبة في التعليم وكثر المتعلمون من جميع طبقات المجتمع، فبقي سلاح العلم يسير جنباً إلى جنب مع رايات الجهاد وألوية النصر؛ فالتعليم كان ولا يزال جوهر الدعوة، وهو كذلك الأساس الذي قامت عليه دولتها وقوتها السياسية، كما إن جانب الجهاد لا يكاد ينفصل عن جانب التعليم والتربية على المنهج الذي أراده الله تعالى، وجاء به القرآن الكريم وبلغه رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

وقبل الحديث عن العلماء والمعلمين والمربين ومدارسهم نشير في هذه المقدمة إلى الآثار التي حققها ذلك المنهج التعليمي الذي سلكته الدعوة وأتباعها يومن

(١) انظر تفاصيل ذلك ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ٧٥ وما بعدها وعبدالرحمن حسن : ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٢١٥ .

(٢) عبدالوهاب فتال : درب الانتصار ص ٥١

الصعب الإحاطة بجوانب المنهج لنصل إلى آثاره وندلل على الاهتمام به، لأن ظروف البحث لا يمكن من الدخول في تفاصيل طرق التدريس أو اللغة المستخدمة لإفهام الناس، ووسائل التدريس والتعليم لديهم، ولا من الحديث عن الكتب والرسائل الكثيرة التي وضعت لتعليم الناس وتربيتهم، وتصحيح المعتقد على الرغم من أن هذه الجوانب تعليمية خالصة، وقد تكون بعض جوانبها واضحة من خلال مؤلفات الدعوة، إلا أن ذلك يتطلب مؤلفاً مستقلاً، كما أن بعض تفصيلات الدعوة سواء ما يتعلق بأصولها ومنهجها وحالها، وأسباب قيامها والموقف العام تجاهها مما له علاقة قوية بالتعليم سبق الحديث عنه.

فالأسلوب المتبع في التعليم كان سهلاً مبسطاً يتناسب مع بساطة المجتمع، بعيداً عن التكلفة كما هي حال بعض المدارس التعليمية؛ من تعمق في الفلسفة، أو تعلق بالمحسنات البديعية والكلمات الشاذة، التي يحاول بها المعلم إظهار مقدرته، وبيان براعته، ولم تكن لغة التعليم مسجوعة ومتكلفة كما كان شائعاً، بل ظهر الحرص على اللغة العربية وقواعدها حسب الإمكان (١) وكان الاهتمام ينصب على القرآن الكريم حيث كان المعلم يبدأهم بكتابة القرآن الكريم وحفظه، ثم يقرؤون الرسائل السهلة القريبة إلى عقولهم (٢). وكان على رأس وأهم الرسائل والكتب التي يجري تدريسها مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي كان - رحمه الله - لا يلتزم في مؤلفاته وتيرة واحدة في منهج التلقين والتعليم، بل يعطي منهجاً تعليمياً رائداً؛ حيث يراعي أحوال المتعلمين والموضوع المطلوب تعليمه؛ فأسلوب التعليم في العقيدة يختلف عن أسلوبه في دراسة السيرة مثلاً، ويختلف عن أسلوبه في دراسة الفقه، بل إن الأسلوب في موضوع تعليم التوحيد قد يختلف بين درس وآخر وبين فئة وأخرى من المتعلمين. (٣)

والباحث المنصف لا يملك إلا أن يتوقف عند سرعة نجاح البرنامج التعليمي الذي سلكه رجال الدعوة، وتحقيقه السريع لأهدافه . ولا شك في أن تقويم أي منهج تعليمي

(١) عبدالله العثيمين : محمد بن عبد الوهاب ص ٨١

(٢) حسين خزعل : تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٤٠

(٣) عبدالله العثيمين : المرجع السابق ٨١، ٨٢

إنما يكون بما يحققه من أهداف، ومقدار نجاحه في تغيير الدارسين وتطويرهم للقيام بما يُؤهلون ويُعدُّون له. (١)

وإذا كان منهجهم التعليمي ينصب على إصلاح العقيدة وتخليصها مما علقها من الخرافات والبدع وما يتبع ذلك من تعلم أحكام الدين من صلاة وزكاة وغيرها - وهذه القضايا هي قاعدة المنهج التعليمي وأساسه - فإنه قد جرى الإهتمام بالجوانب الأخرى المتعلقة بالمجتمع وضروراته، والاستفادة من جميع الإمكانيات المتوفرة، والحرص على ما يفيد المجتمع في الدنيا والدين، ونضرب لذلك مثلاً بتعلم رمي البنادق وصنعها، حتى تمكنوا من الاستغناء بما يصنعونه منها وشاع سلاحهم في نجد والحجاز والأحساء واليمن. (٢)

وكان من أهم آثار المنهج التعليمي الذي سارت عليه الدعوة هذا التغيير الكبير في حياة القبائل والعشائر التي انتقلت إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله وألبست غزواتها وبطولاتها التي كانت للسلب والنهب والعدوان هذا الثوب الخالد لإذاعة العقيدة الصحيحة ونشرها وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدرجياً بدأ أسلوبهم التعليمي يُحدث آثاره الماثلة للعيان، بتغيير الأمة كلها ديناً وخلقاً وسلوكاً ونظاماً واجتماعاً تحولاً من الفساد إلى الصلاح، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشر إلى الخير، وصدق الله العظيم إذ يقول: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم)) (٣) وقد لخص ابن بشر الآثار التي حدثت نتيجة لذلك بقوله: ((فعمرت نجد بعد خرابها وصلحت بعد فسادها - واجتمعت بعد افتراقها وحقنت الدماء بعد إهراقها - وصاروا ملوكاً بعد الذل والتفرق والقتال وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان وحديثه، الله يظهره على أعدائه ويجعله مالكا لمن عاداه)) (٤).

(١) عبدالله أبوراس : الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٥٢.

(٢) مؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ١٨٩

(٣) سورة الرعد - الآية ١١.

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٩١ وما بين الشرطتين انفردت به بعض النسخ منها طبعة دار الملك

عبدالعزيز ط ٤ عام ١٤٠٢هـ - ج ٢ ص ١١٥.

ومن خلال تتبع نشاط أتباع الدعوة ومنهجهم وآثاره في تلك الفترة نلاحظ الآتي :-

أولاً: كثرة العلماء وانتشارهم في جميع النواحي بعد ماكانت الحركة العلمية تكثر في بلاد معينة كإسبقر والعينة والدرعية، ولكن في القرن الثالث عشر قلما نجد أن البلدة أو القرية لا يوجد فيها عالم أو أكثر، وكل منهم بدوره يتخرج عليه علماء آخرون .

ثانياً: كثرة الأسر التي ينتمي إليها عدة علماء، فإذا كان العلماء يكثرون في أسر مشهورة كال مشرف والسماويل والقصير مثلاً، فإننا بعد ذلك بدأنا نسمع بأسر أخرى يتكاثر فيها العلماء فجاء آل معمر والحسين والبابطين والعتيق والعيسى والسليم والشبانة وآل سحمان والمانع والعدوان والمبارك وغيرهم .

ثالثاً: التوسع في العلم وتعدد الثقافات، بعد أن كان علمهم حتى مطلع القرن الثالث عشر تقريباً ينحصر في الفقه، أي في المسائل الفقهية، والمذهب السائد لديهم الحنبلي، فعلم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً، وعلوم اللسان لا يهتمون إلا بعلم النحو منها في مختصرات كتبهم، فيتعلمون ما يقوم أسنتهم من اللحن، فيندر من يتعدى الفقه إلى غيره. فلما انتشرت الدعوة تغير اتجاههم وتنوعت ثقافتهم، وتعددت العلوم، فصارت العناية بالتوحيد، لاسيما توحيد الألوهية، والاهتمام بكتب التفسير السلفية كابن جرير وابن كثير ونحوهما، كما صار الالتفات إلى كتب الحديث وأمتهات وشروحها (١) . وتجاوزوا ذلك إلى الاهتمام باللغة العربية وعلومها وأدابها، ونشطت الحركة الأدبية، فنجد المناظرات والردود والفتاوي والخطب، ومن ذلك ذبوع الشعر وانتشاره، علاوة على الاهتمام من قبل البعض بعلوم الفلك ومطالع النجوم حيث حالهم تستلزم معرفة دخول الأشهر للصيام والحج، والفصول للحرث والزراعة واشتهر منهم شعراء نظموا النجوم والأبراج وخواصها (٢).

وبعد هذا التمهيد عن التعليم لديهم وآثاره نتحدث عن بعض دعاة ذلك الجيل الذين كان لهم الاهتمام بالتعليم ومدارسه .

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) محمد القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ١٣٥ ، ج ٢ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الفصل الأول : أشهر المعلمين والمربين وجهودهم :

لقد كان من أكبر ثمار المنهج التعليمي والحظ التربوي الذي سارت عليه الدعوة صناعة ذلك الجيل المثالي من الرجال، والعدد الكثير من المعلمين والمربين الذين تتلمذوا على يد الشيخ الإمام وصنعهم على عينه، ودرسوا في مدرسته، فتسلموا زمام القيادة، وأمسكوا دفة الريادة، حتى حازوا قصب السبق، ونالوا أوفر الحظ في جميع مناحي حياة الأمة ديناً ودنياً.

فتلاميذ الشيخ هم الطبقة الأولى من المعلمين والمتعلمين الذين تخرجوا من تلك المدرسة الضخمة والدوحة السامقة، وإذا كانوا امتداداً طبيعياً للمدرسة التعليمية المشار إليها فهم كذلك القاعدة القوية التي سعت إلى تثبيت العقيدة الصحيحة وتجديد الدين ونشره. وهم البحر الزاخر والمعين الثر الذي سالت منه أنهار العلم الجارية تروي القلوب العطشى، وتطمس بنور العلم الساطع، الظلام الحالك وليس القصد هنا حصر أولئك المعلمين الدعاة وتتبع حياتهم والإحاطة بمنجزاتهم، فهذا يعتبر عملاً خاصاً مستقلاً لا بد أن يكرس لدراسة تلك المدارس وتلاميذها، علاوة على أن حصرهم من الناحية العددية قد يقصر عن إنجازة جهد الباحث، وقد اعترف بعجزه عنه من عايشهم وتتلمذ على كثير منهم، واطلع على كثير من أحوالهم ونعني مؤرخ الفترة عثمان بن بشر(١). وكيف لنا أن نحصرهم وبعض المصادر تقول إن عدد العلماء الذين انتهوا وصاروا أهلاً للقضاء بلغ في الدرعية وحدها مرة أربعمئة عالم. (٢)

ولكن تقريباً للفهم وتوضيحاً للصورة نقسم ذلك الجيل من المعلمين والمتعلمين إلى أربع

فئات هامة هي :-

- ١- أبناء الشيخ وذريته ٢- الأمراء والقادة ٣- علماء آخرين ٤- نموذج من النساء
- المعلمات الداعيات .

(١) ابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ٩٢.

(٢) إبراهيم بن عبيد : التذكرة ج ١ ص ٥٦.

أولاً: أبناء الشيخ وذريته :

استجاب المولى عز وجل دعاء عبده الصالح والإمام المصلح، الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان يلهج به ويردده (١) فرزقه ذرية صالحة مباركة، فصارت ذريته وذوهم الباؤون علماء عاملين، نهجوا طريقه وسلكوا دربه في الإصلاح والدعوة إلى الله، ونشر العلم وتجديد الدين وبيت الخير والهدى في الأمة. فاستحقوا من كل الأمة الامتنان والثناء والتقدير، والدعاء لهم بأن يجزيهم خير الجزاء . وكان الشيخ قد أنجب ستة أبناء وهم المشائخ : على وحسين وعبدالله وحسن وإبراهيم وعبدالعزیز، وبارك الله في ذريته فبلغوا عدداً كثيراً، اشتهر أكثرهم بالعلم والفضل مما يصعب معه الحديث عن علمهم ودورهم في التربية والتعليم والإصلاح(٢)، كما خلف -رحمه الله - ستاً من البنات على رواية لمع الشهاب (٣) كان لبعضهن جهودا في التعليم والدعوة فعلاوة على ما انجبته وربينه للدعوة من أمراء وعلماء مشهورين (٤) فإن إحدى بناته واسمها فاطمة كانت عالمة جلييلة كانت تجلس لطلاب العلم وتجعل بينها وبينهم سترة أثناء الدرس، وكانت تسمى صاحبة الهجرتين حيث هاجرت بعد سقوط الدرعية إلى عمان ثم عادت للرياض وكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتزيل البدع كما شاركت في تعليم العقيدة من حين سفرها (٥). وكان ممن تحدث عن ذلك العقب الصالح، وأفاض في مدحهم والثناء عليهم معاصرهم، المؤرخ عثمان بن بشر والذي تتلمذ على بعضهم، ونهل من علمهم الغزير، وشاهد كثيراً من حالهم، وشهد بعلمهم وفضلهم، وجهودهم في التعليم ونشر الدعوة، والذب عن دين الإسلام وسنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، فعلى يد أبناء الشيخ - رحمهم الله - قامت نمط المدرسة الإسلامية التي تميزت بها العصور الحديثة لجزيرة

(١) ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٩٥.

(٢) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ص ٣٣-١٠١

(٣) ص ١٠١

(٤) انظر بحثاً مستفيضاً عن بنات الشيخ محمد وذريته في بحث بعنوان (المرأة في حياة الشيخ كتبه حمد

الجالسر) ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٥٩.

(٥) عبدالله بن إبراهيم آل الشيخ : البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حتى سنة

١٣٩٢هـ ص ٦

العرب، والتي ظلت تواجه الصعاب وتآبى على الاندثار، وتناقلتها الأيدي الأمينة من ذرية الشيخ - يرحمهم الله - جيلاً بعد جيل .

ومن هنا فالمتتبع لما أورده ابن بشر وغيره من المصادر يدرك الجهود الكبيرة التي بذلها أبناء الشيخ وأحفاده من الرجال والنساء، وبالذات في القرن الثالث عشر في سبيل التعليم، ونشر المعارف الثقافية الدينية الأصيلة حيث درج الدعاة على تأسيس المدارس، ودور العلم في بيوتهم ومساجدهم ، هذا النمط من المجامع التعليمية الذي يعتبر النموذج الخاص للتعليم، والقضاء، علاوة على جهودهم الأخرى في تأليف المؤلفات وتحرير الرسائل، وبعثها إلى الأنحاء البعيدة والقريبة، مع الجد في عملية الوعظ والإرشاد والخطب وإمامة الناس في الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما لا يمكن أن يخرج عن محيط التعليم بصورة شاملة. (١)

ثانياً: القادة والأمراء :

من المعلوم بالضرورة أن الإسلام دين ودولة، فلا يمكن وجود دولة إسلامية لاتقوم على الدين، ولا يتصور نشر الدين الإسلامي والدعوة إليه بدون علم ومعرفة ورجال يقومون بذلك . ومن ثم فالعلاقة قوية، متصلة لاتنفصم بين رجال الدعوة عموماً- سواء من يسمون رجال دين أو رجال سياسة- فهم جميعاً رجال الدين وقادة الدعوة وناشروها والمدافعون عنها وعن دولتها وبلادها يكونون حلقة متصلة لا يدري أين طرفاها، والقصد هنا الإشارة إلى أهمية التعليم في صنع أبناء الدعوة عموماً، بما فيهم من شرفهم الله تعالى وابتلاهم بالقيادة والرئاسة والزعامة بصفة خاصة وأهمية الربط بين الدعوة والتعليم والسياسة مما لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

(١) للتوسع في معرفة جهود أبناء الشيخ وأحفاده انظر : ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٩١ وما بعدها ومؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ١٠١ وما بعدها وطف الله أحمد حجاج : درر نحو الحور العين (مخطوط) ورقة ٤٥٤ وهذا المصدر تحدث عن بنات الشيخ، وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام ص ٢٢٩ وعبدالرزاق البيطار: حلية البشر في رجال القرن الثالث عشر ج ٢ ص ٨٢٩ وإبراهيم بن عيسى : عقد الدرر ص ٥١.

ولهذه العلاقة والإهتمام بالعلم والتعليم فإن الأمراء والحكام من آل سعود استطاعوا في فترة وجيزة تحويل هذا النمط الفريد، والبرنامج الإسلامي المحصن في التعليم والتوجيه، والتربية والتثقيف إلى سياسة تعليمية رسمية، لها مناهجها وأصولها وطرقها ولها اعتبارها ومن يقومون بها مما أعطى أعظم النتائج، بعد أن كان المجتمع بما فيه مناهج التعليم - ان وجدت - تتخبط في دياجير الظلام، وأنواع الجهل المطبق على الأمة، نتيجة لغربة الدين في الأمة (١). وهكذا شاركت تلك الفئة عامة الجمهور في تلقي العلم وتحصيله، بعد أن تيقن الجميع أنه لا يمكن التصدي لواجب الدعوة إلى الله على هدى وبصيره إلا بالتسلح بالعلم، والسعي في طلبه. ونتيجة لذلك استطاع منهجهم التعليمي أن يختم ببصماته على الدولة الإسلامية - بما فيها قادتها وأتباعها- التي أنشأوها وقاتلوا من أجلها، ومن ثم فالمطلع على حال أولئك القادة ورسائلهم ووثائقهم يصل إلى يقين جازم أن هذه الدولة التي احتضنت الدعوة قد تكون الوحيدة التي تدل واثائق ولاتها ونصائحهم على روح إسلامية أصيلة، وعلى علم يوصل كثيراً منهم إلى مرتبة العلماء الكبار والمجددين الأخيار (٢) من أبرز هؤلاء الأئمة الإمام عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢١٨هـ) وابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز (ت ١٢٢٩هـ) والإمام تركي بن عبدالله (ت ١٢٤٩هـ) وابنه الإمام فيصل بن تركي (ت ١٢٨٢هـ) فمما قال الإمام عبدالعزيز بن محمد :

((فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكلام الأئمة الأعلام-رضى الله عنهم- كأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أن (لا إله إلا الله) معناها ترك كل معبود سوى الله، وإخلاص الألوهمية لله تعالى وحده، وأن توحيد العبادة هو أفراد العباد ربهم بأفعالهم التي أمرهم بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، فإذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك تأليها للغير مع الله، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، وليس التوحيد خاصاً بإفراد الله بأفعاله تعالى وتقدس ... لأن هذا قد أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام ويسمى توحيد الربوبية .. فلما فهمنا ذلك وعملنا به قام علينا أهل الأهواء فخرجونا وبدعونا وجعلوا

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ٢٧

(٢) عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية ج ١٢ ص ٥٤

اليهود والنصارى أخف شراً منا ومن أتباعنا، ولم ننازع المخالف في سائر المعاصي، ولا المسائل الاجتهادية، ولم يجر الاختلاف بيننا وبينهم في ذلك بل في العبادة بأنواعها والشرك بأنواعه)). (١)

وكتب الإمام سعود بن عبدالعزيز جواباً طويلاً إلى سليمان باشا والى بغداد (ت ١٢١٦هـ) ضمنه ما هم عليه من العقيدة، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والنصح للأمة، مستدلاً على إنكار البدع بأقوال علماء المذاهب المشهورين من الشافعية والحنابلة والمالكية وغيرهم (٢).

وفي رسالة الإمام تركي بن عبدالله بمناسبة توليه الإمامة التي وجهها للأمة نجد أسلوب العالم البارز، الذي ينصح الأمة ويفصل في قضايا العقيدة والمعاملات وأنواعها ويحذر من الربا ويبين أنواعه وأدلتها، وحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاهتمام بأمر الدين عامة، وضرورة قيام الكل بمسئوليته لأن كل راع مسئول عن رعيته (٣).

وأما الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - فقد ذكّرنا شيئاً عن حاله وجهوده، فله رسائل كثيرة تدل على علمه وفضله وتدينه، وتبحره في قضايا العقيدة وأحكام المعاملات وغيرها مما فاض واشتهر على كل لسان، فهو معلم ومربي دون شك، فمن جهوده في مجال التعليم والتوجيه كتابة النصائح وبعثها للبلدان والأمر بقراعتها في المساجد ونسخها وإعادة قراعتها بعد كل فترة (٤) وبعض رسائله تدل على علمه بالتفسير وأقوال المفسرين (٥). وكان هذا الاتجاه من قادة الدعوة عنصر مهم في نجاح الدعوة وانتصارها، ومؤثري واقعها الديني والسياسي فمن ابتلاهم الله بالزعامة والقيادة قدوة فإذا التزموا شرع الله وعرفوا أحكامه فإن ذلك نعمة كبرى ومنة عظيمة على الأمة كلها.

(١) الإمام عبدالعزيز بن محمد: رسالة الإمام عبدالعزيز الأول بن الإمام محمد بن سعود ص ٧٠٦.

(٢) الإمام سعود بن عبدالعزيز: ضمن الدرر السنية ج ١ ص ٣٠٥ وما بعدها.

(٣) الإمام تركي بن عبدالله: ضمن الدرر السنية ج ١١ ص ٥ وقد أورد هذه الرسالة ابن بشر في تاريخه ج ٢ ص ٥٧.

(٤) فيصل بن تركي: ضمن الدرر السنية ج ١١ ص ٤٦.

(٥) المصدر السابق ج ١١ ص ٥٩.

ثالثاً : علماء آخرون :

أشرنا في مقدمة الباب إلى أن من آثار المنهج التعليمي الذي اتبعه معلمو الفترة كثرة العلماء وانتشارهم في طول البلاد وعرضها، وتعدد الأسر التي ينتمي إليها عدة علماء بعدما كان العلماء يكتفون في أسر محددة، ونشير هنا إلى أبرز العلماء من خارج الفئتين السابقتين ، ولاشك أن التوسع الذي حققه المنهج التعليمي، وتعدد الأسر التي أخرجت أكثر من عالم وكثرتها، فهذه الجوانب تدل على المرحلة المتقدمة التي وصل إليها التعليم واستفادة جميع طبقات الشعب من فرصه المتاحة، وكذلك التحول الكبير في التعليم نوعاً وكيفاً؛ مما لازالت الأمة تجني ثماره وتتفياً ظلالة، وقد يكون من المفيد أن نورد بعض الأسماء التي برزت في هذا المجال في فترة البحث .

١- مفتي نجد عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين ولد في روضة سدير مع إطلالة القرن الثالث عشر الهجري وتربى في بيت علم ودين، لازم عدة علماء مشهورين ، ثم سافر إلى شقراء واستوطنها، وقرأ على الشيخ عبدالعزيز الحصين (١) وغيره حتى نبغ في فنون عديدة، فصار مضرباً للمثل، ووعاء من أوعية العلم، قوي الفهم والحفظ، تولى القضاء في الطائف ، وجلس هناك للتدريس والتعليم ، وقرأ عليه جماعة كثيرة في الحديث والتفسير والعقيدة، وبعد رجوعه إلى شقراء قاضياً فيها جلس للتدريس والتعليم وانتفع الناس بعلمه بعد أن أحبوه خاصهم وعامهم، كان جلدأ على التدريس لايميل ولايضجر ولايرد طالباً، علاوة على جهوده المشهورة في التأليف والردود(٢).

قال ابن بشر : ((وفيها - سنة ١٢٥١هـ - طلب رؤساء القصيم من الإمام فيصل أن يبعث إليهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين قاضياً في بلدانهم ومدرساً لطلبة العلم في أوطانهم فأمر

(١) عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري التميمي، ولد بقرية الوقف (بالقراثن) بالوشم سنة ١١٥٤هـ تعلم في القراء، ثم ارتحل إلى الدرعية في أوج عزها وأخذ العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب حتى أصبح عالماً فاضلاً، عمل في الوشم قاضياً ومدرساً وكان مناظراً بارعاً أثنى عليه ابن بشر توفي سنة ١٢٣٧هـ في شقراء (ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ١٨٩، وابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٢٢٤ محمد القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ٢٤٦ والبسام : علماء نجد ج ٢ ص ٤٧٦).

(٢) ابن عيسى : عقد الدرر ص ٤٥-٤٦ .

إليه الإمام أن يسير إليهم ... فأقام عندهم، فأكرموه غاية الإكرام، وانتفعوا بعلمه)) (١) وكانت إقامته في عنيزة حتى عام ١٢٦٩هـ .

وقد أثنى عليه كثير من معاصريه ومن بعدهم لسعة علمه، حتى صار مرجعاً من مراجع المسلمين في بلدان نجد فأطلق عليه لقب (مفتي الديار النجدية) توفي سنة ١٢٧٢هـ في شقراء (٢).
٢- العالم المجاهد حمد بن علي بن عتيق ، ولد بالزلفي وقرأ فيها حتى سمت همته وتاقت نفسه إلى طلب العلم فهاجر للرياض سنة ١٢٥٣هـ فتلقى العلم عند أئمة الدعوة الأعلام، كان حريصاً مجتهداً فرغ نفسه للعلم برغبة ونهم، مهر في الفقه والعقائد وغيرها، ولي القضاء في عدة بلدان في جنوب البلاد آخرها قضاء الأفلاج، حيث استقر بها وجلس لطلاب العلم، يأتونه أفواجاً أفواجا، فتخرج على يديه خلائق لا يحصون، من أجلهم علامة نجد وزعيمها الديني في زمنه عبدالله ابن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ) والداعية المشهور سليمان بن سحمان، كما قرأ عليه أبناؤه المشهورون (٣) وهكذا حمل أمانة العلم والتعليم في المنطقة، وأسس الشيخ حمد بيت عزة وشرف لأسرته، حتى لقد اشتهر على الألسن قول الشاعر محمد بن عثيمين (ت ١٣٦٣هـ) يرثي شيخه سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ) نجله الأكبر:

بنى لكم حمد يا آل عتيق علا لم بينها لكم مال ولاخطر
لكنه العلم يسمو من يسود به على الجهول ولو من جده مضر (٤)

وإن من جهوده الكبيرة في ميدان التعليم تأليف الكتب والردود ومراسلة كبار العلماء في الهند وغيرها حتى أصبح من كبار دعاة العصر ومعلميه توفي سنة ١٣٠١هـ في الأفلاج (٥).
٣- التاجر القدوة الشيخ أحمد إبراهيم بن عيسى من قبيلة بني زيد المشهورة، ولد ببلدة أسرته شقراء ثم ارتحل للرياض حيث أخذ العلم عن أشهر علمائها الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) ابن بشر : المصدر السابق وعبدالله البسام : علماء نجد ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٣) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ص ٢٢٤ .

(٤) إسماعيل بن سعد بن عتيق : هداية الطريق في رسائل وفتاوي الشيخ حمد العتيق (المقدمة) ص ٥

(٥) البسام : المرجع السابق ج ١ ص ٢٣١ .

عبد اللطيف، ثم سافر إلى مكة للحج ثم أخذ يتردد عليها للتجارة، وكان لصدقه في تعامله الأثر القوي في لفت الأنظار إليه وقبول جهوده في تصحيح ما كان شائعاً عن الوهابيين من قبل خصوصهم جرت له مجالس للمناظرة والتعليم نفع الله بجهوده وتعليمه الناس العقيدة الصحيحة في الحجاز، وانتهت دروسه ومناظراته بإقناع معارضيه بالتسليم له أن عقيدة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم.

وهكذا استطاع بأسلوبه اجتذاب كثير من الناس إلى هذه الدعوة الإصلاحية المباركة. واستمر في جهوده ومثابرتة في التدريس والتأليف وتحرير الردود، وطبع الكتب الهامة على نفقته وتوزيعها مجاناً، وقد أخذ عنه خلق كثير في الحجاز ونجد. (١) ومن ثم كان لجهوده أعظم الأثر في الحجاز - آنذاك - حيث البدع والمنكرات والمعارضون الكثر فأعانه الله على الدعوة إلى الله والتعليم والتوجيه توفي سنة ١٣٢٩هـ في الجمعة). (٢)

٤- رحمة الله بن خليل العثماني يرجع نسبه إلى عثمان بن عفان - رضى الله عنه- ولد في الهند وتلقى علومه على أشهر علمائها، ثم شرع في نشر العلم ومقاومة المبشرين، له المناظرة المشهورة مع القسيس (فندر) التي انتصر فيها على رئيس البعثة التبشيرية في الهند، قدم إلى مكة المكرمة مهاجراً، فعقد فيها حلقات الدرس، وكثر طلابه ومريدوه، من بينهم بعض أشرف مكة وكبار علمائها، كان له دور رئيسي في تأسيس المدرسة الصولتية المشهورة بمكة المكرمة، وله جهود أخرى في التعليم والتأليف حتى توفي بمكة سنة (١٣٠٨هـ). (٣)

٥- الشيخ أبوبكر بن الشيخ محمد عارف خوقير الكتبي ولد بمكة سنة ١٢٨٤هـ طلب العلم صغيراً وكان شغوفاً بكتب الحديث ومطالعتها، دأب على السفر للهند لطلب كتب السلف ونشرها بمكة، وكان ينتهز الفرص لتلقي العلم عن علماء الهند الأعلام، كما يروي لتلميذه الشيخ عبدالستار الدهلوي. عكف الشيخ أبوبكر خوقير على مؤلفات شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب، فشغلت ذهنه مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام، وبعد أن تبلورت لديه مسألة العقيدة وضرورة

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٢) محمد القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ٦٩

(٣) عمر عبدالجبار : سير وتراجم ص ١٠٨ ومحمد عبدالقادر خليل : المناظرة الكبرى ص ٢٩.

إخلاص العبادة لله تعالى، شرع- رحمه الله- يدعو إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وكان ينقم على الذين يشدون الرحال للأولياء ويتمسحون بالقبور، ويطلبون منها طلب الخير ودفع الشر، وأذبي بسبب سلامة معتقدة، ومنع من التدريس وأودع السجن، وفي آخر حياته اعتزل الناس ولازم المسجد للعلم والعبادة إلى أن توفي بمكة سنة ١٣٤٩هـ. (١) .

وهناك علماء آخرون يصعب حصرهم في نجد والحجاز كانت لهم جهود رائدة في التعليم والتربية وما سقناه أمثلة لأولئك الأشخاص الذين خدموا العلم وأفادوا الأمة وسطروا أعظم الأمثلة لدعاة الإسلام، الذين يتخزون من العلم سلاحاً للدعوة إلى الله على هدى وبصيرة.

رابعاً : نصيب النساء في التعليم والدعوة :

وإذا كان ما سبق من نماذج مختصرة عن جهود نزر من الدعاة العلماء وأثر علمهم وتعليمهم تنبئك عما سواها، فإن للنساء نصيب من تلك الجهود، فلم يكن التعليم والتدريس والدعوة إلى الله قصراً على الرجال، بل كان هناك نساء صالحات شاركن في التعليم كمشاركتهن في جهود الدعوة الأخرى مما يتناسب مع فطرتهن، حيث لن ننسى بطولات غالية البقمية (الوهابية)(٢) وجهود بعض بنات الشيخ ابن عبدالوهاب في الدعوة (٣).

وتأتي على قائمة النساء الملمات الشيخة (فاطمة بنت محمد الفيضلي) الصالحة العالمة العابدة الزاهدة، طلبت العلم من صغرها، وصار لها همة في جمع الكتب فجمعت كتباً كثيرة ترجم

(١) عمر عبدالجبار : المصدر السابق ص ٢٢ وعبدالرحمن عبداللطيف : المرجع السابق ص ٤٢٧

والزركلي: الاعلام ج٢ ص ٧٠.

(٢) غالية من عرب البقوم سيدة شجاعة كانت أرملة رجل غني من قومها في بلدة تربة ، يقول الجبرتي عند حديثه عن بطولاتها كانت أميرة على قومها الذين استجابوا للدعوة الإصلاحية وكانوا أشد مناصريها فرقت أموالها لحرب الترك وأعوانهم ولبطولاتها، نعتها المصريون بالساحرة لما رأوه من شدة بأسها وبحرها المهاجمين توفيت سنة ١٢٢٩هـ، كتب عنها الزركلي ترجمة طويلة، (الجبرتي : عجائب الآثار ج٣ ص ٤٤٦ والزركلي: الاعلام ج٥ ص ١١٥).

(٣) حمد الجاسر : مرجع سابق ص ١٥٩، وانظر ص ١٧٨ من هذا البحث.

لها ابن حميد ترجمة وافية، وأثنى عليها ثناء عطرأ، استقرت في آخر حياتها في مكة المكرمة، أخذ العلم عنها بمكة جمهور من العلماء لايحصون، ولها كرامات كثيرة ساقها ابن حميد، الذي يقول كذلك : (وأما النساء فاعتقادهن فيها فوق الحد، وانتفاعهن بها لايحصى بالعد، حتى إن كثيراً من صحبها من النساء إلى اليوم يعرفن بالتفقه والصلاح... وبالجملة كانت من عجائب الزمان وقفت كتبها جميعها على طلبة العلم الحنابلة) وتوفيت في منتصف القرن الثالث عشر بمكة المكرمة (١) . وهناك في إقليم الحجاز نساء كثيرات كن يقمن بأعمال التدريس والتعليم ولهن أماكن مشهورة عبارة عن كتاتيب (٢) . وكانت من النساء اللواتي لهن باع في التعليم والتربية في بلاد نجد الشيخة (سارة بنت الشيخ ابن كسوان) زوجة الشيخ حمد بن عتيق عالم الأفلاج السابق ذكره، كانت حافظة لكتاب الله عن ظهر قلب من صغرها، حتى قيل إنها في أول ليلة من زفافها قرأت على زوجها الشيخ حمد سورة البقرة من أولها إلى آخرها حفظاً عن ظهر قلب، وكانت معروفة بالانقطاع للعبادة والقراءة ومطالعة الكتب وتعليم النساء ، وتربية الأطفال تربية إسلامية، وكانت تعلم البنات والأطفال (٣) بأسلوبها الفريد فبلغت شهرتها إلى حد أن تزاحم لديها الطلبة من البنات والبنين ، وشاركت زوجها في تكوين ذلك البيت الديني المشهور لآل عتيق، وبسببها وتربيتها كان أولادها من خيرة أهل وقتهم في العلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، وسعى بعضهم إلى أعلى المراتب في العلم والشهرة وكانوا ممن اشتهر عنهم الصدع بالحق ممن لاتأخذهم في الله لومة لائم وعندهم غيره (٤) . وهو ما كان ثمرة من ثمار تلك التربية التي غرستها وسقتها ورعتها حتى أتت أكلها كل حين بإذن ربها أمهم الصالحة والمعلمة الفاضلة، وهكذا تكون الأم والأخت والزوجة قدوة خير ومثلاً يحتذى في الإيمان والصلاح والتقوى والتوجيه والتعليم والتربية.

(١) محمد بن حميد : السحب الوابلة (مخطوط) ورقة ٢٠٥ .

(٢) انظر : عبداللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ص ٣٢ وما بعدها .

(٣) عبدالله البسام : علماء نجد ج٢ ص ٤٥١ .

(٤) محمد القاضي : المرجع السابق ج ١ ص ٢٨١ .

الفصل الثاني أماكن التعليم وأشهر المدارس

تمهيد :

عندما نتحدث عن أماكن التعليم وأشهر المدارس فأول ما يتبادر إلى الذهن المسجد وأهميته في احتضان التعليم والمتعلمين من حين بزغت شمس الإسلام، ومن هنا يمكن القول إذا كانت المساجد تبنى وترفع لذكر الله والصلاة والعبادة، فإن من مهامها التعليم والتوجيه للأمة، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (منبهاً إلى بعض فضائل المسجد من هذه الناحية: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)) (١) فأدرك المسلمون تلك المعاني الجليلة والفضائل العظيمة، وأخذوا يتسابقون على المساجد ويتزاحمون فيها فامتلات ساحات المساجد وأروقتهما بحلقات العلم ومجالس الذكر - وفي مقدمتها الحرمين الشريفين - بطلبة العلم والفقهاء والقواد والعظماء المشهورين. ومع مرور الأيام وكثرة المتعلمين وتعدد الحلقات في المساجد اشتدت الحاجة إلى وجود بعض الحلقات خارج المساجد وفي أماكن مخصصة، وبالأخص أماكن تعليم الأطفال حيث لا يحبز كثير من العلماء جعلها في المساجد لعدم احتفاظهم من النجاسة كما روي عن الإمام مالك (٢). ومن منطلق اهتمام المسلمين وجد في العالم الإسلامي ما يقال عنه معهدان تعليميان أساسيان هما: الكتابُ والمسجد فأخذوا على عاتقهما تدريس القرآن الكريم والعلوم العربية والشرعية وغيرها. فكان اهتمام الكتاب بتدريس الأطفال الصغار في الغالب، واهتم المسجد بحلقات الدرس التي يعقدها العلماء لطلابهم في الدراسات الإسلامية المتخصصة وغيرها (٣)

وسار التعليم في نجد والحجاز على هذا النمط ، وإن كان التعليم في الحجاز أكثر نشاطاً وبالذات في الحرمين الشريفين بخلاف نجد التي كان يخيم عليها الجهل، ويلفها بظلامه، لحين قيام الدعوة الإصلاحية في نجد التي شجعت التعليم، وكانت من أسباب الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي بعامة وفي جزيرة العرب بخاصة.

(١) أخرجه أبوداود في سننه عن أبي هريرة (باب ثواب قراءة القرآن) ج ٢ ص ٧١ وصححه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤١.

(٢) أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام ص ٣٢٤.

(٣) عبداللطيف الدهيش : المرجع السابق ص ٩.

بأنها كان بها أربعة وعشرون كتاباً خُصَّصَ واحدٌ منها لتدريس اللغة الفارسية أنشأها السلطان عبدالمجيد (١) غير كتاتيب البنات والمدارس الكثيرة القريبة من الحرم (٢) .

أما بالنسبة لنجد فإن تطور التعليم فيها جاء مرافقاً للدعوة الإصلاحية وكان الاهتمام في بداية الأمر ينصبُّ على حلقات التعليم في المساجد، ولكن مع كثرة الوافدين والراغبين في العلم أقام بعض المعلمين وبالذات أبناء الشيخ ابن عبدالوهاب كتاتيب، وهي ما يطلق عليها ابن بشر مدارس قرب بيوتهم (٣). وعلى ذكر المدارس نشير إلى أن لفظة: (مدارس) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعليم ونشأته والاهتمام به من قِبَل المسلمين ، ولو نظرنا إلى ما يُسمى كتاتيب وحلقات تدريس ومدارس لوجدناها متصلة الحلقات حيث أن الكتاب والحلقات كثيراً ما تتحول إلى مدارس ، وقد وجد في العالم الإسلامي مدرستان رئيستان - كما سبق أن أشرنا - انطلاقاً من الكتاتيب والحلقات حيث أصبحت في مكة المكرمة والمدينة المنورة مدرستان كبيرتان ينافس بعضهما بعضاً (٤). وهكذا لم تكن الكتاتيب والحلقات إلا طريقاً للمدارس التي بقيت ترتبط بالواقع الديني السياسي والاجتماعي للأمة .

وبخصوص المدارس في نجد فإن أقدم النصوص المتعلقة بالمدارس في نجد ما ذكره ابن حميد (٥) من أن الشيخ سليمان العتيقي من بلدة (حرمة) الذي يظهر أنه من علماء القرن الثاني

-
- (١) السلطان عبدالمجيد بن السلطان محمود الثاني بن عبدالحميد ولي السلطنة العثمانية بعد وفاة والده سنة ١٢٥٥هـ وهو الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان في حين كانت الدولة منشغلة بحرب محمد علي ، لكن الدول الأوروبية ساعدتهم مما اضطر محمد علي للرضوخ وعقد معاهدة مع العثمانيين توفي سنة ١٢٧٧هـ (ابن بشر : عنوان المجد ج٢ ص ٨٨ ، و خليل مردم بك: أعيان القرن الثالث عشر ص ١١).
 - (٢) علي بن موسى : وصف المدينة ص ٥٢ .
 - (٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٩٢
 - (٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٧٢ .
 - (٥) محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد الحنبلي ، ولد سنة ١٢٣٢هـ في عنيزة وبها نشأ في بيئة علمية ثم عمل في الزراعة لكن تركها ، طاف كثيراً من البلاد طلباً للعلم ، واستقر في مكة حيث قام بالتدريس والتأليف عين لإمامة المقام الحنبلي في المسجد الحرام حتى توفي سنة ١٢٩٥هـ بالطائف ، من المتحاملين على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ابن حميد: السحب الوابلة - مخطوط - ورقة ٤٣ ، ٤٨ ، ١١٤ والشطي: مختصر طبقات الحنابلة ص ١٦١ والكتاني: فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٩٢ والبسام: علماء نجد ج ٢ ص ٨٦٢)

عشر الهجري أوقف له مدرسة بسدير ووقف عليها كُتُباً جمة ونَحْلًا تُصَرَّفُ غَلَّتْهُ للطلبة(١) ولربما أطلق لفظ مدرسة في ذلك الحين على الكتاب وبالذات عندما تكون كبيرة، وقد نستشف من قول ابن حميد شيوع المدارس لديهم وإن كانت قليلة .

والمطلع على ما كتب من تاريخ المنطقة وتراجم أعلامها يدرك بداية الاهتمام بالتعليم الذي رافق قيام الدعوة وكثرة الكتايب التي تتحول إلى مدارس وانتشارها في المدن العلمية كالدرعية التي تحولت إلى مدينة جامعية فيها حوالي ثلاثون مدرسة كما ينقل عن المؤرخ الفرنسي (كورانسيز)(٢) في كتابه المطبوع في أوائل القرن التاسع عشر (٣) . كما يذكر مؤرخ الخليج (لوريمر ت ١٩١٤م) أن التعليم في القصيم كان منتشراً ومتقدماً لوقوع الإقليم على الطرق التجارية، لذلك فإن عدد المدارس كان في بريدة مع نهاية القرن الثالث عشر سبع مدارس، تدرس فيها القراءة والكتابة والأمور الدينية واللغوية وفيها خمس مدارس للبنات، كما كان في عنيزة أربع مدارس ، تعلم كذلك القراءة والكتابة منها واحدة للبنات إلى جانب حلقات التعليم المنتشرة في المساجد بعد الصلاة (٤) وكان في مدينة الرياض ومثلها عدد من المدن المشهورة الأخرى في نجد قليلاً من المدارس في فترة البحث، منها في الرياض مثلا (٥):-

- ١- مدرسة خالد بن سعود(٦) ، أسسها حينما حكم نجداً من قبل الوالي المصري في القرن الثالث عشر (بين ١٢٥٥-١٢٥٧هـ) .
- ٢- مدرسة آل حيان وهي مدرسة قديمة جداً بقيت إلى ثلث القرن الرابع عشر.

-
- (١) ابن حميد : السحب الوايلة (مخطوط) ص ١٩ .
 - (٢) اوليفيه ده كورانسيز، مؤرخ فرنسي كان عضواً في البعثة العلمية التي رافقت نابليون لمصر، ثم عمل قنصلاً لفرنسا في حلب من كتبه (تاريخ الوهابيين) من أوائل الكتب التي صدرت في الغرب عن الوهابية، توفي بباريس بعد سنة ١٨١٠م (منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢٠٢) .
 - (٣) عبدالله أبوراس : التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٦٥ .
 - (٤) لوريمر : دليل الخليج (القسم الجغرافي) ج ١ ص ٩٧ .
 - (٥) ورد ذكر هذه المدارس وغيرها في خطاب موجه من عبدالرحمن بن سليمان الرويشد إلى أحد رجال التعليم المعاصرين ، ضمن أبوراس : المرجع السابق ص ٦٧ .
 - (٦) الأمير خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولد بالدرعية من أم حبشية، ونقل إلى مصر بعد هدم الدرعية، رأى فيه الباشا بغيته في حكمه للبلاد النجدية وضرب أهلها بعضهم ببعض فأرسله بقوة =

القرن (١) . والمدرسة الفخرية تأسست قريبا من ذلك الحين (٢) كما وجدت مدارس خاصة بتعليم البنات (٣) علاوة على الكتاتيب - بالطبع - التي كانت تؤدي دورها بكل همة ونشاط.
ثانياً : حلقات التدريس :

وهي تعتبر المرحلة الثانية بعد الكتاتيب من مراحل التعليم، وسبق الحديث عن العلاقة القوية بين المساجد وحلقات التدريس فيها، والمنهج في تلك الحلقات يميل إلى البساطة المستقاة من بساطة المجتمع وطريقته في الحياة والعيش آنذاك، وبالرغم من أهمية تلك الحلقات وأثرها إلا أن فوائدها كانت محدودة ضيقة النطاق، بسبب صعوبة الحياة والفقر والتقصير الذي كان يخيم على أفراد المجتمع ويصرفهم عن التعليم والإبداع والعطاء الكثير للمجتمع الصغير الذي كان يعيش فيه أولئك الأفراد القلة من المتعلمين.

ولكن مع الاهتمام بالتعليم الذي رافق قيام الدعوة الإصلاحية في نجد، واحتكاكها بالواقع التعليمي في الحجاز من خلال المناظرات والمحاورات التي تجري بين أتباع الدعوة ومعارضيه، توسعت دائرة تلك الحلقات لتشمل علوماً أخرى لم يهتموا بها كالتوحيد والحديث، حيث كان الدارسون في نجد يعكفون على رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٤). وبعد ذلك يتوسعون في قراءة التفاسير، كتفسير ابن جرير وابن كثير وصحيح البخاري وغيرها (٥). وكان للنقاش الذي يجري بين الدعاة ومعارضيهم بخاصة في الحجاز أثره على الواقع التعليمي وعلى المجتمع ككل، كما

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) السباعي : مرجع سابق ج ٢ ص ٥٨١

(٣) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية ١٥٤ .

(٤) لمع الشهاب : مؤلف مجهول ص ٢٨

(٥) عبدالرحمن بن حسن : ضمن الدرر السنية ج ١١ ص ٢١ ، ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٧١ .

يصرح بذلك بعض معاصري تلك الفترة، فالمؤرخ اليمني (لطف الله جحاف) (١) يقول بعد حديثه عن سيطرة قوات الدعوة على مكة سنة ١٢١٨هـ : ((ووصلت الأخبار بصلاح حجاج اليمن بسبب صاحب نجد - ابن سعود- واشتهر بين الناس أن أهل الحجاز تشرعوا أو تركوا كثيراً من منكراتهم ولزموا الأمانة وتطهروا بالديانة وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وهجروا المعاصي، وكانوا قبل لا يدينون بدين الحق يتحدث عنهم الحاج بكل مكروه)). (٢)

ولم تكن حلقات الدرس خاصة بالرجال بل يفهم من عبارة (لمع الشهاب) والشيخ عبدالرحمن حسن أن النساء كنّ يحضرن حلقات الدروس، ولكن الشيخ عبدالرحمن يضيف قوله: إنه قد جعل لهم أماكن خاصة بحلقاتهن (٣) وكان الشائع أن الذين يقومون بالتدريس بالمساجد يعملون ذلك حسبة وطلباً للأجر والثواب من الله تعالى، عدا بعض المساجد القليلة المخصص لهم فيها أوقاف في نجد والحجاز أو ما بدأت تدفعه الدولة العثمانية للمعلمين والمتعلمين في الحرمين وإن لم يكن ثابتاً دائماً (٤). وكذلك ما درج عليه قادة الدعوة في الدولة السعودية من تشجيع العلم وطلابه وبذل العطايا لهم من بيت المال (٥) ، وكان الكثير ممن يتولون التدريس في الحلقات من خيرة العلماء المشهورين، فهم يتفانون في نفع طلابهم بطريقة لا نجدها عند غيرهم ، وكأنهم بذلك يعوضون كثيراً مما يفوت الطلاب من التعليم لقلة الإمكانيات ولنقص الوسائل والكتب والحلقات والمدارس. وفي مقابل تفاني المعلمين وإخلاصهم نجد حرص الطلبة القلة الذين تمكنهم ظروف المعيشة من الدراسة والاقبال عليها حتى لنجد أن الطلاب ينتقلون في الدراسة على مشايخهم في البلدة الواحدة إلى حلقات متعددة يدرسون عند كل شيخ ما يجيد من توحيد أو فقه أو لغة أو فرائض ولربما انتقل الطلاب إلى الحلقات الأخرى في البلاد المجاورة.

(١) لطف الله بن أحمد بن جحاف اليمني، ولد في صنعاء ١١٨٩هـ وأخذ العلم عن علماء عصره، برع في

العلوم الدينية والعربية والمنطق، درس وصنف ونظم الشعر، توفي سنة ١٢٤٣هـ (محمد زياره : نيل

الوطر ج ٢ ص ١٨٩ والشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ٦٠).

(٢) لطف الله جحاف : درر نحر العيون - مخطوط - ورقة ٣٤٣.

(٣) مؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ٢٨ وعبدالرحمن بن حسن : الدرر السنوية ج ١١ ص ٣١.

(٤) محمد بن عبدالرحمن الشامخ : التعليم في مكة المكرمة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني ص ٩٥.

(٥) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٥.

وعلاوة على حلقات التدريس في المساجد وبجوارها فإن أسراً كثيرة في الحجاز ونجد اشتهرت بجعل منازلها أمكنة للتعليم والتربية والتوجيه، يتردد عليها الطلاب ليأخذوا من أصحابها العلم والتربية الحسنة والخلق الرفيع، فكانت تلك الحلقات الخاصة تؤدي دوراً رائداً في هذا المجال، أسوة بحلقات التدريس والكتاتيب، حيث كانت بعض دور العلماء تمنح طلبتها دروساً خاصة (١). وكان هناك بيتان مشهوران في القصيم حتى نهاية القرن الثالث عشر كانا عبارة عن مدارس خاصة لكل من الشيخ محمد السناني (٢) في عنيزة (٣). والرحالة محمد بن عبدالكريم الشبل في عنيزة (٤)، هذا علاوة على البيوت العلمية المشهورة كبيوت ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض بيوت أمراء آل سعود بالرياض (٥) وقد بقيت الحلقات الدراسية المنتشرة في البلاد تؤدي دوراً هاماً في التعليم توصل بعض النابهين إلى درجات عليا ومكانة متقدمة في الأمة حتى تطورت إلى المدارس المعروفة.

ثالثاً: السفر في طلب العلم :

وإذا كان ماسبق تعداده من أهم وسائل الحصول على العلم، فإن مما كان شائعاً لديهم من طرق الحصول على العلم الهجرة والسفر لطلبه ، بالرغم مما كان يحف السفر - آنذاك - من

(١) للتوسع في ذلك انظر، أحمد السباعي : المرجع السابق ج٢ ص ٥٨ والشريف أحمد بن زيد: تقرير عن الكتاتيب بمكة المكرمة ص ٤ والدهيش : الكتاتيب في الحرمين ص ٢١ وبكري شيخ أمين: مرجع سابق ص ١٤٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن محمد السناني من قبيلة سبيع ولد في عنيزة ونشأ بها وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى الشام والعراق للاستزادة بالعلم، لازم الشيخ عبدالله أبابطين ثم قاضياً في عنيزة خلفاً له وتوفي سنة ١٢٦٩هـ بعد شهر من توليه القضاء (عبدالله البسام : علماء نجد ج٣ ص ٧٧٤) .

(٣) محمد القاضي : مرجع سابق ج٢ ص ١١٥ .

(٤) عبدالله البسام : علماء نجد ج٣ ص ٨٤٧ .

(٥) ابن بشر : المصدر السابق ج١ ص ١٧١ وما بعدها وج٢ ص ١٣٥ .

مشقة ومخاطر لصعوبة الحياة وعدم توفر الأمن ووسائل المواصلات، ولكن كثيراً ما يقاوم الطلبة ذلك عندما يكون الهدف سام والغرض شريف كطلب العلم، ومن أمثال هؤلاء في القرن الثالث عشر الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب الذي سافر وتنقل من أجل طلب العلم والدعوة ومحاربة البدع بين مصر والحجاز والهند (١)، والشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل الذي رحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق وتركيا والهند (٢) والشيخ راشد بن علي بن جريس الحنبلي الذي رحل في طلب العلم ونشره إلى الحجاز والشام وتركيا (٣)، فعندما يستنفد الطالب ما لدى أساتذته من حلقات التدريس والكتاتيب والمدارس يبدأ الطالب النشط بشد الرحال متنقلاً بين حواضر المنطقة القريبة والبعيدة في رحلات قد تطول وقد تقصر، في رحلات شاقة، وأسفار طويلة. والعلامة ابن خلدون في مقدمته المشهورة يبرهن على ثمره السفر في طلب العلم، ولقاء المشائخ، مما هو طريق إلى الكمال بوسائل متعددة طريقها السفر، (٤) وقد يدخل في أسلوبهم وطريقتهم في طلب العلم والتربية ما يقوم به بعض الأشراف في الحجاز من إرسال أولادهم منذ نعومة أظفارهم إلى البادية خصوصاً قبيلة (عدوان) شرق الطائف ليتعلموا لغات القبائل وأشعارهم ويأخذوا عاداتهم الحسنة كالفروسية مما يكون له أثره في حياتهم العامة (٥).

ومما سبق يتضح تعدد مناهل العلم ووسائل الحصول عليه والاهتمام بالتعليم خاصة في فترة بحثنا حيث بداية الانطلاقة وتوفر أسبابها وبوافعها مما هو أساس لما وصل إليه التعليم اليوم من قفزات رائعة ..

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ص ١٢٢

(٢) محمد القاضي : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٠.

(٣) القاضي : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٥.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤١.

(٥) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٠٣.

الباب الثاني

الخطباء والوعاظ والمرشدون والمفتون

الفصل الأول : الخطابة والخطباء :

أولاً : الخطابة مع انطلاقة الدعوة :

قبل الدخول في موضوع الخطابة لدى الدعوة وجهودهم في هذا الجانب، واستفادتهم من هذه الوسيلة المهمة من وسائل الدعوة؛ لنشرها والذب عنها، نشير إلى أن للخطابة أهمية لدى العرب من عصر الجاهلية، حتى نال الخطباء مكانة عالية ومرتبة تسامي مرتبة الشعراء الفحول، لكونها أحد فروع التخاطب والمحادثة المؤثرة بين الناس، ولأنها وسيلة مهمة من وسائل التعبير عما في النفس والاتصال بالناس، والمقدرة على اجتذاب العدد الكبير من المخاطبين (١). ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في كل أمة؛ إما دعوة دينية، وإما دعوة سياسية، كانت الدعوة تستدعي السنة قوالة من أتباعها لتأييدها ونشرها، والسنة من أعدائها وخصومها للصد عنها. (٢)

ومن ثم بقيت الخطابة ذات أهمية لدعوة الإسلام، وارتبطت حال الخطابة وأثرها بواقع الأمة السياسي والديني والثقافي. ومع مطلع القرن الثالث عشر، وعندما بلغت الدعوة الإسلامية في نجد والحجاز أوج عزها، كانت الخطابة قد استفادت من الانتصارات التي حققتها الدعوة، والصحة الدينية التي شملت جميع نواحي المجتمع، فصعدت الخطابة إلى مكانة عالية، حيث كانت وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وبالذات قبل توفر وسائل الإعلام الكثيرة، فاستغل الدعاة ومعارضوهم هذه الوسيلة للتعبير عن رغباتهم والوصول إلى أهدافهم.

أما قبل ذلك الحين فقد ساءت حال الخطابة مع سوء حال الأمة دينياً واجتماعياً وسياسياً، ففقدت الخطابة الموضوع والأسلوب معاً، ومن ثم قلّ تأثيرها بعد أن انزوت عن مقامات القول، ومظاهر الحياة، وأوت إلى المسجد ضامرة هزيلة، فهي لاتسمع إلا أيام الجمع والعيدين مقروعة في دواوين الخطباء القليلة، ركيكة ملحونة، يصاحبها الضعف اللغوي والسجع المشين، والتكرار الممل

(١) انظر ، عبد اللطيف حمزه :الإعلام في صدر الإسلام ص ١٧٢ .

(٢) السيد أحمد الهاشمي : جواهر الادب ج ١ ص ١٠٨ .

فضعف شأنها بعد عجز الخطباء عن الإنشاء، والاكتفاء بتداول دواوين خطب من سبقهم والعكوف عليها، وبخاصة ديوان خطب ابن نباة (ت ٣٧٤هـ) والنحاس (ت ٨١٤هـ) وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) وهكذا توارثت أمة الإسلام من أديانها إلى أقصاها تلك الخطب يرددونها، دون تغيير أو تطوير أو مراعاة لحال الأمة وتجدد الحوادث في حياتها (١)، فكانت كثيراً ما تتعرض إلى موضوعات ليست ذات بال ولا أثر، أو تناقش قضايا وأحداث سابقة لاتخص المجتمع الذي تلقى فيه، بل سمعنا نتيجة لذلك أن الخطيب قد يتحدث عن حادثة أو منكر يطلب إزالته ومن يتحدث إليهم لا يعرفون هذه الحادثة أو هذا المنكر ولم يروه !! أو يدعو لسلطانٍ بالنصر والتأييد وهو هالك منذ سنين، بل قد تكون دولته زالت برمتها !!

كما يفهم من بعض المصادر (٢) أن ما بقي من الخطابة قبل ذلك على قلته وضعفه أصبح مجرد أداة سياسية يروج الخطباء من خلالها للدعوة للسلطين والحكام وبالأخص السلطان العثماني، وغدت هذه الطريقة عادة رسخت في الأذهان، وعلقت في العقيدة لدى الأهالي بما يفهم العلماء حيث ينكرون على الدعاة مقتهم هذه الظاهرة، متخذين منها سلاحاً لحربهم ومقاومة لدعوتهم السلفية (٣).

ثانياً: استفادة الدعاة من الخطابة وأشهر الخطباء :

وعند قيام الدعوة الإصلاحية ولما لاحظته الدعاة من ضعف في الخطب الشائعة وعدم تأديتها لغرضها السامي المقصود، رغبوا وفي مقدمتهم الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الخطب المتداولة وربأوا بأنفسهم عن ترديد خطب قد يكون فيها ما لا يرضونه من خيالات القصاص وأوهام المبتدعين، والاعتماد على التهويل، والمبالغة في عذاب القبر ووصف الصراط وسائر الأمور السمعية، ولاتعني ببيان فضل الإسلام والدعوة إلى هديه؛ فاستفاد الدعاة من الخطبة في دعوتهم وأنشأوا خطباً خاصة بهم كما هو معروف من خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجعلوا الخطابة

(١) عبدالعزيز بكر: الادب العربي وتاريخه ص ١٥-٤٨.

(٢) يستدل على ذلك من موقف سليمان بن سحيم: ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٩.

(٣) سليمان بن سحيم: المصدر السابق ج ٢ ص ٩١

أهم أداة في تبليغ الدعوة، لذا ترى خطبهم وقد عُنت بتصحيح العقيدة، ومحاربة صور الشرك وضروب الوثنية، وتخليصها مما علقها من الأمور الباطلة، ومعالجة كثيرٍ من البدع الفاشية والردائل الماحقة (١). وهكذا رَقَى الدعاة بالخطابة في أساليبها وطرقها وموضوعاتها الموروثة إلى أساليب وطرق وموضوعات أخرى كانت تملئها ظروف المواجهة بين الدعاة ومعارضهم، وتتطلبها حاجة الأمة (٢).

وأما أشهر الخطباء في القرن الثالث عشر فقد كانوا كثيرين نتيجة لانتشار الدعوة، وما صاحب ذلك من انتشار العلم وكثرة العلماء، وفي مقدمة الخطباء الموهوبين الشيخ عبدالله ابن عبدالرحمن أبابطين، وأحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله - ومن أشهرهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن، ومن الخطباء المعروفين عبدالله بن مخضوب (٣) صاحب الخطب المشهورة، ومحمد بن محمود (٤) وغيرهم في نجد. وفي مكة المكرمة من الخطباء حسين بن إبراهيم المغربي (٥) وعبدالمك القلعي

(١) عبدالعزيز بكر : المرجع السابق ص ١٥.

(٢) للتوسع في ذلك انظر: الدرر السنية ج ٤ ص ٢١٢.

(٣) عبدالله بن حسين بن أحمد المخضوب الهاجري القحطاني، ولد بالخرج سنة ١٢٣٥هـ ونشأ بها تربي تربية حسنة، فحفظ القرآن الكريم، ثم رحل للرياض فلزم أشهر العلماء حتى تأهل للقضاء والإفتاء والوعظ، كان أديباً بارعاً التف حوله الطلبة والمريدون توفى سنة ١٣١٧هـ بالدم (محمد القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ٣٤٣).

(٤) محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمود آل حامد، ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء، تنقلت عائلته في نجد حتى استقرت في ضرماء وبها ولد سنة ١٢٥٠هـ وتربى حتى أدرك وحفظ القرآن الكريم، ثم رحل للرياض للتزود بالعلم، ولي عدة أعمال في القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة اشتهرت خطبه على ألسن الناس إلى وقت قريب توفى سنة ١٣٣٣هـ في الرياض (محمد القاضي : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٩).

(٥) حسين بن إبراهيم المالكي المغربي الأصل ، من قبيلة يقال لها (العصور) من أعمال طرابلس الغرب، من بيت علم وفضل، كان من أفاضل علماء الحجاز ومدرسيها وخطبانها، توفى سنة ١٢٩٣هـ (أحمد السباعي: تاريخ مكة ج ٢ ص ٥٨٥)

الحنفي (١) وأحمد زيني دحلان، وفي المدينة المنورة عمر عبدالكريم بن عبد رب الرسول (٢)، وهناك في الحجاز بيوتات اشتهر أبناؤها بالخطابة، مثل بيت السنبل ومنهم عبدالغني السنبل ابن سعيد سنبل ت ١٢١٨هـ ومحمد عباس سنبل (٣) من علماء القرن الثالث عشر، ومن بيت المرداد أحمد أبو الخير مرداد (٤) ومحمد بن علي مرداد (ت ١٢٩٣هـ) وغيرهم (٥). ومن المعلوم أن كثيراً من علماء الحجاز كانوا من أعداء الدعوة الإصلاحية ومعارضيهما مثل عبدالملك القلعي وأحمد زيني دحلان وغيرهم.

وكان في كل بلد خطيب أو أكثر، وفي الغالب كان قاضي البلد هو خطيب الجمع والمناسبات ، ومع ذلك بقي أكثر الخطباء إلى وقت قريب يعتمدون على خطب الإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ومنشأ ذلك حرص الأتباع على آثار الشيخ، والاعتراف بفضله بعد أن أخرجهم الله تعالى بما بثه فيهم من علم من ظلمات الجهل والضلال، إلى هداية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث كانت خطبهم مشتملة على القواعد المطلوبة للخطابة وفي مقدمتها الخطب الدينية (٦)

-
- (١) عبدالملك بن عبدالمنعم بن تاج الدين بن عبدالمحسن السالم القلعي، ولد بمكة وبها تلقى علومه أجاز بالتدريس، كان من نوابغ عصره، وتدرج في العلم حتى أصبح مفتي الحنفية بمكة حتى توفي سنة ١٢٢٨هـ (الدحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٦ والسباعي : المرجع السابق ص ٤٨٤، ٥٠٢، ٥٤٧).
 - (٢) عمر بن عبدالكريم بن عبد رب الرسول العطار، عالم مشهور، فقيه وخطيب وإمام معتمد في فتواه، توفي سنة ١٢٤٨هـ (أحمد السباعي : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨٤)
 - (٣) محمد عباس بن سعيد بن محمد سنبل توفي سنة ١٢٢٨هـ (عمر عبدالجبار : سير وتراجم ص ٢٢٧).
 - (٤) أحمد أبو الخير بن عبدالله بن محمد صالح بن سليمان بن مرداد الحنفي، ولد بمكة عام ١٢٥٩هـ قرأ القرآن الكريم على والده وبعض علماء مكة، تولى مشيخة الخطباء توفي سنة ١٢٣٥هـ (السباعي : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨٤ ، وعمر عبدالجبار : المرجع السابق ص ٦٠).
 - (٥) السباعي : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨٤ ، ٥٨٥ .
 - (٦) انظر : ديوان خطب ابن مخضوب - الحكمة البالغة - ص ١٣٢ وما بعدها مقارناً بخطب الشيخ ابن عبدالوهاب ص ١٦ وما بعدها.

ثالثاً: موضوعات الخطابة وأقسامها :

ما كانت الخطب في القرن الثالث الهجري تقتصر على الخطب الدينية التي تلقى في الجمع والأعياد والاستسقاء وغيرها من المناسبات - كما يظن البعض - (١) ، لأن الدعوة واجهت حرباً ضروساً، ومقاومة شرسة، من عدة جهات ، وفي ميادين كثيرة، مما فرض على الدعاة التشمير عن ساعد الجد، ومقاومة العداوة بمثلها وأشد، «وجزاء سيئة سيئة مثلها»، فكان لابد لهم من الأخذ بكل الأسلحة الممكنة، والخطابة سلاح قوي له أثره في مثل هذه الظروف، وبالذات قبل توفر الوسائل الإعلامية الحديثة . فكانت الخطابة أهم وسيلة إعلامية لابلغ الدعوة وشرح مبادئها والدفاع عنها، فنجد الخطب الدينية والسياسية وخطب المحافل والمناسبات وشرح أهداف الدعوة (٢). فقلماً نجد مناسبة في الحرب أو السلم إلا ويسارع الدعاة إلى صعود منبر الخطابة للجهر بدعوتهم وإعلان مبادئها السامية وأهدافها النبيلة، ورفع بنائها السامق، فكانت جهودهم بهذا الأسلوب وبتلك الوسيلة بعد صحة المبدأ والهدف وسلامة الغاية من أسباب انتصارهم في أكثر الميادين وهزيمة أعدائهم. ونفصل موضوعات الخطابة وأهدافها في الآتي :-

(أ) خطب الجمع والأعياد :

فرض الله تعالى صلاة الجمعة، وخصها بخطبة الجمعة، ولما لخطبة الجمعة من المصالح الكثيرة والفوائد الجمة وردت الأحاديث الكثيرة التي تتعلق بفضلها وأهميتها، وضرورة الاستماع إليها والإنصات أثناء أدائها وغير ذلك (٣) فكانت واجبات الدعوة تقتضي الاهتمام بذلك والسير على خطى السلف الصالح بشأن الخطبة، وبعثها من جديد وتوسيع دائرتها ليتحقق هدفها والسمو بها من جميع النواحي أسوة بأمور العقيدة وقضايا المجتمع الأخرى (٤).

(١) لم أتمكن من الحصول على نصوص كاملة من خطبهم في هذا المجال سوى إشارات من المؤرخين كابن بشر والدحلان عن خطب قيلت في عدة مناسبات (انظر ابن غنم ج١ ص١٠٢/٢ وابن بشر ج٢ ص ٦٥ وأحمد دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٣).

(٢) ابن غنم : روضة الأفكار ج١ ص ١٠٢ وابن بشر : عنوان المجد ج٢ ص ٦٥ وأحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٣.

(٣) السيوطي : نور اللمعة في خصائص الجمعة ص ٢٩ وما بعدها.

(٤) عبدالعزيز بكر : المرجع السابق ص ١٦

ولو ألقينا نظرة على الخطب الدينية التي كانت تلقى في الجمع والأعياد، ويعد أن كادت

تستقر في وضعها الطبيعي لتحقيق غرضها المنشود، لوجدنا من خصائصها ما يلي:-

١/ من حيث الموضوعات : تمتاز بشرف الموضوعات ، ووحدة الغرض، وتدور حول العقيدة وإصلاحها والدعوة إلى عبادة الله وحده، والقيام بأركان الإسلام (١) ومن موضوعاتها الحث على الجهاد في سبيل الله (٢) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) والحث على الإحسان وأداء الحقوق والزهد في الدنيا الفانية والتقرب للآخرة الباقية، وشكر النعم التي في مقدمتها نعمة الإسلام والإيمان وكذلك التذكير بمواطن الطاعة والعبادة ومناسباتها؛ كخطب دخول رمضان والحث على الصيام والقيام، وكموسم الحج وفضل شهر ذي الحجة وعشرها(٤) والدعوة للتقرب للملك المعبود بالصدقات وصيام عاشوراء، وخطبة عيد النحر وما فيها من التكبير، وشكر الله على نعمه من التمكن لحجاج بيته من إتمام نسكهم والحث على التقرب للمولى الكريم بالعج والثج إحياء لسنة خليله عليه السلام، وقد تمكن الدعاة من تكييف خطبهم والسمو بموضوعاتها وأسلوبها حتى جاءت مطابقة لمقتضى الحال وملئمة لما تدعو إليه حاجة الأمة بقدر المستطاع(٥).

ومن جهة أخرى فقد بقيت الخطبة تدور في محيط الموضوعات المشار إليها باختصار شديد حسب الحاجة. ومع اتساع نطاق الدعوة واستقرارها وكثرة أتباعها والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأمة؛ بدأ الخطباء في التوسع في الموضوعات السابقة وتفصيلها ومعالجة بعض الأحكام من بيع وشراء والتحذير من الغش والربا، وغير ذلك من الأمور التي تعيشها الأمة في حينها، إضافة إلى أمور العقيدة والدعوة إلى وحدة الأمة والتحذير من الفتن والتنازع والتفرق(٦).

(١) عبدالعزيز بكر : المرجع السابق .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : خطب إمام الدعوة وأحفاده ص ٦١

(٣) محمد بن عبداللطيف : خطب إمام الدعوة وأحفاده . ص ٥١

(٤) عبدالله بن عبدالرحمن بن عبداللطيف : خطب إمام الدعوة وأحفاده ص ٦٥

(٥) عبدالله المخضوب : الحكمة البالغة ص ١٨٤

(٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن : خطب إمام الدعوة وأحفاده ص ٦٠ وما بعدها.

وهكذا استطاع الخطباء أن يحققوا كثيراً من الأغراض المطلوبة في الخطبة، قال الخطيب الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب في مقدمة ديوانه (الحكمة البالغة في خطب الشهور والسنة): ((إني رأيت دواوين خطب منها ما هو قصير مُخَلٍ ومنها ما هو طويل مُمَلٍ، فأحببت أن أجمع ديواناً متوسطاً يشمل على خطب بعض شهور العام لكل شهر خمس خطب، وخطبتي عيدي الفطر والأضحى وخطبة الاستسقاء، وخطبة في فضل الجمعة، وخطبة التحذير من الفتن، وخطبة التحذير من الظلم، واثنين لفصل الربيع، واثنين عند حصول الثمار للحث على الصدقة منها، وخطبة في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخطبة لكسوف الشمس، وخطبة لكسوف القمر وخطبة للنكاح، وقد ثبت عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ((إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان لسحراً)) (١).

وروي الإمام أحمد من حديث أم هشام بنت حارثة قالت: ((ما أخذتُ «ق. والقرآن المجيد» إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة)) (٢).

قال العلماء: ((وأحسن ما يفسر قوله صلى الله عليه وسلم بفعله لأنه لم يكن ليأمر بشيء ويفعل ضده وأسأل الله تعالى أن ينفع به جامعه وسامعه)) (٣).

ونلاحظ أن خطبهم قد خلت من التعرض لما كانوا يلاقونه من حرب وعداوة من خصومهم تجاه دعوتهم، كما هو وارد في الكتب والردود والرسائل، والسبب في ذلك - والله أعلم - أنهم رغبوا في عدم إدخال هذه الموضوعات في الخطب التي تلقى في المساجد وعلى جمهور من الناس تهدف أصلاً إلى الوعظ والإرشاد والتوجيه، وبيان ما يهم سواد الناس ممن لا يدركون تلك القضايا ولا يستوعبون أدلتها لما كان فيهم من أمية وجهل، فكان مكانها في الرسائل والردود، وفي خطب المناسبات المتعلقة ببيان مبادئ الدعوة ونشرها وبخاصة أمام المعارضين وبالذات في الحجاز

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم (كتاب الجمعة) ج ١ ص ٥٩٤.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة) ج ١ ص ٥٩٥.

(٣) عبدالله المخضوب: الحكمة البالغة، ص ٣.

والأحساء وهكذا (١) . وهذا أسلوب جيد مفيد حيث تبقى للخطبة الدينية للجمع والأعياد مكانتها وأغراضها الأساسية من تثبيت العقيدة ونشر الفضيلة، ودحر الرذيلة وبيان الأحكام والحوادث التي يواجهها المسلم في حياته اليومية مما هو أكثر ارتباطا بالمجتمع بجميع فئاته، وأن يكون ميدان الخصومة مع المعارضين في ميدان الجهاد وبأسلحته الأخرى، من تأليف الكتب وتحرير الرسائل، ونظم الشعر والمناظرات وبعث الرسل والوفود لإبلاغ الدعوة وشرح أهدافها والذود عنها، إضافة إلى عقد ألوية الجهاد.

وجماع القول إن موضوعات الخطب - في أكثرها - كانت تدور في حث الناس على التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وتصحيح عقيدتهم لأنها الحبل المتين بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، وتذكر الناس بالإكثار من العبادة التي خلقوا من أجلها، والتنبية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي القضية التي فيها حياة الدعوة التي جاهدوا من أجلها، والحث على الجهاد في سبيل الله، ولنشر الدين وحماية حوزة المسلمين، مما كان ولا يزال الناس بحاجة إليه .

٢/ ومن حيث الأساليب : بالنسبة لهذا الجانب فقد بقيت الخطب في أساليبها ونسقتها على نهج من سبقهم في الغالب؛ التي منها كثرة السجع، وقصر الخطبة مع القصر بين الفواصل، ووضوح المعاني والتقليل من استعمال الأساليب البلاغية كالتشبيه والتعجب والاستفهام واستعمال أدوات الشرط والإيجاز في المحسنات اللفظية والمعاني البديعية (٢) مع التركيز على الوعظ والإرشاد والتخويف والزجر، وعدم تخصيص موضوع معين لكل خطبة وإن حصل ذلك كان باختصار شديد، مع الالتزام بما تتطلبه الخطبة من صعود الخطيب على المنبر، والسلام على الجماعة، والالتكاء على عصا، والاتجاه إلى المصلين، وبداية الخطبة بحمد الله والثناء عليه وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبداً لله ورسوله (٣) . والدعوة إلى تقوى الله ، ومن ثم الدخول في موضوع الخطبة بعد

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٣ .

(٢) عبدالعزيز بكر : المرجع السابق ص ٥٠ .

(٣) أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء) كتاب الأدب - ج ٤ ص ٢٦٤ ، حديث صحيح .

قولهم (أما بعد) كما تميزت خطبهم بالاختصار مع تقارب الخطب مع بعضها في الطول ، وتشابه الطول في سجعها ، والإكثار من الاقتباس من الكتاب والسنة أثناء الكلام دونما التزام بإيراد النصوص بكاملها بل الاكتفاء بموضع الشاهد فقط ، وإنهاء الخطبة بأية أو طائفة من الآي تقارب نصف الخطبة مما له ارتباط بموضوعها . وبالنسبة للأحاديث فإن الاعتماد كلياً على الأحاديث الصحيحة المشهورة، كما أنه لا أثر للاقتباس من أقوال الحكماء والفلاسفة والصوفية وأصحاب الطرق كما هي حال مؤلفاتهم ورسائلهم الأخرى (١).

ومع بداية عصر النهضة لدى الأمة ووجود المدارس واتساع دائرة التعليم بدأوا التوسع في موضوعات الخطبة وأساليبها والتقليل من السجع والتحدث في موضوع الخطبة أكثر تفصيلاً ولاشك أن لكل عصر أسلوبه وطرقه التي توصل للغرض المطلوب .

(ب) خطب أخرى :

إضافة لخطب الجمع والأعياد وخطبة عرفة، والاستسقاء وغيرها من الخطب الدينية التي كانت سائدة في حينها، فقد عرف الدعوة أنواعاً من الخطب العامة باعتبارها من وسائل الدعوة وأنوات تبليغها؛ منها ما كان يلقي في مناسبات كقدوم الوفود، وعند بعث الدعوة لإبلاغ الدعوة وشرح مبادئها وأهدافها، وكذلك اهتموا بالخطابة في الأحداث الهامة ، ويظهر أن أول من قام بذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث نجده جمع أهل البلدان سنة ١١٦٧هـ وخطب فيهم لما كثرت ظاهرة الردة في حريملاء والعيينة ومنفوحة وغيرها (٢) كما اهتم الدعوة بخطب الحماسة في مواطن الجهاد والقتال ورفع معنويات المجاهدين، والحث على الجهاد والدعوة إلى الله وغير ذلك من المجالات عندما كانت الخطب وسيلة الإعلام الأكثر شيوعاً (٣). ويدخل في هذا الباب الخطب

(١) مسعود النوري : محمد بن عبد الوهاب (مصلح مظلوم) ص ٥٥

(٢) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٢ .

السياسية التي يلقيها القادة في بعض المناسبات كخطبة الإمام فيصل بن تركي عند توليته الحكم بعد مقتل والده سنة ١٢٤٩هـ حيث وعظ الناس وحضهم على طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر - الداعية المشهور - خطبة قيمة ومؤثرة ألقاها في مسجد عكاشة بجدة حينما قدم بكتاب الصلح بين الإمام سعود والشريف غالب (٢) سنة ١٢٢٢هـ حيث صعد المنبر وخطب خطبة بليغة تدور حول تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة، ثم حذر من ترك الصلوات وأمر بأدائها في المساجد ، ونهى عن شرب التبناك وبيعه، كما أمر بهدم القباب التي على القبور، وأمر بالحضور للمساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فامتثل الناس لهذا كله (٣) .

وبالنسبة لبيادين الجهاد وساحات الحرب والوغي فقد مر بنا كيف كان الدعاة والرعاة من قوة البأس والإقدام، ودور الدعاة الذين كانوا يلزمون تلك الجيوش ويسيرونها في مقدمتها يجاهدون باللسان والسنان، وقد أشرنا إلى جهودهم في وعظ المقاتلين وحثهم على الجهاد والاستبسال، وإبداء المشورة والفتوى وإمامتهم في الصلاة وإلقاء الخطب البديعة التي تشحن الهمم، وتوقظ الحماس؛ فتدفع إلى الميدان طلباً للشهادة في سبيل الله.(٤) وكان في مقدمة أولئك الخطباء في هذه الميادين أئمة الدعوة من أبناء الشيخ ابن عبد الوهاب وأحفادهم كالشيخ سليمان بن عبد الله وعبد الرحمن ابن

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج٢ ص ٦٥ .

(٢) الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد - آل بانمي - من الأشراف الحسينيين نسبة إلى الحسن ابن علي - رضى الله عنهم - تولى شرافة مكة سنة ١٢٠٢هـ وأزم علاقته مع الدولة السعودية الأولى، ونقض ولاءه مع الإمام سعود وتعاون مع جيوش محمد علي في الحجاز، أرغمه محمد علي على التنازل ورجله إلى الاستانة توفي سنة ١٢٣١هـ (ابن عنبه : عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ص ٢٤٣ وابن بشر : عنوان المجد ج١ ص ١٧ وما بعدها، ودحلان : خلاصة الكلام ص ٢٣٥ وما بعدها، والسباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٤٤٨).

(٣) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٣ .

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج٢ ص ١٢١ .

حسن بن عبد الوهاب، ومن أولئك الشيخ محمد بن مقرن (١) وعبد الله بن جبر (٢) وعبد العزيز العيبان وعبد الرحمن بن عزاز الذي استشهد في معركة (العاتكة) في عمان سنة ١٢٦٤هـ والشيخ إبراهيم ابن سيف (٣)، كان قاضي الرياض وواعظها ومدرس طلابها، حضر مع الإمام فيصل في غزواته منها غزوة (العرمة) سنة ١٢٥٠هـ فكان إمام الجيش وخطيبه وقاضيه وفتيحه. (٤)

أما موضوعات هذا النوع من الخطب وأساليبها فقد كانت موضوعاتها تهدف إلى إظهار التوحيد، وإفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك ومحاربة الخرافات والبدع بكل أنواعها مما هو محور الدعوة، والقيام بما أوجبه الله على عباده من صلاة وزكاة وصيام وغيرها من العبادات، والحث على محاسن الأخلاق وأسمائها، والسعي إلى وحدة الأمة وعزتها، فكان هدفها في عمومها توجيه الأمة إلى ما يصلحها ديناً ودنيا. (٥)

-
- (١) محمد بن مقرن بن سند بن علي بن عبد الله الودعاني الدوسري، ولد في (دقلة) من قرى المحمل انتقل في شبابه مع أسرته إلى محل (القرينة) فأنشأها، ونشأ محباً للعلم مولعاً فيه، فرحل في طلبه للدرعية، كان فقيهاً نبيهاً تولى القضاء توفي سنة ١٢٧٦هـ في الأحساء (ابن بشر: عنوان المجد ج ٢ ص ١٢٢ والبسام: علماء نجد ج ٢ ص ٩٢٨).
- (٢) عبد الله بن جبر ولد في منفوحة مع مطلع القرن الثالث عشر، ونشأ فيها ثم ارتحل إلى الرياض للأخذ عن مشائخها حتى تفقه، ولي قضاء منفوحة، كما كان إماماً للإمام عبد الله الفيصل في غزواته، انتفع بعلمه خلق كثير توفي سنة ١٢٦٨هـ (ابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ١٢١ وابن عيسى: عقد الدرر ص ٩).
- (٣) إبراهيم بن سيف الودعاني الدوسري، ولد في ثادق وبها نشأ ورحل إلى الدرعية وقرأ على أشهر علمائها حتى أدرك ومهر في الفقه وغيره، ولي القضاء لحين هدم الدرعية حيث هرب إلى عمان وظل على نصحه ووعظه حتى عاد إلى نجد فعين قاضياً ومدرساً ومستشاراً وناصباً مرشداً للجيش حتى توفي سنة ١٢٥٥هـ في الرياض (القاضي: روضة الناظرين ج ١ ص ٢٥ والبسام: المرجع السابق ج ١ ص ١١٦).
- (٤) عبد الله البسام : المرجع السابق ج ١ ص ١١٦.
- (٥) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٥ وعبد الله البسام : علماء نجد ج ١ ص ٢٤٢.

وأما الأساليب فقد كانت تلك الخطب تدور في فلك الخطب الدينية الأخرى التي تلقى في الجمع والأعياد في موضوعاتها وأساليبها وإن كانت تخالف خطب الجمع في التقليل من السجع، وقوة الأسلوب واستعمال المحسنات البديعية، وأساليب البلاغة؛ من قسم واستفهام وتعجب وكذلك سياق بعض أقوال العلماء من الأئمة المشهورين، وبعض الحكم والمواعظ المؤثرة، ومن الملاحظ كذلك طول الخطبة وقوة معانيها وأساليبها وألفاظها وجملها، للسمو بها إلى مدارج الكمال، وقوة التأثير لتقييم الحجة وتدحض الشبهة ، فهي قد تكون محاضرة أو مناظرة أكثر منها خطبة؛ لكونها تلقى في فئة معينة يقوم بإلقائها علماء مشهورون لهم السابقة في الدعوة والمجادلة مع المعارضين ولهم اليد الطولى في العلم والفقہ والفضل (١). من أمثال هؤلاء الدعاة : حمد بن معمر، وعبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب، وعبدالله أبا بطين ، وعبدالرحمن بن حسن ، وعبداللطيف بن عبدالرحمن وأشباهم ، وكانت تقال في مناسبات قليلة بخلاف خطب الجمعة والأعياد التي تلقى في عامة المسلمين في كل بلدة وقرية تُكرَّرُ أسبوعياً .

وهكذا جعل الدعاة من الخطابة مجالاً رحباً للدعوة لكونها وسيلة تبليغ وإعلام وموعظة وأداة إرشاد وتوجيه ونشر للحق والفضيلة، والنهي عن الشر والفسق والرذيلة فطرقوا بها أبواباً عدة ومجالات أشرنا إلى أهمها.

(ج) نموذج من الخطب :

وفي نهاية هذا الفصل عن الخطابة والخطباء نورد بعض النماذج من خطب ذلك العصر، للتدليل على ما سبق ذكره من اهتمامهم بالخطابة واستغلالها كوسيلة ناجحة من وسائل الدعوة ونشرها ، كالذي جاء في مقدمة ديوان خطب الشيخ عبدالله بن مخضوب ، الذي يشير فيها إلى شمول ديوان خطبه لجميع القضايا التي تهم الأمة؛ من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وفي المناسبات والأيام على مدار العام ، ويصعب إيراد نماذج لكل ذلك لكن نورد بعضاً منها .

(١) انظر، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ١٢٣ والدحلان: خلاصة الكلام ص

٢٩٢ وعبدالله البسام : المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٢.

كخطبة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب (١٢٢٥-١٢٩٣هـ) في فضل الجهاد قال فيها:

((الحمد لله الذي جعل الجهاد في سبيل الله عبادة، وجعله لعباده من أنواع العبادة، بشرهم بإحدى الحسنين إما النصر وإما الشهادة، اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ منزل الرضا ودار السعادة؛ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون أو يُقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرقان، يا لها من موعدة حق مستنبطة من كلام الحق مستفادة، فتبارك من تقدس وتفضل فاشترى ملكه من ملكه، هو مالك الملك وله الخلق والأمر، والقدرة والإرادة، أحمده سبحانه وتعالى حمد من جعل عليه اعتماده، وأشكره شكر من أدام إلى ركن عزة استناده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عليها نحيًا وعليها نموت وعليها نبعث، اللهم توفنا وابعثنا على هذه الشهادة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي ألف في عبادة الله سهاداً، وهجر وساداً، وفاق الوجود وساداً، وهو المخصوص بالإمامة العليا والشفاعة العظمى والدعوة الجامعة والسيادة، ركب (صلى الله عليه وسلم) جواده، ولزم جهاده واجتهاده، وأيد بالمعجزات الباهرات الخارقات لجري عادة، فكم من مريض شفاه الله بريقه الشريف حين عاده، وكم من جريح نفث عليه فاندمل، ورد بعد العمى عين قتادة، اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة مكررة معادة. عباد الله اتقوا الله تعالى .

. أيها الناس إن الذي رفع فوقنا سبعاً شداداً، وجعل لنا الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً، وأوجدنا من العدم آباءً وأجداداً، وأولاداً وأحفاداً، شرع لنا دين الإسلام دينا جعل الجهاد لنا عماداً ..)) إلى آخر الخطبة في الحث على الجهاد وفضله وثماره وما يقرب من ثلث الخطبة الأخير يورد فيه بعض الأدلة من القرآن والسنة التي تحث على الجهاد، وتبين عاقبة المجاهدين (١) .

ومن خطبة للشيخ عبدالله بن حسين بن مخضوب في شهر محرم، قال :

((الحمد لله الذي فاضل بين الشهور والأيام، فجعل شهر عاشوراء من أفضلها، ففضله قد شاع بين الأنام، وفضل يوم عاشوراء على جميع أيامه وجعله لعقد أيام الشهر واسطة النظام، فسبحانه من

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : خطب إمام الدعوة وأحفاده وبعض تلاميذه ص ٦١

إله اختص بالتفضيل والتشريف ما شاء من أزمنة وأمكنة لأسرار وحكم عظام (أما بعد)
فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم قد استقبلتم عاماً جديداً وشهراً مفضلاً حميداً،
أضافه نبيكم (صلى الله عليه وسلم) إلى الله وعظمه)) ثم يتحدث في خطبته عن قصة موسى
(عليه السلام) مع فرعون وعاقبة المتقين الصابرين (١) .

(١) ابن مخطوب : المصدر السابق ص ١٠

الفصل الثاني

الواعظون والمرشدون

في الفصل السابق كان الحديث عن الخطابة والخطباء، وهنا نتحدث عن فن آخر شديد الارتباط بالخطابة والخطباء، وهو الحديث عن الواعظين والمرشدين ومواعظهم، وأهمية الوعظ والإرشاد للدعوة، والوعظ والإرشاد قوي العلاقة والارتباط بالخطابة لأنها تكون وحدة متكاملة وحلقة مترابطة الأطراف، فالخطبة التي تلقى في المناسبات الدينية هي مواعظ في موضوعاتها وأساليبها وطرقها وأهدافها وغاياتها.

ولقد اهتم الدعاة بالموعظة والتذكير، واعتبروا قبول ذلك والامتثال له من علامات الإيمان وخصوصيات الإسلام ودلالاته، كما قال تعالى: ((وَذُكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ))، فالمؤمن إذا ذُكِّرَ تذكراً، وإذا وُعِظَ اتعظ، فاننتفع بالموعظة والذكري، ومع ذلك فإن من ينتفع بالمواعظ قليل من الناس، والله تعالى ذكَّرَ عن الكفار أنهم لا ينتفعون بالذكري وقال: ((وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ)) (١). ومن سمع المواعظ ولم ينتفع بها فقد شابه الكفار في بعض أحوالهم، وذلك دليل على عدم معرفة الله وخشيته لأن المؤمن إذا ذكر انتفع (٢)، وهنا تفصيل عن حال هذا الفن لدى الواعظين والمرشدين وحالهم معه من حيث موضوعاته ونصائحه وغاياته وكذلك أساليبهم وطرقهم في هذا الميدان ونماذج من مواعظهم :

أولاً: موضوعات الوعظ :

كنا قد قلنا إن الدعاة قد سلكوا جميع الطرق والوسائل الممكنة لنشر الدعوة، والدفاع عنها ورد شبه المعارضين ودحضها، فالمطلع على عموم حالهم يتيقن أن جهودهم كانت عبارة عن عظات ومواعظ وتذكير وإرشاد ونصح وترغيب وترهيب وزجر ووعد ووعيد، كل ذلك بالدليل الصحيح والقول الفصيح، والبرهان الصريح، من الكتاب والسنة والإجماع من السلف الصالح وواقع الحال ولسان المقال، دون كلال أو ملل كما هي حال الشيخ عبدالله أبابطين (٣). وكانت مواعظهم في جملتها تدعو إلى إخلاص العمل لله وتطهير الاعتقاد من أدران الشرك والتحذير من البدع، والمبادرة للتقوى

(١) سورة الصافات : الآية ١٣ .

(٢) عبدالله بن محمد وإخوانه : مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ١٧

(٣) إبراهيم بن عيسى : عقد الدرر ص ٤٦ .

والعمل للأخرة الباقية والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالإكثار من العبادات والأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله تعالى ومحاربة المنكرات والمحدثات في الدين، والدعوة إلى التوحيد والاتحاد والتعاون على الحق وغير ذلك من أمور الشريعة وقضايا العقيدة. (١)

فالنصائح والمواعظ تكون عبارة عن لقاءٍ مفتوح أو في صورة رسالة يتحدث فيه الواعظ بأسلوب عام لا يتعلق بجزئية واحدة، مثل الحث على التقوى والصبر، ولزوم الجماعة والحث على الصلاة وأدائها في المساجد، بعيداً عن الخلافات الفقهية المتعمقة، وأقوال الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة غالباً، مع الإكثار من أدلة المواعظ والزجر والتهديد والوعيد من القرآن الكريم والسنة النبوية وأخبار الأمم الماضية وما أصابهم من العقوبات بسبب ذنوبهم وإعراضهم عن منهج الله ، كما أن موضوعاتها قد ترتبط ببعض المناسبات مثل كسوف الشمس وخسوف القمر، أو القحط والكوارث وبعض الفتن والمنازعات والخلافات، وقد تكون عند وفاة إمام أو قائد وتولية خلفه (٢) .

ومن مناسباتها قدوم بعض الوفود؛ لوعظهم وتذكيرهم وبيان أهداف الدعوة؛ لينقادوا إليها ويستجيبوا لداعي الحق (٣) وكذلك بعث الواعظين والمرشدين إلى النواحي لهذه المهمة (٤) والسير مع الجيوش للجهاد ووعظ المجاهدين ، وإرشادهم ودفعهم إلى الإقدام وطلب الشهادة (٥) ووعظ الحكام ونصحهم. (٦) وهذه بعض النماذج من موضوعات المواعظ ومناسباتها، وهي في الغالب لا تتقيد بموضوع معين بل هي في عمومها تهدف إلى تهذيب النفوس وتطهيرها وتصحيح العقيدة وإصلاح الفرد والأمة .

(١) عبدالرحمن بن حسن: الدرر السنية ج ١١ ص ٢١ وما بعدها، وابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ٦٦، ٥٧.

(٢) ابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ١٢٥ و ج ٢ ص ٦٥.

(٣) حميد بن رزيق: الفتح المبين، ص ٤٤٨.

(٤) عبدالرحمن بن حسن: المصدر السابق ج ١١ ص ٣١.

(٥) ابن بشر: عنوان المجد، ج ٢ ص ١٢١ وما بعدها وعبدالله البسام: علماء نجد ج ١ ص ١١٦.

(٦) عبدالرحمن بن حسن: المصدر السابق ج ١١ ص ٣٣.

ثانياً: الأساليب :

أما أسلوب هذا الفن لديهم فلم يبتعد كثيراً عن الأسلوب الدارج المتبع في فنون التأليف والرسائل والردود والخطب، وإن كان أسلوب المواعظ والإرشاد أقربها إلى الأسلوب السائد، فهو أشمل تلك الفنون وأعمها وأسهلها وأيسرها .

فالخطيب يمكن أن يكون واعظاً والمؤلف يمكن أن يكون واعظاً - مثلاً - دون العكس ، ومن ثم كانت المواعظ والواعظون أكثر، فالموعظة لا ترتبط بمناسبة معينة كخطبة الجمعة والمناسبات أو بعض المؤلفات كالرسائل والردود التي يكون لها سبب في الغالب، ويلقيها أناس معينون أو متخصصون، بخلاف الموعظة التي يلقيها القادة والعلماء والخطباء وأئمة المساجد وغيرهم ممن وجد في نفسه القدرة على ذلك في محيط علمه، وهذا لا يقتضي التقليل من شأن المواعظ والواعظين .

ومن خصائص الوعظ العام وأساليبه أنها لا ترتبط بحال معينة عند الإلقاء كالصعود على المنبر ، بل يلقيها الواعظ جالساً حيناً، ويغلب عليها أسلوب الترغيب والترهيب وإيراد القصص والأمثال وذكر الحوادث المشهورة والحكم والأشعار الماثورة أكثر من الخطابة، كما أنه قد يستعين ببعض الوسائل أو الحوادث المشاهدة أمامهم أو يحرك يديه أو رأسه أو يخط في الأرض - مثلاً - كوسيلة من وسائل الوعظ والإقناع، كما كان نهجه عليه الصلاة والسلام. (١)

وإذا كان أسلوب المواعظ والنصائح العامة أقرب أساليب الفنون إلى الأسلوب السائد والمنتشر بين الناس وهو قد لا يختلف كثيراً عن أساليب الخطب المنبرية والنصائح الأخرى التي ترسل إلى أحد من الناس ، فأساليب هذا النوع من المواعظ والنصائح تغلب عليها السهولة والبساطة والوضوح فيقارنها الضعف اللغوي علاوة على كونها تأتي عفوية تلقى على عجل دون تحضير وتنسيق مسبق، يلقيها الواعظ في جمع من الناس تختلف أنماط حياتهم وعلمهم، وقد يكون أغلبهم من العوام فيحرص الملقى ، وإن كان عالماً متبحراً، مجيداً في اللغة مبدعاً في البلاغة على النزول إلى مستوى متلقيه، لمخاطبة الناس بما يفهمون ويدركون، لتحصل الفائدة المرجوة.

والنصائح والمواعظ في طولها تتوسط لكنها حيناً للطول أقرب من الخطب أو النصائح المرسلة إلى شخص معين، وهي في أسلوبها تتراوح بين الأسلوب الركيك والمرسل الذي يدخله الإطناب والسجع ، وبين الأسلوب القوي البليغ حسب حال المتلقي (٢) .

(١) أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ، ج ٢ ص ١٢٦

(٢) انظر : نماذج من تلك المواعظ والنصائح للشيخ عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنوية (كتاب النصائح ج ٩ ص ٣٢) وما بعدها .

وهذه الأمور كانت من الأوصاف السائدة في النصائح والمواظ حتى بعيد منتصف القرن الثالث عشر الهجري، حيث تغيرت الأحوال السياسية في المنطقة نتيجة الحملات المصرية التركية وتقتيل الدعاة وتشريدتهم ومحاولة فتنة الأمة عن دينها، ففرضت تلك المواجهة على الدعاة من علماء ووعاظ ومرشدين تجديداً في أسلوب الوعظ وتغييراً في مساره، مما فتح أبواباً جديدة لمحاربة الفتن والنزاعات الأهلية التي بدأت تزحف على أبناء الدعوة في نهاية القرن الثالث عشر، فبدأ التغيير في أساليب المواظ من حيث الأساليب المركزة القوية التي تتسم بالشدة في الموعظة والزيادة في التعنيف والتخويف والزجر، مع التوسع في موضوعات معينة انتجتها تلك الأوضاع السيئة التي أخافت الدعاة والوعاظ وقضت مضاجعهم، مثل قضية التكفير والسفر إلى بلاد الشرك والهجر والولاء والبراء والحث على العدل وعدم الجور والمساواة بين الرعية وكان رواد هذا الاتجاه المشايخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وحمد بن عتيق وسليمان بن سحمان (١).

ثالثاً: نماذج من المواظ والنصائح :

نورد في هذه الجزئية فقرات مختصرة من بعض المواظ والنصائح، فمما قال أحدهم بعد حمد الله والثناء عليه والحث على التقوى، ووجوب أفراد الله بالعبادة وشكر نعمه التي منها بعثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي وفق الله تعالى من وفق لها، وخذل عنها من خذل ثم يقول : ((وأراها اليوم قد أسلمت وأخلولقت عند كثير من الناس، فالواجب علينا جميعاً شكر هذه النعمة والتحدث بها والاعتراف بها ظاهراً وباطناً)).

ثم يقول : ((وقد جرى في هذا الزمان من العبر ما لا يخفى على عاقل، وذلك إنما حدث بذنب فالواجب علينا وعليكم التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وترك المعصية ولا تظنون أن غلاء هذه الأسعار عادة بل إنما حدث بسبب ذنوب، وكذلك ما جرى من تكسر النخيل بسبب الريح وغير ذلك

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة، ص ٢٣، ٤٠ وما بعدها، وحمد بن عتيق: رسائل وفتاوى ص ١١٧، ١٣١، ٢٢٩. وسبيل النجاة - ص ١١ وما بعدها وسليمان بن سحمان: إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ج ٤ ومنهاج أهل الجهل والابتداع ص ١٧ وما بعدها.

من الحوادث، ومن أعظم ذنب تعجل به العقوبة الزنا وفشو الربا والغيبة والنميمة، والتقصير في أوامر الله وارتكاب مناهيه (...)) (١).

وجه الشيخ حمد بن عتيق نصيحة عامة يحث على تحكيم الشريعة والعدل بين الرعية ومما قال فيها : ((ومن الأمور المنكرة العظام مما وقع فيه قادة أهل الإسلام من الحيف والجور وعدم القيام بالقسط بين القوي والضعيف ، والعدو والصديق، والقريب والبعيد وهذا عكس ما أمر الله به حيث يقول عز وجل : ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما...)) (٢) فأمر تعالى بالقيام بالقسط وهو العدل، وبالشهادة لله ولو على نفس الإنسان ووالديه الذين هما أكبر الناس نعمه عليه ونهي أهل الإيمان أن يحملهم بغض من أبغضوا على ترك العدل فيه ، فأوجب أن يكون عدلهم فيمن أبغضوا نظير عدلهم فيمن أحبوه، وهذا هو الواجب على عامة الخلق، وهو العدل بين الناس بخلاف ما عليه أكثر الناس فإنه إذا توجه الحق على رفيق لهم، أو صاحب مال أو جاه تركوه، وارتكبوا نوعاً من المعاذير، فهذا يقول : رفاقتي ما أقوم عليهم، وهذا يقول : ما أقطع يدي صديقي لأجل فلان، وهذا يقول : أخاف إذا قمت عليه يغلبني عند الولاية ، وهذا خائف على موقفه ورئاسته)) (٣).

هذا ومواعظهم ونصائحهم كثيرة متنوعة (٤) في موضوعاتها وأساليبها وتأثيرها على السامعين .

(١) أحد أعلام الدعوة : الدرر السنية ج ٩ ص ٩٥ . ولم يذكر لنا اسمه.

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٥ .

(٣) حمد بن عتيق : هداية الطريق من رسائل وفتاوي الشيخ حمد العتيق ص ١٩٣ .

(٤) انظر : كتاب النصائح ضمن الدرر السنية ج ٩ وغيرها .

الفصل الثالث

الفتوى والمفتون

أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة، وأدى الأمانة وترك الأمة على المحجة البيضاء، وجعل تعالى العلماء ورثة الأنبياء، كما أرشد تعالى إلى النفير وبذل الجهد في التفقه في الدين لمعرفة أحكام الله وتعليمها فقال عز اسمه: ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) (١) ففرض الشارع العليم الحكيم التبليغ والتعليم للناس فيما يحتاجونه من أمور دينهم ، ويزداد هذا الواجب على العلماء ويتأكد كلما فشا الجهل بين الناس واندرست معالم الشريعة، كما ألزم عز وجل الناس بالقبول والتعليم والعمل بما يعلمون، وأوجب على الجاهل سؤال من هو أعلم منه ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)) (٢).

فغاية الإفتاء تبين أحكام الدين وإبانتها على صورتها التي أرادها الشارع، جاء في القاموس : أفتاه في الأمر أبانه له، والفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه . (٣)

ونقول باختصار إذا كانت الدعوة قد اهتمت بالجانب العقدي، فبدأت بإصلاح العقيدة لكون العقيدة الأساس الذي يقوم عليها الإيمان الصحيح، وبصلاح العقيدة تصلح حياة المسلم وتستقيم أموره ، ولدعاة في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيث بدأ بإصلاح العقيدة ، وإذا كان ذلك كذلك وكان هذا هو الجانب الأهم، فالجانب الآخر المهم هو تصحيح الجانب الفقهي التشريعي، وإزالة ما علق به من أوهام وإنحراف عن الطريق المستقيم، حيث سبق الحديث عن الاجتهاد والتقليد، وموقف الدعاة المبكر من هذه الأمور وغيرها مما هو مرتبط بالجانب الفقهي الذي لاينفصل عن الجانب العقدي الإيماني (٤) والغرض من هذا الفصل بيان منهج دعاة ذلك العهد في الفتوى وأن الأسس التي سار عليها المفتون في تلك الفترة لم تأت عفوية بل أقيمت على قواعد راسخة وأصول صحيحة قوية، موافقة لما أمر به الشارع الحكيم في القرآن الكريم

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٣) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٧٣

(٤) عبد الوهاب أبو سليمان : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ ص ٣٧٩ .

والسنة النبوية، وما درج عليه السلف الصالح (١) سالكين فيها مسلكهم في أمور العقيدة وقضاياها، فصححوا العبادات والتعامل والأخلاق كما صححوا التوحيد وقضايا العقيدة فسارت تلك القضايا لديهم في طريق الإصلاح في خط واحد مستقيم. ونشير هنا إلى الأسس التي أقيمت عليها الفتوى وسلوكها المفتون في فتاويهم .

أولاً : أسس الفتوى وخصائصها :

١- الاعتماد على الكتاب والسنة:

لاشك أن هذه الدعوة إسلامية، تهدف إلى تجديد ما اندرس في معالم الدين وتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فهي كسائر دعوات الإصلاح الإسلامي، نهجها الإتيان ومحاربة الإبتداع (٢)، ترد الناس إلى الشريعة الإسلامية بمصدريها الأساسيين : القرآن والسنة والاعتماد عليهما .

وقد درج الدعاة على إيضاح هذا الإتجاه في أكثر من مناسبة من ذلك قول أبناء الشيخ حسين (٣) وعبدالله رحمها الله !

((إن عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به ، هي عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) عبدالله أبابطين : مجموعة الرسائل والمسائل ج٢ ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢) هذا هو المنقول المتواتر عن اتباع الدعوة الإصلاحية مما يظهر جلياً من مؤلفاتهم مثل حسين وعبدالله أبناء الشيخ محمد : الدرر السنوية ج٤ ص ٦ والهدية السنوية والتحفة الوهابية ص ٢٨ وعبدالله أبابطين : الدرر السنوية ج٢ ص ١٢٢ وسليمان بن سحمان : الدرر السنوية ج٤ ص ٥٦، ٥٥ وهو ما يقرره أكثر من تحدثوا عن هذه الدعوة من المنصفين سواء مسلمين أم غيرهم مثل منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ج١ ص ٣٠٣ وما بعدها وستودارد : حاضر العالم الإسلامي ج١ ص ٢٦٤ .

(٣) حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد بالدرعية وأخذ العلم عن والده، تولى القضاء في زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد ، كما كان إمام جامع الدرعية الكبير، اثنى عليه ابن بشر، توفي سنة ١٢٢٤هـ لمرض أصاب البلد (ابن بشر : المصدر السابق ج١ ص ١٤٥ وعبدالرحمن بن عبداللطيف : علماء نجد ص ٤٢)

وعرض أقوال العلماء على ذلك فما وافق كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) قبلناه وأفتينا به ، وما خالف ذلك رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذي أوصانا به الله في كتابه حيث قال : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً)) (١) ، أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة)) (٢).

وهذا لا يقتضي الإعراض عما سواهما ورفض أقوال العلماء كما رماهم المعارضون (٣) بل يقبلون كتب العلماء للاستعانة بها على فهم كتاب الله وسنة رسوله . يقول الشيخ عبدالله بن محمد : ((ثم إننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي، وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين كالعسقلاني على البخاري والنووي على مسلم والمنائوي على الجامع الصغير، ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها، ونعني بسائر الفنون أصولاً وفروعاً وقواعد وسيراً ونحواً وصرفاً وجميع علوم الأمة)) (٤) ، وقريب من هذا القول ما ذكره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين (٥) وقال الشيخ سليمان بن سحمان: ((فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر للقول الذي يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها اتباعاً لما ورد في كتاب الله تعالى، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال ، وأقوال أهل العلم والمفتين والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله ، وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته وطاعة الرسول

(١) سورة النساء - الآية ٥٩ .

(٢) حسين وعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : الدرر السننية ج ٤ ص ٦ .

(٣) مثل زيني دحلان : الدرر السننية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : الهدية السننية ص ٢٠ .

(٥) عبدالله أبابطين: مجموعة المسائل والرسائل ج ٢ ص ١٢٢ .

طاعة لله)) (١). وأقوال الدعاة وأفعالهم في هذا المعنى كثيرة متواترة ظاهرة لكل منصف. والخلاصة أنهم يجوبون الحكم بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ عنهما، ويحكمون بكفر من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله أو أفتى بخلافهما إذا عرف الدليل فيكون كافراً بعد التعريف به ، كما دلت على ذلك الآيات الكثيرة من القرآن الكريم (٢) . ومن هذا المنطلق كان اهتمامهم بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً وتطبيقاً كما هو معلوم متواتر من أحوالهم وتصرفاتهم وكذلك اهتمامهم بالحديث والمعرفة التامة لرجال وطرقه وصحيحه وحسنه وضعيفه مما حازوا فيه قصب السبق (٣). ولهذا قلما نجد فتوى من فتاويهم لاتذكر الدليل من الكتاب أو السنة متبوعاً بقول أحد العلماء المشهورين .

٢- الأخذ بمبدأ الاجتهاد والتقليد :

لما كان عمل المفتي من الأمور الهامة التي تُبَوِّئُ صاحبها الصدارة في الأمة لكونه يبئُ عن الله تعالى وعن رسوله - عليه الصلاة والسلام - الحكم الشرعي وفق مراد الشارع الحكيم كان لايجوز أن يتولى هذه المهمة إلا من أوتي قدراً من العلم والفهم والقدرة على القيام بهذا الأمر بالصورة المطلوبة، كما أراد الله تعالى بالتفصيلات الواردة في هذا الموضوع (٤) وإذا علمنا أن تلك الفترة كانت فترة تحول للأمة من الضلال إلى الهدى ومن الجهل والشبهات والبدع والخرافات والتقليد الأعمى إلى العلم والإيمان الصحيح الواضح الجلي المستند على الكتاب والسنة، كما كان هدف الدعاة كذلك نقل الأمة من التفرق والتناحر إلى التوحيد والوحدة لتكون أمة واحدة ((إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)) (٥) فكان لابد لهذه المهمات العظام والمعضلات الجسام من علماء أفذاذ تكون لديهم المقدرة العلمية المطلوبة للفتوى والقضاء والنصح والإرشاد.

(١) سليمان بن سحمان : ضمن الدرر السنية ج٤ ص ٥٦،٥٥ .

(٢) عبدالله بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية ، ص ٩٧ وعبد اللطيف بن عبدالرحمن: مجموعة

المسائل والرسائل ج١ ص ٤٢٢، وإسحاق بن عبدالرحمن ، حكم تكفير المعين ص ٩ .

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ، ج١ ص ٢١٢ .

(٤) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ج٢ ص ١٥٢-١٦٣ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

فكان أن خاض هؤلاء باب الاجتهاد بأسلوب فريد يدل على ما لديهم من مقدرة علمية فائقة، أعطوا بها الأمة منهجاً فريداً محققاً لمتطلباتها ومصلحاً لأحوالها يستند على الكتاب والسنة والإجماع، ولقد أدرك معارضوهم أهمية هذا الاتجاه في سير الدعوة، وأنه من أسباب انتصارها ونجاحها، فجعل الخصوم من قضية الاجتهاد والتقليد سلاحاً من أسلحة حربهم في زمن مبكر. وإن من اجتهاداتهم مثلاً تقديم الجد على الإخوة في الإرث (١) وسئل الشيخ حمد بن معمر عن التنبك فقال: حرام إلحاقاً بالخمير لعله السكر ويجلد شاربه تعزيراً أربعين جلدة، وهو قول الشيخ أبابطين في الجلد تعزيراً دون تحديد مقدار الجلد وإنه لا يصل إلى علة السكر (٢).

وإذا كان الدعاة قد كتبوا كثيراً في هذه القضية لغرض بيان مذهبهم وصحة معتقدتهم وسلامة هدفهم، فإن أوضح ما كتبوه بهذا الخصوص رسالة الشيخ عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب المشهورة التي كتبها لأهالي مكة عند دخول السلفيين لها سنة ١٢١٨هـ (٣). وبهذا الأسلوب يعطون للأمة صورة مثالية تأخذ من التراث وتستفيد منه وتعتمد عليه في اعتدال بلا جمود، واجتهاد يتمشى وروح الشريعة الإسلامية بمرونة وواقعية، تعيش ظروف عصرها، وهذه النوعية من الفقهاء والمفتين هي ضالة العصر المنشودة وهي أيضاً المثل الوسط كما أراد الإسلام، ولذا فقد كان فقههم هو الاجتهاد في التقليد (٤).

٣- الإيجاز والوضوح والدقة:

من المعلوم أن المجتمع العربي في الجزيرة العربية وبالذات مناطقها الداخلية مجتمع تغلب عليه البداوة بخصائصها المعهودة؛ يألف البساطة ويحبها لغلبة الأمية؛ يخلو من المذاهب المتعارضة، والطوائف المتناحرة، والفلسفات المتناقضة، يناسبه الإيجاز والاختصار مع الوضوح والدقة في التأليف والفتوى؛ ولهذه العلة نجد أن أصحاب هذه المهنة من الدعاة يحرصون على

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: الهدية السنوية ص ٢٩.

(٢) حمد بن معمر وعبدالله أبابطين: الدرر السنوية ج ٦ ص ٤٥٤.

(٣) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: مصدر سابق ص ٢٨-٣٠.

(٤) عبدالوهاب ابو سليمان: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب (مقال بعنوان: خصائص التفكير

الفقهي عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٩٩، ٤١٣).

الاستفادة من هذه الميزات في فتاواهم ، وفي طريقة دعوتهم على العموم ، فكانت كثيراً من فتاويهم تميل إلى الإيجاز والاختصار وعدم الإطناب، لأن الوضوح في الفتوى لا يستلزم الإطالة بالضرورة، ولهذا كان الأصل في التعليم والفتوى الإيجاز والاختصار، لأن الإطالة تؤدي إلى الضجر والملل، كما كانت طريقته عليه الصلاة والسلام ، وقد رخص في الإطالة إذا دعا لذلك داع (١) ولرغبة الدعاة في الإيجاز المؤدي للغرض واتباعاً لمنهجه عليه السلام ، كان أن بادر الدعاة باختصار بعضاً من أمهات الكتب منها الفقهية ليتمكن الاستفادة لأكثر عدد من الناس لما رأوه من الحاجة لذلك . كما يقول ابن بشر في إحدى نسخ تاريخه (٢).

ولهذا الأسلوب من الفوائد الظاهرة ما لا يخفى، من ذلك تسهيل معرفة الفتوى واستيعابها، والمساعدة في العمل بها لدى أكثر عدد من الناس ، ونقل مضمونها من مستفتى إلى آخر ، فكان من المناسب أن تبدو الفتوى كأنها قاعدة مجردة، أو نص مطرد محبوب يؤدي غرضه بدون كلفة أو مشقة أو استطراد، كما أن الفتوى غالباً تتعلق بأكثر عدد من الناس فيجب أن تكون سهلة مختصرة، ليستطيع أكبر عدد ممكن فهمها ومعرفتها، لتطبيقها والعمل بموجبها.

ولما كان غرض المفتي بيان الحكم الشرعي في المسألة المستفتى عليها ، وليس القصد مناقشة الأقوال والآراء فإنه يجوز للمفتي ويسعه أن يكتفي في جوابه (فتواه) بقوله مثلاً : "يجوز" أو "لا يجوز"، "ويصح" أو "يحرّم" ، "نعم" أو "لا" ، أو "لا أدري" ، وما شاكل ذلك من العبارات المختصرة ما دامت تؤدي غرضها (٣). وإن كان هذا النهج قليلاً في فتاوي الدعاة، وعلى كل الأحوال والناظر في فتاواهم يجدها في عمومها تدور بين الإيجاز والتفصيل المطلوب بقدر الحاجة وتأدية الغرض، وتحصيل الفائدة المطلوبة، وهذه القاعدة هي التي كان يسير عليها (صلى الله عليه وسلم) في فتاواه، وهو النهج الذي سار عليه من تبعه من الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم! فلا بيان أتم من بيان الله ورسوله ولا هدى أكمل من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والله الموفق . (٤)

(١) الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢) ابن بشر : المصدر السابق ص ١١٦ . ط ٢ وزارة المعارف السعودية .

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين: الدرر السنوية ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٤) ابن القيم :اعلام الموقعين ج ٤ ص ١٩٤ .

وانطلاقاً من الأسس السابقة، نجد المرونة الفقهية في فتاوى الدعاة ومراعاة مقتضى الحال وتغيير المكان والزمان ، وقد ندرك هذا المعنى واضحاً في عدة صور وأمثلة منها: إذا كان الحكم الشرعي مبنياً على عرف بلد مثلاً فإنه يتغير بتغير العرف، أو إذا كان يترتب على الفتوى بإزالة المنكر منكرأ أكبر من المنكر القائم، وهذا باب واسع يدل على سعة الفقه الإسلامي ومرونته ، وصلاحيته لكل زمان ومكان (لكون حوادث الأيام خارجة عن التعداد ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التتاد، ولا بد من بيان نصوص الدين لكل فئة من الناس ، وكل عصر ومصر والمساعدة في بيان مراد الله فيها، حسب المقتضى الشرعي ، فاقتضت حكمة علام الغيوب وجود من يفتي للناس في أمور دينهم حسب الحوادث ومقتضياتها) . (١)

وإذا كان الدعاة في القرن الثالث عشر وقبلهم إمامهم يتخذون مذهب أحمد بن حنبل -رحمه الله - مذهباً لهم في الفروع وقد يخالفون هذا المذهب عندما يترجح لهم دليل آخر كما يقول الشيخ عبدالله بن محمد (٢) وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه عندما اختاروا المذهب الحنبلي مذهباً لهم ؛ فلا يظن أن هذا جاء من باب المصادفة أو الفلتة العابرة، أو أنه اتباع - دون نظر وتمحيص- لمن سبقهم من علماء نجد ومجاراة لهم في الأخذ بالمذهب فهم خالفوا كثيراً من العلماء المعاصرين لهم في كثير من أمور العقيدة، وهذا يعطي الدليل الجازم على مقدرتهم ، وأنهم إنما اختاروا هذا المذهب بعد بحث ومعرفة وغربة للمذاهب الإسلامية الأخرى، ورأوا فيه الصورة الحقيقية للمذاهب الإسلامية المعروفة فاستهواهم المذهب الحنبلي لما فيه من ميزات كثيرة تجعله أولى المذاهب بالقبول والاتباع لسعته ومرونته وقربه من الكتاب والسنة وغير ذلك من الأمور. (٣)

وهذا لا يقتضي رفض المذاهب الأخرى أو تكفير أهلها كما رماهم المعارضون بذلك، بل العكس فإنهم يأخذون بكل المذاهب فما أيده الدليل أخذوا به أيا كان قائله، كما ذكر(٤)

(١) زين الدين المناوي : فتح القدير ج ١ ص ١٠ .

(٢) عبدالله بن محمد : ضمن الدرر السننية ص ٢٩ .

(٣) عبدالقادر أحمد (ابن بدران) : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٣٦ .

(٤) سعيد بن حجي : مجموعة الرسائل ج ٤ ص ٨٧٥ .

الشيخ سعيد بن حجي(١) . وبالنسبة لمذهب ابن حنبل ومرورته الفائقة وسعته وشموليته التي دفعتهم وأغرتهم في ترجيحه لديهم على بقية المذاهب واضحة للعيان من خلال الأصول التي بنى عليها الإمام أحمد فتاواه حتى أن المتأمل في فتاوى الصحابة يرى مطابقة كل منهما على الآخر، ورأى الجميع كأنهما تخرج من مشكاة واحدة. (٢)

وكانت تلك الميزات من الدوافع لكثير من العلماء لحسد علماء هذا المذهب المبرزين كابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب ، كما كان لسلك الدعاة السلفيين منهج الإمام أحمد وابن تيمية في الإصلاح الأثر في انتصار الدعوة السلفية من حين قيامها إلى الآن (٣).

وقد فطن إلى مميزات مذهب الإمام أحمد بعض الدعاة السلفيين مشيرين إلى أن المذموم من التقليد هو التقليد الأعمى لرأي معين وإن خالف الكتاب والسنة أو التقليد بعد ظهور الحجة (٤) وبالرغم مما رمي به المذهب الحنبلي من دعوى التشدد والتزمت حتى صار مثلاً والذي منشأه الحرب التي شنت على الدعوة وأتباعها فقد تنبه إلى المميزات الكثيرة في هذا المذهب والتي دفعت الدعاة إلى اتباعه بعض المؤلفين المعاصرين . (٥)

(١) سعيد بن حجي الحنبلي النجدي ، رحل إلى الدرعية فأخذ العلم عن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله! وغيره من علمائها ، ولما تفقه عين قاضياً في حوطة بني تميم تخرج على يديه كثير من العلماء، وله رسائل وفتاوي ، وما زال في القضاء حتى توفي سنة ١٢٢٩هـ (ابن بشر: المصدر السابق ج ١ ص ١٦٧ والبسام : علماء نجد ج ١ ص ٢٧٣).

(٢) ابن القيم : أعلام الموقعين ج ١ ص ٢٨.

(٣) عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية ج ١ ص ١٤ وما بعدها ومحمود مهدي الاستانبولي : ابن تيمية بطل الإصلاح الديني ص ١٤ ، ٢٤٩.

(٤) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : الدرر السنية ج ٤ ص ١٠ ، ١١.

(٥) عبدالرزاق السنهوري : مصادر الحق في الفقه الإسلامي ج ٢ ص ١٦١ ، ١٧٦ ، وعبدالرحمن القاسم: الدرر السنية ج ١ ص ١٤

وهكذا ورث الدعاة مظاهر المرونة وصلاحيه الفتوى لكل زمان ومكان، ومراعاة مقتضى الحال من خصائص هذه المدرسة في قمة تطورها فكرياً ، والمتمثلة في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال مؤلفاته وسيرته، وبعده تلاميذه كابن القيم وابن عبد الوهاب ، وقد تبدوا لنا هذه الأمور عند الدعاة في جانبين رئيسيين :-

الأول : موقفهم من مخاليفهم في الفروع وبخاصة ما لم يتبين فيه دليل (١).

الثاني : مسائل الأحكام والفتاوي فيما سنورده من أمثلة في المبحث التالي .

ولاشك أن هذه المرونة والانفتاح العظيم للفكر القانوني والإرادة البشرية في هذا المذهب الإسلامي الأصيل يفتح الأبواب للتطور في كل عصر ، في محيط الأصول والمبادئ الإسلامية الأساسية، فلا يقف عند صورة بذاتها أو حد محدود مما يتمشى مع روح الإسلام وتشريعاته السامية الشاملة (٢).

وقد جنت الأمة من سلوك الدعاة لمذهب الإمام أحمد أعظم النتائج بتوحيدها واجتماعها ؛ ولنا أن نتصور كيف كان المفتون في المكان الواحد مثل الحرم الشريف عدة ، كالمفتي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، وهكذا في الصلاة وتعدد الأئمة في الحرمين مثلاً، مما هو مظهر من مظاهر التفرق ودعوة إلى الافتراق ، وما كانت عليه الحال بعد ذلك بحمد الله ومنه .

٥ العموم والشمول :

أشرنا فيما سبق إلى بعض الخصائص التي اختلفت بها الفتاوى في القرن الثالث عشر الهجري ومنها الاعتماد على الكتاب والسنة والاجتهاد الموافق للشرع مع الإيجاز والدقة والمرونة الفقهية ومراعاة مقتضى الحال، ولهذه الأسباب جاءت فتاوى العلماء عامة شاملة، ولم لا يكون ذلك؟ والله تعالى اختص هذا الدين الإسلامي بأن جعله آخر الأديان وخاتمة وأتم به نعمه ؛ ومن شمول الدين الإسلامي وعمومه شمول تشريعاته ودعوته ، شمولاً وعموماً يستوعب الآتي :-

(١) أبناء الشيخ حسين وعبدالله : الدرر السنوية ج ٤ ص ٧

(٢) عبدالحليم الجندي : محمد بن عبد الوهاب ص ١٤١ .

- ١- المبادئ والقواعد .
- ٢- المدعويين وهم الناس جميعا .
- ٣- الزمن لأن الإسلام ودعوته وتشريعاته دائمة إلى يوم التنادى .
- والدعوة ليست لمصلحة شخص بعينه أو فئة معينة ، بل لم تكن إلا دعوة الإسلام بعينه ولم يكن هدفها إلا الإصلاح والتجديد للدين بكل ما تحمله كلمة إصلاح وتجديد في العقيدة والعبادة والأخلاق والتهديب والسلوك والتعامل والسياسة والاجتماع وغيرها من جوانب الحياة .
- وقد سبق أن سقنا من الأدلة والوقائع ما يكفي للبرهنة على هذه الأهداف السامية والأغراض النبيلة، ومن الممكن أن نستدل على ذلك بالتحول العجيب والتغيير الكامل الفريد الذي أحدثته في الأمة في جميع النواحي ، والنجاح الباهر الذي حققته الدعوة بالرغم من العقبات والعوائق الكثيرة التي وقفت في طريقها ، وما أحدثته الدعوة من آثار ليس في البلاد النجدية أو جزيرة العرب فقط ، بل في العالم الإسلامي أجمعه، بعد أن تهيأ لها من العوامل والأسباب ما ساعد على انتشارها، (١) في صورة رائعة مما هو دليل على عمومها وشمولها، وبعد نظرة أتباعها والجهد الكبير الذي بذلوه في سبيل ذلك . ولقد كان من جهود الدعاة الكبيرة في ميدان الدعوة ومنهج الإصلاح أسلوب الفتاوى، والمتتبع لفتاواهم يجد من خصائصها العموم والشمول في كل شئ؛ في موضوعاتها وأدلتها ومنهجها والتزامهم بها وتطبيقهم لها في جميع أحوالهم وعلى جميع فئاتهم ، وأسلوبهم هذا في الفتوى وبخاصة ما يتعلق بالتشريع الفقهي يردُّ الوهم الذي قد يردُّ على بال البعض من أن اهتمامهم بجانب العقيدة كان على حساب الجوانب التشريعية الأخرى، ففي حالهم وسلوكهم وما سطره من مؤلفاتهم والتي تكوّن الفتاوي جانباً كبيراً منها ما يرد هذا الوهم، وإن كان اهتمامهم بالعقيدة أولاً لكن تعتبر العقيدة وتشريعاتها وفتاواهم فيها جزء من الجانب الفقهي والتشريعي العام بل هو أساسه وقاعدته. (٢)

(١) محمد بن عبدالله السلطان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) عبدالرحمن بن حسن : ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٨٩ والمورد العذب الزلال ص ٢٣٦ .

وحسبنا أن نورد في المبحث التالي بعض النماذج الدالة على الأصالة، وصحة وسلامة الطريقة التي اتبعها الدعاة في فتاواهم واتساع فقههم نختارها من أبواب متفرقة كالعقائد والعبادات والمعاملات والبدع والتحذير عنها وأدب القضاء والتهديب والتصوف والتفسير وغيرها .

ثانياً : نماذج من الفتاوى :

١- العقيدة _____ دة :

لقد أدرك الدعوة ضرورة أن يُعاد بنيان المجتمع على أساس العقيدة؛ لأن التوحيد لن يبلغ مبلغه إلا عندما يُحصَّن إيمان الأفراد ، ويُهَيَّئُوا أنفسهم بأولويات العقيدة، فكان الاهتمام أولاً بالتوحيد، يظهر ذلك من خلال المؤلفات التي تركها لنا دعاة ذلك العهد لأنه أصل الدين وأساسه، والتوحيد له أركان وفروع ومقتضيات ولوازم لا يحصل الإسلام إلا بها. (١) ويقول الشيخ سليمان ابن عبدالله بن عبد الوهاب عن توحيد الألوهية : ((وهذا التوحيد أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العباده، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكافرين)) (٢) وهكذا توالت الكتب والرسائل الكثيرة في هذا الشأن.

(٢) العبادات :

لقد أعطانا الدعوة في الفتاوى المتعلقة بالعبادات منهجاً فريداً متكاملأ عاماً شاملاً منطلقاً من شمول دين الإسلام وأحكامه وصلاحيته لكل زمان ومكان.

فهم في هذا الباب كثيراً ما ينقلون لنا أوسع التفاصيل عن العلماء الآخرين وأقوالهم مما يستند على الدليل الشرعي.

يقول الشيخ عبدالله بن محمد في رسالته إلى عبدالله الصنعاني بعد بيان ما هم عليه من عبادة الله ومتابعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وردهم الخلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ثم إلى أقوال الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان مما هو ظاهر حالهم، ثم يقول : ((فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات ونصبنا القضاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ونصبنا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد فله الحمد والمنه)) (٣).

(١) عبدالرحمن بن حسن : المورد العذب الزلال (ضمن مجموعة الرسائل والمسائل) ج ٤ ص ٣٧.

(٢) سليمان بن عبدالله : تيسير العزيز الحميد ص ٣٦.

(٣) عبدالله بن محمد : الدرر السنية ج ٤ ص ٨

وسئل الشيخ حمد بن عتيق عن التيمم بالرمل فأجاب : لا بأس به، وسئل الشيخ عبداللطيف عن قول شارح الزاد : أو عدل شعير ونحوه فأجاب : هو ما كان له غبار يعلق باليد. (١)

وسئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن وقت القنوت ورفع اليدين فيه والتكبير قبله فقال : أما دعاء القنوت فبعد الركوع ورفع اليدين فيه جائز والتكبير قبله محدث . (٢)

(٣) المعاملات :

التعامل والتبادل بين البشر حسب حاجاتهم ومصالحهم من العناصر المهمة في الحياة البشرية ، وقد حرص الإسلام الحنيف على تنظيم هذه الناحية في العلاقات بين الخلق ، وضبطها وأتقنها بصورة فريدة لا يمكن أن يرقى إليها أي تشريع أو تنظيم مهما كان، كما أخبر المولى عن ذلك بقوله : ((ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)) (٤) وقول الحق تعالى: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) (٥)

وعلماء الدعوة من خلال فتاواهم في هذا الباب يعطون أعلى مستوى حضاري يوصل البشرية إلى طريق السعادة والفلاح، وهنا نختار بعض الفقرات التي تمثل أسلم صور التعامل وأصحبها. فبخصوص العقود وصيغها التي تنعقد بها ، يعدد الشيخ حسن بن حسين (٦) أقوال العلماء فيها ثم يقول : ((القول الثالث : إن العقود تنعقد بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل، فكل ما عده الناس بيعاً فهو بيع ... وهذه القاعدة تدلنا على أن العقود تصح بكل ما دل على

(١) الدرر السنية ج٤ (كتاب العبادات ص ٨٨).

(٢) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج٤ ص ١٧٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣٢ .

(٦) حسن بن حسين بن علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١٢٦٦هـ بالرياض وقرأ

على علمائها ثم تولى القضاء في عدة نواحي، وتفرغ بعدئذ للتدريس ، له رسائل توفي سنة ١٢٤٠هـ

(عبدالرحمن بن عبداللطيف : المرجع السابق ص ١٤٢ وعبدالله البسام : المرجع السابق ج١ ص ٢١٢).

مقصودها من قول أو فعل هي التي تدل عليها أصول الشريعة وهي القاعدة التي يعرفها العامة)). (١)

وقال الشيخ عبدالله بن محمد : ((من الصور التي نهى عنها (صلى الله عليه وسلم) في البيع ، نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وطلوان الكاهن وثمان السنور، وكسب الحجام وبيع الخمر، وكل ما حرّم أكله ، وبيع الميتة ، وبيع الأصنام وبيع الحر وبيع عصب الفحل ، وبيع فضل الماء ، وبيع الكلا ، ... الخ) (٢).

٤- البدع والتحذير منها :

لقد كان مما وقع فيه الاختلاف بين الدعاة ومعارضيهم البدعة، حيث يرى الدعاة أن كل محدثة في الدين بدعة ، وأن البدعة ما أحدث بعد القرون المفضلة مذمومة مهما كانت خلافاً لما يراه المعارضون من أن البدعة منها حسن وقبيح ، يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : ((ومما نحن عليه أن البدعة - وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة - مذمومة مطلقاً، خلافاً لمن قال : حسنة وقبيحة، ولن قسمها خمسة أقسام إلا إن أمكن الجمع بأن يقال الحسن ما عليه السلف الصالح شاملة للواجبة والمندوبة والمباحة، ويكون تسميتها بدعة مجازاً والقبيحة ما عدا ذلك شاملة للمحرمة والمكروهة فلا بأس بهذا الجمع .

فمن البدع المذمومة التي ننهى عنها: رفع الصوت في مواضع الأذان بغير أذان سواء كانت آيات أو صلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أو ذكراً وغير ذلك بعد أذان أو في ليلة جمعه أو رمضان أو العيدين، فكل ذلك بدعة مذمومة ، وقد أبطلنا ما كان مألوفاً بمكة من التذكير والترحيم وغيره، واعترف علماء المذهب أنه بدعة. (٣)

(١) حسن بن حسين : مسائل وفتاوي فقهية (مجموعة الرسائل والمسائل ج٤ ص ٧٥٥).

(٢) عبدالله بن محمد : الدرر السنوية ج٥ كتاب البيع ص ١

(٣) للعلماء كلام كثير عن البدعة وأنواعها مثل : الاعتصام للشاطبي، وليس هذا مكان التحقيق في هذه المسألة.

ومنها قراءة الحديث عن أبي هريرة بين يدي خطبة الجمعة، فقد صرح شارح الجامع الصغير بأنه بدعة ، ومنها الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قرية مخصوصة)). (١)

(٥) أدب القضاء :

القضاء أحد الولايات الهامة في الأمة اهتم بها الإسلام اهتماماً عظيماً وجعل لها الشروط والقواعد والأصول الدقيقة التي تحقق العدالة بين الناس كما أراد تعالى . لكونه من الأمور الهامة في حياة الناس ولا بد لهم منه، وفي الوقت الذي يحدثنا التاريخ الإسلامي عن مواقف عظيمة من العلماء الذين وقفوا في وجه الولاة والسلطين عندما أرادوا أن يظلموا شعوبهم، فإن بعض المصادر تشير أنه قبيل الفترة التي نتحدث عنها فإنه في كثير من البلاد لم يعد للقضاء استقلاله المعهود ولم يكن لمركز القضاء ذلك السلطان ، إذ أصبح القاضي منفذاً لإرادة الحاكم مما يعد من أسباب الركود الفكري في الأمة حينئذ (٢) وقد تتأكد هذه المقالة عندما نعود بالذاكرة إلى الموقف المبكر لبعض علماء نجد والأحساء والحجاز من الدعوة ، وكيف كان تأثير الحكام على قضاتهم كما يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٣) فكان من أهداف الدعوة وغاياتها النبيلة إصلاح ما فسد، وتعديل الانحراف عن الطريق المستقيم في هذا الجانب المهم من حياة الأمة، الذي هو من أسباب سعادتها وعزتها ورفعتها لأنه العدل والقسط الذي قامت عليه السموات والأرض ، وهو الصلة بين الناس مع خالقهم ومع أنفسهم ومع بعضهم كذلك .

فاهتموا بنصب القضاء وذكروا أن حكمه فرض كفاية ، وفيه فضل عظيم لمن قوي على القيام به وأدى الحق منه ، ويجب على الإمام أن ينصب في كل إقليم قاضياً ويختار أفضل من يجد . كما يبين الدعاة آداب القاضي ، وطريقة حكمه ، وكيفية الدعاوي والبيانات والشهادات وشروطها ، وغير ذلك مما يتعلق بالقضاء، بأسلوب علمي رصين كما في مؤلفات الشيخ عبدالله ابن محمد والشيخ حسن بن حسين وعبدالله بن عبدالرحمن أبابطين وسعيد بن حجي وغيرهم.

(١) عبدالله بن محمد : الهدية السنوية ص ٣٦.

(٢) محمد فاروق النبهان : المدخل للتشريع الإسلامي ص ٣٤٤

(٣) محمد بن عبدالوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ١٨٦.

ومما قال الشيخ عبدالله أبابطين في هذا الموضوع : ((ولكن ينبغي للمفتي والقاضي إذا ابتلي بشئ من المسائل أن يجتهد ويتحرى الصواب وأن يقلد إن لم يتبين له الراجح، والمسائل التي يقع فيها الخلاف بين العلماء وليس مع أحد القولين حديث صحيح صريح ، بل القول فيها بالاجتهاد والقياس نحو ذلك)) (١) ، وقد نشير بهذه المناسبة إلى الفرق بين حكم القاضي وقول المفتي والتي من أهمها: أنه وإن كان كل منهما مخبراً عن الله تعالى فيما هو مطلوب شرعاً، فدور المفتي الإخبار فقط أما القاضي فإضافة للإخبار عن الحكم إلا أن فيه إلزاماً للمحكوم عليه بما تضمنه الحكم، وإن كل ما يجري فيه حكم القاضي تجرى فيه الفتوى ولا عكس، وعلى كل فإن فتوى المفتي أعظم خطراً من حكم القاضي لأن الفتوى شريعة عامة للمستفتي وغيره.

وفي نهاية هذا المبحث نقول إن هذه البلاد السعودية لازالت تسير على الأسس والقواعد التي جعلها الدعاة منهجا لهم في التشريع والقضاء وغيره من أمور الحياة ، مما استقاه أولئك الدعاة من أصول التشريع الإسلامي الثابتة وقد حقق للأمة نتائج عظيمة أصبحت بسببه هذه البلاد مضرب المثل .

٦- التهذيب:

من أهم أهداف الدعوة التهذيب ، عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً وتعاملاً لأن في ذلك الوسيلة الناجعة لإصلاح الفرد والمجتمع والأمة كلها، ابتداءً بإصلاح العقيدة وتهذيبها حيث نجد الدعاة يبذلون كل جهدهم لهذا الهدف النبيل، ولم لا يكونون كذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يلخص الهدف من دعوته عليه السلام بقوله : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (٢) وقال تعالى ((وإنك لعلى خلق عظيم)) (٣) . ولهذا السبب استغرق هذا الجانب القسط الأكبر من الدعوة فنجد في مؤلفات الدعاة وفتاواهم الكتب والفصول الكثيرة التي تعالج هذا الجانب ككتب التوحيد والعقيدة والسيره والأخلاق والرقائق وغيرها .

(١) عبدالله أبابطين : الدرر السنية ج٦ ص ٤٩١

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص ٦٠ والبيهقي والحاكم في المستدرک ج٢ ص ٦١٣

(وقال: صحيح على شرط مسلم) كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٦٠ بلفظ (لأتمم صالح الأخلاق).

(٣) سورة القلم : الآية ٤ .

يقول الشيخ عبدالله بن محمد : ((ولاننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي، والمنهج القويم المرعي، إلا أننا لانتكلف له تأويلاً في كلامه ولا في أفعاله ، ولانقول ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا على الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل)) (١) ومما يقول الشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن في إحدى رسائله المحررة عام ١٢٩١هـ وهي من آخر ما كتب رحمه الله! ((وما أشرت إليه من أسباب ما حدث بالإسلام وأهله وإنه من عقوبات الذنوب ، فنعم هو ذاك ، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الأمين ، وهذا المشهد يوجب للعبد التوبة والإنابة وتدارك ما فرط من الشر وأسبابه ما يطهره من دنس الذنوب والعيوب ويستقبل به عثراته وهفواته بين يدي علام الغيوب، وفوقه مشهداً أكبر منه وأجل وهو مشهد الأسماء الحسنی والصفات العلی ، فيشهد عزته ولطفه ورحمته وقيوميته وجبروته ... وهذا المشهد من أجل مشاهد التوحيد ، ومنه يطلع العبد على أسرار القدر والقضاء ويدرك من حقائق الإيمان ونفحات الرضا ما يتبوأ به منازل الصديقين ...)) (٢) وبتتبع ما تركه لنا الدعاة من أقوال بهذا الخصوص يظهر لنا اهتمام ملحوظ بالفرد والمجتمع بكل فئاته الحاكم والمحكوم الصغير والكبير والبعيد والقريب والعربي والأعجمي لأن هدف الدعاة من خلال فتاواهم وغيرها عموم دعوتهم وشمولها وبناء الدولة كبناء الفرد والجماعة الصالحة .

(١) عبدالله بن محمد : المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٥٥٢ .

الباب الثالث

الرسائل والمناظرات والردود وكشف الشبه

الفصل الأول : الرسائل والمناظرات :

سبق الحديث عن بعض جهود الدعاة وموقف معارضيهما فيما يتعلق بالمواجهة الفكرية والعوائق التي كانت توضع في طريق الدعوة ، وفي هذا الفصل تفصيل لجانب مهم في هذا الميدان وهو ، الرسائل والمناظرات . بعد أن دأب كل من الطرفين المتنازعين على كتابة الرسائل وتحرير الردود وتنظيم المناظرات والاعتناء بها؛ لمحاولة كبح جماح الخصم وكشف شبهه والتأثير على موقفه بهذا السلاح الهام المؤثر، فأسهمت الرسائل والمناظرات لديهم إسهاماً كبيراً في نجاح الدعوة وانتصارها بعد إيضاح أهدافها وغاياتها .

ومن خلال هذه المقدمة نقسم رسائلهم ومناظراتهم إلى صنفين :-

أولهما: ما يمكن أن نسميه العقبات وهي ما حرره معارضو الدعوة . **وثانيهما :** ما هو من باب الدفاع ، وهي جهود أنصار الدعوة، وإن كان من الممكن القول إن كتابة الطرفين في عمومها من حيث الأسلوب والصياغة والأدلة والموضوعات لا تختلف كثيراً إلا في طريقة الاستدلال وفهم الدليل في حدود الأهداف والغايات .

ولاشك أن الكلمة في هذا الميدان مقدمة على ما سواها ، وأحسن القول وأفضله ما كان في الدعوة إلى الله ، كما قال تعالى: ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)) (١) ولأهمية رسائلهم ومناظراتهم - آنذاك - فسيكون الحديث عن هاتين الوسيلتين في الآتي :-

أولاً: في الرسائل :

وهي المكاتبة وتعرف أيضاً بالمراسلة ، وهي مخاطبة الغائب بلسان القلم، وهذه الطريقة إحدى فنون الإنشاء ، وفوائدها أوسع من أن تحصر وبخاصة في العصر الذي نتحدث عن حال الدعوة الإسلامية فيه ، قبل توفر وسائل الإعلام ، وأدوات الاتصال الأخرى .

(١) سورة فصلت : الآية ٢٢

وعندما نتحدث هنا عن الرسائل فإنما نقصد الرسائل العملية والمتداولة وما شابهها مما كان له أثره على الدعوة ، وتحقيق أهدافها .

والحديث هنا ليس عن حركة التأليف في تلك الفترة ، بل الحديث عن جانب من جوانبها وعلاقته بالدعوة . فمن الملاحظ أن أسلوب كتابة الرسائل - آنذاك - يخالف أساليب التأليف والردود وكشف الشبه بعض الشيء - كما سيأتي - ولانستطيع أن نجري مقارنة بين أسلوب التأليف والرسائل قبل الدعوة السلفية وما بعدها لقلّة ماتوفر لدينا من مؤلفات قبل الدعوة ؛ التي فجرت ينابيع الفكر وأزالت غشاوة الجهل المطبق ، فدفعت إلى التأليف والكتابة وطرق جميع أبوابها ، وكانت خصومة الدعاة مع معارضيههم ، وواجبات الدعوة ونشرها والدفاع عنها تقتضي خوض غمار التأليف نثراً وشعراً ، ورسائل ومناظرات وردوداً وغيرها من الطرفين ، كما كان لرحلاتهم وتنقل بعض الدعاة - كما حدث للشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف - وتتلّمذهم على كبار علماء الأزهر وعودتهم يحملون آفاقاً واسعة في الثقافة ، والاطلاع على كثير من المؤلفات واستجلاب كثير منها معهم - أثره على تغذية العطاء الفكري في المنطقة وقد نزيد الأمر إيضاحاً بهذا الخصوص عن الرسائل في نجد والحجاز .

(أ) في نجد :

فلو ألقينا نظرة على تلك الرسائل التي كتبها علماء نجد لوجدنا فيها عدة سمات وخصائص . منها إنها تخالف غيرها من المؤلفات في الأسلوب واللغة والموضوعات والأشخاص الموجهة إليهم ، وكذلك من تصدر منهم تلك الرسائل . فهي سهلة الأسلوب ، أضعف من لغة التأليف لأنها وقتية ، وقد تكتب على عجل ، ولا يقصد صاحبها إلا التفهيم وفي أغلب أحوالها تكتب إلى من لا يجيدون العربية الفصحى ، فتكثر فيها العامية ، وديباجتها (من فلان بن فلان إلى فلان) بعد السلام والتحية ، وغالبا (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد) مقروناً بالدعاء له ، وقد يرد فيها عبارة (موجب الخط) أي الذي دعا الي كتابة الرسالة ((إبلاغ السلام والسؤال عن الأحوال)) ويدخل الكاتب إلى الغرض من الرسالة ، وهذه الرسائل في أغلبها قريبة من الرسائل الأهلية التي يكتبها سواد الناس ، الذين لا ينتظر منهم كتابة جيدة ، ولكن كتابة الرسائل التي نقصدها تصدر من

الكتاب والعلماء والمشايخ والزعماء الذين أوتوا نصيباً من العلم والثقافة حتى لنجد جامع (الرسائل النجدية) (١) يصرح بأنه أصلح بعض الكلمات العامية فيها. يقول الدكتور عبدالله الحامد ((ولاندري كيف تجرأ على تعديل النصوص وتحريرها وأمانة التحقيق تقضي إبقاها كما هي ، ولو أفتاه من أفتاه ، فقيمة رسائل هؤلاء العلماء إصلاحية، نفعوا بها كثيراً ، وأرشدوا وبينوا ، فأفادوا فائدة كبرى وبالرغم من إصلاحه فقد بقيت بها ألفاظ عامية، وتراكيب ركيكة)) (٢) وهذا يدل على أن تعديلات الشيخ محمد رشيد رضا فيها طفيفة فقد عدل ما رأى وجوب تعديله ليفهم المراد منه وترك الباقي . ومن كتابة الرسائل ما كتبه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين (٣) والشيخ عبدالرحمن بن حسن (٤) والإمام فيصل بن تركي (٥) وما بها من عامية أو ركافة لم ينقص من قيمتها وأثرها الديني والاجتماعي في الإصلاح ؛ بل قد يكون لهذا الأسلوب أثره فيمن أرسلت إليهم وسرعة دخولها في أعماقهم ، عندما نعلم ما كانت تعيشه البلاد من أمية، وهذا الأسلوب ثبت أنه من الأساليب المهمة للدعوة، وهو مخاطبة الناس بما يفهمون ويدركون ، وإذا كانت الرسائل التي نقصدها الرسائل العلمية ، فهي ذات هدف ديني تتناول موضوعات شتى؛ من أجل الإصلاح، ومن ذلك الدفاع عن الدعوة ، وسد حاجة الناس من فتاوى فقهية وغيرها . وأوسع كتاب نشر حتى الآن (كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية) في أحد عشر مجلداً ، عدا الجزء الثاني عشر الذي هو عبارة عن تراجم لأعلام الدعوة ألفه جامع هذه الدرر الشيخ عبدالرحمن القاسم (ت ١٢٨١هـ) ويليه في الحجم (مجموعة الرسائل والمسائل) وهو أربعة أجزاء في ثلاثة مجلدات جمعها الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) كما قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أخيراً بجهود كبيرة في هذا المجال حيث قامت بنشر كثير من مؤلفات أعلام الدعوة، سواء ما نشر قبل أو ما نشر لأول مرة .

(١) محمد رشيد رضا : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ المقدمة .

(٢) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٧٤ .

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين: الدرر السنية ج ٧ ص ٤٦ .

(٤) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج ١١ ص ٣٣

(٥) فيصل بن تركي : الدرر السنية ج ١١ ص ٢٢ .

وبالنسبة للرسائل لو نظرنا في حجمها نجدها على نوعين : رسائل قصيرة وهي عبارة عن نصائح ، ورسائل أكثر إطالة، وهي رسائل علمية أو بحوث أقرب ما تكون للمؤلفات .

ومن أهداف الرسائل الحث على التقوى والنصح والدعوة إلى التمسك بالدين وبيان بعض الأحكام باختصار ، مع الاستدلال ببعض الآيات والأحاديث النبوية وأقوال السلف ، والمواظب المؤثرة والإشارة إلى واقع حالهم قبل ذلك العصر وقبل الدعوة السلفية، مما يستلزم الاعتاض وشكر النعمة، والاجتماع وعدم الاختلاف والافتراق ، والتعاون على البر والتقوى وهي تخالف الردود بتجنبها التعنيف والشدة، بل فيها الرقة واللفظ حتى مع بعض المعارضين أو من تصدر منهم بعض الأفعال التي ينتقدون فيها ، وتؤيل تصرفهم بالخطأ أو الجهل غير المقصود مثلا (١). وهي قد ترسل إما لمن يراه من المسلمين أو للإمام أو لعدد معين من الناس أو لشخص باسمه تُصدَّر به الرسالة.

والملاحظ أن هذا الأسلوب كثر في القرن الثالث عشر لدى الدعاة وكثر رواه وقد يكون لانتشار الدعوة وكثرة المتعلمين أثره في شيوع هذا الأسلوب من المراسلات التي تعتبر من وسائل الدعوة .

وأما الرسائل التي ليست ردوداً والتي هي من قبيل المؤلفات وهي كثيرة فهي قريبة من النصائح في أسلوبها إلا أنها تتسم بالإطالة والشرح ، وهي أرقى في الأسلوب من الرسائل العادية والنصائح، وأسلوبها أوضح لغة في الجملة، ورواد هذا الاتجاه الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف والشيخ حمد بن عتيق وسليمان بن سحمان ، وإن كانت رسائل الشيخين عبداللطيف بن عبدالرحمن وحمد بن عتيق أثناء الخلاف بين أولاد الإمام فيصل اتجهت بعد الاختلاف إلى الحذر والتشدد في النصح والجدة والصرامة على الأعداء والدخلاء والمداهنين والإكثار من إطلاق عبارات الكفر والزندقة والردة ، وهكذا . والتأكيد على تفسيق الغزاة من الترك ، وأنهم أهل بدع، ممن استعان بهم الإمام عبدالله الفيصل ، وضرورة الاتحاد والوحدة فكانت تميل إلى قوة الأسلوب وشدته عن ذي قبل ، تحس فيها قوة العبارة النابعة من النفس المؤمنة ، الغيرة على الأمة وعقيدتها وتلمس فيها الحماس الوطني والديني المتقد ، حتى غدت رسائلهم بعفويتها قذائف حق ترمي على الباطل فتدمغه .

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية (كتاب النصائح) ج ١١ ص ٢٢ .

(٢) انظر الدرر السنية ج ١١ (كتاب النصائح) .

وهي كذلك مادة تاريخية تلقى الضوء على فترة مهمة من تاريخ الدعوة؛ مظلمة بالفتن ، متشابكة بالنزاعات ، بين بعض قادة الدعوة بكل أسف ؛ مما قد يتحرج مؤرخو نجد عن تدوين كثير من أحداثها ، فسدت هذه الرسائل التلم وأكملت النقص بعد ما كان لها من عظيم الأثر في تجنيب البلاد كثيراً من المآسي (١) .

وإذا كانت الرسائل تشترك مع الكتب المؤلفة بالاستشهاد المكثف بأي القرآن والحديث الشريف وأقوال العلماء فهما كذلك يشتركان في تراوجهما بين أنماط : الأسلوب المركز والركيك ، والمرسل الذي يميل إلى الإطناب ، والأسلوب المسجوع المطول والأسلوب القوي . فالأسلوب المركز، الممتاز بالقصر والعفوية والبساطة ، وازدحام المعاني قد تقع فيه بعض الكلمات العامية (٢)، والذي تغذيه حال الأمة وواقعها الديني والسياسي ، والحماس المنقطع النظير لخدمة هذه الدعوة والدفاع عنها ، وقول الحق الذي لا تأخذ صاحبه لومة لائم واضح في رسائل الإمامين عبداللطيف بن عبدالرحمن وحمد بن عتيق (٣).

وبالنسبة للأسلوب العامي فإن كتب العلماء الدعاة في تلك الفترة مع ما فيها أقوى أسلوباً وأقل عامية وركاكة من مؤلفات المؤرخين كما يبدو ذلك واضحاً في مؤلفات التاريخ للفاخري وابن بشر وابن عيسى والدحلان وغيرهم .

كما يغلب على تلك الرسائل الأسلوب الموشى القوي ، الذي يميل إلى الإطناب والتفصيل، والشرح والعفوية، إلا ما ندر من السجع المواتي كما في مؤلفات عبدالرحمن بن حسن .

والأسلوب المطول المنمق ، الموشى بحلي البديع ، فيما قد يعتبره البعض نوعاً من التكلف قد يوجد في بعض رسائل عبداللطيف بن عبدالرحمن وسليمان بن سحمان، وأغلب كتاب السجع

(١) ونستدل على ذلك برسائل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن: الرسائل المفيدة ص ١٥١ وما بعدها

وحمد بن عتيق : مجموعة الرسائل ج ٣ ص ١٦١ والدرر السنوية ج ٧ ص ٢٥٨ وقبل هؤلاء شيخهم عبدالرحمن بن حسن في كتابه (المقامات) .

(٢) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٧٥ .

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : المصدر السابق ١٦٠ وحمد بن عتيق : ضمن الدرر السنوية ج ٧ ص ٢٥١ .

من ذوي القدرة على الصياغة، والقورة على الإنشاء ولذلك وقعوا في السجع ظلنا منهم أنه نور على نور (١) وفي رأيي أنه قد يكون كذلك مادام يحقق غرضه المطلوب من تحصيل التأثير في السامع، وخشوع الأفتدة وتلين القلوب لتستجيب لنداء الحق وداعي الهدى، لأنه من السجع الذي يسمو بفكر القارئ ويبدله على قدرة المؤلف ويوجد الثقة بين المؤلف ومن أرسلت له عندما يأتي من غير تكلف، ويشد الذهن فينسب في الأعماق من غير إجهاد وبخاصة إذا كانت الرسالة إلى إنسان مسافر للمرسل في العلم والثقافة، وبينهما تواد وتقارب ومحبة تلتقي معها الغايات وتتقارب الأهداف فتؤدي تلك الأساليب أهدافها ويدخل السجع حتى إلى عناوين الكتب، حيث نجد كثيراً من الكتب المؤلفة في نجد والحجاز في ذلك العصر في شتى الموضوعات مسجوعة العناوين، لكن قد يقال بأن العيب ليس عيب العلماء بل عيب عصرهم، والملاحظ أن دعاة العصر خالفوا شيخهم محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حيث ترقى بمؤلفاته عن السجع وحاول التخلص منه ولكن أغلب أتباعه لم ينجحوا منهجه في التخلص من هذا السجع في عناوين كتبهم على أقل اعتبار، وقد نعلل لذلك بأنه مجارة لأسلوب عصرهم، وأن هدفهم كان بالدرجة الأولى تحقيق أهداف الدعوة بالوسيلة الممكنة (٢).

(ب) في الحجاز:

وبالنسبة للحجاز فقد أشرنا إلى علاقة الحجاز بالدعوة السلفية وكيف اهتم الدعاة بنشرها في الحجاز، وإذا كان السلفيون قد استطاعوا في العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري إخضاع الحجاز لدعوتهم ومناظرة علماء الحجاز وإقناعهم بمبادئ الدعوة بالرفق واللين حتى أذعنوا ولم يبق منهم أحد شاك أو مرتاب، ودفعت لهم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واختصر بعضها لتنتشر في المدارس، وتدرس في المحافل (٣) فكان للدعوة السلفية مكانتها في الحياة العامة في الحجاز وفي مقدمة ذلك طريقة التأليف وكتابة الرسائل، سواء لدى المؤيدين وهم قلة، أو المعارضين.

(١) عبدالله الحامد : المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) عبدالله الحامد : المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : الهدية السنوية ص ٢٧ والدحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٢.

وهي في عمومها لاتخالف ما هو دارج في نجد من التركيز على قضايا العقيدة الأساسية، واستعمال بعض الألفاظ العامة والاستدلال بأي القرآن والأحاديث النبوية وأقوال السلف مع التأثير بما هو سائد لديهم من عادات وتقاليد دينية واجتماعية، وأكثرها وافد إلى الأقليم بحكم اتصاله بالبلاد الأخرى ، كما كان للحرب الكلامية القائمة بين أتباع الدعوة وولاة الحجاز وعلماهم أشد الأثر في إيقاد الحماس الديني، الذي أنتج تحرير الرسائل والردود من قبل مناصري الدعوة أو معارضيه كما يظهر ذلك واضحاً في رسائل أحمد زيني دحلان الذي يعد أشهر معارض للدعوة من علماء الحجاز - آنذاك - يأتي بعده أحمد علوي الحداد ولكن محمد بن حميد وهو من معارضي الدعوة ومؤلف (السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة) أقل منهما في استعمال الكلمات العامة، والعبارات الركيكة ، وهذا المنحى هو مسلك كثير من أتباع الدعوة ومؤيديها في المنطقة مثل محمد بن أحمد الحفظي (١) وبشير السهسواني (٢) .

أما عناوين الكتب فإن المؤلفين الحجازيين يسلكون مسلك غيرهم في إدخال السجع على عناوين كتبهم ، كما هي عناوين كتب ورسائل الدحلان والحداد من المعارضين للدعوة السلفية وكذا الحال للمؤيدين مثل : محمد أحمد الحفظي (اللجام الكمين والزمّام المتين) وبشير السهسواني (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) وأبو بكر خوقير (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال) وغيرها من الكتب للعلماء المؤيدين للدعوة والمتحمسين لها . (٣) وكان الأسلوب المطول المسجوع ، المؤدي إلى نوع من الكلفة والركاكة طابع المراسلات الديوانية أيضا عند الأشراف . فمثلا الشريف غالب بن مساعد كتب إلى إمام اليمن المنصور (٤) مانصه :

-
- (١) محمد الحفظي (اللجام الكمين والزمّام المتين) ص ٣٥ .
 - (٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٥ ، ٧٤ ، ٨٣ .
 - (٣) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٣٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ .
 - (٤) علي (المنصور بالله) بن العباس بن الحسين من بني القاسم الزيدي اليماني ولد بصنعاء سنة ١١٥١هـ ببيع بالامامة بعد والده، كان سليم الطوية مسالماً محباً للعمران (توفي سنة ١٢٢٤هـ) الشوكاني: البدر الطالع ج ١ ص ٤٥٩ ومحمد زيارة : نيل الوطر ج ٢ ص ١٤٠ .

((نهدي سلاماً أعبق الكون شذاه ، وأخجل البدر بحسن طلعتة ورياه وتحيات مكة الأرج مدنية المدد ، تحمل النصر والفرج ، إلى جناب معدن الخلافة العلوية، ومنبع الكمالات الحسنية، وطراز عصابة الهواشم وصفوة القادة الفواطم ، إلى من دانت له رقاب الفراعنة في أقطاره ، وخضعت له رؤوس الأكابر في جميع أمصاره، ذي الأخلاق الرضية والشمائل المرضية، المنظور بعناية الله المبين، المنصور سلطانه في كل حين، أختينا وعزيزنا الإمام أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين أدام الله له الإقبال وبلغه خير الآمال)) . (١) ومهما يكن الأمر فإن الرسائل التي كتبها الدعوة، رسائل دينية علمية في أغلبها، تتناول موضوعات شتى، تهدف إلى تحقيق الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ونشر الدعوة والدفاع عنها، وهي في موضوعاتها وأساليبها وأهدافها وغاياتها تنبع من واقع الأمة الذي تعيشه وتعالج في كثير من موضوعاتها القضايا القائمة، والأحوال السائدة ، وفق أصول إسلامية صحيحة فحققت أهدافها في جوانبها المتعددة .

ثانياً : في المناظرات :

المناظرات مفردتها مناظرة ، من النظير والمثيل ، وأصله المناظر، وكأنه ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه ، فالمناظرة : المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته . والنظر البحث وهو أهم من القياس (٢). والمناظرات على عدة أنواع وفنون تأتي في مقدمتها المناظرات الدينية والأدبية ، وهي من فنون الإنشاء وتختلف عن المكاتبات والمراسلات بأنها بين خصمين متضادين، فهي ترديد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله ، وإبطال قول صاحبه بأدلة صحيحة، كاشفة مؤثرة مع رغبة كل منهما في ظهور الحق .

وأسلوب المناظرة أو الجدل أو المباحثة والمناقشة من أساليب الدعوة المهمة التي أرشد إليها القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)) (٣).

(١) محمد الشوكاني : البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ٨.

(٢) الراغب : المفردات ص ٤٩٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

وهذا الأسلوب القرآني قد أخذ به دعاة الدعوة في مرحلة مبكرة من دعوتهم، وقد أحس خصومهم بمقدرتهم على أسلوب الحوار والمناقشة والمناظرة، ومدى تأثيرهم في غيرهم، وكان أشد من أربه ذلك أشراف مكة ، فكانوا أكثر خوفاً من تأثير أولئك الدعاة على غيرهم بالحجة والبرهان ، وبعد انتشار الدعوة مع مطلع القرن الثالث عشر كانت أكثر المناظرات بين علماء الدعوة من النجديين وعلماء الحجاز، بعدما كان للدعوة في عموم جزيرة العرب، بما فيها الحجاز من تأثير (١).

ومع دخول القرن الثالث عشر وحينما كانت شرافة مكة المكرمة في يد الشريف غالب ابن مساعد استمر كأسلافه في عداته للدعوة، وبعد عدة معارك عسكرية أحس بعدم قدرته على هزيمة قوة الدرعية واستئصال شأفتها كما كان يخطط ، في الوقت الذي أدرك فيه قوة أتباعها وسرعة انتشارها ولاسيما بين القبائل الحجازية، فرأى أن يغير من أسلوب تعامله مع هذه القوة الفتية فأرسل إلى قادة الدعوة سنة ١٢١١هـ طالباً المناظرة ليتجلى بمناظرتهم ما كان خافياً عليه مظهراً الرغبة في معرفة الحق ، فأجيب طلبه من قبل قادة الدرعية، فحضر إليه بمكة جماعة من العلماء المشهورين بحسن المناظرة بالبرهان وكبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر كما يقول ابن غنام(٢).

كيف جرت المناظرة ؟

لقد كانت مهمة كبيرة، لها نتائجها ولها ما بعدها من آثار ، فلن يكلف بها إلا عالم قادر مُطَّلِعٌ ومتبحرٌ في فنون العلوم ، وفي مقدماتها علم التوحيد والعقائد ، ومن له اعتباره وقيمه الاجتماعية ، كما أن الدعاة قد استفادوا من المناقشات والمناظرات السابقة، مما يعطي لهذه المهمة دوراً كبيراً ، فلن يتولاها إلا من كان مؤهلاً لتلك المهمة الجسيمة. فكان أن جرت المناظرة الكبرى في جلسات كثيرة في عدة ليال وحضرها خلق كثير، وجمع غفير من أهالي الحجاز ومن حجاج بيت

(١) تفاصيل تلك المناظرات ذكرها ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ١٢١ وما بعدها وأحمد زيني دحلان :

الدر السنية ص ١٥١ والفتوحات الإسلامية ص ١٧٢ .

(٢) ابن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٠ .

الله الحرام ورواده، وبعد مساجلات ومناظرات حامية، طار شررها، وارتفع لهيبها وثار دخانها بعد ذلك كانت أعلام النصر ترفرف في جانب الداعية حمد بن معمر حيث ظهر على المناظرين، بالدليل والبرهان، والحجة والبيان، في أهم مناظرة في ذلك العصر يقوم بها الدعاة مع معارضيتهم . (١)

ويصف ابن غنام المناظرة وما جرى فيها بقوله :

((وصفة ما جرى منهم أنهم حضروا بيت الشريف، تجاه بيت الله المنيف، وبحضور الشريف فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب ، وأجمعوا عليه في المطالب ، وجرى بينهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة، مسألة قتال الموحدين من الناس ، والكشف عن وجهها حجب الالتباس فطلب من حمد بيان الحجة والدليل، والبرهان السالم من الأعالي ، والنص القاطع للاحتمال والتأويل فأتى لهم - جزاه الله تعالى الثواب الجزيل! - القاطع القامع لكل أذن واعية، وأصل لهم من الأصول فيها ما تؤدي المراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة واللايحة ماشفى وكفى...فأقروا وسلموا لتلك النصوص وصدر منهم الإذعان ... وتفوهوا بالموافقة بحضرة الشريف غالب..ومن غريب أمرهم أن رئيسهم عند بداية المناظرة قال: لا أنظرك بالدليل من الكتاب والسنة وأقوال علماء المذاهب سوى ما قال به إمامي أبي حنيفة لأنني مقلد له... فلما انقضت تلك الأيام والليال في المناظرة والجدال طلبوا من حمد بن ناصر تأصيل ما برهن به واحتج، فكتب ما سجله عليهم فأدام الله نفعه وكثر من الفوائد)) (٢) وقد قام الشيخ حمد رحمه الله ! بتسجيل ملخص المناظرة في رسالة قيمة متداولة مسماه ((الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب)) وسبب التسمية يعلاها أحد نساخ الرسالة الذي تم قبل سنة ١٢١٨هـ في حياة المؤلف بقوله: هو عدم تسليم رئيسهم عبدالملك القلمي الحنفي بأي دليل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء خلا أبي حنيفة فهذا سبب التسمية (٣) وعلى كل الأحوال فإن هذه الرسالة فريدة في بابها، قيمة

(١) انظر : محمد الشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ٧

(٢) ابن غنام : روضة الافكار ج ٢ ص ٢٢٧ ط الهند.

(٣) مخطوط بجامعة الرياض برقم (٦١٣/٨٦) بدون ذكر اسم الناسخ والمرسالة نسخة أخرى خط عبدالله

ابن أحمد نسخت بعد التاريخ المذكور أعلاه في حياة المؤلف بجامعة الرياض (٦٠٧/٨٦) ولكن

النسختين وابن بشر في تاريخه ج ١ ص ١٥٤ درجا على تسميته أحمد بن ناصر بينما الصحيح أن

اسمه حمد بن ناصر.

في موضوعاتها بديعة في أسلوبها وخطابها جيدة في معانيها، مهذبة ومنقحة لطلابها ومريديها، اشتملت على تقرير التوحيد، ونقض جنور الشرك، ومحاربة الخرافات والبدع بالدليل الصحيح والبرهان الكاشف الصريح من القرآن العظيم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد أوردها ابن غنام في تاريخه بنصها (١) - ويذكر المؤلف - رحمه الله - أن المناظرة كانت في ثلاث مسائل : المسألة الأولى : قالوا : ما قولكم فيمن دعا نبياً أو ولياً أو استغاث بهم، في تفريج الكربات ، كقوله يارسول الله أو يا ابن عباس أو يامحجوب أو غيرهم من الأولياء الصالحين .

المسألة الثانية : وهي من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولم يصل ولم يذك هل يكون مؤمناً؟

المسألة الثالثة : قالوا : فهل يجوز البناء على القبور ؟ (٢) .

وتلك الرسالة هي أجوبة عن أسئلة علماء مكة التي طلبوا كتابتها لهم موضحاً في أجوبته حجته من الكتاب والسنة ، فسلمها للعلماء الذين سلموا له الأمر ووافقوا علماء نجد على صحة ونزاهة دعوتهم .

ولما كانت الرسالة المشار إليها مذكورة بكاملها في الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام، كما اختارها الشيخ سليمان بن سحمان مع مختاراته التي سماها ((الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية)) (٣) إضافة إلى طبعها مستقلة قديماً وحديثاً فلن أوردها في هذا الموضع خشية الإطالة نظراً ليسر الرجوع إليها في مظانها المشار إليها.

ونظراً لأهمية المناظرة وشيوعها وانتشار خبرها وآثارها نجد القاضي اليمني المشهور محمد بن علي الشوكاني يشير إليها منوها بمكانه أتباع الدعوة، وعلو قدمهم في الدين فيقول : ((وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضور الشريف غالب في مسائل تدل على ثبات قدمه، وقدم صاحبه في الدين)) (٤) يعني الشوكاني الإمام سعود بن عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله !

(١) ابن غنام : المصدر السابق ج ٢، ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٢) حمد بن معمر : الفواكه العذاب (المقدمة) والصفحات (ص ٢٧، ٥٩، ٩١) نسخة محققة منشورة سنة

١٤٠٧هـ بدار العاصمة الرياض .

(٣) ص ٤٠ .

(٤) محمد الشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ٧ .

مناظرات أخرى :

وهناك مناظرات ومحاورات أخرى جرت بين الدعاة ومعارضيهـم منها محاورـة علماء الدعوة مع علماء مكة سنة ١٢١٨هـ عند دخول السلفيين مكة المكرمة ، حسبما تضمنتها رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المشهورة التي حررها بتلك المناسبة (١). وقد أشار إلى هذه المناظرة وفائدتها في الدعوة السلفية الشيخ محمد رشيد رضا (٢) ومن مناظراتهم ماجري بين الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين وبعض معارضيهـم في مسألة كلام الله تعالى هل مخلوق أم لا؟ وقد حرر في هذه القضية رسالة قيمة ، مما قال فيها بعد المقدمة : ((أما بعد فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم في كلام الله تعالى هل هو مخلوق أم لا؟ فذكرت أن اختياركم الوقف فلا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق، وزعمتم أن الخلاف في ذلك لفظي ، فأما قولكم إن الخلاف في ذلك لفظي فليس الأمر كذلك وإنما يقال الخلاف لفظي بين المعتزلة والأشاعرة ، لأن المعتزلة يقولون كلام الله مخلوق، والأشاعرة يقولون غير مخلوق، والكلام عندهم المعنى، ويقولون الحروف مخلوقة، فقالت المعتزلة لاخلاف بيننا وبينكم لأن الكلام هو الحروف فإذا أقررتـم بأن الحروف مخلوقة ارتفع النزاع فيكون الخلاف بين الفريقين لفظياً وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو مخالف للمذهبين خلافاً معنوياً لأنهم يقولون كلام الله غير مخلوق والكلام عندهم اسم للحروف والمعاني، فتبين بذلك غلط من قال إن الخلاف في ذلك لفظي ، ومذهب أهل التوحيد والسنة أن الله يتكلم بحرف وصوت، وأن القرآن الكريم كلام الله حروفه ومعانيه)) (٣) .

ولعل هذه المناظرة التي جرت للشيخ أبابطين مع الشيخ الحسن بن خالد (٤) - أحد أتباع الدعوة السلفية وناشرها في تهامة - من أعضاء وفد المخلاف السليماني الذي وفد على الدرعية في العقد الثالث من القرن الثالث عشر ثم عاد ينشر الدعوة في ربوع الجنوب

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : الهدية السنـية ص ٢٦ وما بعدها والدرر السنـية ج ١ ص ١٠٧ وهي رسالة مطولة تكشف عن موقف الطرفين وأدلته .

(٢) الوهابيون والحجاز ص ١١ .

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين : الدرر السنـية ج ٣ ص ٢٩٩ .

(٤) الشريف الحسن بن خالد الحازمي التهامي ، ولد بتهامة سنة ١١٨٨هـ وتعلم حتى برع في أكثر العلوم والشعر، كان له اليد الطولى في نشر الدعوة السلفية في اليمن وإن كان ينتقد بعض الأتباع في تصرفاتهم، أصبح وزيراً للشريف حمود الحسنـي (١١٧٧هـ - ١٢٢٣هـ) توفي سنة ١٢٢٤هـ (محمد زبارة : نيل الوطر ص ٢٢٦) .

فكان لتلك الرحلة والمناظرات التي كانت تجرى في تلك الديار بين الدعاة السلفيين والعلماء في المنطقة أثرها في إحياء الفكر السلفي في تهامة (١) .

وللشيخ عبدالله أبا بطين مناظرة مع داود بن جرجيس البغدادي جرت بينهما في العبادة وغيرها عندما مر ابن جرجيس بالقصيم وأخذ نشر سمومه فكان أبا بطين ممن اجتمع به وناظره وأنكر عليه دعاء الصالحين والأولياء . (٢) كما أن للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن مناظرات ومحاورات مع علماء الشيعة في الأحساء سنة ١٢٦٤هـ عندما كان قاضياً فيها، (٣) ومناظرات الشيخ أحمد بن عيسى مع علماء مكة وأثرها في تصحيح صورة الدعوة الوهابية مما يضيق المجال عن إيرادها وغيرها من المناظرات والتوسع في إيراد آثارها على واقع الدعوة والأمة .

ثالثاً : موضوعات المناظرات ونتائجها :

من خلال ما سبق عن المناظرات التي كان يقوم بها الدعاة ومدون عنها نستطيع أن ندرك موضوعاتها وأهميتها ونتائجها على الدعوة .

ولما كان حيز البحث لا يمكن من تفصيل كل تلك الأمور، كما أن المناظرات لم تسجل وتدون وقائعها، والمناقشات والمداومات التي جرت بصورة واضحة جلية، وما دون عن بعضها مع قلته عبارة عن ملخص عن موضوعاتها وأدلتها وبعض نتائجها (٤) . والسبب في عدم تدوينها وما دار فيها كاملاً، أنها صريحة واضحة وضوح الشمس، وأن أقوالهم وأدلتهم صحيحة أقنعت خصومهم كما يقول ابن سحمان (٥) . إضافة إلى أن عدم اطلاعنا بالتفصيل على موقف الخصوم من خلال ما ألفوا وكتبوا لا يُمكنُ من إعطاء الصورة الكاملة عن تلك المناظرات وما دار فيها ونتائجها ، وإن

(١) عبدالله أبو داهش : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٣٠٩ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : تحفه الطالب والجليس ص ٢٥ .

(٣) عبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ٩٤ ، ٢٧٧ .

(٤) ابن غنام : روضة الأفكار ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٥) سليمان بن سحمان : كشف غياهب الظلام ص ٣٤ .

كان واقع الحال ، إضافة إلى بعض الإشارات المفيدة من بعض المؤلفين من الطرفين قد تفيد كثيراً في هذا الباب . وبالنسبة لأسباب المناظرة فهي الدعوة إلى أفراد الله بالعبادة ، ومحاربة البدع والخرافات ؛ فكانت مناظراتهم وسيلة من وسائل دعوتهم وميداناً من ميادين المواجهة مع معارضيتهم ، وأما أساليب المناظرات فهي لاتخرج في عمومها عن أساليب التأليف في تلك الفترة ، والمتمثل في الإيجاز والسهولة والوضوح في العبارات والمعاني والإكثار من إيراد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المشهورين، وإن كان ما نؤمن لنا عن تلك المناظرات يعتبر من أقوى ما كتبه الدعاة من ناحية الأسلوب والمعنى والاستدلال والاستنباط ؛ وسبب هذا أن النخبة المختارة لهذه المناظرات كانوا من فطاحلة العلماء، ومن الدعاة المشهود لهم بالسبق في العلم والفضل ؛ أمثال ابن معمر وأبابطين ممن نهلوا من منبع الدعوة الفاضل، وتضلّعوا من مائها الصافي الزلال كما كان اهتمامهم بهذه المناظرات في موضوعاتها وأدلتها لتحقق نتائجها المطلوبة .

والملاحظ أن كلا الطرفين المتناظرين يكثر من الاستشهاد بأقوال الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبخاصة في مسألة التكفير والقتال .

أما موضوعاتها فهي تدور حول موضوعات العقيدة الأساسية وفي مقدمتها مسألة الشرك وأسبابه وموضوع دعوة الصالحين والتوسل والتشفع بهم، وهل تكفي الشهاداتتان للإيمان بدون العمل كالصلاة والزكاة ؟ ومسألة التكفير والقتال، وكذا بعض المسائل الفقهية الأخرى وإن كان هذا قليلاً. وأما مميزات فمناها الوضوح والصراحة والاختصار، والاعتماد على الدليل اليقيني من الكتاب والسنة مع البعد عن أساليب الفلاسفة ، والأخذ بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة والإجماع وأقوال السلف الصالح المشهورين، المشهود لهم بصدق الإيمان وخلص العقيدة . وأما نتائجها فإن تلك المناظرات حققت أعظم النتائج في حينها لكن العوامل السياسية والمصالح الذاتية كثيراً ما تقضي على تلك النتائج .

الفصل الثاني الرُّود وكشف الشُّبهِ

أشرنا فيما سبق إلى جهود بعض الدعاة في دفاعهم عن دعوتهم، وفي مقدمة ذلك كتابة الرسائل ، كما كان لمعارضيهم جهوداً مضادةً بنفس السلاح ، مما أفرز كثيراً من الرسائل والردود لإيضاح موقف كل من الطرفين حتى بلغ السيل الزبى في العداوة، فكان لا بد للدولة العثمانية المسيطرة على العالم الإسلامي - آنذاك - أن تكشف عن موقفها المعادي للحركة الإصلاحية المنطلقة من نجد ، وكان لا بد أن تشتعل الحرب بين الطرفين ، فسار سلاح الرسائل والردود وإثارة الشُّبهِ وكشفها بعد ذلك في نفس الخط الذي سارت فيه الحرب العسكرية (فبينما كان الترك والمصريون يحاربون الدعوة، كان أنصار القديم - الموروث - من العلماء يردون على النهج الإصلاحي الذي سلكته الدعوة ويكفرون أصحابها، وكان أولئك وهؤلاء يقرعون كتب السلف في التفسير والحديث والتوحيد والفقهاء ويلتمسون الأدلة على آرائهم، وكان أولئك وهؤلاء ينشرون الرسائل والكتب التي يجمعونها، كما أخذوا ينشرون الكتب القديمة التي يرجع إليها في التماس الأدلة والبراهين، وكذلك عادت الحياة القوية إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي تبعه السلفيون، ونُشرت كتب ورسائل كثيرة لابن تيمية وابن القيم وتلاميذهما، وبالذات ما يتعلق بالعقيدة ومسألة التكفير، ومسألة القبور والبناء عليها، والولاية والشفاعة وغيرها، واستفاد العالم الإسلامي كله من هذه الحركة العقلية الجديدة ... وما زالت مطابع القاهرة تطبع الكتب المختلفة لحساب الدعاة النجديين والزيدية من أهل اليمن) (١) وزيادة في الإيضاح نشير في المباحث التالية للمراحل التي مرت بها الردود وأهميتها للدعوة وكشفها للكثير من الشبه المثارة ضدهم في الآتي :-

أولاً : المراحل التي مرت بها كتابة الرسائل والردود :

لو ألقينا نظرة على كتب الردود والرسائل لوجدنا أن منهج أصحابها مر في ذلك بمراحل متتالية ومرتبطة بعضها ببعض وهي :

(١) طه حسين ألوان ص ٤٥ (بتصرف) . ولنا رأي في قوله (عقلية وجديدة) ولعله هنا يحاول تجريبها

من أنها (سلفية وتجديدية) والفرق واضح بين كونها حركة جديدة وبين كونها حركة تجديدية ، والثابت أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس لها جديد في كل ما ذكر طه حسين بل لها تجديد وتأسيس لرأي الإسلام في القبور والشفاعة والولاية وغيرها مما ذكر . وحينما يقول طه حسين حركة (عقلية جديدة) هذا يعني أنها حركة لم تكن من قبل وهي تعتمد على العقل وهذا منافٍ للحقيقة ولواقع الحركة التي ما جاءت بجديد بل ظهرت لتجديد ما اندرس من معالم الدين .

المرحلة الأولى : كتابات الفترة السابقة من مؤلفي القرن الثاني عشر الهجري ومن المؤكد أن الدعاة في القرن الثالث عشر استفادوا ممن سبقهم وتأثروا بهم وساروا على نهجهم في بداية القرن الذي نتحدث عنه وبالأخص كتابات ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- التي تميل للايجاز والتركيز والاعتماد على التقسيم، وأكثر ما كتبه رسائل ومؤلفات صغيرة، تناقلها أتباعه بعده واعتمدوا عليها إلى حد بعيد . وهي على نمطين : ما يعتبر مؤلفات مثل (كتاب التوحيد) ومسائل الجاهلية، وما يعتبر من قبيل الردود، منها (كتاب كشف الشبهات) وهو عبارة عن رسالة عامة للمسلمين، ألفه رداً لكثير من شبه أعدائه التي أدلوا بها وذكروها في مصنفاتهم (١).

ومن هذا القبيل كتابه اللاحق (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) ، وهي رسالة ألفها الشيخ محمد - رحمه الله - رداً على ما أثاره شقيقه سليمان بن عبد الوهاب من شبه في رسالته التي أسماها (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) (٢) وسماها من بعده من المجدين لها (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) كما ألف محمد بن عبد الوهاب رحمه الله! رسائل أخرى ذات أهمية كبرى لمن بعده وخصوصاً في باب الردود وكشف الشبه . ولكن من الملاحظ أنه في حياة الشيخ ولحين مضي وقت من القرن الثالث عشر بعد وفاته نادراً ما نجد أحداً من تلاميذه وأتباعه ألف أو كتب رسائل مكتفين بقراءة مؤلفاته وتدريسها وتعليمها ونشرها بين الناس حتى جاءت المرحلة الأخرى .

المرحلة الثانية: وهي ما نسميها مرحلة الشروح لكتب الشيخ وإن كان فيها الكثير من الردود وكشف الشبه، فتلك الردود تستند على مؤلفات الشيخ وأساتذته مثل ابن تيمية وابن القيم. وهذه المرحلة مرحلة (الانتصار والقوة) والهجوم على أعدائهم وكسر أجنحتهم سيراً في الخط الذي تسير عليه القوة العسكرية والسياسية للدعوة، بعد مضي ما يقرب من عقدين أو أكثر من القرن تقريباً، ولكن مع الانهزام الشنيع لأعداء الدعوة فإنهم كثيراً ما يلتقطون أنفاسهم ويشجعون قواهم المنهارة فامتد نشاطهم في نجد وأطراف الجزيرة كالأحساء والعراق والحجاز، فجد الطرفان في الخصومة.

(١) ابن غنام : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) ابن حميد : السحب الوابله (مخطوط) ورقة ١٠٣ .

وزاد اشتعال نار الحرب بينهما وحمى وطيسها، فأحس العلماء بمسيس الحاجة إلى زيادة الجهد في بيان مبادئ الدعوة وشرح أهدافها، فانبرى الأتباع لذلك العمل، حيث قاموا بشرح كتب الشيخ المختصرة، وكان أهم كتاب جرى شرحه والتعليق عليه والترويج له (كتاب التوحيد) كما تواصلت المؤلفات الخاصة بالردود وإيضاح الدعوة وحقيقتها، فممن كتب وأجاد وأفاد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، في مثل رسالته (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة)، وهو رد على من انتقد بعض أتباع الدعوة في تكفيرهم لمن تلفظ بالشهادتين وارتكب ما يوجب التكفير، وأن قول معارضيه لا يستند على مستند صحيح (١) وللشيخ عبدالله رد آخر نفيس في موضوعه فريد في طريقته وأسلوبه، أسماه (جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية) وهو رد على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد التي نادى بها والده (٢).

وممن انبرى للرد وكشف شبه المعارضين والمعاندين الداعية حمد بن ناصر بن معمر في كتابه (الفاكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب) وله رسائل وردود أخرى من أهمها وأمتعها رسالة في الاجتهاد وجوازه، ورده على دعاة التقليد المذموم، تعتبر من أمتع ما ألف في ذلك (٣). وممن ألف في باب الردود وكشف الشبه في هذه المرحلة الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب فقد ألف (الدلائل في حكم موالاته أهل الإشراك) وهو بذلك يعتبر من أوائل من فتح الباب لمن جاء بعده من أتباع الدعوة للتوسع في الحديث عن هذه القضية التي أصبحت مهمة وعادت لتكون من قضايا الدعوة الرئيسية بعد منتصف القرن الثالث عشر كما يظهر من مؤلفاتهم، وكان طلبة العلم يحفظونها عن ظهر قلب، وله كتاب آخر هو (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ذكر أن سبب تأليفه رد على الشبه التي أثارها عبدالله أفندي البغدادي ورد عليه وكشف شبهة (٤) ولكن الملاحظ

(١) عبدالله بن محمد : الكلمات النافعة ص ٣

(٢) عبدالله بن محمد : جواب أهل السنة النبوية ضمن الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٤٧ وما بعدها.

(٣) حمد بن معمر : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٢ ص ٣٠ وما بعدها .

(٤) سليمان بن عبدالله : التوضيح عن توحيد الخلاق ص ١٤ وما بعدها ولكن البعض يذكر أن الكتاب

نسب له بينما مؤلفه الشيخ محمد بن علي بن غريب صهر الشيخ ابن عبدالوهاب وتلميذه انظر : البسام : علماء نجد ج ٣ ص ٩١٥.

أنه من حين سقوط الدرعية سنة ١٢٣٣هـ وما ابتلي به الدعاة من الاضطهاد انشلت عملية التأليف في أكثر صورها مدة تقرب من عشرين عاماً إلى حين عادت للدعوة صحتها واستعادت عافيتها فانبعثت قوتها من جديد، مع إطلالة العقد الخامس من القرن الثالث عشر في مرحلة جديدة أكثر تعقيداً وأخطر وأشد مواجهة مما سبق وهي ما نعتبرها مرحلة ثالثة من مراحل الدعوة .

المرحلة الثالثة: لقد كانت الهجمة الشرسة التي قام بها محمد علي والدولة العثمانية على الدعوة من الأسباب التي شجعت المعارضين، وبعثت فيهم الأمل بانتصارهم من جديد، بعد أن أضحت القوى المعادية تدفع إلى المواجهة، وتروج لأفكار المعارضة كما تدل الوثائق التركية المصرية، فكثرت الردود والمؤلفات وانتشرت الأقاويل والشبه هنا وهناك ، ووجد المعارضون في كل النواحي الفرصة السانحة لنفث سمومهم. وبينما كانت الأمة مقبلة على نهضة علمية، حاول المعارضون الاستفادة مما أفاد به العلم الحديث من وسائل اتصال وأدوات طباعة لتحقيق الغرض في مقاومة الدعوة السلفية (١). وإذا كانت المرحلة السابقة مرحلة الشروحات كما سبق ، فإن هذه المرحلة وهي التي تلت قيام الدولة السعودية الثانية تعتبر امتداداً لتلك المرحلة وتكملة لذلك النهج ، لكن بروح أقوى وأكثر شمولاً حيث أن أسلوب الردود وإثارة الشبه امتد نطاقه ، وتوسعت دوائره، وانضم إلى المعارضة أصوات جديدة. وإذا كان الجيل الأول من المؤيدين والمعارضين في المرحلة السابقة قد ذهب مع الأيام، فقد جاء جيل جديد يحمل نفس الأفكار ويسعى إلى ذات الأهداف لدى الفريقين مع تغير في الأساليب والوسائل، فنجد المعارضين والمؤيدين لم يأتوا لنا -تقريباً- بجديد سوى نقل أفكار سابقهم والترويج لها حسبما مكنت الظروف والأحوال كما يقول ابن سحمان (٢). وكان في مقدمة من حمل لواء الرد على الدعاة ومنازلتهم في هذا الميدان داود بن جرجيس البغدادي (٣)

(١) محمد رشيد رضا : ضمن صيانة الإنسان (المقدمة) ص ٨.

(٢) سليمان بن سحمان : الأسنة الحداد ص ٣.

(٣) له عدة رسائل وكتب لحرب الدعوة ونشر الضلال بتجويزه التوسل والبناء على القبور والأضرحة، ومن

كتبه المملوءه بالشبه : صلح الإخوان من أهل الإيمان، وأشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، والمنحة الوهبية في الرد على الوهابية . كما ذكر نعمان الأكويسي : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص

٥٠٤، وعبدالرحمن بن حسن : القول الفصل النفيس ص ١٣ وعبداللطيف بن عبدالرحمن : منهاج

التأسيس والتقديس ص ١١ وعبدالله أبا بطين : الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن

المشركين ص ٩ وما بعدها .

وهو من أشد معارضي تلك الفترة، وتظهر خطورته في أنه قد مر بنجد في طريقه من الحج، وأقام في القصيم مدة كان خلالها يروج لأفكاره وإثارة شبهه ولكن الدعاة دحضوا أفكاره وشبهه (١) وكان ممن تأثر به وناصر الدعوة العداء وإن كان من أبناء نجد وعاش في كنف الدعوة ودولتها الشيخ عثمان بن منصور التميمي (٢) ومنهم محمد بن عبدالله بن حميد قاضي الحنابلة بمكة (٣). ولقد كان من أشد المعارضين ممن أكثروا إثارة الشبه والردود ضد الدعوة السلفية ومبادئها في ذلك العهد شيخ مكة ومفتيها أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ) الذي كان يتقرب للأشراف بعدائه للدعوة، ويكتب ما يكلف بكتابته من سادته من الحكام، من غير تبين ولا تثبيت، وقد نقل عنه من أتى بعده من تلامذته وأتباعه أمثال المتفلسف جميل الزهاوي وغيره (٤). وأما كونه كان يكتب ما يكلف به من أعداء الدعوة مما يعد من المطاعن في كتاباته فالدحلان يعترف بهذا ضمنا في مقدمة رسالته (الدرر السننية في الرد على الوهابية) (٥) فدحلان ألف الكتب استجابة لرغبة الحكام لتحقيق هدف من لا يستطيع مخالفته ولا بد أن يجرفه تيار السياسية، وينساق وراء داعي الهوى والمصالح إلى حد اتهمه بعض علماء الهند المشهورين بأخذ الرشوة مقابل كتابة الأقوال المخالفة للاحاديث الصحيحة. (٦)

وبالنسبة للزهاوي فهو في الحقيقة لم يطعن في الدعوة الوهابية فقط بل طعن في شريعة الإسلام ومن خطيئاته المنكرة، وسواته التي كشفها للملا إنكاره لتعدد الزوجات، وقسمة الموارث وغيرها من السقطات التي أشهرها وتفوه بها من خلال مقالاته في جريدة (المؤيد) المصرية فكفره بها العلماء الكثيرون. وممن نهج منهج الزهاوي ونحا منحاه ممن تلقفوا أقواله المستقاة من أفكار

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن: تحفة الطالب والجليس ص ٤٥.

(٢) له عدة رسائل ضد توجهات الدعوة من أهمها (جلاء الغمة في تكفير هذه الأمة).

(٣) للمذكور رسالة يشرح فيها قصيده البردة على نهج شيخه ابن جرجيس، كما أنه في كتابه (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) كثيراً ما يشنع بالدعوة وأتباعها ويحاول إثارة الشبه والفتن، كما لم يترجم لانتمتها وأعلامها.

(٤) سليمان بن سحمان: الهدية السننية ص ١، ٢.

(٥) ص ٩.

(٦) رشيد رضا: صيانة الإنسان (المقدمة) ص ٩.

الدحلان وعلوي الحداد(١) وغيرهما من المعارضين المعاندين، من أولئك المقلدين الذين دأبوا على ترديد أقوال أسلافهم وشبههم : مختار العظمي (٢) ومصطفى الكريمي السيامي (٣) ومصطفى أحمد الشطي (٤) ومحسن العاملي (٥) وصديق حسن خزبك (٦) وحامد المرزوق (٧) ويوسف بن سليمان النبهاني (٨) القاضي الشرعي في بيروت وإبراهيم السمنودي (٩) وعبدالقادر محمد الإسكندراني (١٠) وغير هؤلاء كثير.

-
- (١) انظر ترجمته في ص ٦٦ .
 - (٢) في كتابه (جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام) .
 - (٣) كتابه (رسالة السنين في الرد على المبتدعين) .
 - (٤) كتابه (النقول الشرعية في الرد على الوهابية)
 - (٥) كتابه (كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب) .
 - (٦) كتابه (المقالات الوافية في الرد على الوهابية) .
 - (٧) كتابه (التوسل وجهلة الوهابية) .
 - (٨) له شطحات : في كتبه : شواهد الحق، الأنوار المحمدية، وكتابه حجة الله على العالمين .
 - (٩) إبراهيم بن عثمان السمنودي : (كتابه سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية) .
 - (١٠) في كتابه (النقحة الزكية في الرد على الفرقة الوهابية) .

ثانيا : جهود الدعاة في هذا الميدان :

لقد كانت الفترة الواقعة من منتصف القرن الثالث عشر الهجري وحتى قبيل نهاية القرن الرابع عشر بخاصة ؛ من أشد فترات المواجهة بين الدعوة الإصلاحية وخصومها في ميدان الردود وإثارة الشبه وردها ، حيث ظلت تلك المواجهة المتقدة تتأثر بأحوال الدعوة السياسية وموقف القوى المعادية للدعوة كذلك . وفي هذا الجو السياسي الملبد بالغيوم، الذي تلفه الفتن، وتلوكه النزاعات ضاعت حقيقة الدعوة في أذهان عامة الناس في الأقطار الإسلامية، ووجد المعارضون الظروف المناسبة لتوسيع دائرة الشبه، والجد في محاربة الدعوة بهذا السلاح الفتاك . مما حدا بالدعاة وقادة الدعوة حينئذ إلى التشمير عن ساعد الجد، وخوض معركة الردود وكشف الشبه لدحضها وتقنيدها، وتعرية أحوال الأعداء وإبطال حججهم . وما تعلق به المعارضون من أحاديث أو غيرها لاتعدو أن تكون موضوعة عملتها أيدي الوضع اللثام ، أو ضعاف واهية مليئة بالغلط والخطأ والأوهام وما أشبه ذلك من المزاعم (١). مما لايتعدى أن يكون نقلا عن أسلافهم، وترديداً لما تفوه به سابقوهم من الكذب والمين .

وعند النظر في جهود الدعاة وحالهم ممن ناصروا الدعوة نجدهم فئتين : من خارج نجد وهم قلة ومن داخلها وهم الكثرة، فبالنسبة إلى الأشخاص القلائل الذين انبروا للدفاع عن هذه الدعوة ورد باطل خصومها خارج محيط الدعوة بنجد ، فإننا نجد المحدث محمد بشير السهسواني الهندي ، والشيخ الملا عمران بن رضوان من (لنجة) ببلاد فارس ، ومحمد بن ناصر التهامي (٢) ومحمود شكري الأكوسي العراقي ، ومحمد بن أحمد الحفظي من بلاد تهامة، وغيرهم من المنصفين ممن انكوت نفوسهم ، وتقطعت قلوبهم من نقل الحاقدين ووغر المبغضين ووسائل الكائدين فحملوا راية الدفاع عن الدعوة بالرغم مما أصابهم من البطش والتعذيب والإيذاء في بلادهم ونواحيهم .

(١) محمد السهسواني : صيانة الانسان ص ٢٠

(٢) محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي ، محدث يماني من أهل ضمء، كان من أنصار الدعوة السلفية الإصلاحية ، له ردود على معارضيه وبخاصة داود بن جرجيس توفي سنة ١٢٨٣هـ (محمد زياره : نيل الوطر : ج٢ ص ٢٢٢ والزركلي : الأعلام ج٧ ص ١٢٢)

وإذا تجاوزنا عن هذا فإن أتباع الدعوة بنجد قد حملوا لواء الدفاع عن الدعوة في هذا الميدان، وعلى رأس هؤلاء وممن نال قصب السبق خلال فترة البحث بالذات عبدالرحمن بن حسن بن محمد ابن عبدالوهاب وابنه عبداللطيف وعبدالله بن عبدالرحمن أبابطين وحمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وغيرهم .

ولو أردنا تصنيف مؤلفات المعارضين وشبههم حسب خطورتها وكذلك تصنيف الردود عليها وكشفهم شبه المعارضة حسب جهودهم في الفترة من بداية القرن الثالث عشر إلى القرن التالي لوجدنا رسائل داود بن جرجيس الخالدي البغدادي على القائمة ، وقد أشرنا إلى سبب خطورته ، فكان أن اهتم به الدعاة وأكثروا الردود عليه، وكان مما ألفه ابن جرجيس (المنحة الوهابية في الرد على الوهابية) وممن بادر بالرد عليه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه (القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس) وكتابه الآخر (الرد والردع) رداً على داود بن جرجيس وممن رد على ابن جرجيس وكشف شبهه بعد أن أعلن الحرب على دعوة التوحيد، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين في كتابه (الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين) ورد عليه أبابطين برد آخر أسماه (تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس) وقد أثنى العلماء المعاصرون للشيخ أبابطين على موقفه من ابن جرجيس، ورده عليه ودحض حججه الواهية بالدليل القاطع من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأقوال العلماء فأجاد وأفاد، كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن (١) ورداً على ابن جرجيس وشبهه وأباطيله وضلاله كذلك الشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن بن حسن في كتابه (تحفه الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس) وله رد آخر أسماه (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس) وهو رد على كتاب ابن جرجيس المسمى (صلح الإخوان) (٢) وممن رد على ابن جرجيس الشيخ محمود شكري الألويسي بكتاب سماه (فتح المنان) ورد عليه كذلك علامة العراق نعمان الألويسي (٣) في

(١) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنوية ج ٩ ص ٢٣٠ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : منهاج التأسيس ص ١١ .

(٣) نعمان خير الله بن محمود بن عبدالله الألويسي البغدادي، العالم الواعظ والفقير والمصلح الكبير، ولد

سنة ١٢٥٢هـ في بغداد ولي القضاء؛ لكن ترك المناصب ليتفرغ للدعوة والتأليف طاف البلاد، توفي سنة

١٣١٧هـ (بهجة الأثري : أعيان العراق ص ٩٥ وجلاء العينين - تعريف بالمؤلف - المقدمة.)

كتاب سماه (شقائق النعمان في رد شقائق داود بن سليمان) وللمذكور رد آخر على ابن جرجيس في كتاب الألويسي المشهور (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) كشف فيه أخطاء صلح الإخوان(١) . وممن رد على صلح الإخوان ، وكشف تخرصات مؤلفه محمد بن ناصر التهامي في كتاب (إيقاظ الوسنان على بيان خلل صلح الإخوان) وللتهامي رد آخر أسماه (فتح المنان في ترجيح الرائف وتزييف الزائف من صلح الإخوان) وهو مؤلف على صورة محاكمة (٢) . وممن رد على داود بن جرجيس الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ت ١٣٢٩هـ بكتاب أسماه (الرد على شبهات المستعين بغير الله)(٣).

وإن كنا قد أشرنا إلى موقف أحمد زيني الدحلان قاضي مكة وفقهها من الدعوة فإننا نقول هنا إن الدحلان الحجازي لا يقل في خطورته على الدعوة من معاصره ابن جرجيس العراقي إن لم يكن أخطر منه لأسباب نلخصها في الآتي :-

١- إن الدحلان قاضي مكة المكرمة وفقهها وإمام الحرمين الشريفين في القرن الثالث عشر الهجري، وله مركز اجتماعي مرموق حيث يذكر البعض أن الشيخ أحمد دحلان ينتسب إلى بيت النبوة ، والمسلمون في كل مكان وزمان ينظرون إلى مكة المكرمة وأهلها والعترة (٤) النبوية نظرة احترام وتقدير، فكان لا بد لهذه الأمور أن تكون من أسباب قبول أفكاره وأقواله والتسليم لها مهما كانت ، مما أعطى آثاراً لا توصف في هذا الجانب ، فنجد شبهه تعم البلاد الإسلامية أكثر مما راجت أفكار وأقوال ابن جرجيس وغيره !

٢- وجود قوة سياسية وهي قوة الأشراف أولاً ثم الدولة العثمانية تساعده وتروج لأفكاره وأهدافه، ويعيش في كنفها، بل لم يكن يؤلف إلا تحقيقاً لرغبتهم، والذين أخذوا يتسابقون إلى نشرها وإنشاء المطابع لهذا الهدف .

(١) نعمان الألويسي : جلاء العينين ص ٥٠٥ .

(٢) مسعود النووي : مرجع سابق ١٦٩ وقد غلط الندوي في بلدته فنسبهُ إلى نجد بينما ينتمي المذكور إلى أسرة الحسيني من ضمد بتهامة .

(٣) طبع بدار طيبة بالرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٤) جاء في القاموس (عترة) نسل الرجل وعشيرته الأذنون ممن مضي وغيره .

٣- كثرة مؤلفاته وشبهه وتنوعها بين العقيدة والتاريخ والمواظب والرقائق، كلها تحمل السم الزعاف الذي يسري أثره في الأمة، وتروج للباطل والمنكرات التي تهدم العقيدة الإسلامية .
٤- نهجه منهج الكذب والتزوير، وإيراد القصص الكاذبة ، والوقائع الواهية من الخيالات الشيطانية (١) والتي درج على نسجها خياله المريض، أو يتلقفها من زميله في الكذب والتزوير أحمد علوي الحداد وبعد أن قام الدحلان بصرف الآيات والأحاديث عن معانيها المقصودة عما عليه علماء السلف ، وكذلك احتججه بكثير من الاحاديث الموضوعة والضعيفة كما يذكر المحققون من المحدثين (٢).

ولما أحسه العلماء من كذب الدحلان وافترائه على دين الإسلام مما كان له النصيب الأكبر في الترويج لكاذبيه وانتشارها بين أوساط المسلمين فانبرى للرد عليه ومقت أقواله بعض العلماء المنصفين، في مقدمة أولئك الشيخ المحدث محمد بشير السهسواني من الهند.

حيث زار مكة المكرمة وبادر بمقابلة الدحلان ومناظرته بمكة وكشف أخطاءه وجهله، وبعد عودته للهند نشر السهسواني ملخص ردوده على الدحلان ، وكشف أباطيله في كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ومما امتاز به رد السهسواني جريه على منهاج المحدثين في التثبت في النقل وتحريروايات وعزو الأحاديث والأخبار إلى رواتها ومخرجيها، وبيان علل أسانيدها وتوضيح حال رواتها حسبما هو متبع في قواعد الجرح والتعديل لدى المحدثين ، سالكاً في رده الأسلوب العلمي البحت (٣).

وقد رد على الدحلان علماء أفاضل محققون وقد انتشرت كتبهم (٤) منهم محمود شكري الألويسي في كتابه (غاية الأمانى في الرد على النبهاني) وهو رد على ما أورده النبهاني من بدع

(١) الدحلان : خلاصة الكلام ص ٢٣٨ .

(٢) محمد السهسواني : مصدر سابق ص ٢٠ .

(٣) محمد رشيد رضا : صيانة الإنسان (المقدمة) ص ١٠-١٧ .

(٤) محمود الألويسي : غاية الأمانى ج ١ ص ٣٠٤ .

وأقوال مخالفة للشرع في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثه بسيد الخلق) لكون النبھاني نقل ترهات الدحلان وأباطيله، وسود بها كتبه، كغيره ممن نقلوا عن الدحلان وتلقفوا كذبه وزوره تجاه عقيدة الإسلام، وممن رد على الدحلان الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، وكذلك رد على النبھاني الشيخ ابن عيسى في كتاب سماه (تهديم المباني في الرد على النبھاني) وللعيسى كذلك رد على المدراسي الهندي (١) أسماه (تنبيه التنبيه في الرد على المدراسي) كما رد على أحمد زيني الدحلان الشيخ صالح بن محمد الشثري (٢) - مخطوط- وللشثري رد كذلك على ابن دعيح في تجويزه مولاة من يسميهم المشركين ومرادهم الترك ومن تبعهم من أهل نجد وهو مخطوط أيضا. (٣)

وبالنسبة لجهود الدعاة في مقاومة ذلك السيل الجارف ، من جحافل جيوش الشبّه وأربابها في نجد يأتي عبدالرحمن بن حسن - المجدد الثاني - على قائمة الدعاة الذين حملوا سلاح الدفاع ودحر المهاجمين في هذا الميدان عندما عاد للدعوة نشاطها وقوتها، وإذا كان سبق ذكر رده يرحمه الله على المعادي للدعوة داود بن جرجيس ، فنشير هنا أن له ردود مستفيضه أخرى، منها رد على عثمان بن منصور الذي تعددت عداوته أشد من سواه ممن كره الدعوة (٤) وجريه على إثارة كثير من الشبّه مما أوجب على الدعاة تحرير الرسائل التي ترد عليه وتحذر من خطره لتقرأ في المساجد على الخاصة والعامة، ولتتذر من سمع مقالته أن لا يغتر بجهالته . (٥).

-
- (١) المدراسي : من أهل مدراس من بلاد الهند، له مصنفات منها رد على شيخ الإسلام ابن تيمية ورد على الإمام الذهبي توفي سنة ١٣١٢هـ (البسام : علماء نجد ج١ ص ١٦١).
- (٢) صالح بن محمد بن محمد بن محمد بن حمد المعروفين (بالشثري) قرأ على علماء الرياض في عصرهم كالشيخ عبدالرحمن بن حسن وعبدالله بن عبدالرحمن أباطين وغيرهم كان من العلماء الذين لهم مواقف مشهورة في النزاع الحاصل بين أبناء الإمام فيصل - رحمهم الله - توفي سنة ١٣٠٩هـ (محمد بن ناصر الشثري : إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب ص ٤٩).
- (٣) ذكر ذلك الشيخ محمد بن ناصر الشثري في كتابه : إتحاف اللبيب ص ٤٩ .
- (٤) عبدالرحمن بن حسن : مجموعة الرسائل والمسائل ج٢ ص ٤٢٥ .
- (٥) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج١ ص ٤٢٤ .

وتكمن خطورة ابن منصور في أنه من أبناء نجد وعلمائها وقضاتها ، عمل للإمام تركي وابنه فيصل وغيرهم من ولاة آل سعود ، وكان يخفي عداوته ويظهر طاعته واستجابته للدعوة إلى حد يوشك ان يثير الفتن بين الأهالي من جهة أو بين الأهالي وبعض العلماء من جهة أخرى ، في اعتبار معتقده بين منكر ومؤيد له. (١) وظل يخفي عداوته حتى أن كثيراً من شُبهه لم تنكشف إلا بعد وفاته من خلال ما خلفه من تركة كاسدة ، وتجارة خاسرة، تحمل الريبة والتشكيك مما استقاه واستفاده من أستاذه وقدوته السيئة داود بن جرجيس (٢).

فألف عبدالرحمن بن حسن للرد عليه كتابه (المقامات) ، وهذا الكتاب علاوة على ذلك فهو مصدر تاريخي مهم في حرب الدعوة مع الدولة العثمانية ، وله رد كذلك على محمد بن عبدالله ابن حميد الحنبلي مؤلف (السحب الوابلة) سماه (المحجة في الرد على اللجة)، وكان الأخير قد غلا في أبيات في البرده، فكشف شبهه ورد غلوه .

ورد الشيخ عبدالرحمن بن حسن على الكشميري (٣) فيما أسماه (بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالمحمود) (٤) وهناك علماء آخرون ردوا على عبدالمحمود البخاري. وله أيضاً (المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال) ، رد على الكذب والمرج الذي تفوه به أحد الجهلة من الخرج في رسالة له ، وللشيخ عبدالرحمن مقالات وتقارير أخرى. ومن أنفس الردود كذلك ما

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج١ ص ٤٢٤ والرسائل المفيدة ص ٢٩٨ .

(٢) عبدالرحمن بن حسن : الدرر السنية ج٩ ص ٢٠٣ ، ٢١٧ وعبداللطيف بن عبدالرحمن: مصباح الظلام في الرد من كذب على الإمام ص ١٨

(٣) عبدالمحمود الكشميري البخاري مولده في بخاري قدم إلى نجد بعد منتصف القرن الثالث عشر وأخذ يتظاهر بالديانة فسموه (الدرويش) على عادتهم في تسمية أمثاله ، لكنه أخذ يدس الشبه والأباطيل وكان ينحو منحى الفلاسفة ، وكتب بأرائه عدة ورقات كان ينشرها بينهم، فانبروا للرد عليه وكشف باطله، وطال النقاش والرد بين الطرفين (عبدالرحمن بن حسن : مجموعة الرسائل والرسائل ج٤ ص ٣١٩ ومابعدها وعبدالله أبابطين : نفس المصدر ج٤ ص ٣٦٣ ومؤلف مجهول: نفس المصدر ج٤ ص ٧٥٩).

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل والرسائل ج٤ ص ٣١٩ ، ٧٥٩ .

قام عبدالعزيز بن حمد بن معمر (١) من الرد على القسيس النصراني الذي أرسلته بريطانيا ليعمل على التبشير بالنصرانية، وفتنة المسلمين عن دينهم في بلاد البحرين؛ فالف كتاباً سماه (مفتاح الخزان ومصباح الدفائن) ضمنه أشياء وشبهاً كثيرة منها في الرد على المسلمين والاعتراض على نبوة سيد المرسلين، وبت النصراني منه نسخاً كثيرة ليلقوا به الشكوك والشبهات، بما نقلوه من أباطيل وترهات (٢) فالف ابن معمر رداً عليه (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب) وقصة تأليف كتاب ابن معمر لاتقل أهمية عن الكتاب نفسه (٣) . وأيضاً من أصحاب الردود الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أباطين فعلاوة على رده على ابن جرجيس كما سلف له رسالة (دحض شبهات على التوحيد) وغيرها من المختصرات .

ولئن ممن كان لهم باع طويل في هذا الباب ، وردوده شافية كافية، وله أيادي بيضاء على الدعوة لاتنكر، الداعية الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ، فإضافة إلى رده الكافية على ضلالات دواود بن جرجيس، له ردود بنفس القوة والصرامة على تلميذ ابن جرجيس عثمان بن منصور النجدي، الذي ألف كتاباً يُجهل فيه الإمام ويُنقص من قدره ، أسماه (جلاء الغمة عن تكفير الأمة) وأبقاه سرا حتى توفي فاحضره بعض طلبة العلم إلى الشيخ عبداللطيف بالرياض وشهدوا أنه تأليفه وخطه فرد عليه وبين أباطيله ودحض شبهه مما يلجم الخصم وأمثاله بأقوى لجام، وأسماه (مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام) كما أن له رداً آخر على ابن منصور أسماه (الجواب المنشور في الرد على ابن منصور) (٤) إضافة إلى رده الأخرى على مطاعن ابن منصور (٥) وله رد على عبدالله بن عمير (١٣٧٧هـ) وأعوانه الطاعنين في أتباع الدعوة (٦).

-
- (١) عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر ، من أمراء العيينة، ولد بالدرعية وأخذ العلم عن علمائها وفي مقدمتهم والده ، حتى أصبح عالماً محققاً في الأصول والفروع هاجر بعد تهديم الدرعية ، ورثها بقصيدته (الطنانة) له جوابات ورسائل توفي سنة ١٢٤٤هـ في البحرين (ابن بشر : عنوان المجد ج٢ ص ٣٣ وعبدالرحمن القاسم : الدرر السنية ج١٢ ص ٥٠).
- (٢) عبدالعزيز بن معمر : منحة القريب ص ٦.
- (٣) انظر تفاصيل ذلك لدى : محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن : منحة القريب (المقدمة).
- (٤) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٣٣٤.
- (٥) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢١٦.
- (٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن : المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٢١.

وللشيخ عبداللطيف أيضاً رد على الرافضي الذي ادعى أن الشيخ محمد -رحمه الله - أتى بمذهب خامس (١) كما رد على عبداللطيف الصحاف (٢) نزيل البحرين الذي كان قد أنشأ رسالة ضد أتباع الدعوة وذم ما هم عليه من الملة والدين. (٣) علاوة على كل ذلك فإن أعظم مواقفه وأجلها في هذا الميدان موقفه من الفتن التي وقعت بين الأمراء من آل سعود في نهاية القرن الثالث عشر، ورده الشبه والتمويهات التي تفوه بها معارضوه مما تكون خطورة لاتوصف على الدعوة فبين صحة موقفه وخطورة الشبه المثارة التي منها حكم الاستعانة بالمشركين وحكم الهجرة والسفر إلى بلاد المشركين وغيرها من المستجدات لديهم ، فجمعت رسائله وردوده في هذا الباب في سفر ضخيم سُمي (الرسائل المفيدة) فجاء الكتاب فريداً في بابه، مفيداً في موضوعاته، يندر مثله وعلى منواله. علاوة على ماله من القصائد والشعر الذي لايعدو أن يكون قذائف حق على الباطل تدمغه فإذا هو زاهق، وقريب من موقف الشيخ عبداللطيف موقف زميله الشيخ حمد بن علي بن عتيق، حيث عرف عنه القوة في الحق ومصادمة أهل الباطل والضلال ، فجرى على منوال أشياخه وزملائه من الدعاة في رفع راية التوحيد، ومقاومة أهل الشرك والإلحاد، فقد ألّف رسالته (سبيل النجاة والفكاك) لإلهاب الحماس وإثارة المشاعر ضد الغزاة العثمانيين، ورد على شبه من يُجيز الاستعانة بهؤلاء لأنهم أهل بدع منكورة (٤) ، وله مواقف رائدة من الفتن التي أصابت البلاد في آخر القرن الثالث عشر مع ردود أخرى، يدحض فيها كثيراً من الشبه التي أثيرت حول الدعوة وروادها، وكذلك التشدد في عدم جواز السفر لبلاد المشركين أو الاختلاط بهم وغير ذلك من الأمور. وبعد هذا الجيل من الدعاة المجاهدين يأتي في القمة وعلى الرئاسة والريادة الشيخ سليمان ابن سحمان تلميذ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ورفيق درب جهاده وكفاحه، بعد أن استفاد من

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٣٣١.

(٢) عبداللطيف بن الشيخ عبدالمحسن الصحاف المالكي ولد في البحرين وكان من أشهر علمائها في فترة

حكم الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان (١٢٥٨-١٢٨٥هـ) توفي مع نهاية القرن الثالث عشر في البحرين

(محمد بن خليفة النبهاني : التحفة النبهانية ص ١١٠-١٢٩) .

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٤٣٢ والرسائل المفيدة ص ٣٨٣.

(٤) حمد بن عتيق : سبيل النجاة والفكاك ص ١٠ وما بعدها.

دروس شيخه، ومواقفه البطولية المعروفة ضد النزاعات والفتن التي بدأت تعصف بدولة الدعوة . فكان الشيخ ابن سحمان قد ترعرع في نيرها، بعد أن شرب مرّ لباها واكتوى بلهيبها فأدرك خطورتها فخشى هذه الفتن المدلّمة، والظلمات المتراكمة التي أظلت الدعوة، وخاف خطرهما وأحس به يقترب قاب قوسين أو أدنى، وكان أعداء الدعوة السلفية قد أحسوا بآثر ذلك الواقع السيء على الدعوة ، وبداية ضعفها بضعف أنصارها من آل سعود الذين أوشكت أن تذهب بحكمهم رياح الشقاق والخلافات، فوجدوا فيه ثغرة واسعة وطريقاً سهلاً لمهاجمة الدعوة وتصويب سهام نقدهم لها ورميها بسموم حقدهم الدفين ، وتوسيع دائرة هجومهم الذي لم يتوقف لكنه زاد واستشرى في ظل تلك الظروف ، وكان الشيخ سليمان أهلاً لحمل لواء الدفاع وكشف الشبّه عند ذلك ، والاستمرار على نهج أسلافه وأشياخه، نظراً لما وهبه المولى لهذا الداعية من فصاحة اللسان وبيانه، وحفظ فصيح كلام العرب نثراً وشعراً واستفادته مما أُلّف له ومنحه إياه شيخه المجاهد عبداللطيف ابن عبدالرحمن الذي ظل زمناً يُسكّت تلك الأفواه ويُلجّمها بقول الحق، ولسان الصدق، فجرد ابن سحمان قلمه في الرد على هؤلاء المغرضين ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين بقوة الكلام وسطوع الحجة ، ووضوح الدليل والمحجة وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم ويرد شبّههم ، ويوهن حجّتهم، كما يرميهم بالشبه المحرقة من قصائده الطنّانة وأشعاره الرنّانة، وقوافيه المحكمة وأبياته الرصينة ، وبهذا سُمي نو القلمين، وصاحب الصناعتين، ومحامي الدعوة (١) والمدافع عنها. (٢) فمن ردوده :

١- الأسنة الحداد في رد شبّهات الحداد ، وهو رد على المفتري علوي بن أحمد الحداد، الذي كان قد أُلّف كتابه (مصباح الأنام وجلاء الأوهام) الذي سطره بالكذب والبهتان على دعوة ابن عبدالوهاب وزور فيه على الشيخ وأتباعه وبيّتهم .

(١) يفاخر بهذه الصفة تجاه من انتقده فيها كما جاء في رد ابن سحمان على عبدالله بن عمرو في كتاب

(القول المنيف - مخطوط - ورقة ٦)

(٢) عبدالله البسام : علماء نجد ج ١ ص ٢٨٠.

- ٢- الصواعق المرسله الشهائيه على الشبه الداخضه الشاميه، وهو رد على عطا الله الكسم(١) الذي ألف كتاباً أسماه (الأقوال المرضيه في الرد على الوهابيه) وقد اشتمل كتاب الكسم على الفاظ مبتدعه وأخطاء كثيره وأقوال وخيالات شيطانيه لم يقل بها أحد من أئمة العلم إلا من نقل عنهم مثل دحلان وغيره.
- ٣- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ، وهو رد على مختار أحمد باشا العظمي في كتابه (جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام) الذي سلك فيه العظمى مسلك أهل الغواية والضلاله ، ونهج مناهج أهل الجهاله، والكذب على أتباع الدعوة ومما هو ظاهر البطلان وتشدق بنقولات وأدلة واهيه من الزيد الذي لايبقى أمام الحق .
- وممن رد على العظمي الشيخ فوزان السابق (ت ١٣٧٣هـ) في كتابه (البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار) (٢)
- ٤- الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق ، وهو رد على جميل صدقي الزهاوي في كتابه المسمى (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق) .
- ٥- كشف شبهات عبدالكريم البغدادي (٣) . فيما أورده من شبهه يحل بها ذبائح الصلب وكفار البوادي .
- ٦- إقامة المحجة والدليل لإيضاح المحجة والسبيل على ماموه به أهل الكذب والمين من زنادقة أهل البحرين ، حول أسئلة أوردها يثير بها بعض الشبهه .
- ٧- تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين ، وهو رد على ما نسب إلى الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني من رجوعه عن تأييد الشيخ ابن عبدالوهاب في دعوته السلفية.

-
- (١) محمد عطا الله بن إبراهيم بن عيسى الكسم، فقيه صوفي حنفي، شارك في عدة علوم، ولد بدمشق فدرس حتى أدرك، وأختير مفتياً للجمهورية السورية توفي سنة ١٣٥٧هـ (عمر كحالة : معجم المؤلفين ج١٠ ص ٢٩٢)
- (٢) من الملاحظ أن مختار هذا كثيراً ما ينسب لنفسه ألفاظ التفخيم والتملق في رسائله مثل الباشا والمؤيد الأعظمي وغيرها، وإلا فالمصادر تذكر أن اسمه مختار أحمد العظمى : الإعلام ج٧ ص ١٩١ .
- (٣) هو عبدالكريم بن عباس الشخلي البغدادي العراقي : هذا ما تيسر معرفته من ترجمته وهو ما ذكره ابن سحمان في رده : كشف الشبهات التي أوردها عبدالكريم البغدادي ص ٣ .

وله ردود أخرى منها : الجواب المستطاب على ما أورده المرتاب ، والجواب المنكي في الرد على اللنكي . ومن ردوده كذلك (البيان المبدي لشناعة القول المجدي) ومن مؤلفاته (كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين) وهذه الرسالة القيمة تتلخص في مسألتين هما :-
أولاً : مسألة التكفير ، ومعتقدات أهل السنة والجماعة فيه .

ثانياً : مسألة ولاء المؤمنين والبراء من الكافرين، وهي كما في عنوانها رد على الشبه التي أثارها يوسف بن شبيب الكويتي في رسالته التي أسماها (نصيحة المؤمنين) وإيراده بعض الشبه ضد الدعوة .

كما له عدة رسائل في الرد على ما ألفه عبدالله بن عمرو (١) وغيره من النثر والشعر مما يقارب ثلاثين كتاباً، مما يدور أغلبه في الرد على المخالفين ودفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة التي نادى بتجديدها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والقصد أن هذا الداعية كان له اليد الطولى والقدح المعلى في تحرير الردود وتسطيرها لكشف الشبه وبيان صحة هذه الدعوة وخطأ مخالفيها وبطلان منهجهم . وعلى العموم فقد كانت ردود الشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ عبدالله أبابطين والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وزميله حمد بن عتيق وتلميذهما سليمان بن سحمان أقوى الردود، وأشدها وقعاً في فترة البحث .

وهؤلاء الثلاثة لو قارنا ردودهم بمن سبقهم فإننا نلاحظ عليها الحدة والعاطفة، والروح الخطابية والشدة في الحق، حتى غدت ردودهم صواعق محرقة ، وقذائف موجهة وسهاماً مرسلتة إلى نحر الأعداء، فنجدهم نتيجة لهذه الصرامة والشدة يكثررون الفاظ القذف الديني واستخدام عبارات التكفير والمروق من الدين ، واتهام مخالفيهم بالكذب والزور والبهتان والبغي والجهل وغير ذلك من العبارات الشديدة الوقع مع التشدد في بعض الأمور التي وجدت في عصرهم ولم يتعرض لها أسلافهم، أو لم يتوسع فيها من سبقهم بعد أن أثارها أعداؤهم ، وتشدد بها

(١) عبدالله بن علي بن عمرو آل مزيد ، من قبيلة الظفير ولد في الخبراء بالقصيم سنة ١٢٨٧هـ طلب العلم حتى أجاد ورحل في طلبه إلى الرياض والشام ثم جاور في مكة المكرمة حيث تأثر بعلمائها في معادة الدعوة السلفية بنجد، وألف كتباً في الرد على أتباعها والتحذير منهم مما دعا إلى قتله سنة ١٣٢٤هـ في نجد (محمد القاضي : روضة الناظرين ج ٣ ص ٣٥١ ، البسام : علماء نجد ج ٢ ص ٦٠٢) .

المعاندون ووسعوا دائرة الإختلاف فيها، مما أصبح يهدد عقيدتهم ومجتمعهم بأسوأ النتائج، كقضية تحديد المشرك والكافر وموضوع الولاء والبراء وبخاصة بعد وجود كثير من أعدائهم بين أظهرهم ومرادهم بهم الترك ومن مالأهم من النجديين ، وتكفير الصلب والبدو وتحريم ذبائهم (أي إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجون ويرتكبون جميع الكبائر فان بعض معارضي الدعوة الإصلاحية يرون حل ذبائهم باعتبارهم مسلمين بمجرد لفظ الشهادة وادعاء الإسلام كما هو ظاهر بعض الأدلة أما أتباع الدعوة فهم على ما عليه أكثر العلماء المحققين من أنه لا بد للإسلام من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنه لا بد لقائلها من معرفة معناها والعمل بمقتضاها وأنها لا تنفع صاحبها إلا بالتصديق واليقين ومُجانبة ما ينافي ذلك، وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المحققين). (١) والتشدد مع الدولة العثمانية وتكفيرها بعد أن سامت البلاد والعباد العذاب والقتل فجاء موقفهم من قبيل جزاء السيئة بمثلها، وكذلك التشديد في تحريم السفر والهجرة إلى بلاد ما يسمى ببلاد المشركين وإن كانت بعض البلاد القريبة الإسلامية لما فيها من الشركيات، ولوقفها المعادي للدعوة .

ومن حين مضت فترة هؤلاء وأخرهم الشيخ سليمان بن سحمان بدأت تخف حدة الهجوم والدفاع بسلاح الردود والشبّه بين الدعوة وخصومها نظراً لقيام قوتها السياسية من جديد على يد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وإن كنا إلى الآن لانزال نسمع بعضاً من الأقواء هنا وهناك تتناقل الباطل والزور عن هذه الدعوة وأتباعها نتيجة الجهل بمبادئها أو الحسد لأهلها وأتباعها.

(١) انظر تفاصيل هذه المسألة لدى عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد ص ٤١ وعبداللطيف بن عبدالرحمن : منهاج التأسيس والتقديس ص ٦٠ وسليمان بن سحمان كشف الشبهات التي أوردها عبدالكريم البغدادي ص ٤ وما بعدها .

الباب الرابع الرحلات والاسفار

الفصل الأول : أهمية الرحلات والاسفار للدعوة :

إنه لغني عن البيان أن نتحدث عن الأسفار والرحلات وأهميتها في حياة البشر، وأثر ذلك في وجود الإنسان وبقائه ورقيه وتطوره، بما فيه نشر المبادئ والأفكار التي تهدف الى الإصلاح وتسعى إلى الخير وهداية البشرية ، ولهذا نجد اهتمام الإسلام بالسفر واعتباره وسيلة مهمة من وسائل نشر دين الإسلام وهديه .

ولنا أن نتصور كيف تكون حياة الإنسان لو لم يحصل الاتصال بغيره من الناس بالسفر والترحال؟! ولهذا فإننا نقول : إن الحياة كلها رحلة شاقة ، وسفر طويل إلى الآخرة يحتاج إلى الزاد والاستعداد .

ومن هذا المنطلق تتواصل جهود المسلمين لنشر الإسلام والدعوة إليه، ليعم هذا الدين الحنيف ما شاء الله من الأرض بطرق كثيرة ووسائل متعددة تنبع من روح الإسلام السمحة الرضية، والتي يكون السفر والترحال فيها قطب الرضى . ويبقى المسلمون وأبناء جزيرة العرب بخاصة محافظين على ولوج هذا الباب الواسع لنشر دينهم وعقيدتهم . دعوة وعلماً وتعليماً وتفقهاً وجهاداً وهجرة وغيرها من دواعي السفر والترحال على ما نلخصه في الفقرات التالية :-

أولاً : جهود الدعوة المبكرة :

أشرنا فيما سبق (١) إلى ما أصاب أمة الإسلام من جهل وانحراف في العقيدة في القرون السابقة حتى القرن الثاني عشر، وأن نصيب الجزيرة العربية وافر من ذلك الانحراف، فجات جهود الدعوة واهتماماتهم مبكرة في هذا المجال ؛ لما كان يفترض لمواجهة هذا الواقع السيئ ، ويكتب المولى تعالى لدعوتهم النصر والعزة والتمكين بعد أن رفع أولئك الدعوة راية الجهاد في سبيل الله ميممين شرقاً وغرباً يحملون للأمة مشاعل النور، وأسباب الخير والسعادة -حسبما سبق وأشرنا عن جهادهم- ضاربين أعلى صور الكفاح الذي لا يكون إلا بالتنقل والسفر وتحمل المشاق والآلام الكبيرة، ولكن هذا الوضع لم يرق لأعدائهم ففي حين يجدُّ الدعوة في نشر دعوتهم ، بكل ما هو

(١) الباب الأول ، الفصل الأول ص ٤٦ وما بعدها .

مستطاع، وبالوسائل الممكنة التي في مقدمتها السفر والترحال للحجاز واليمن وغيرها لنصرة الدعوة (١)، فنجد في الجانب الآخر معارضيهم يتبعون نفس النهج بأسلوب أشد فينفرُ بعض الخصوم بكل قواهم متجهين إلى الحجاز والأحساء واليمن والزيبر تاركين أهليهم متحملين المشاق والمخاطر بقصد تشويه صورة الدعوة، والادعاء بأنها إحداث في الدين تجب إزالتها . (٢)

والقصد من هذه المقارنة التلميح إلى جهود الأمة في هذا الصدد وأهميتها مما هو مرتبط بواقع الدعوة في القرن الثالث عشر، واستمرار صراع الدعوة ودولتها المرير مع أعدائها حتى ما استطاع الدعاة بجهادهم الذي يكون الترحال والسفر والتنقل باباً واسعاً من أبوابه، وعنصراً مهماً من عناصر انتصار دعوتهم، تظلم راية التوحيد، وتزينهم عقيدة الإيمان ، ويربيهم القرآن ، ولتنتشر أعلام الحق في كل مكان من جزيرة العرب معلنة عودة الأمة إلى الدين من جديد . حتى وصلت جهودهم إلى بعض البلاد البعيدة، فنجدهم في قمة انتصارهم بوجهودهم في الدعوة ومحاربة المنكرات يصلون إلى العراق سنة ١٢١٦هـ حيث المشاهد والمعابد المنكرة على رأسها القبّة الموضوعه على قبر الحسين رضى الله عنه! فيزيلونها اتباعاً للسنة. (٣) كما يصلون في سنة ١٢١٨هـ و ١٢٢٢هـ إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة ويزيلون ما بها من بدع ، يباكرون إلى إزالتها كل يوم مدة طويلة تقريباً للواحد الديان ، حتى لم يبق في الحجاز شيئاً من المشاهد والقبب وغيرها من المنكرات (٤).

وهذا بعد أن عمّت المعارك بين الدعاة ومعارضيهم أرجاء الجزيرة العربية، ونهجوا منهج الحق في الجهاد والاستبسال، والتنقل والترحال من مكان إلى آخر ليس للسياحة والاستجمام ، كما يفعل كثير من المسلمين الآن للأسف ممن دأبوا على التنقل والترحال وبذل الأموال بسخاء لإرضاء

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ج ١ ص ١٣١ .

(٢) محمد بن عبدالوهاب : ضمن روضة الأفكار ج ٢ ص ١٠ . ٨٢ وسليمان بن سحمان : تبرئة الشيخين ص ٨٣ ، ٨٦ وأحمد دحلان : الدرر السنوية ص ١٢٨ و خلاصة الكلام ص ٢٢٢ .

(٣) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ٨١ وعثمان بن سند : مطالع السعود (مخطوط) ص ٦٤ .

(٤) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ ص ١٢١ ، ١٢٤ .

الشیطان وحزبه من المرابین والفاسقین . وإن أصحاب هذه الطریقة الشاذة المنحرفة من المسلمین بخلاف ما كان علیه أولئك الجیل الذین نتحدث عن حالهم وترحالهم فی التضحية بالنفس والبذل بسخاء فشتان بین مشرق ومغرب !!

ولقد انتقلت الأمة نتیجة لجهادهم وكفاحهم من حال إلى حال، تحولاً من الانقسام إلى الوحدة، ومن الانحراف والجهالة إلى التوحید والعلم والعبودية، وأصلحتها فی أخلاقها ومعاملاتها وكانت عاقبة أمرها خيراً للإسلام والمسلمین فی الدنیا والدين . وبقيت الجهود الرائدة من الدعاة فی نشر الدعوة الإسلامية إلى أمة الإسلام فی كل البلاد . يقول لوثرוב ستودارد : ((ظلت نجد بؤرة تشتعل فیها نار الغيرة الدينية، ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الوهاجة إلى كل ناحية من نواحي الأرض، وما فتئ الوهابيون منذ قضي على قوتهم السياسية یبثون روح الحركة الدينية فی مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام إلى مكة والمدينة من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي فیقتبس هؤلاء ناراً - نورا- وهابية ثم یعودون إلى أوطانهم یشعلون بها ما استطاعوا إشعاله فی سبیل الإسلام)).(١)

ولانتصروا أن یحصل هذا بهذه الصورة إلا بالبذل والجهاد والسفر والترحال وبذل الجهد فیه بخاصة فی ذاك الزمان من الداعی والمتلقي، وقد لا یغیب عن البال المخاطر التي تواجه تحقیق هذا الهدف، بسبب تواطؤ القوى المعارضة ضد الدعاة فی مكة المكرمة والمدينة المنورة بالذات، ومع كل ذلك صبروا وتجلدوا وناقحوا عن دعوتهم بالتنقل والترحال وبكل الوسائل هنا وهناك حتی مكَّن الله لهم وعلى شأن دینه ورفع سلطانه بفضلہ وتوفیقه .

(١) ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٢٦٢ ، وتعبیره بالوهابیین مجازاة لتسمیتهم من قبل أعدائهم.

ثانياً : استمرار اهتمامهم بالرحلات والدعوة :

أشرنا فيما سبق إلى جهود الدعاة واستفادتهم مع معارضيهم -أيضاً- من هذه الوسيلة في خدمة الدعوة في وقت مبكر، ومع اشتداد العداوة والمعارضة لهم ازدادوا حماساً واندفاعاً، ولم تزدهم تلك الابتلاءات في العقيدة إلا استمراراً في الطريق الذي سلكوه والنهج الذي اختاروه، وفي مقدمة ذلك دأبهم على التنقل والسفر من أجل دعوتهم ونشرها وكشف الشبهات التي نسجت ضدها في جميع النواحي .

ولو تجاوزنا عن كان ديدنهم السفر والترحال للجهاد والحج والهجرة فإنه من المستحسن الإيماء إلى جهود بعض الأشخاص من الدعاة الذين رحلوا للعلم والدعوة إلى الله مما لا يخرج عن ميادين الجهاد.

ومن أهم الرحلات في ذلك الحين ، والتي أعطت أعظم النتائج للدعوة، الرحلة المضنية التي حصلت لكثير من العلماء الدعاة إلى مصر بعد تدمير الدرعية، وترحيل من بقي منهم قسراً منها، مما لا يعدو أن يكون امتحاناً وابتلاءً . والملاحظ أن تلك الرحلة أعطت من النتائج ما ليس في حسابان مدبريها ولكن (ربما صحت الأجسام بالعلل) فقد كانت الغربية مناسبة كبيرة لكثير منهم للدراسة والتعلم على أكابر العلماء في الأزهر وغيره، مما أعطى نتائج باهرة ظاهرة من خلال موقف أولئك الدعاة ومؤلفاتهم بعد ذلك ، كما هي حال الشيخ عبدالرحمن بن حسن (المجدد الثاني) الذي لم يزل مقيماً بمصر منذ عام ١٢٣٤هـ ينهل من العلوم ويتزود من الفنون مدة ثمان سنوات إلى أن عاد إلى نجد أوائل عام ١٢٤٣هـ . (١) أخذ العلم عن علماء لا يحصون وبخاصة في مصر، كما جاء في جوابه لمن طلب منه رواية لمن أخذ عنه بسنده من العلماء (٢) . وكذلك ابنه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الذي أخذ العلم عن علماء كثيرين منهم مشائخ والده ، وبقي في مصر ينهل من العلوم ويتزود من المعارف والفنون حتى بلغ رتبة الإمامة في العلم والفضل وبعدها

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٨٠

(٢) إبراهيم عيسى : عقد الدرر ص ٥١

خرج إلى نجد سنة ١٣٦٤هـ وكان لهذين العالمين من الجهود والجهاد في سبيل الدعوة ما هو معلوم. (١) كما كان من أولئك العلماء الذين اغتربوا وتحملوا المشاق بسبب تلك الكارثة عدد من العلماء الذين بقوا في غربتهم واستمروا في النهل من العلم والمعرفة فحازوا قصب السبق وأعادوا المذهب الحنبلي إلى الأزهر بعد انقراض مذهب الحنابلة كما يقول الجبرتي في أحداث ١٢٢٠هـ (٢) كالشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب قال عنه المؤرخ النجدي ابن بشر : ((وكان لعبدالله المذكور ابن اسمه عبدالرحمن جلا معه إلى مصر وهو صغير وذكر لي أنه اليوم في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر وعنده طلبه علم وله معرفة تامة (٣))) وقد ترجم له البيطار وأثنى على علمه وزهده وجهوده في الدفاع عن المذهب والدعوة وإصلاح العقيدة في مصر (٤) ومن هؤلاء الذين رحلوا بسبب كارثة الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر (ت ١٢٤٤هـ) الذي هاجر إلى البحرين وظل ينشر الدعوة ويدافع عنها وفي مقدمة جهوده الرد على المبشر النصراني، بالكتاب الذي ألفه ابن معمر ووسمه ((منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب) فكشف أباطيله وجلى الغمة التي انتابت علماء البحرين وحاكمها.

-
- (١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٩٤ .
(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٤ ص ٤٩٣ .
(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ٩٣ .
(٤) عبدالرزاق البيطار : حلية البشر في رجال القرن الثالث عشر ج ٢ ص ٨٣٩ ط دمشق .

الفصل الثاني

أشهر الرحالة ونماذج من رحلاتهم

تحدثنا في الفصل السابق عن اهتمام الدعاة بالرحلات والأسفار لنشر الدعوة وإيضاح حقيقتها، وكيف حاول معارضوهم الاستفادة من هذه الوسيلة للوقوف في وجه الدعوة وإعاقتها وبيث الشبه في طريقها.

ولما كان هناك من رجال الفترة ودعاتها من اشتهروا بالرحلات، وأفنوا أعمارهم في السفر والتجوال بين البلدان القريبة والبعيدة، واشتهروا بذلك، بعد أن تعددت أغراض رحلاتهم؛ بين طلب العلم والتعليم ونشر الدعوة ممن نسميهم الرواد، أو السفر لأجل خدمة الدعوة وإيضاح حقيقتها وبيان حال أتباعها لدى جهات معينة ممن نسميهم : سفراء الدعوة . فجرى تخصيص هذا الفصل لإيضاح بعض تلك الجهود وإيراد نماذج منها، وسيكون الحديث عن ذلك في بحثين هما : الرواد وجهودهم ، وسفراء الدعوة.

أولاً : الرواد وجهودهم :

عندما ننظر في حال من نذروا أنفسهم للرحلات لطلب العلم وتحصيله ونشر الدعوة والذب (١) عن عقيدة التوحيد التي امتن الله بها على أهل الجزيرة في ذلك الزمان يأتي في مقدمة رواد الرحلات الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن علاوة على رحالة آخرين نتحدث عنهم وعن جهودهم في التفصيل التالي :-

١- الشيخ العلامة الجليل الفقيه المحدث إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ولد بالرياض سنة ١٢٧٦هـ ونشأ بها وأخذ العلم عن العلماء المشهورين ببلده ثم رحل إلى مصر وجاور بمكة وأخذ العلم عنه بها كثير من النجديين وغيرهم (٢).
كما رحل إلى الهند حيث أخذ العلم عن علماء مشهورين منهم أستاذ المحدثين السيد نذير حسين الدهلوي (٣) والذي كان له علاقه وطيدة مع كثير من علماء الدعوة ، ولهم معه

(١) ذبٌ : بمعنى منع ودفن كما في القاموس المحيط للفيروز أبادي ج ١ ص ٦٧.

(٢) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء الدعوة ص ١٤٢.

(٣) السيد نذير حسين الدهلوي ، ولد ببلدة (بلتھوا) بالهند حفظ القرآن وتعلم العربية والفارسية، ثم ارتحل لطلب العلم على أشهر علماء (دلهي) لم يؤلف إلا كتابه (معيان الحق) لانشغاله بالتدريس والدعوة قدم لمكة المكرمة واسـتقر بها ولقي فيها المصـاعب والإيذاء بسبب سلفيته معتقدته توفي سنة ١٢٢٠هـ =

مواقف جريئة دفعت عن هذا العالم السلفي كثيراً من الفتن والابتلاء عندما قدم إلى مكة المكرمة ، فوقفوا في صفه وأكرموه لشهرته عندهم بسبب تتلمذ كثير منهم ممن سافروا للهند عليه (١) . وحصل له من هذا المحدث وغيرهم السماع والقراءة والإجازة وأخذ عنه الحديث المسلسل عن مشائخه ، ثم ارتحل إلى (بهوبال) فقرأ فيها على الشيخ حسين الأنصاري (٢) والشيخ محمد بشير السهسواني وغيرهما حتى نبغ في عصره وبرع في فنون علم الأصول والفروع حتى صار إماماً فاضلاً ورعاً يُقتدى به ، وشهد له بالفضل والنبل أهل التحقيق والإنصاف (٣) .

ثم عاد إلى نجد حاملاً لواء الدعوة إلى الله بالتعليم والنصح والإرشاد وأصبح له تلاميذ عدة يشار إليهم بالبنان ، كما أن له بعض المؤلفات والرسائل ؛ منها رد (٤) على المدعو أمين حنش (٥) ، وله رسالة في الأسماء والصفات تدل على علمه وفضله وتعمقه في

= (عبدالرحمن بن عبداللطيف : المرجع السابق ص ٤٥٨) .

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف : مرجع سابق ص ٤٦ .

(٢) حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي الهندي من فضلاء الهند وعلمائها تتلمذ عليه عدد من الطلبة النجديين والحجازيين سلفي العقيدة توفي بعد سنة ١٣١٣هـ (عمر عبدالجبار: سير وتراجم ص ٢٣)

(٣) عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية : ج ١٢ ص ٨٠ .

(٤) عبدالرحمن بن عبداللطيف : مرجع سابق ص ١٢٢ .

(٥) أمين حنش البغدادي العراقي (انظر عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : المرجع السابق ص ١٢٦) . هذا ما توفر لدى من ترجمته وهو من معاصري الدعوة مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وممن ناصر ابن جرجيس في موقفه المعادي لمبادئ الدعوة السلفية فانبرى أتباعها للرد عليه. ولكن الدكتور عبدالله الحامد يقول في كتابه : الشعر في الجزيرة العربية ص ١٥٣ (أخال اسمه أمين حسن الحلواني الذي اختصر (مطالع السعود) حرفه النساخ) قلت : هذا بعيد جداً فقد اشتهر ابن حنش باسمه الذي ذكرته وقد رد عليه علماء الدعوة بهذا الاسم وممن رد عليه : حسين بن الشيخ حسن بن حسين شعراً - إسحاق بن عبدالرحمن وإبراهيم بن الشيخ عبداللطيف كما أشار إلى ذلك الشيخ عبدالرحمن، بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ورد عليه شعراً سليمان بن سحمان : ديوانه ص ٢٠٨ ، والله أعلم .

العقيدة (١) وله رسالة بعنوان (حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة) (٢). كما نظم الشيخ إسحاق (الأرجوزة المفيدة في مسائل التوحيد) وهي قرابة ثلاثمائة وثلاثين بيتاً يناقش فيها مسائل التوحيد والشرك والانحراف عن العقيدة الصحيحة وأسبابه، مما يدل على صفاء عقيدته وسعة أفق علمه ، واستفادته من هذه الرحلات بإحاطته بكثير من البلايا والرزايا التي أصيبت بها الأمة بسبب إنحراف عقيدتها في الولاية والشفاعة وتعلقهم بقبور الأولياء ، وما يفعل عندها من الأمور العظام والملهكات الجسام التي لاتخرجها عن الشرك كما يحدث عند قبر الجيلاني والعيدروس والرفاعي ، مما سوله الشيطان لأوليائه من المنحرفين أن لهم نفعاً وأنهم أناس كوشفوا فاطلعوا على علم الغيب، وأن لهم تصرفاً في الكون، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (٣).

ونستدل على اهتمام الدعاة بالرحلات والأسفار باعتبارها طريقاً مهماً ووسيلة مفيدة من وسائل الدعوة، ومدخلاً من مداخل إصلاح العقائد والمجتمعات بحال هذا العالم الفاضل وتنقلاته بين جزيرة العرب من نجدها وحجازها ، وبين مصر والهند من دلهي إلى بهوبال ويزيد من أهمية هذا الأمر أن الشيخ إسحاق سليل تلك الأسرة العريقة في العلم والخلق والأدب، ينتمى إلى الدوحة السامقة ، والأسرة التي لم تكن إلاً بحراً زاخراً بالعلم ونهراً متدفقاً بالفضائل ؛ مما يوحى للبعض أنه ليس بشديد الحاجة للسفر والترحال الذي يجلب التعب، وترافقه المشاق والمكاره وتصاحبه المعاناة، فمناهل العلم تحف به؛ بل إنه لغارق في بحرها وفي متناول يده في كتب آبائه وأجداده ولدى إخوته وعشيرته المقربين وبني قومه، الذين يعزونه ويجلونه كبقية العلماء والفضلاء من أسرته ، لكن لم يكن علمهم

(١) إسحاق بن عبدالرحمن : الدرر السنية ج ٣ ص ٣٥٥.

(٢) طبعت بدار طيبة بالرياض سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ط الأولى .

(٣) إسحاق بن عبدالرحمن : الأرجوزة المفيدة : تشتمل على مسائل من التوحيد ومهمات يحتاج إليها المستفيد، ط بمباي - الهند ١٣١٠هـ.

مع كثرته وغزارته وتنوعه ليشبع نهمه ، أو يروي ظمأه ويحقق طموحاته ، فلما أخذ مآلديهم مما يبحث عنه ويروق له ساح في أرض الله الواسعة يطلب الزيادة وينشد ضالته مما قد لا يتوفر لدى قومه من أنواع العلوم والفنون .

هذا ومن جهة أخرى فإن هذا الرحالة العالم، رحل واغترب للعلم ولأجله ، فهو ليس بحاجة إلى الدنيا والتزود منها، فمركزه ومركز قومه الديني والاجتماعي كفيلاً بأن يؤمن له كل ما يحتاجه ويوفر بغيته من المال وغيره بل من الممكن أن يجعله وأمثاله من أغنى الناس ولكن الدنيا آخر ما يفكر فيه هؤلاء الدعاة الهداة ! بل نحسب أن رحلاته ستحرمه كثيراً من المصالح الدنيوية لو أخذنا الأمور بهذا الاعتبار ونظرنا إليها بهذا المنظار. وسلوكه هذا يفقده كثير من دعاة الإسلام اليوم ممن يتكالبون على الدنيا الفانية وجمعها، والإعراض عن الآخرة الباقية إلا من رحم ربي وقليل ما هم . وهذا يعطي رحلاته وجهوده وأمثاله زيادة في الأهمية والإفادة .

٢- الشيخ محمد بن عبدالكريم بن إبراهيم الشبل الوهبي التميمي ولد في عنيزة - من مدن القصيم - عام ١٢٥٧هـ وفي صباه أخذ في بلده مبادئ القراءة والكتابة ثم سافر إلى مكة المكرمة وأخذ من علمائها كما سافر إلى مصر والشام والعراق والكويت واجتمع بعلماء هذه الأمصار وأجازوه وأثنوا عليه، واجتمع بكبار العلماء كما روى في إجازته للشيخ عبدالله بن خلف الدحيان عالم الكويت حتى عاد إلى وطنه عنيزة وشرع في إكمال دراسته على علمائها (١).

وقد سطر له محمد القاضي ترجمة وافية عدد فيها رحلاته وثمارها ومما قال القاضي : ((رحل الشبل لطلب العلم إلى جهات عديدة فمنها مكة المكرمة فقد حج البيت وجاور ولازم علماء المسجد الحرام زمناً، ومن أبرز مشائخه في مكة محمد بن عبدالله بن حميد امام الحنابلة وصاحب (السحب الوابلة) وسافر إلى مصر وأخذ عن علماء الأزهر الشريف المشهورين واجتمع بعلماء الأمصار هناك ، ثم رحل إلى الشام فلزم علماءها في الجامع الأموي وفي الصالحية ودار الشطية ومكث زمناً ينهل من موردهم

(١) عبدالله بن محمد البسام : علماء نجد ج ٣ ص ٨٤٣ ،

العذب ورحل إلى العراق فقرأ على الألوبيين، كما رحل إلى الكوفة ولازم علماءها ثم رحل إلى بلد الزبير فلازم علماء الحنابلة فيه ومن أبرز مشائخه فيه عبد الجبار البصري (١) وصالح بن حمد المبيض (٢) ثم رحل إلى تركيا فأقام بالقسطنطينية ولازم علماءها ثم رحل إلى الهند وأقام في لاهور ثم في دلهي ولازم علماء الحديث ، وكان جل قصده القراءة على صديق حسن خان ولكن لما وصل إلى بومبي بلغه وفاته عام ١٢٠٧هـ ... ونبغ في فنون عديدة حتى رجع من رحلته يحل مشعل العلم والمعرفة وكان رجوعه عن طريق الكويت حيث أقام بها مدة ودرس فيها وأجاز تلميذه عبدالله بن خلف الدحيان (٣) العالم المشهور بسند متصل بقلمه ، وكان يحب جلب الكتب مخطوطها ومطبوعها)) (٤).

- (١) عبد الجبار بن علي البصري ثم المدني ولد سنة ١٢٠٥هـ في حدود البصرة وقيل في (الدراسة) من أب شيعي لكن الابن سنياً ، نشأ عامياً فقيراً فعمل في بستان للشيخ إبراهيم بن جديد الذي رغبه طلب العلم وقراءة القرآن عنده في بلد الزبير وعكف على التعليم، ثم ارتحل إلى الشام وقرأ القرآن على مشائخها مدة ثم عاد إلى الزبير واستمر في مثابرتة وجده في العلم وامتنه الوعظ والخطابة فأفاد كثيراً وصار محط الغرباء ومقصدهم، كان زاهداً ورعاً معرضاً عن الدنيا ، استقر به المقام في المدينة النبوية داعياً ومعلماً ومدرساً توفي سنة ١٢٨٥هـ ، (ابن حميد : السحب الوابلة (مخطوط) ص ٤٤ وما بعدها))
- (٢) صالح بن حمد المبيض ولد في الزبير ونشأ فيه وقرأ على علمائها، وتولى الإمامة والخطابة في أحد جوامع الزبير ، كما تولى القضاء في الفقه الحنبلي ، ودرس وتخرج على يديه علماء مشهورون حتى توفي سنة ١٢١٥هـ في الزبير (ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ص ١٩٥ والبسام : علماء نجد ج ٢ ص ٣٤٨).
- (٣) عبدالله بن خلف بن دحيان الحربي القحطاني الأصل، انتقل والده من الجمعة إلى الكويت حيث ولد فقرأ على علمائها ثم رحل إلى الزبير للدراسة على علمائه، عاد للكويت وتولى القضاة كان إماماً وواعظاً ومدرساً ومؤلفاً ، توفي سنة ١٢٤٩هـ (البسام : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٣٣) .
- (٤) محمد بن عثمان القاضي : روضة الناظرين ج ٢ ص ٢٤٠.

ولما عاد إلى بلده جد في التدريس والتعليم فدرس عليه كثيرون في المسجد وفي بيته، وكان يعظ جماعته ويرشدهم كل يوم وليلة ولواعظه وقع في القلوب، وكان واسع الاطلاع في فنون عديدة وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية والصفات الحميدة، وكان تدرسه ليس على طريقة قدامى النجديين بل على طريقة تعليم الحجاز، وقد ثبت أن هذه الطريقة هي المثلى لمن يريد النفع والانتفاع أما طريقة (سم بركة) فهي اسمها بركة مجلس، وصاحبها لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وهي الآن في طريقها للتلاشي، فالآن طريقة التعليم في الحجاز وفي نجد على طريقة المعاهد العلمية والكليات في داخل المملكة وخارجها كالأزهر(١) ولاشك أن هذا النهج مما كسبه من رحلاته. ولم يكن بينه وبين بعض أتباع الدعوة السلفية بالرياض وفاق ولكن الاختلاف لم يكن في جوهر العقيدة وإنما اختلافات يكبرها ويضخم أمرها الجهلة من اتباع الطرفين كما يقول البسام (٢).

وهكذا بقي هذه الرحالة على مثابرتة وجهوده في التعليم والإفادة حتى أرهقته الشيخوخة فبقي يجلس لطلبته كعادته في منزله، وقد تخرج عليه ثلة من الطلبة العلماء العاملين من أبرزهم الشيخ عبدالله بن علي بن حميد (٣) إمام المسجد الحرام والشيخ عبدالرحمن بن سعدي الداعية المشهور وصاحب المؤلفات الكثيرة رحمهم الله تعالى!

٢- الشيخ راشد بن علي بن عبدالله الجريس الحنبلي ولد في بلدة (نعام) إحدى بلدان الحريق الواقعة جنوب الرياض سنة ١٢٥٠هـ. وقد نشأ نشأة حسنة، فقرأ القرآن وجوده على

(١) القاضي : المرجع السابق ج٢ ص٢٤١.

(٢) عبدالله البسام : المرجع السابق ج٣ ص ٨٤٧

(٣) عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالله بن حميد، ولد سنة ١٢٩١هـ في عنيزة رحل مع والده إلى مكة وطلب العلم على جده محمد بن حميد (مفتي الحنابلة) ووالده مفتي الحنابلة بعد جده، ثم جلس للتدريس حتى عين إماماً للمقام الحنبلي بعد والده، طلب الإعفاء وعاد إلى عنيزة له مؤلفات توفي سنة ١٣٤٦هـ (عمر عبدالجبار : سير وتراجم ص ١٣٦ وعلى جواد الطاهر : مجلة العرب محرم ١٣٩٤هـ، والقاضي : روضة الناظرين ج١ ص ١٠٥).

مقرئي بلده وشرع في طلب العلم بهمة عالية فقرأ على علماء نجد في سدير والوشم والدرعية والرياض متنقلا بين هذه البلدان ، وتطلعت همته إلى ما لدى العلماء من خارج نجد من علوم شتى فرحل إلى الزبير فالكوفة فالبصرة للتزود بالعلم، فلانزم علماء الحنابلة وغيرهم (١) . كان كثير المطالعة شغوفاً بكتب الأدب والتاريخ والحديث والتفسير وقد عكف على تفسير صديق حسن خان وأولع به حتى كان يجعله أنيسه في الغربية وجليسه في الخلوة واستغنى به عن غيره(٢).

نرح من نجد فأقام في (استانبول) عاصمة البلاد التركية فعينه الترك عضواً في أنظمة القوانين فرفض فعينه في مجلس المعارف، من استانبول أخذ ابن جريس ي كاتب العلامة السيد محمد صديق خان ملك بهوبال من البلاد الهندية (٣).

وقد جرت بينهما عدة مكاتبات ومراسلات رقيقة جميلة تدل على علو مكانة كل منهما لدى الآخر وتقارب قلوبهما وإن تباعدت أجسادهما "فإن تباعدت الأوطان فالقلوب قريبة" (٤) كما توحى لنا تلك المكاتبات والمراسلات بقدر علمهما وفضلهما وسلامة عقيدتهما ويتجلى ذلك واضحاً بالنسبة للشيخ راشد بن جريس خاصة، الذي يظهر من رسائله حرصه على صفاء عقيدته واعتزازه بالدعوة السلفية وتمجيده لمشائخه من أتباع الدعوة، وقد نلاحظ هنا أنه بالرغم من تجواله ومكثه في بلاد كثيرة كانت تُشن غارة شعواء وحرماً ضروساً على الدعوة وأتباعها وعلى رأس أولئك تركيا الذي يقيم فيها وبين أظهر الأتراك؛ لكن هذا لم يكن ليزعزع عقيدته ، أو يضعف إيمانه ويقدر فيه بل يعلن ذلك على الملأ ويجاهر بعقيدته السلفية، ويعتز بها بخلاف بعض من العلماء ممن كانوا في مثل وضعه، وهو يتشكى مما

(١) محمد بن عثمان القاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ١٠٥

(٢) كما يذكر المترجم له في رسالته إلى صديق حسب رواية صديق حسن خان : التاج المكلل ص ٥٢٢.

(٣) عبدالله البسام : مرجع سابق ج ١ ص ٢٥٧ ومحمد القاضي : مرجع سابق ج ١ ص ١٠٥.

(٤) هذه عبارة ابن جريس لصديق حسن خان : كما في التاج المكلل ص ٢٥٦.

يجده من مضايقة في العقيدة ولكنه لايبالي كما يقول بهذا الخصوص في إحدى رسائله إلى السيد صديق خان (١) .

ويقول في رسالة أخرى : ((وهنا مسألة لغرض لحضرتكم الكريمة ، وهي : أن الناس في آخر هذا القرن (٢) كما قد تعلمون علاوة على ما قد علمتم ، مصر والشام والعراق والحجاز والقسطنطينية وما والاها من البلاد أظن جل أحوال أهل هذه البلدان ليست خافية عنكم. إن معتقدهم الذي هم الآن عليه مضاد لما نحن وأنتم عليه ، ويوجد فيهم فئام موافقون لما عليه أهل السنة والجماعة ، لكنهم تحت القهر والخوف على أنفسهم من هيجان رعا ع الناس، ولا بد أن الله سبحانه أخذ بأيديهم ، ولكن إقامتهم بين ظهرا ني ضدهم قد وقع معنا موقع الإشكال)) (٣) وهذه المواقف وأمثالها تشوقنا كثيراً إلى الاهتمام بمثل هذه الرحلات والأسفار وأثارها . وفي سنة ١٢٩٧هـ حج الشيخ ابن جريس وبعد الحج زار المدينة المنورة ثم بيت المقدس وواصل سفره إلى الاستانة وسكن (قسطنطين) وهم بالسفر إلى الهند ليحقق أمله الكبير بالالتقاء بالسيد صديق خان في (بهوبال) ولكن الظروف حالت دونه ولم يتحقق أمله حيث يتحدث ابن جريس عن رحلته هذه التي قام بها سنة ١٢٩٧هـ في إحدى رسائله إلى صديق خان (٤).

ومن هنا فإن رسائله المتعددة وبالذات مع الشيخ صديق حسن خان تنبئ عن علمه وحسن عقيدته، وزيادة في البيان عن هذا الرحالة وجهوده في هذا الباب نسوق مقتطفات منها مما يدل على اهتمامه بالرحلات وتعلقه بالشيخ صديق حسن خان ودرجة علمه وسلامة عقيدته ورسوخ قدمه في كثير من العلوم، وزيادة في الفائدة عن هذا الرحالة وجهوده في هذا المجال نسوق مقتطفات منها مما يدل على اهتمامه بالرحلات وتعلقه بالشيخ صديق خان

(١) صديق خان : المصدر السابق ص ٥٢١ .

(٢) مراد ابن جريس القرن الثالث عشر الهجري .

(٣) صديق خان : المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٤) ابن جريس : ضمن التاج المكلل ص ٥٢٠ ، ٥٢١

تعلقاً يصعب وصفه وقد نلمس مقدار هذا من بيتين أرسلهما إلى من تعلق به قلبه، وأحبه حب الإيمان والعقيدة، الحب الذي لاغيره وتبدله الأيام فهو يتمثل ببيتين بعثهما إلى شيخه فيقول :

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدِرْتُ لَكُنْتُ طَيْرًا أُطِيرُ إِلَيْكُمْ قَبْلَ الْكِتَابِ
وَلَوْ قَلَمِي بِمَا فِي الصَّدْرِ يَدْرِي بَكَى قَلْبِي إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ

فمثلا يقول : ((وأما كتبكم الذي نحب جلبها من طرفكم فاجعلوها لديكم في حيز الأمانه إلى وقت الميعاد الذي ذكرتم بحول الله فأما نأتي ((هندستان)) (١) أو إلى بعض الأماكن التي يحسن جلب المؤلفات الشرعية إليها وأرجو أن يكون ذلك قريباً . وإن أحببتهم فلتغتنموا فرصة من وقتكم السعيد ولو زاحمتكم أشغال الليالي والأيام إلى شرح نونية ابن القيم فالداعي لكم يرى هذا من حسناتكم وامتنانكم على كافة أهل السنة والجماعة ولأجل شفقتنا على الاجتماع بكم ، وأخذ الإجازة عنكم صرنا منتظرين لجوابكم، هل نحظى بذلك من حضرتكم ام الوقت متضايق عن ذلك ؟ وكذلك مؤلفاتكم الشريفة، إذا كانت كلها موجودة أو مطبوعة بمطبعة (بهوبال) المحروسة تبعثون بها إلينا في الاستانة العلية ، وأجر نقلياتها نسلمها لمن تريدون أو تجعلونها وقفاً لوجه الله في قطعة جزيرة العرب بخطة ((نجد)) لأجل أنهم موافقون لما أنتم عليه من اتباع ((الكتاب والسنة)) ولأجل انشراح صدورنا بمودتكم عرضنا لكم الكيفية ، وإن اقتضى نظركم إرسالها إلينا بالأستانه عن حضرتكم، فيكون إيصالها إلى مطبعة الجوائب حتى نستلمها منها من يد مديرها .. وقد وقفت على حسن تفسيركم لسورة الذاريات في قوله تعالى ((والسماء بنيناها بأيدي)) اي بقوة وقدرة ، قال ابن عباس : هل قول بأيدي، تكون الأيدي صفة لله من صفاته التي تليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه أم هي في هذه الآية مجازية تأولها : القوة والقدرة فما الفرق بينها وبين قوله تعالى في سورة ص : ((مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي))؟ أفيدونا وأزيلوا الإشكال مأجورين إن شاء الله تعالى ... ونلتمس منكم نكتبون لنا إجازة مطلقة

(١) اي بلاد الهند.

بمروياتكم ومؤلفاتكم الشريفة وترسلون إلينا الإجازة حالاً بالقسطنطينية لأجل التشرف بها، والاستنشاط على أخذ مؤلفاتكم الشريفة ونشرها في بلاد الإسلام، ولاسيما في أقطارنا ((النجدية والحجازية)) ولأجل ملوك بلادنا من المحبين لكم وعلمائنا من أهل هذا المنهج والمعتقد السالم الصحيح (...)) (١)

وبعد هذه الفقرات المستلة من الرسائل التي بعثها الرحالة ابن جريس إلى شيخه صديق ودونها يراع الأخير في مؤلفه (التاج المكمل) وتحدث عنه بإسهاب طويل ، وأسلوب بليغ مؤثر، مورداً الرسائل المتبادلة بين هذين العالمين السلفيين . نسوق بعض الشذرات المهمة مما ذكره في هذا المقام والمتعلقة بشخصية الرحالة النجدي، فمما قال صديق عن صديقه: ((عالم ناقد متبع ماجد، ذو يد طولى في علم القرآن والحديث، مقتد بالسلف الصالح في كل أمر قديم وحديث، لم أره ولم يرني ، ولم أعرفه ولم يعرفني بيد أنه راسلني منذ شهر صفر ١٢٩٨هـ من اسلامبول ، وذكر أنه من قطر ((نجد)) ومولده : النعام (٢) موطنه الشريف ذام المقام الشريف وظهر لي من مهارته الشريفة أنه ذو علم نافع وفهم لامع وفضل ساطع يقتدى بالسنة الصحيحة والقرآن ولا يقلد أحداً من الأحبار والرهبان، له شغلة وافية بالتفسير وهمة عالية في إدراك الحقائق من حديث البشير النذير ، وإنه من أهل المجد والكرامة حفظه الله وأجله يوم القيامة في دار المقامة وقد طلبت منه الترجمة للتحريير في هذا الكتاب كما طلب مني جملة صالحة من مؤلفاتي ، التي أحسن الظن بها أولو الألباب، واستجازني فاتحفته بتفسيره (فتح البيان) وغيره ... وكتب إلي خطأ جواباً على طلبتي لترجمته، فوددت أن أثبت تلك الخطوط مرتباً مع إجازتي له ... وهذا يرشدك إلى أن الدنيا وإن كانت مكنّت بالجور والمظلمة والآفات والملحمة ، ولكن فيها خبايا من زوايا من العلم والدين وحب التقوى وإيثار الحق على الخلق ، وترك التقليد وقوة اليقين بقايا، وسمعتُ أنه ممن لاتأخذه في الله لومة لائم وهو على ذلك أينما كان وعند من كان قائم...وهذه نسخة الإجازة (...)) (١)

(١) صديق خان : المصدر السابق ص ٥٢٣ .

(٢) بلدة نعام كما سبق.

(٣) صديق خان : المصدر السابق ص ٥١٧ - ٥٢٦ .

ومن خلال تجواله ومكاتباته تعرف أنه أمضى جل عمره في الترحال والتجوال خارج بلده ، في العلم وولعه فيه وجهوده وجهاده في نشر الدعوة والذب عنها باللسان والبيان ، نتيجة لصفاء عقيدته ، ومحبتة أصحاب العقائد الصحيحة وتمييزه بين الغث والسمين من القال والمقال.

من آثار ابن جريس العلمية رسالة في تاريخ نجد سماها (مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد) من خلال اطلعنا على مقدمتها وسبب تأليفه ، نعرف كثيراً عن مقدار حبه لبلاده وتعلقه بها، وإجلاله لحكامها الميامين بالرغم من بعده عنها، ومدى احترامه لأنمة الدعوة من علماء وحكام نجد وسادتها إذ يقول :

((فلما مضى الجيل الحافظ لأنساب قومه تتبعت الدواوين أطلب ضبط (ملوك نجد آل سعود) وقيدت معهم أسماء وآباء شيخ الإسلام قاضي تلك الأقطار الذي اشتهر صيته وفضله بين الأنام فانتظم لى ما أردت ، وتم لى ما قصدت وذلك بإشارة ممن لاتسعني مخالفته، حضرة الأمير الأكمل صاحب السعادة عبدالله باشا بن الأمير عبدالله بن ثنيان آل سعود أمراء نجد الكرام)) (١).

كما كان شاعراً مجيداً له نظم رائع يتوجد فيه على نجد وهوائها الطلق وعلى مفارقة الأهل والأحباب والأصحاب وهو في بلد الغربية ، حتى رجع إلى نجد في سنة ١٢٩٩هـ حاملاً مشعل العلم والمعرفة فدرس الطلبة والتف حول محبوه ومريدوه ينهلون من علمه الغزير ويتأدبون بخلقه الجم ، كما كان واسع الاطلاع خصوصاً في الأدب والتاريخ والأنساب فهو المرجع لأهل نجد ، وله مؤلفات مخطوطة عند أحفاده طبع منها ((مثيرالوجد)) ، وأصيب آخر أيامه بمرضٍ أمهله شهراً حتى انتقل إلى جوار ربه مأسوفاً على فقده سنة ١٣٠٣هـ تقريباً في استانبول وفي قول آخر في نجد ، رحمه الله برحمته الواسعة (٢).

(٢) راشد بن علي بن جريس : مثير الوجد (المقدمة)

(٣) محمد القاضي : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٦

وجهود الدعاة في هذا المجال كثيرة تعطينا الدليل على مثابرتهم وسعة أفقهم وحرصهم على نشر الدعوة، ولن يغيب عن البال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ) وجهوده في ذلك وما لاقاه في رحلاته من المشاق الصعبة ، لكن لم تثن عزمه أو تحول بينه وبين هدفه حيث وصل إلى بلاد الهند وقرأ على مشائخها رحمه الله. (١)

وبالنسبة لأهالي الحجاز فقد اهتم علماء الحجاز ووجهائمه بالسفر والتنقل والترحال ، وتزداد أهمية رحلاتهم بالنسبة لموقع الحجاز ، ومكانة البلاد المقدسة في أفئدة المسلمين ، وعلاقة الاتصال لاتقطع بين أبناء الحجاز وديار الإسلام، وإن كانت في أقصى البلاد مثل الصين وأندونيسيا وبلاد المغرب العربي ، بل وإن هنالك أسراً بأكملها كان تنتقل بين الحجاز- ذهاباً وإياباً - وتلك الديار، وهنا نشير إلى رحلات بعض الشخصيات في فترة البحث ممن اشتهرت رحلاتهم وكان لها آثار مفيدة منهم :-

١- الشيخ عبدالله الخطيب وحفيده أحمد بن عبداللطيف ، وكان عبدالله ممن هاجر إلى أندونيسيا بعد استيلاء السعوديين على الحجاز (سنة ١٢١٨هـ) ، وتأثر بدعوتهم فهاجر للتجارة ونشر العقيدة السلفية ، فتزوج هناك وأنجب الشيخ عبداللطيف الذي أنجب بدوره الشيخ أحمد المولود سنة ١٢٧٦هـ والذي عاد صغيراً إلى مكة المكرمة مع جده المذكور وأسرته ، فثابر على طلب العلم في الحرم المكي. وأما جده عبدالله فقد عاد إلى (سومطرة) ولما نبغ أحمد بن عبداللطيف وحصل قدراً كبيراً من العلوم أخذ على عاتقه الدعوة إلى الله ، ونشر العقيدة السلفية متنقلاً بين الحجاز وأندونيسيا، ولاتزال آثار دعوته وكتبه الكثيرة التي ألفها تتداول في المكتبات الأندونيسية، حيث تذكر المراجع أنه ألف ما يقرب من خمسة وأربعين مؤلفاً في شتى العلوم، توفي سنة ١٣٣٤هـ (٢).

٢- الشيخ أبوبكر محمد عارف بن عبدالقادر بن محمد علي خوقير الكتبي المكي الحنبلي ولد بمكة المكرمة، واشتغل بطلب العلم ، عكف على مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب فشغلت ذهنه مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام ، فبذل جهده في

(١) محمد القاضي : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٨.

(٢) عمر عبدالجبار : سير وتراجم ص ٣٨.

الدعوة إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وأخذ يتردد على الهند لجلب كتب السلف ونشرها بمكة المكرمة، وإنتهز الفرصة لنشر عقيدة السلف في الهند ومجالسة أشهر علمائها ومناقشتهم وتلقي العلم منهم وأعماله وجهوده في هذا السبيل مشهورة ناله الأذى بسبب سلفية عقيدته ومحاربتة البدع والمنكرات وسجن في مكة المكرمة زمناً ، توفى سنة ١٣٤٩ هـ .. (١) ومن هذا القبيل ما كان يقوم به الشيخ عبدالقادر بن مصطفى التلمساني الذي كان مصرياً وفد على مكة المكرمة مع منتصف القرن الثالث عشر، وكان أشعري المعتقد بعد دراسته في الأزهر بمصر، وتعاطى التجارة وكان لتعامل الشيخ أحمد ابن إبراهيم بن عيسى معه ودعوته أثر في تحوله إلى عقيدة السلف ظاهراً وباطناً واعترافه بأنها الأسلم والأحكم والأعلم ، فباشر الشيخ التلمساني نشر عقيدة السلف وطبع الكتب الكثيرة على نفقته وتوزيعها مجاناً(٢).

(١) عمر عبدالجبار : مرجع سابق ص ٢٢ وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٣٧.

(٢) عبدالله البسام : علماء نجد ج ١ ص ١٥٧ وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦٠.

ثانياً: سفراء الدعوة :

ما دام الحديث في هذا الفصل عن أسفار الدعاة ورحلاتهم وجهودهم في هذا الميدان فنشير هنا إلى نموذج آخر من هذه الجهود، ونعني بها السفر أو السفارة في مهمات محددة، والتي قام بها بعض الدعاة في بعض البلاد وفي مناسبات معينة، موفدين من قبل قادة الدعوة. وإذا كانت استفادة الدعاة من هذه الوسائل مبكرة مثل غيرها من الوسائل المتعددة التي اتبعها الدعاة لابلغ دعوتهم، وشرح أهدافها والدفاع عنها، فننبه هنا إلى أن الجهود من هذا القبيل ابتدأت من حين قيام الدعوة الإصلاحية عند ما درج الدعاة على إرسال المرسلين، وإيفاد الموفدين، وبعث المبعوثين بالرسائل المتنوعة (شفهية ومحركة) لإيضاح أهداف الدعوة، والمثابرة على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فجرى بعث السفراء إلى اليمن والحجاز وغيرها (١) مقتدين بإمام الدعاة المبعوث رحمة للعالمين (صلى الله عليه وسلم) في منهجه وطريقته في الدعوة: فقد بادر عليه السلام بإرسال المرسلين والموفدين إلى الرؤساء والزعماء يدعوهم إلى الإسلام، بعد ما رآه من انتصار الإسلام وانتشاره في بلاد العرب بعد صلح الحديبية بخاصة، وليؤكد عليه السلام ما كلف به من دعوته الناس أجمعين؛ لكون رسالته عامه شاملة فوجه رسله بكتب منه إلى الملوك والرؤساء في سائر الجهات كما ذكر ابن هشام في السيرة . (٢) .

ومع انتشار الدعوة وكثرة اتباعها وتعدد علاقتها مع القوى المجاورة ازدادت الحاجة إلى إرسال السفراء والموفدين لشرح أهداف الدعوة وكشف الشبه المثارة ضدها. ففي بلاد اليمن مثلاً بعد أن أصبح كثير من أهالي اليمن تواقين إلى زيادة المعرفة عن الدعوة وأهدافها، والمساعدة في نشرها لديهم والإنصواء تحت لوائها، فكان من أهم الجهود في هذا السبيل إرساله أربعة علماء من الدعاة الموهوبين سنة ١٢٢٢هـ يعلمون الناس أمور دينهم أصولاً وفروعاً ، بعد أن وفد من عسير وفد على قيادة الدعوة بالدرعية وبايعوا وطلبوا إرسال العلماء المذكورين . (٣)

(١) حسين بن غنام : روضة الافكار ج ١ ص ٨٣، ج ٢ ص ٩٠ وأحمد دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٢٨ .

(٢) ابن هشام : السيره النبوية ج ٤ ص ٣٧٨ .

(٣) مؤلف مجهول : لمع الشهاب ص ١٢٨ .

كما سافر الشيخ القاضي عبدالعزيز بن حمد بن عبدالوهاب بن مشرف (١١٩٠-١٢٤١هـ) سبط (١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب في سفارة إلى إمام صنعاء (المنصوري بالله) فمكث مدة في اليمن ينشر الدعوة ويقوم بالتدريس للطلبة ويشرح أهدافها للخاصة والعامّة، فكفى في مهمته حيث كان صاحب عقل راجح وفكر ثاقب ولسان بليغ كما يقول عنه البسام . (٢) وقال عنه ابن حميد :

((باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان ، عجباً في الحفظ والاستحضار، داهية في مجادلات الملوك والأمراء، وأرسله سعود سفيراً إلى إمام صنعاء فكفى ما أرسل فيه وسمعت مشائخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة)) (٣) كما اشتهر الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرف برحلته إلى مصر مع زميله الشيخ عبدالله بن محمد بن بنيان موفدين من قبل قيادة الدعوة بعد غزو جزيرة العرب من قبل العثمانيين والمصريين في أوائل القرن الثالث عشر وذلك لعرض شروط الصلح على محمد علي ، وهو الصلح الذي تم بين الإمام عبدالله وطوسون باشا قائد القوات المصرية التركية، فاخترت قيادة الدعوة هذين العالمين الفاضلين لهذه المهمة الشاقة، وحسب رواية ابن بشر أن الرسولين قد نجحا في مهمتهما ونجح الصلح وانتظم.(٤) وليس هذا مكان دراسة الصلح ومدى نجاحه كما يقول ابن بشر أو عدم نجاحه كما يقول غيره من المؤرخين. (٥) وإذا كان ابن بشر باعتباره مؤرخ الدعوة في تلك الفترة إلا أنه كان بعيداً عن موقع الحدث ومادار بين المبعوثين ومحمد علي ، وجهود الموفدين بهذا الخصوص ولاشك أن واقع الدعوة آنذاك المتمثل في المواجهة الشرسة بين الدعوة وأعدائها، والغارة الشعواء الموجهة

(١) سبط الرجل ابن ابنته .

(٢) عبدالله البسام : علماء نجد : ج١ ص ٤٤٣ .

(٣) محمد بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص ١٠٦ (مخطوط).

(٤) ابن بشر : عنوان المجد ج١ ص ١٨٥ .

(٥) الجبرتي : عجائب الآثار ج٤ ص ٤٩٣ . Philby, Arabia, p.

للدعوة والمتمثلة في ذلك الجيش اللجب المغير على بلاد العرب ، ومحاولة الصلح وإنفاذ ما اتفق عليه، لتجنيب العباد والبلاد تلك الفتنة يعطي لهذه السفارة وجهود السفيرين أهمية كبرى لايمكن التقليل من شأنها فكان أن تحدث عنها وما جرى فيها المؤرخون الذين عاينوا الحدث كالجبرتي وبركهارت. وما قال الجبرتي :

((وفيه (٨/١٠/١٢٣٠هـ - ١٩ يوليو ١٨١٥هـ) وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبدالله بن سعود والذي تولى بعد أبيه كبيراً على الوهايبية وأن عبدالله ترك الحرب والقتال وأذعن للطاعة وحقق الدماء، وحضر جماعة من الوهايبية نحو العشرين نفرأ من الأنفار إلى طوسون، ووصل منهم اثنان إلى مصر فكان الباشا لم يعجبه، هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ولم يحسن نُزُل الواصلين، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وما قالاه :

إن الأمير عبدالله لين الجانب والعريكة يكره سفك الدماء على طريقة سلفه الأمير عبدالعزيز المرحوم، فإنه كان مسالماً للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة ، وأكثرأ من الكلمات والعبارات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحل الذي أمر بالنزول فيه ومعهما بعض الأتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما في الركوب والذهاب والإياب ، فإنه أطلق لهما الإذن إلى أي محل فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويفرجان على البلدة وأهلها ودخلا إلى الجامع الأزهر وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه- وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقبل انقرضوا من أرض مصر بالكلية واشتروا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبعوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك، وقد اجتمعتُ بهما مرتين فوجدتُ منهما أنساً وطلاقة لسان واطلاعاً وتضلعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطابة والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم احدهما عبدالله والآخر عبدالعزيز وهو الأكبر حسا ومعنى)). (١)

(١) الجبرتي : المصدر السابق ج٤ ، ص ٤٩٣

ويتحدث الرحالة السويسري (جون لويس بركهارت) عن علم هذين الرسولين وفضلهما وجهودهما بخصوص المهمة الموفدين من أجلها لدى الباشا بما ملخصه :

(الثناء على علمهما وفضلهما، ويذكر أن علماء مصر استأنسوا بهما وأطمأنوا إليهما بعد سماع كلامهما ومناقشتهما، مشيراً إلى أن أحد الرسولين من ضباط سعود والثاني ويدعى عبدالعزيز من أقارب مؤسس الدعوة، كان عالماً كبيراً أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه وعمق إدراكه بحيث كان يستفسر عن كل شيء من الأمور العامة ولا يقتصر على الأمور الدينية). (١)

وذكر ابن حميد وبخاصة ما يتعلق بالشيخ عبدالعزيز بن حمد بعد أن ذكر أثر رحلته في اليمن ((ثم أرسله عبدالله بن سعود سفيراً إلى والي مصر محمد علي باشا في الصلح فلم يتم لتشدده عليهم حسب تأثير السلطان محمود عليه بقتالهم ، ولقاصد له باطنية ودنيوية ، ثم ذكر ثناء الجبرتي على الرسولين وجهودهما في سبيل نجاح مهمتهما وعلمهما وفضلهما)) (٢) . وهكذا عرضنا فيما سبق لما نَوَّنه المؤرخون عن أحوال هذين السفيرين وكيف كانت معاملة المصريين لهما وموقفهما مما يعطي بعض البيان عن جهدهما الذي بذلاه في هذه الرحلات مما هو شديد الصلة بالدعوة ، ويدخل في نطاق أعمال الدعاة لخدمة الدعوة والدفاع عنها بكل وسيلة.

وبالنسبة لجهود الدعاة في هذا السبيل وفي ظل تلك الظروف السيئة وبالرغم من الفشل الذي أصاب مهمة هؤلاء الموفدين التي أشرنا إليها فقد واصلت قوة الدعوة مثابرتها لدى محمد علي بهذا الأسلوب قال ابن بشر :

((وفي سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م) أرسل عبدالله بن سعود حسن بن مزروع وعبدالله بن عون إلى محمد علي بمصر بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح فلما قدموا عليه في مصر وجدوه قد تغير)) (٢) وابن بشر يقصد بهذا التغيير أن محمد علي نقض الصلح في حين أن الوثائق التاريخية تدل على أن محمد علي ما كان موافقاً على الصلح في يوم من الأيام إلا أنه ما كان يصرح بذلك للسفراء

(١) Burkhardt, travels in Arabia Vol 2. P.113

(٢) ابن حميد : مصدر سابق مخطوط ورقة ١٠٦

(٣) ابن بشر : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٧.

السلفيين ومن هنا وَهَمَّ من ظَنَّ من النجديين موافقة الباشا على الصلح ، ولكن ابن بشر يعلل سبب نقض الباشا للصلح بتأثير بعض الأهالي من القصيم والبوادي الذين زخرفوا له القول فنقض الصلح (١) . ومهما يكن الأمر فالقصد من هذه المقالة الإشارة للسفرات والرحلات التي جرت بهذا الخصوص حينئذ وأثرها على الدعوة .

وإذا كانت بلاد اليمن من الديار التي حاول أعداء الدعوة السلفية تشويه صورتها هناك فقد بادر أتباع الدعوة بِردِّ تلك الشُّبُه بإرسال الموفدين لهذا الغرض، واستمروا في مقاومة ذلك الاتجاه والحرص على بث دعوتهم وبيان حقيقتها للناس؛ وإضافة لبعث قادة الدعوة الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرف (١١٩٠ - ١٢٤١هـ) في سفارة إلى الإمام منصور بصنعاء في أوائل القرن الثالث عشر (٢) - كما سبق في مطلع هذه الفقرة - فقد استمر قادة الدعوة في جهودهم بعد ذلك ببعث الرسل والموفدين إلى تلك الديار وقد كان لمهامهم نتائج محمودة ، وكان من هؤلاء عبدالله بن المبارك الأحسائي وعبدالعزيز بن أحمد (٣) وحفيظ الدوسري (٤) وجملة من مطاوعة نجد منهم : الأمير محمد ويوسف القرماني، ومحمد بن سعدون بن مانع ، وعبدالله بن محمد بن هويشل (٥) ومن جهود رجال الدعوة ما قام به الامير محمد أحمد السديري (٦) من جهود في بلدان الساحل

-
- (١) ابن بشر : نفس المصدر والجزء والصفحة .
 - (٢) عبدالله البسام : علماء نجد ص ٤٤٣ .
 - (٣) قد يكون الشيخ عبدالعزيز بن حمد المتقدم .
 - (٤) ذكر هؤلاء الثلاثة ، لطف الله جفاف : درر نحو العين بسيرة الإمام منصور وأعيان دولته الميامين (مخطوط) ورقة : ١٣ ، ٤٤٩ .
 - (٥) عبدالله أبو داهش : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية ص ١١٣ ولم أعثر لهم على تراجم .
 - (٦) محمد بن أحمد بن سليمان السديري استعمله الأمير عبدالله بن ثنيان والإمام فيصل بن تركي على الأحساء والساحل الشرقي، خدم هو وأسرته الدولة السعودية منذ دورها الثاني حتى الآن ، أثنى عليهم ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٣ وذكر الفاخري (الأخبار النجدية) ص ١٧٦ ، إنه في سنة ١٢٨٠هـ ارتحل محمد بن أحمد السديري من أمارة القصيم إلى الأحساء ليكون أميراً عليها من قبل الإمام فيصل .. كما ذكر ابن عبدالقادر : تاريخ الأحساء ج ١ ص ١٦٧ ، إن المترجم له كان أميراً في الأحساء سنة ١٢٨٤هـ ولهذا لم أتأكد من تاريخ وفاته وإن كان بعد سنة ١٢٨٤هـ .

الشرقي من جزيرة العرب أميراً للإمام فيصل بن تركي في قطر وعمان وغيرهما في مُدَرِّ
محددة مما كان له آثار كبيرة في تثبيت الأمن وضبط الأمور ونشر الدعوة السلفية في تلك
النواحي (١) ..

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٢، ١٣٣.

الباب الخامس

الشعر وتأثيره في الدعوة وجهود الشعراء

مقدمة :

هذا الباب محاولة للكشف عن واقع الدعوة في الإطار الزماني والمكاني المحددين من خلال النصوص الأدبية (الشعر وجهود الشعراء) ورصد للمواقف بين أنصار الدعوة وخصومها (داخل الجزيرة وخارجها) اعتماداً على الآثار الشعرية دون سواها وليس المقصود هنا تفصيل الدعوة وقضاياها من جديد، وإن كان الشعر بعد دخول الميدان قد صال وجال مدافعاً ومهاجماً في القضايا المتعلقة بالدعوة، وهي القضايا الرئيسية التي سبق الحديث عنها مثل : مسائل التوحيد، وقضية التكفير والقتال والاجتهاد والتقليد والولاء والبراءة والهجرة، إضافة إلى أغراضه التقليدية من مدح وهجاء ورتاء والخوض في السياسة ومدح الأئمة من العلماء والحكام، وذم المعارضين وغير ذلك من القضايا . وفي هذه المقدمة نلخص أهمية الشعر للدعوة وعلاقته بها .

وإذا كانت وسائل الدعوة وجهود الدعاة التي أشرنا إلى بعضها قد عالجت قضايا العقيدة بأسلوب فريد ومنهج إسلامي واقعي صحيح؛ يعتمد على النصوص الواردة في الكتاب والسنة مما جعل من جهودهم وجهادهم قذائف حق موجهة، وصواعق مرسله على الباطل وأعدائه. فإن الشعر عندما نزل الحلبة لم يكن أهون شأنًا أو أضعف سلطاناً .

ومع الأيام أصبح الشعر وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وأداة معبرة عن حال الأمة وواقعها، خلافاً لمن يرى أن الشعر-آنذاك- لم يكن يعطي صوراً حقيقية عن بيئة الشاعر ومجتمعه، ومستوى حياته المادية والروحية، وأن الشعر لم يُعبر عن الجوانب الروحية في حياة الأمة إلا بقدر ضئيل جداً؛ حيث أغراضه لم تخرج عن إطار المديح والهجاء والرتاء إلا فيما ندر (١). وأن موضوعاته وأغراضه تقليدية لم تتغير لتواكب الحركة الإصلاحية (٢). ولاشك أن هذه الأقوال اجتهادات لا مبرر لها، لأن ما نسوقه في الفقرات التالية يرد هذه الأقوال على ما نوضحه في الآتي:-

(١) عبدالله بن ادريس : شعراء نجد المعاصرون ص ٢٣، ٢٤.

(٢) محمد بن سعد بن حسين : الأدب الحديث في نجد ص ٣١.

فلو بحثنا في علاقة الشعر بالدعوة في الفترة التي اعتبرناها تأصيلاً وتأسيساً للدعوة في القرن الثالث عشر، ونعني بها الفترة الواقعة قبل نهاية القرن الثاني عشر، والتي رافقت قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته؛ لأمكن القول إن الشعر جاء متأخراً -آنذاك- عن الأغراض والوسائل الأخرى التي استفاد منها الدعاة من حين قيام الدعوة (١): كحركة التأليف وغيرها من فنون النثر، وبعض الجهود الأخرى كالجهاد والرحلات والأسفار. مما دفع ببعض الباحثين إلى الحكم ((بأن الشعر كان أثراً من آثار الدعوة في العقيدة والتاريخ، وتتممة لهما، لأن فيه رصد للأوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية، وبخاصة بعد دمار الدرعية. تلك الأوضاع التي أهمل الحديث عنها المؤرخون، أو شوهُوا حقيقتها بفرط الحب أو بفرط البغض)) (٢).

وهذا القول مع ما فيه من الغموض لا يمكن التسليم به، فالشعر ليس أثراً من آثار العقيدة والتاريخ، لأن الدعوة الإصلاحية فجرت الفكر وأفاقته من سباته الطويل، وكشفت عن الأمة غشاوة الشرك والضلال، وانجابت عنها ظلمة الجهل والتخلف، والشعر وإن أتى متخلفاً شيئاً يسيراً عن النثر فلا يدل على تأخر تأثره بالدعوة، ليكون أثراً من آثارها التاريخية، فمن الثابت أن الشعر يأتي دائماً بعد النثر؛ فأصل التخاطب بين البشر هو النثر بأنواعه ثم الشعر بعد؛ كما أن قولنا بتأخر الشعر ليس المراد عدم وجوده بل المراد عدم استقلاله والاستفادة منه استفادة كبيرة للدفاع عن الدعوة وشرح أهدافها كغيره من فنون التأليف، كما حصل بعد فترة، كما أن تأخر المعارضين في استعمال الشعر ضد الدعوة أدى إلى عدم الاهتمام به والركون إليه في حينه، وعندما أدخله المعارضون في المعركة سلك الدعاة نفس المسلك.

فالشعر لم يكن لهذه الدعوة مجرد رصد للأوضاع السائدة، ولو كان كذلك لهان أمره، وقل اعتبره ! بل تعبيراً عن الدعوة والأمة كلها وأوضاعها وجزء منها، وسلاحاً مهما في ميدان الدعوة والجهاد، قبل كارثة الدرعية وبعدها، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فالمؤرخون لم يهتموا بالحديث عن تلك الأوضاع التي قطب رحاها الدعوة؛ بل إن المؤرخين -وأكثرهم علماء ودعاة- بذلوا

(١) محمد بن حسين : المرجع السابق ص ٢١.

(٢) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ص ٥٩

جهودهم نثراً وشعراً لرصد واقع تلك الفترة. فيمكننا القول إن بواكير الشعر بنوعيه الشعبي والفصيح قد وجدت مع ظهور الدعوة في منتصف القرن الثاني عشر الهجري بل قبل ذلك (١)، وإن كان الشعبي منه أسبق وجوداً آنذاك في نجد من الفصيح؛ لكونه كان الأكثر شيوعاً نتيجة الأمية التي عمت البلاد والتي كانت أثراً من آثار التخلف الفكري والركود الذهني إلى درجة يصف معها بعض الباحثين الوضع بقوله :

((أما الشعر فهو في نجد عامي لاتجد فيه نمة من فصاحة، أو إثارة من عروبة لقد استطاعت العامية أن تلّف نجداً قلب العروبة النابض ومنهل العربية الفياض، بعد أن تحول الشعر العربي الفصيح إلى نبطي يدل على غربة شديدة بليت بها تلك الصحراء القاحلة، وإن الباحث ليحار في ذلك أشد الحيرة)) (٢). وقد يتأيد هذا بأن أول شعر سمعناه عن الدعوة وإمامها في نجد كان شعراً شعبياً نبطياً للشاعر حميدان الشويعر المتوفي حوالي سنة ١١٦٠هـ وكان مما قال(٣):

النفس وإن جت لمحاسنها	فالدين اخيار مكاسبها
كأنك للجنة مشتاق	تبغى النعيم بجانبها
اتبع ما قال الوهابي(٤)	وغيره بالك تقربها

وقوله قبل ذلك في قصيدة أخرى :

الدين أبعير خرج أربع (٥)	والخامس دين البياضية (٦)
ماهمن ذيب بالعوجا	همن عود بالدرعية

-
- (١) بكري شيخ أمين: المرجع السابق ص ٦٠
- (٢) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٧٩.
- (٣) عبدالله الحاتم : خيار ما يلتقط من الشعر النبط ج ١ ص ١٤٥، ١٥٩.
- (٤) مراده محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .
- (٥) أبعير خرج أربع : الخرج في الأصل وعاء من شعر أو غيره ذو عدلين يحمل على ظهر الدابة، أربع: أي أربع أرجل وهو يقصد أربعة المذاهب (الحنبلي والشافعي والمالكي والحنفي)
- (٦) البياضية : مذهب الإباضية ، نسبة إلى عبدالله بن إباض القاعسي التميمي (ت ٨٦هـ) من الخوارج وهم فرق كثيرة يكفرون مخالفيهم من الأمة، ويستولون دماغهم وأموالهم تختلف طوائفهم في موقفهم ممن سواهم انظر : عبدالقادر الجرجاني : الفرق بين الفرق ص ٥٤، ٨٢.

وإن كنا بالنسبة للشعر العربي الفصيح لم نسمع شيئاً في ذلك الحين في نجد يتعلق بالدعوة، بل إن أول ما سمعناه من شعر يتعلق بها من خارج نجد كان على لسان العالم اليمني الأمير محمد الصنعاني الذي يقول في ديوانه :

((ولما طارت الأخبار بظهور عالم نجدي يقال له : محمد بن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣هـ وأرسلناها عن طريق مكة المشرفة ومطلعها:

سلامٌ على نجدٍ ومن حلٌ في نجدٍ وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

إلى آخر القصيدة التي يمتدح فيها الشيخ ابن عبد الوهاب ودعوته)) (١) . وإذا نظرنا في قصيدة الصنعاني وأمثاله كقصائد أحمد الحفظي العسيري (ت ١٢٢٣هـ) ممن أيدوا الدعوة مبكراً وفي أماكن بعيدة نجد أن لشعرهم غرضاً واحداً هو الثناء على الدعوة وامتداح إمامها وتأييد اتجاهه في الإصلاح الديني ومحاربه البدع والمنكرات ، فقد نظم أحمد بن عبدالقادر الحفظي أرجوزة يشرح فيها أهداف الإمام بدعوته وأنه لم يأت ببديعة، بل عمله إحياء منهج السلف الصالح بقوله فيها(٢):

شيخُ الهدى محمدُ المهدي الحنبلي الأثري الأحمدي

ولكن نجدُ في نفس الوقت وفي بلاد اليمن موقفاً مناقضاً لهذا الاتجاه من الشعراء الذين تأثروا بالدعاية السيئة التي جاءت مبكرة ضد الدعوة الإصلاحية، فنجد الشاعر اليمني محسن بن علي الحازمي (ت ١٢٢٩هـ) يردد التُّهم المنتشرة في نجدٍ والحجاز والتي رُمي بها أتباع الدعوة من تفسير القرآن بأهوائهم ، ورفض كتب السلف وتكفيرهم وقتلهم المسلمين، وسببي النساء وغير ذلك من الأقاويل التي ذكرها الحازمي في شعره وأورده لطف الله جحاف(٣).

ولكن يبقى الشعر قليل العلاقة والأثر بالدعوة في أيامها الأولى وبالذات في نجد، وما وجد منه خارج المنطقة وفي الجنوب على وجه الخصوص ، كما يبقى للشعر في الغالب غرض واحد هو

(١) محمد الصنعاني : ديوانه ص ٧٧ .

(٢) أحمد عبدالقادر الحفظي : نفحات من عسير ((ديوان شعر القصائد أسلاف آل حفظي

جمع محمد الحفظي)) ص ١٥٠ .

(٣) لطف الله جحاف : درر نحو العين - مخطوط - ورقة ٢٢٤ وما بعدها

شرح أهداف الدعوة كما قلنا مع ما يعتريه من ضعف وقلة نتيجة للركود الذهني والتخلف الفكري والاجتماعي الذي كان سائداً نتيجة الوضع الديني والسياسي المتردي في المنطقة. (١)

ويستمر الشعر في ركوده وعدم تأثيره وتأثره في الدعوة وبها، وإن سار إلى الأمام فبخطى بطيئة وأسلوب هادٍ لا يؤثر كثيراً، حتى جاء طور الجهاد من قبل دولة الدعوة والدعاة، ورفع راية القتال، فكان للحماس المصاحب للجهاد في سبيل الله دوره في أن يفجر قرائح الشعراء ويلهب حماسهم وينضم إلى ركب الدعوة علماء وشعراء أفذاذاً من خارج نجد .

وهكذا بدأ الشعراء المدافعون عن الدعوة بلسانهم يسيرون في صف واحد مواز مع إخوانهم المجاهدين بسنانهم يجاهدون معهم في خندق واحد. وكان من أوائل ما قيل قصيدة ابن غنم التي مطلعها (٢).

نفوسُ الوريِّ إلا القليلُ ركونها إلى الغيِّ لا يلقى لدين حنينُها
فسلُّ ربِّكَ التثبيتُ أيُّ موحَّد فأنتَ على السمحاءِ بادٍ يقينُها
وغيرُك في بيد الضلالةِ سايرُ وليس له إلا القبورُ يدينُها

ويبقى ابن غنم شاعر الدعوة ومؤرخها الوحيد بلا مناس، ومع مطلع القرن الثالث عشر وبعد وفاة ابن غنم سنة ١٢٢٥هـ خلا ميدان الشعر من فرسانه وما بقي في الشعر من صباغة قليلة تتمثل في البدايات الأولى للشاعر أحمد بن مشرف (٣) أسكته سيوف المصريين ومدافعهم، يقول عنه أحد الباحثين: ((وإذا كان لابن مشرف فضل في هذه الفترة فهو يتجلى في رسمه صورة لمجتمع دبت فيه الفوضى، وساد الذعر وأريققت الدماء، وشرد الدعاة والعلماء وأخرست أفواه الشعراء)) (٤)، ودبت الفتن والنزاعات بين الأهالي والبلدان فانشغلت الأمة بتضميد جراحها ولم شملها عن فنون الإبداع والعطاء الفكري بما في ذلك الشعر، الذي نلاحظ أنه كان كغيره من فنون التأليف والعلوم وقضايا الفكر الأخرى التي ترتبط بواقع المجتمع وحال الأمة الديني والسياسي .

(١) عبدالله الحامد : مرجع سابق ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٨ .

(٢) ابن غنم : روضة الافكار ج ٢ ص ٨٢ ط الهند .

(٣) حسان وقته ، الشاعر أحمد بن علي بن مشرف التميمي الوهبي، ولد بالأحساء، على الأرجح، وأخذ العلم عن علمائها حتى أصبح إماماً فاضلاً سلفياً، وأديباً شاعراً. ولي قضاء الأحساء حتى توفي سنة ١٢٨٥هـ وقد إلى نجد وأقام علاقات قوية مع علماء الدعوة وقادتها في نجد (ابن عيسى : عقد الدرر ص ٥١ وابن قاسم : الدرر السنوية ج ١٢ ص ١٤ وابن عبدالقادر : تاريخ الأحساء ص ٤٠١)

(٤) بكري شيخ أمين : مرجع سابق ص ٦١ .

فعندما ابتليت الأمة في دينها على يد القوى الغازية وسقطت دولة الدعوة سنة ١٢٢٣هـ وحل الاضطراب والفوضى كان نصيب الشعر من هذا الاختلال وافراً، بعد أن قطع شوطاً لابأس به متأثراً بالأوضاع الدينية والسياسية والمكانة التي صعدت إليها الأمة وارتقت بها إلى سنا مجدها. وثمرة من ثمرات الدعوة الإصلاحية، وبعد عودة الأمور إلى مجراها الطبيعي في منتصف القرن الثالث عشر، ونهوض الدعوة من كبوتها أسرع الشعر الخطى إلى المجد والسمو في وثبة أسرع وأكثر شمولاً وأوسع آفاقاً من ذي قبل. فكثرت الشعراء المدافعون عن الدعوة والمنافحون عنها في مقابل كثرة الخصوم وهجمتهم القوية عليها، ويمثل الشعر في تلك الفترة وسيلة مهمة وسلاحاً ماضياً لابأس به في يد المعارضين، مما فرض على الدعاة مواجهة الأعداء بنفس السلاح ويحماس وقوة أشد، وكان على رأس هؤلاء الشعراء المجيدين والمجاهدين بلسانهم وسنانهم الشاعر أحمد ابن مشرف وسليمان بن سحمان وعبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب بومحمد ابن عثيمين (١) وغيرهم في نجد، علاوة على أنصار الدعوة من الشعراء في عسير والأحساء بل لم يتوقف تيار الدعوة وتأثيره على الشعر في جزيرة العرب فوصل إلى فارس حيث نجد الشيخ الأديب الملا عمران بن رضوان (٢) يعجب بالدعوة الإصلاحية وأثرها فيتحدث عنها بعدة قصائد منها قصيدة طويلة تُظهر مدى تأثره بالدعوة وأثرها لديهم ومما قال (٣) :

(١) محمد بن عبدالله بن عثيمين، ولد سنة ١٢٧٠هـ بالسلمية بالخرج، اشتهر شاعراً، تنقل بين نجد وعمان وقطر ومدح أمراءها ثم استقر في بلد أسرته (حوطة بني تميم) توفي سنة ١٣٦٣هـ (عبدالله ابن إدريس: شعراء نجد المعاصرون ص ٥٨ ومقدمة ديوانه).

(٢) الملا عمران بن علي بن رضوان، من سكان (لنجة) ببلاد فارس، من أعيان القرن الثالث عشر، كان شاعراً على نهج العلماء في الشعر، ممن سير حقيقة الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وأعجب بها وناصرها ودافع عنها وغازله موقف المعارضين ومقتهم لها ولأتباعها فقال عدة قصائد مادحاً لها توفي مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري دون معرفة سنة وفاته (الملا عمران: أرجوزة شعرية (مخطوط) بجامعة الملك سعود رقم ١٦٣٩/٢٩م وابن سحمان: الضياء الشارق ضمن الأسنة الحداد) للمؤلف ص ٣٦٥.

(٣) سليمان بن سحمان: المصدر السابق ص ٣٦٥.

فأثأهمُ الشلخُ المشأرُ إله بالذُ
صدح المبينِ وبالكلام الجيُـد
يدعُوهُمُ لله أن لا يعبُدوا
إلا المهيمن ذو الجلال السرْمدي

فكان من ثمار ذلك الأثر المبكر والمقدرة للشعر أن استطاع الشعر العربي الفصيح أن يزاحم الشعر العامي الذي كان رائجاً وأن يتسلم منه زمام القيادة في هذا الجانب والتقليل من شأنه حتى أصبح للشعر دوراً لا بأس به في تأثيره في واقع الأمة مما سنوضحه في الآتي :-

الفصل الأول

الخصائص الموضوعية في شعر الدعوة

سبق الإيضاح عن البدايات الأولية للشعر وعلاقته بالدعوة، وبداية تأثره بها، واستفادة الدعوة منه سلاحاً من أسلحتها إلى أن وصل إلى مرتبة متقدمة ومكانه عالية مكنت له بالتدرج أن يؤدي دوراً لا بأس به، ويؤثر تأثيراً قوياً في أوضاع الأمة، وواقع الدعوة في القرن الثالث عشر الهجري حيث تعددت موضوعاته وتنوعت أغراضه .

و كان من أهم أهداف شعرهم شرح أهداف الدعوة والدفاع عنها ومعالجة قضاياها الرئيسية، والرد على خصومها ومعارضيتها وهو ما نسميه الخصائص الموضوعية في شعر الدعوة، أو في شعر النزعة الإسلامية كما يسميه البعض (١). تأتي بعد ذلك الموضوعات التقليدية ومنها الهجاء والمدح والوصف والرثاء والبكاء والشكوى.

فنبدأ في هذا الفصل بالحديث عن الخصائص والأغراض الموضوعية ومنها :

أولاً : شرح أهداف الدعوة :

إن شرح أهداف الدعوة وأفكارها يعتبر أهم موضوع عالجه الشعراء، وهو أول موضوع يطالعنا من أغراض الشعر سواء في قصائد موجهة إلى معين أو قصائد عامة توجه إلى الناس (٢) يدفع ناظميه الحماس الشديد في نصرة الحق، أو الاستيلاء من التزوير والبهتان والظلم الذي رميت به الدعوة وأتباعها ممن سلمت قلوبهم من الحقد والحسد وخلصت نفوسهم من الهوى والهوان، ويتأكد هذا عندما ننظر في موقف الشوكاني وقبله شيخه الصنعاني في اليمن وأحمد الحفظي العسيري وقومه، وأحمد بن مشرف في الأحساء والذي أقام زمناً بنجــــد وعبدالرحمن بن طوق (٣) بالأحساء

(١) عبدالخالق مصطفى : النزعة الإسلامية في شعر مدرسة الإحياء بالملكة العربية السعودية ص ٥٧ .

(٢) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ٩٧ .

(٣) عبدالرحمن بن عبدالله بن طوق وأل طوق من أهل الدرعية نزحوا إلى الأحساء مع جملة من نزح لما

استولى عليها إبراهيم باشا (عبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد ص ١١٤) وابن طوق من معاصري الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بعد منتصف القرن الثالث عشر، وهو ممن اقتنع بمبادئ الدعوة الإصلاحية، ودافع عنها في بلاد الأحساء وله صلوات ودية حميمة مع أعلامها وبالأخص الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (رحمهم الله) ويظهر أن وفاته كانت مع بداية القرن الرابع عشر.

كذلك والملا عمران بن رضوان بفارس علاوة على شعراء الدعوة بنجد مثل ، عبدالعزيز بن حمد ابن معمر وعثمان بن بشر والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وسليمان بن سحمان ومحمد بن عثيمين وغيرهم، وفي مقابل تلك الجهود قد لاننسى دور معارضي الدعوة وفي مقدمتهم أحمد زيني دحلان ومحمد العيدروس في الحجاز وداود بن جرجيس في العراق وتلميذه عثمان بن منصور التميمي في نجد ومن سبقهم في الأحساء والزيير ونجد ويوسف النبهاني في الشام وغيرهم، فمواقف هؤلاء المعارضين كثيراً ما تثير حفيظة المدافعين، وتدفع المؤيدين إلى نظم الشعر عفواً وإن لم يكن كثير منهم شعراء مجيدين أو محسوبين على دولة الشعر، فمما قال العالم النبيل محمد بن علي الشوكاني في الإمام ابن عبدالوهاب في قصيدة طويلة عن دعوته شارحاً أفكارها وأهدافها (١).

وقام على الإسلام جهراً وأهله نعيق غراباً بالمذلة هائلاً

والى ان قال :

ويأمر بالمعروف في كلِّ حاله وعن منكر ينهى وليس يُقابل
ولم يألُ جهداً في نصيحة مُسلم برأى وتدبيرٍ وحسنِ تعاملٍ

والشيخ أحمد بن محمد الحفظي وابنه محمد بن أحمد من بلاد عسير من أوائل من أيد الدعوة، وعرف أهدافها فبادر الأب إلى نظم أرجوزة يشرح فيها أفكار الدعوة، وأن الداعية الإمام لم يأت ببدعة جديدة أو مذهب جديد بل يحيى آثار السلف (٢). وقال ابنه الشيخ محمد بن أحمد الحفظي عن جهوده في سبيل الدعوة في منطقة اليمن :

((ولم نزل نناضل عن الشيخ ودعوته ، وناظر عن الأمير وطريقته، وقد كتبت إلى بعض

ملوك اليمن وقضاتها منظومة قلتها في ذلك منها (٣)

(١) عبدالرحمن القاسم : الدرر السنية ج ١٢ ص ٢١، ٢٢

(٢) إبراهيم الحفظي : نفحات من عسير ص ٥٠

(٣) محمد بن أحمد الحفظي : اللجام الكمين ص ٥٣ (ومراد الحفظي) بالشيخ : محمد بن عبدالوهاب

والامير : عبدالعزيز بن محمد آل سعود (رحمهم الله).

والحقُّ أولى أن يُجابَ وإنمّا لم أدُرْ ما حَيَلُوهُ المُتَحَيِّـل
 إن كان ظناً ذاك مخالـف فهو البرئُ من الخِلافِ المُبطل
 بل قام يدعو الناس للتوحيد والتـ جريد والتفريد للرب العلي

وتذكر بعض المصادر أن سبب قبول أشرف المخلاف السليماني الدعوة السلفية سنة ١٢١٧هـ - ١٨٠٢م هذه القصيدة التي بعث بها الشيخ محمد أحمد الحفظي إلى القاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي (١) يستميله فيها ويدعوه إلى قبول دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب. (٢) ولكن من الباحثين من يقول أن هذه القصيدة لم تكن في الغالب هي السبب (٣).

ومما قال عالم الأحساء (حسان وقته) (٤) الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بعد ثنائه على أنصار السنة من العلماء (٥) :

وَحَمَى حِمَى التَّوْحِيدِ مِنْ شِبْهِ العِدَى وَضَلَّاهُمْ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَامِ
 وأدلة التوحيد ألف شملها فازاح ليل الشك والاهام
 ومشاهد إشراك هدأ بناها بدليلٍ وحي قاطعٍ وحسام

وبعد وفاة شاعر الدعوة أحمد بن مشرف يستلم الراية بعده (مهامي الدعوة) سليمان بن سحمان في وقت اشتعلت فيه نيران الحرب الفكرية بين الدعوة وخصومها، فكان مما قال شارحاً أفكار الدعوة ومثنياً على الإمام (٦) :

-
- (١) عبدالرحمن بن حسن بن علي البهكلي ، ولد بابي عريش سنة ١١٤٨هـ وأخذ العلم ثم رحل إلى زبيد للتزود بالعلم ، تولى قضاء أبي عريش وألف الكتب توفي سنة ١٢٢٤هـ (محمد زيارة : نيل الوطر ج٢ ص ٢٦ والزركلي : الأعلام ج٣ ص ٣٠٤ وعبدالله أبوداهش : اللجام الكمين - محقق - ص ٢٠)
- (٢) الحسن بن أحمد بن عاكش : الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليماني (مخطوط) ورقة ١٩
- (٣) عبدالله بن محمد أبوداهش : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة العربية ص ٢٣ .
- (٤) عبدالرحمن القاسم : مرجع سابق ج١٢ ص ١٤ .
- (٥) أحمد بن مشرف : الديوان ص ٩٨ .
- (٦) سليمان بن سحمان : ديوانه المسمى (عقود الجواهر) ص ٤٨٩ .

قد أَلَفَ الشَّيْخُ فِي التَّوْحِيدِ مُخْتَصِرًا يكفي أَخَا اللَّبِّ إِيضَاحًا وَتَبْيَانًا
 فِيهِ الْبَيَانُ لِتَوْحِيدِ إِيَالِهِ بِمِـــــــا قد يَفْعَلُ الْعَبْدُ لِلطَّاعَاتِ إِيمَانًا
 حُبًّا وَخَوْفًا وَتَعْظِيمًا لَهُ وَرَجَا وَخَشْيَةً مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ إِذْعَانًا
 كَذَلِكَ نَذْرًا وَذَبْحًا وَاسْتِغَاثَتْنَا وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْمَعْبُودِ مَوْلَانَا
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُـــــــه لَهُ مِنْ طَاعَةٍ سِرًّا وَإِعْلَانًا

وبعد فهذه نماذج وإن كانت مختصرة فهي منتخبة من نماذج شعرية مختلفة الاتجاهات والثقافات ومتباعدة البلدان، نظمت في مناسبات مختلفة لكن غرضها واحد، وهو بيان أهداف الدعوة وأفكارها وغاياتها، وما دام هذا أول الأغراض الشعرية المتصلة بالدعوة ومن ثم تعتبر بدايات شعر الدعوة. فجاء هادئاً في أسلوبه وأفكاره، بخاصة لدى الأوائل كالشوكاني والحفظي وقبلهم الصنعاني وابن غنم والبدايات لشاعر الأحساء أحمد بن مشرف ولم يوجد الشعر قوياً إلا في مواكبة الكتاب المحاربة بعدما أثاره المعارضون لقضايا هامة مرتبطة بالدعوة كمسائل التوحيد والعقيدة، وإن جاء دوره متأخراً بالنسبة للقضايا المثارة كقضية القتال والتكفير والاجتهاد والتقليد وزيارة القبور وشد الرحال إليها، وقد تتأيد هذه الوجهة عند البحث في الموضوع الثاني وهو شعر الدفاع عن الدعوة.

ثانياً : شعر الدفاع عن الدعوة :

وبالنظر إلى أسلوب الشعر في ميدان الدفاع عن الدعوة والرد على خصومها نلاحظ ان الشعراء سلكوا نفس أسلوب الدعاة في نثرهم عند بيان أهداف الدعوة والدفاع عنها والرد على خصومها، فذات القضايا المتعلقة بالعقيدة عالجاها الشعراء مستندين على أدلة العلماء وأقوالهم، وقد صاغها الشعراء نظماً بأسلوب شعري مما حدى ببعض الباحثين ان يصف ابن مشرف وابن سحمان بلقب نظام وليسوا شعراء (١). وإذا كان هؤلاء سواء اعتبرناهم شعراء أو نظاماً قد بلغوا في الشعر مرتبة عالية أهلتهم إلى أن يكونوا رواده في زمنهم فمن الممكن القول إن أسلوب الشعراء سلك مسلك العلماء في الدفاع عن الدعوة كان ذلك مرده لسببين :-

(١) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية ص ٨٠

أحدهما : أن أكثر شعراء الدعوة مثل علمائها وحكامها علماء متضلعين بخلاف شعراء الشعر العامي فأكثرهم ليسو علماء فالشيخ القاضي أحمد بن مشرف والشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن والشيخ سليمان بن سحمان علماء فطاحل لهم السبق واليد الطولى في العلم قبل الشعر.

ثانيهما : أن الشعراء درسوا وتخرجوا على أيدي علماء كبار كالشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه والشيخ حمد بن معمر وعبدالله أبا بطين وعبدالرحمن بن حسن وغيرهم، وعلى كل فالشعراء كانوا مدركين لأهمية منهجهم الشعري وفوائده، يقول الشيخ أحمد بن مشرف في منظومته (جوهرة التوحيد) الطويلة (١) :

من أجل ذا أحببت أن أولفا فيه كتاباً موجزًا كي يُعرفا
فاخترتُ نظمه لكنّ النظم أقربُ للفهم وضبط الحُكم

ونحن عندما نبحث في شعر الدفاع عن الدعوة والذي دار النقاش حوله لا يمكننا فصل شعر الدفاع عن شعر معالجة القضايا الأخرى للتلازم الوثيق بينهما ولأن المعارضين إنما هجموا على الدعوة بالتحريف والتزوير والبهتان ضد أتباعها لموقفهم من هذه القضايا التي يؤولها الخصوم اما بالتشدد كقضية القتال والتكفير أو البدعة في الدين كقضية الاجتهاد؛ فانبرى الشعراء للرد والدفاع عن الدعوة وعن مبادئها وأهدافها، وكذلك شرح وبيان صحة موقف الدعاة من القضايا التي دار حولها الجدل والنقاش. وعلى كل الاحوال يمكن القول إن شعر الدفاع عن الدعوة واكبتها في جميع مراحلها، ولكنه عني بالذات بجانبها الفكري بما فيه قضايا العقيدة التي حصل الجدل فيها لأن أكثر المهاجمين كانوا يهاجمون فكرة الدعوة أكثر من حركتها، وبدأ شكل الدفاع المجرد وشرح أفكار الدعوة بأسلوب هادي ثم أخذ في التطور والتحول تدريجياً إلى أسلوب قوي حاد كما ظهرت النقائض بين شعراء الدعوة وشعراء الأقطار الأخرى، والنقائض اخذت في أولها مأخذ الدفاع من

(١) أحمد بن مشرف : الديوان ص ٩ وقوله : (فيه كتاب) أي في التوحيد كما صرح به في بيت سابق في القصيدة.

الجانبيين ومناقشة الأفكار التي يؤمن بها كل فريق ، لكن العوامل المؤثرة في تلك الأفكار ما لبثت أن حولت الخلاف إلى هجاء سياسي ديني مذهبي (١) . وأصبح أسلوب المعارضة بين شعراء الدعوة ومخالفهم عنصراً مهماً من عناصر المواجهة بين الطرفين. ومن أوائل المعارضات ما كتبه الشيخ راشد بن خنين من الخرج وهو من معاصري الشيخ الإمام قصيدة تعتبر من أوائل القصائد المعارضة ومما قال فيها (٢) :

وكن قاصداً بالسير منك زيارة	لمن حلها رغباً لأنف الممازق
فمن قال لاتشدد رحالك نحوه	على القصد بل في ضمن شئ مطابق
فقد خالف الإجماع منه ضلالة	فسحقاً لمن يتبع ضلالة مسـارق
فزاد قبره إن الزيارة سنـة	على كل مشتاق إليه وشائـق

ويظهر انه لم يكن في الميدان من يتأهل للرد عليه من شعراء الدعوة حيث لم يكن هناك في الساحة سوى ابن غنم عند البدايات الأولى للشعر، وقد رد عليها ابن سحمان بعد ذلك كما سيأتي . وكان من أشد الانتقادات الموجهة للدعوة ما نظمه الملا أبوبكر بن عبدالرحمن الأحساني (٣) من هجاء الشيخ ابن عبدالوهاب واتباعه ورميهم بالدواهي العظام، والأوهام التي لا تطاق مما لا يحكيها عنهم هن شـم رائحة الإيمان والإسلام كما يقول ابن سحمان، ومما قال (٤) :

بدت فتنة كالليل قد غطت الأفقا	وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا
فأظلمت الأرجاء من شرها الذي	استطار بما أغوى جهاراً وما أشقا
تزلزل منها الدين أي تزلزل	وكادت تهـي من شرها العروة الوثقى

وعندما قام إبراهيم باشا بغزو الدعوة، نظم عثمان بن سند الوائلي النجدي ثم البصري قصيدته

-
- (١) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة ص ٩٨ .
(٢) سليمان بن سحمان : الأسنة الحداد ص ٢١٦ وقد أورد ابن سحمان من هذه القصيدة تسعة أبيات .
(٣) أبوبكر بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الملا الحنفي ، فقيه وشاعر ولد سنة ١١٩٨هـ بالأحساء له مؤلفات لم تطبع، قرأ عليه جماعة من علماء الأحساء توفي سنة ١٢٧٠هـ (ابن عبدالقادر : تاريخ الأحساء ج ٢ ص ٣٩٨ وفي الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٧٠ إن وفاته بمكة المكرمة).
(٤) ابن سحمان : مصدر سابق ص ٢١٦

الدالية أقذع فيها في سب المسلمين ومقتهم، ومطلعها (١) :

لقد فتحت للدين أعينه الرمد لدى لاح من بين السيوف له السعد

فرد عليه الشيخ أحمد بن مشرف ناقضا نظمه بقصيده مطلعها:

الليل غشا الدنيا ام الافق مسود أم الفتنة الظلما قد أقبلت تعدو؟

ومن الملاحظ أنه بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وذهاب جيله من المعارضين وبعد غزو الدرعية وبعدهما أحسه الخصوم من أن الدعوة قد قضى عليها، ولم تقم لها قائمة فقد هدأت العاصفة وسكنت الأكسن، لكن بعد أن نهضت الدعوة من كبوتها وعاد لدولة الدعوة نشاطها وارتفع بنيانها من جديد، واشتد ساعدها على يد من بقي من أبنائها، عندئذ اشتعلت نار الخصومة من جديد حيث لم تنم أعين الأعداء ولم تسكت أزاء هذا التحول العظيم للدعوة مع منتصف القرن الثالث عشر، فعادت تلك الحرب الضروس التي سلاحها الشبّه والأقاويل الباطلة فعادت الأقواه المفرضة والأكسن الحاقدة تنفث سمومها، وتروج لمواقفها هنا وهناك، وكان عل رأس تلك الفتنة القائمة داود بن جرجيس البغدادي الذي سبق أن أشرنا إلى مسلكه المناهض للدعوة وخطورته، فقد بدأت الحرب تشتعل بين الطرفين من جديد بعدة أسلحة فكرية منها الشعر، وكان من جهوده نظم القصائد التي تدعو إلى الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم؛ من صرف خصائص الربوبية والألوهية لغير الله تعالى كما هو صريح الأبيات المذكورة في البردة (للبوصيري ٦٠٨-٦٩٦هـ) وتشطيرها لداود ابن جرجيس (٢) ومنها قول الناظم (٣) (البوصيري)

ياخير من يمم العارفون ساحته فحصلوا من نذاه أوفر القسم

ومن رجاه فما ان خاب حيث أتى سعيا وفوق متون الأنيق الرسم

ومنها ايضا وتشطيرها لداود (أي أن أحد الشطرين في البيت للبوصيري والآخر لابن جرجيس):

(١) ابن مشرف : ديوانه ص ٥١

(٢) عبدالرحمن بن حسن : مجموعة الرسائل والمسائل ج٢ ص ٢٣٦ ج٤ ص ٢٢٤ .

(٣) عبدالله ابابطين : الدرر السنوية ج٩ ص ٣٦٦ ومجموعة الرسائل ج٢ ص ٢٣٦ .

فإن لي ذمة منه بتسميتي	كاسمه ذا مقام السعود سمي
شاركته بحروف الاسم حيث غدى	محمداً وهو في الخلق بالذمم
إن لم تكن في معادي أخذ بيدي	ومنقذي من عذاب الله والآلم
أو شافعا لي فيما جنيت غداً	فضلاً وإلا فقل يازلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه	فيرجعن منه صفر الكف ذا عدم
فلا يظن به يخيب ذا أمـل	أو يرجع الجار منه غير محترم

فما كان من بعض الطلبة النجديين إلا الإنكار على ابن جرجيس (١) ، بفتوى من الشيخ عبدالله أبا بطين في وجوب ذلك وكان داود بن جرجيس أحد تلاميذ الشيخ أبا بطين حين مرّ ابن جرجيس بالقصيم فدرس على الشيخ أبا بطين ، وقد انبرى العلماء في نجد وخارجها لتأليف ونظم القصائد للرد على ابن جرجيس ونقض أقواله وباطله وبيان خطرها على الأمة ، من هؤلاء الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين والشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف ابن عبدالرحمن بنجد ومن خارجها نعمان الألويسي من العراق (٢) ، ومحمد بن ناصر التهامي الحازمي من عسير (٣) فأخذ الشعراء من الجانبين ينقضون ويدافعون ويهاجمون ، وكان من المهاجمين من ناصر ابن جرجيس في دعاويه الباطلة في نجد وخارجها ، قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رده المسمى (الجواب المنشور في الرد على ابن منصور) :

((ولما وصل إلي نجد مصنف داود بن جرجيس في تقرير استحباب دعاء الصالحين من أهل القبور والاستغاثه بهم وما اشتمل عليه من الشبه والضلالات التي يسميها بزعمه حججاً وبيانات...وقد ردّ عليه من انتصب لنصرة دين الإسلام وبيان تحريف الضالين وانتحال المبطلين، منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف وغيرهما مطولاً ومختصراً، فأرغم الله به أنوف

(١) عبدالله أبا بطين : مصدر سابق ج ٩ ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ وما بعدها .

(٢) كتاب (شقائق النعمان في رد شقائق داود بن سليمان).

(٣) كتابه (ايقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الاخوان - مخطوط - ورقة ٢ وما بعدها).

المنافقين وغصت به حلوق الضالين، فأنشأ عثمان بن منصور منظومه أثنى فيها على هذا الملحد ومدح طريقته والتوجد على لقائه، وحثه على مَسَبَّة أهل الإسلام وعلماهم والرد عليهم وتسميتهم خوارج وجبرية ، وهذا نصها (١) ((

خليلاي هلا تنظراني لحاجة
حتى تنقضي الحاجات مني رسالة
لرد رسوم يستضاء بضوئها
أقيما فواقا من نهاركما البدر
الى الجسر من بغداد بالود واليسر
تفوح عبيراً من أصدائها الشقر
إلى آخر القصيدة.

وقد تناول علماء الدعوة وشعراؤها موقف ابن منصور بالتعنيف والازدراء والنقض منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن من ذلك قوله: (٢)

وحال الذي نشأ القريض ضيافةً
فبعداً لها محقاً لها من رسالة
لعقيدة البهتان منهوكة السِتر
مضيفها ما خاف من موقف الحشر
وكان ممن رد على ابن منصور شعراً الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ومما قال (٣) :
على وجهها المرسوم بالشوم والغدر
فإن سودتها كف بغّي وغادر
شمائل زيغ لاتزال مدى الدهر
فأقلامنا بالرد أنهارها تجري
ومما قال :

هدية عثمان إلى شر صاحب
مؤيدة حزب الضلال وشيعة
بها من صريح الإفك أخبث مورد
وهي طويلة تربو على خمس وخمسين بيتا .
إلى الجسر من بغداد بالود واليسر
الى درك النيران أعمالها تسري
وإن ظنّها الجهال من خالص التبر

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : ضمن الدرر السنية ج ٩ ص ٢٤٨

(٢) عبدالله البسام : علماء نجد ج ٣ ص ٦٩٦ .

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الجواب المنشور (ضمن الدرر السنية) ج ٩ ص ٣٤٩ .

وناقضه أيضاً أحمد بن مشرف بقصيدتين، مطلع الأولى : (١)

وقفتُ على نظمٍ لبعض بني العصر تضمّن أقوالاً بقاتلها تُـزري
ركيكُ قوافٍ صاعِها فتكسرتُ وحاصلها كالعجلِ مُستوجبِ الكسرِ

ومما قال :

تصدى لها حُبُّ الزمانِ ونجلُهُ (٢) فرداً وهداً ما بناه في القُـر
وقد بينا للناس ما في كلامهِ من الزيفِ والإفراطِ والحيفِ والنكرِ
بأوضح برهانٍ وأقوم حُجّةٍ لها قدر الشيخانِ بالنظمِ والنُـر

ولما بلغت قصيدة ابن مشرف الشيخ عبدالرحمن بن حسن أعجب بها ثم استزاده فأجاب ابن مشرف ومما قال في القصيدة الثانية : (٣) .

يا ظبيّة البانِ بل ياظبيّة الدور هل أنتِ من نسلِ حواٍ أو من الحور؟
الصُـبُح من وجهك الأسنى الصبح بدأ والشعر داجٍ بظلماءٍ وديجُـور

إلى آخر القصيدة :

وممن ردّ على ابن منصور الشيخ حمد بن عتيق والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى والشيخ عبدالعزيز حسن (٤) قاضي "ملهم" مما لا يتسع المجال لنظمهم (٥). وممن ناقض أقوال ابن جرجيس وتلميذه ابن منصور وانتصر لموقف الشيخ عبدالرحمن بن حسن تلميذه عبدالرحمن ابن محمد المانع الوهبي (٦) ومما قال :

(١) أحمد بن مشرف : الديوان ص ٢٩ .

(٢) الحبر : هو الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونجله: ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن.

(٣) أحمد بن مشرف : ديوانه ص ٣١ .

(٤) عبدالعزيز بن حسن بن يحيى الفضلي القحطاني ولد سنة ١٢٣١هـ في ملهم وأخذ العلم عن قاضيها الشيخ محمد بن مقرن ثم تولى القضاء في ملهم بعد شيخه أثنى على علمه وفضله ابن بشر توفي سنة ١٢٩٩هـ (ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ١٣٥ وابن عيسى : عقد الدرر ص ٨٣ والبسام : علماء نجد ج ٢ ص ٤٤٢ والقاضي : روضة الناظرين ج ١ ص ٢٦٢).

(٥) انظر نماذج شعرهم في كتاب : علماء نجد للبسام ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٦) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله المانع الوهبي التميمي، ولد بشقراء ونشأ في بيت علم وصلاح، حتى =

ولما طغى على العراقِ بجهلِهِ
رماهُ كما يُرمي الرّجيمُ بثاقبِ
وباءَ ابن منصورٍ بارغامِ حُجّةِ
وغروره مألّفُوه من الهنّذرِ
فراح ابن جرجيس على الذلِّ والصغرِ
ودحض قولِي بالبوارِ وبالخُسْرِ

وهي قصيدة طويلة من بحر الطويل (١).

واللدالة على خطورة أقوال ابن جرجيس التي فجرت الحرب الشعرية بين المؤيدين والمعارضين نعود إلى موقف بعض المؤيدين له ، ونورد نماذج من شعرهم، ونشير هنا إلى أن أنصار باطل ابن جرجيس وبخاصة في العراق قد كثروا وبالذات بعد أن أحس أعداء الدعوة بضعفها بسبب ضعف أنصارها من آل سعود الذين أذهب حكمهم الشقاق والإختلاف ، ولسوا لينها مع نهاية القرن الثالث عشر، فوجهوا إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، ونذكر من أولئك المعارضين محمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة، وزميله أحمد زيني دحلان وأمين حنش العراقي ويوسف النبهاني ومحمد الكسم من الشام وجميل الزهاوي العراقي وزميله عبدالصمد بن أحمد السناني ويوسف شبيب الكويتي وزميله حسين بن الشيخ حسن بن حسين، وأكثر هؤلاء وغيرهم تولى الرد عليهم فأخرس أفواههم، وأسكت أصواتهم شعراً محامي الدعوة سليمان بن سحمان رحمه الله !
فهؤلاء المعارضون يمكن أن نعتبرهم عالة على ابن جرجيس، وهو قدوة سؤلهم ((ساء مثلاً القوم الذي كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون. ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون)) (٢). وداود بن جرجيس وجماعة مدرسته يعيشون في العراق وفي الساحل وأطراف نجد، مما يمكن أن نسميه الجناح الشرقي للدعوة، الذي لا يقل في أهميته عن الجناح الغربي حيث الحرمان الشريفان والأعداء التقليديون للدعوة الإصلاحية من الأشراف والأتراك وأتباعهم، فجاء في المقابل ، وما يُكوّن المعادلة الحسابية في عداوة الدعوة !وممن وُجد في الجناح الغربي أحمد

= اصبح عالما فاضلا، ولي قضاء القطيف ثم استوطن الأحساء وتوفي سنة ١٢٨٧هـ (ابن عيسى: عقد

الدرر ص ٥٩. وابن عبدالقادر: تاريخ الأحساء ص ٢٠٤)

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر ص ٥٦.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٧٧، ١٧٨.

زيني دحلان داعية التحريف والزيغ والضلال. الذي لا يقل خطره عن ابن جرجيس بل إنه أشد منه خطراً لوجود قوى سياسية تدعمه وتروج لأفكاره الضالة أكثر مما يوجد لدى ابن جرجيس - إضافة لأسباب أخرى سبق أن أشرت إليها- في العراق ونواحيه. فشاعت إرادة المولى عز وجل امتحانا لهذه الأمة، وابتلاء لعباده أن تمتحن هذه الدعوة وأتباعها بهذين المنحرفين، ليتولى كل منهما كبر الترويج والنقل، والتفخيم لما أسسه أسلافهم وأشياخهم من المعارضين للدعوة ، من معاصري الإمام محمد بن عبد الوهاب فحقق هؤلاء الخلف بالنزور والبهتان والباطل ما عجز عن تحقيقه أسلافهم ابتلاء و امتحان لأمة الإسلام.

ولهذا قرن الشيخ سليمان بن سحمان بينهما في كثير من شعره من ذلك قوله في أحد ردوده موجهها شعره إلى أحد علماء الحجاز ممن أجاز التوسل ويدعى محمد العيدروس الحضرمي الحجازي (١).

قصاراك أن تلقى الكُماة فتندما	فيايها المكّي اقصر فإنما
ليبتني من الكفران رُكنا مهّدا	فكم من أخي جهل أتى من شقائه
قد اقترحا كذباً وإفكاً محرّما	كَنجَلِ بن جرجيس ودحلانِ إذهُما
وناصره نال الشقاء المُحتمّا	ممن دام خذلانا لدينِ مُحَمَّد
إذا ما تحسأها سُمّا وعلقمّا	سنسقيه بالبرهان كأس رويّة
وقد فوقوا نحو المُعادين أسهُما	فللدين أنصارُ حماة تجرّدوا

ولو أجرينا مقارنة بين موقف هذين المعارضين لوجدنا أن داود بن جرجيس بني أقواله على تأويل أقوال بعض العلماء وبخاصة ابن تيمية وابن القيم، متعلقاً بأشعار بعض الغلاة كالبيوصيري والصرصري وغيرهما، وترديد الأقوال التي تدعو للغلو والتبرك، والتعلق بالقبور وغيرها من المنكرات والبدع نثراً كانت تلك الأقوال أو شعراً، ولكن أحمد زيني دحلان علاوة على هذا المسلك المشين درج على الكذب والنزور على الشيخ ابن عبد الوهاب وأتباعه، وإيراد القصص والخيالات الشيطانية التي ما أنزل الله بها من سلطان !! وهي التلفيقات التي نقلها عن سبقة كادعائهم بأن الإمام ابن عبد الوهاب -رحمه الله - كان يريد النبوة وغير ذلك من التهم والشبّه. ومنهم كذلك من قال إنه أتى

(١) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٢٥.

بدين جديد أو مذهب خامس أو أنه يدعو لتوحيد نفسه، وكان أول من مؤه بهذه الدعاوي الباطلة سليمان بن سحيم وممن ردها الشاعر محمد بن أحمد الحفظي العسيري بقوله (١).

ولم يزل يدعو إلى دين النبي
أو ذهباً أو مذهبا يُريدُ
ليس إلى نفس دعا أو مذهبٍ
وإنما مطلوبه التوحيدُ
يَعْلَمُ الناس لمعاني اشهد
ان لا اله غير فرد يعبد

الى أن قال :

هَذِي مَعَانِي دَعْوَةِ الشَّيْخِ لِمَنْ عَاصَرَهُ وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ السُّنَنِ

وعلى منوال ابن داود الزبيري والعلوي في المقت والترزير واختلاق الدعاوي الباطلة والأقوال السمجة التافهة سار أحمد دحلان الشافعي الملكي في خط مواز لسير داود بن جرجيس الخالدي النقشبندي البغدادي فأصبحا (رضيعا لبان في الغواية والجد) (٢). وبالنسبة للشعر فقد نظم أحمد دحلان عدة قصائد لفق فيها على الإمام نفس التلفيقات والترهات التي ساقها في كتابيه (الدرر السنية، وفتنة الوهابية) وسار على نهجه كثير من أعداء الدعوة ممن تلقفوا أقواله الممقوتة وعظموها، وركنوا إليها حتى غدت إنجيلهم المقدس، ساء ما كانوا يعملون أمثال جميل الزهاري ومختار العظمي ومحمد عطا الكسم ومصطفى الشطي وغيرهم .

وكتب مصطفى رمضان البولاقى (ت ١٣٦٣هـ) صاحب مصر الذي كان ينتقد الإمام محمد الصنعاني في موقفه من البدع المحدثه أبياتا يهاجم بها الدعوة وأتباعها مشيراً إلى أن هناك بدعاً يجيزها الدعاة كأدوات الحرب الحديثة والقهوة مدلاً بهذا على جهله وعدم تفريقه بين المباحات والبدع في الدين، قال البولاقى : (٣)

وها أنتُموا قد تَفْعَلُونَ كغَيْرِكُمْ
وكم بدع زادت عن الحد والعُدُ
حوادث قد جاءت عن الأب والجدُ

(١) ابن سحمان : الاسنة الحداد ص ٩٢.

(٢) ما بين القوسين عجز بيت من قصيدة رد فيها سليمان بن سحمان على أحمد دحلان : بالديوان

ص ٥٦ ورضيعا لبان : نظيران متكافئان.

(٣) سليمان بن سحمان : كشف غياهب الظلام ص ٣٣٣.

فَرَدُّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَبْدِ اللطيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِأبياتِ مِنْهَا . (١)

وأعجب شيء أن عدت لقهوةٍ مع الحرب بالبارود من بدع الضد
وقد كان في الإعراض سرُّ جهالةٍ غدوت بها من أشهر الناس في البلد
ومما قال ابن سحمان في أحمد زيني دحلان في قصيدته التي عنوانها (مفتريات ودفاع) ويعد
الحمد لله وشكره والثناء عليه . (٢)

وبعد فاني قد رأيت رسالَةً لدحلان لاتدعو لخير ولا تهدي
تجاوزَ فيها الحدَّ وانحطَّ في الردِّ وسطر هطما لأيفيد ولا يجدي
وأودعها من كل زورٍ ومُنكَّرٍ وفحشٍ وبُهتانٍ وأقذع في الردِّ
وجاوز في الإطراء من الحد ماله تداعى الجبالُ الراسياتُ إلى الهدِّ
بتعظيمه المعصوم خيرة خلقه من الهادي إلى أكمل الرشدي
وقد قال بدعوى النبوة الشنعاء قبل الدحلان شاعر الأحساء الملا عبدالرحمن بن عمرو الملا فرد عليه
ابن سحمان بقوله : (٣)

وأعظم من هذا ضللاً وفريَةً مقالته الشنعا بمن أظهر الحقاً
بأن قال دعواه النبوة ظاهراً وذأ فريَةً منهم على أنه الأتقا
ومما قال ابن سحمان في منظومته الأخرى (دعوى باطلة) رداً على الدحلان : (٤)

فإن كان ديناً خامساً دين أحمد شفيع الوري الهادي إلى منهج الرشدي
لديكم ومن يأتي به متوهَّبٌ على خير دين المصطفى الكامل المجدي
بدعوى ذوي الإِشراك والكفر والردِّ وتلقيبهم أهل الهدى بالذي يُردي
فنشهدكم إننا على ذاك الذي أتانا به المعصوم أفضل من يهدى
وإن كان قد سماه أعداء دينه ليشنأ ديناً خامساً قول ذي الألدِّ

(١) ضمن : كشف غياهب الظلام ص ٣٢٣ .

(٢) ابن سحمان : الديوان ص ٣٠ - ٦١ .

(٣) ابن سحمان : الألسنة الحداد ص ٢١٩ وديوانه ص ١٤٤ .

(٤) ابن سحمان : ديوانه ص ٦٢ .

وقبل أن ننتقل من هذه الفقرة الخاصة بشعر الدفاع عن الدعوة، ومن ذلك شعر المناقصات بين الدعاة ومعارضيه، نشير كذلك إلى أن شعراء تلك الفترة قد أجادوا في شعر المعارضة الذي هو قوي الصلة بفقرات البحث، والتي مفهومها كما في القاموس الأدبي هو : (أن ينظم الشاعر ما نظم الآخر متقيداً بالموضوع والبحر والقافية سواء وافقه في المعنى أو خالفه) (١) ويذهب بعض الباحثين إلى أن فن المعارضة يكاد يسيطر على شعراء تلك الفترة، حيث يكثر هذا في شعر أحمد ابن مشرف وسليمان بن سحمان ومحمد بن عثيمين، (٢) وقصائد المعارضات تكثر لديهم في شعر الثناء والإعجاب والنصح والتوجيه والإرشاد، ومحاولتهم محاكاة الشعراء الكبار ممن سبقوهم والاستفادة من تجربتهم .

ثالثاً : معالجة قضايا الدعوة :

لقد كانت الأغراض الموضوعية أهم ما في شعرهم وأكثره بخاصة لدى الشعراء الذين لهم تأثيرهم وعلاقتهم القوية بالدعوة مثل ابن مشرف وابن سحمان وعبد اللطيف بن عبد الرحمن. والناظر في شعرهم يجد منهجهم في معالجة قضايا الدعوة لا يقل في أهميته وأسلوبه عن طريقتهم في شرح أهداف الدعوة، وكذلك لا يخرج عن نهج العلماء في تفصيل قضايا العقيدة والاهتمام بها والرد على المبطلين والمعارضين، وإن صاغوا أفكارهم وأقوالهم بأسلوب شعري منظوم يؤدي دوراً مهماً لا يقل عن النثر؛ إن لم يكن أشد وقعاً وأقوى أثراً كما في شعر سليمان ابن سحمان الذي يوضح الهدف الهام من شعره في رده على أحد معارضيه الذي يمقت ابن سحمان بأنه شاعر وليس عالماً بالاحكام، فعليه أن يقول لا أدري، ويقول (٣) :

أقول نعم إنني لبا لشعر عارف إذا شئتُ أن أهجو به من أناضِلُهُ
وأبذل في ذات الإله قصائدي وأردى بها من شاع في الدين باطلُهُ

(١) عبدالله بن عبد الخالق مصطفى : النزعة الإسلامية في شعر مدرسة الإحياء ص ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق ذات الصفحة وما بعدها .

(٣) ابن سحمان : الديوان ص ١٧٧ .

وماكنت مدأحاً متاكسلاً
 خلا أنني أهجو به كل ملجيد
 ولا كنتُ ذمماً لمن قلُّ نائلُ
 وقد أعجبَ القدمُ الغبيُّ بنفسه
 يجادلنا في ديننا ونجادلُ
 وأن أمراً يهدى القوائد نحونا
 فظن سفاها أننا لا ننازلُ
 لفي سكره فيما يرى ويحاولُ
 كمتبضع تمرأ لخبير ضلُ
 وجهلاً بمن يهجوهُ ممن يُقَابِلُ

كما يشير ابن مشرف في منظومته (جوهرة التوحيد) إلى إهمية الشعر في القصيدة وبيان تصحيح مسارها، والمساعدة في الفهم وضبط الأحكام (١).

ورغبة في البيان والايضاح مع الاختصار نلخص أهداف الشعراء في هذا المجال والقضايا التي تعرضوا لها في قضايا رئيسة منها:

بيان معتقدتهم وإثبات صحته وسلامته ، وتبرير موقفهم والرد على الفرق الأخرى المعارضة، ونشير بهذه المناسبة إلى أن بعض الباحثين قد قام بدراسة نقدية مطولة مفيدة عن موقف الشعراء من هذه القضايا، وإن كان في تلك الرسالة بعض الأقوال التي تحتاج إلى مناقشة (٢). وننبه هنا إلى أن وقوفنا على حال الدعوة وواقعها من خلال ثنايا الشعر وبخاصة عند معالجه القضايا العقيدة، يشد انتباهنا أكثر، ويساعد في الكشف عن بعض الأمور والقضايا التي جرى فيها البحث، وحصل فيها النقاش، واحتدم حولها الجدل، مما قد يرينا مشاهد ما كنا شاهداها لولاه عندما واجهت البلاد والعباد - عدا الهجمات العسكرية - جحافل فكر وجيش شبه ، وصددمات رأي ، أخذت تلف البلاد لفاً؛ وتطحن الأمة طحناً، لتدوس الأخضر واليابس ، ومثل هذه المواقف عكسها لنا وصورها في أجلى صورها، شعر (حسان الدعوة) أحمد بن علي بن مشرف وبعده (محاميا) سليمان بن سحمان ومن هنا سيكون اعتمادنا على شعرهما ونقاشهما لأنهما أكثر من عايش الفترة التي نتحدث عنها. ولأنهما كذلك يكونان الصورة المعبرة المثلى لجيلهما، ولن سبقهما ومن أتى بعدهما ؛ ولأقدميتهما وطول باعهما وكثرة تركيزهما على قضايا العقيدة التي اهتمت بها الدعوة

(١) ابن مشرف : الديوان ص ٩ .

(٢) بكري شيخ امين : الحركة الادبية ص ٦٢ ومابعدها .

وقد زادت أبيات هذا الثنائي من الشعراء عن عشرة آلاف بيت، ألفان وخمسمائة بيت نَظَمها أحمد ابن مشروف وما تبقى فهو ثمانية آلاف لابن سحمان، أكثرها في الحديث عن الدعوة، وبخاصة العقيدة. وفي هذه الجزئية من البحث ندرس ثمرات آرائهما في النقاط الهامة التي عالجها الشعراء عامة وهي : عقيدة التوحيد، وصفات الكافرين والمسلمين، وعندما نورد هذا التقسيم فليس القصد أن شعرهم اقتصر على هذه الجوانب أو أن محور حديث الشعراء عن هذه القضايا كان تكراراً مملاً لا فائدة فيه. (١) والذي نؤوله أن التكرار له ما يبرره؛ فهو ناتج عن تكرار مواقف الدفاع عن الدعوة وشرح قضاياها؛ فكل معارض يجاب عما اعترض به ويرد عليه. (٢) كما أن تباعد بلاد المعارضين واختلاف اتجاهاتهم وسوقهم الاعتراضات والمجادلة بطرق مختلفة ومناسبات متعددة كان يفرض على الدعاة هذا التعبير المتقارب الذي قد يأخذه البعض على أنه تكرار للأراء والردود، وهنا كان لأسلوبهم هذا أكثر من مبرر. ونظراً لأهمية هذا الغرض واهتمام الشعراء به كان لا بد من زيادة الأمر إيضاحاً بهذا الخصوص في الجزئيات التالية:-

(أ) موضوع الشرك والأسباب المؤدية إليه :

لقد كان الشرك مما ركزت عليه الدعوة في موضوع العقيدة وتثبيتها، لأن التوحيد هو الركيزة الأولى للإيمان والإسلام، فإذا صلحت العقيدة صلح ما سواها، والشعراء لم يبالغوا في التركيز عليه كما يذكر البعض (٣). بل أعطوه ما يستحق من الشرح والبيان حسبما هو مقرر شرعاً ومطلوب من هؤلاء الشعراء وغيرهم من الدعاة. ومما قال ابن مشرف في جوهرة التوحيد(٤).

(١) بكري شيخ أمين : المرجع السابق ص ٦٣.

(٢) عبدالله الحامد : المرجع السابق ص ٩٩ الهامش .

(٣) بكري شيخ أمين : مرجع سابق ص ٦٤.

(٤) أحمد بن مشرف : الديوان ص ١٧

والشُّرْكُ نوعانِ فَشُرْكُ أَصْفَرُ
بالأصفرُ الرياءُ والتَّصَنُّعُ
ونسبَةُ الشَّيْءِ إِلَى الأسبابِ
نَحْوَ أَصَبْتُ المَالَ بالتَّكْسُبِ
ومنه أيضاً قولُ : لو كانَ كَذاً
والحُلفُ من ذاك ولو بِمُحْتَرَمٍ
والأكْبَرُ : المُحِبُّ للأَعْمَالِ
يُحْصَرُ في ثلاثةِ أقسامٍ

وَضُدُّهُ وهو الذي لا يُغْتَفَرُ
للخَلْقِ والسُّمْعَةُ ممن يَسْمَعُ
مُنْخَرِطٌ في سَلَكِ هذا البَسَابِ
أنى لي الثَّرْوَةُ لَوَلا تَعَبِي
لَكَانَ هَكَذَا وَلَمْ يَكُنْ كَذاً
شَرَعاً وكُفْراً إِنْ يَكُنْ بالكالصنمِ
أَعادَنَا اللهُ مِنَ الضُّلالِ
كلُّ يَنافي مِلَّةَ الإِسْلامِ

ويقول عن التوحيد :

وذلك التوحيدُ في العِبادةِ
فهي له في غايةِ المَحَبَّةِ
والذَّبْحِ والنَّذرِ والتَّوَكُّلِ
فكلُّ ما ذَكَرْتَهُ مَعْنَاهُ
وهو بمعنى كلمة الشُّهادةِ
مِنْ دَعْوَةٍ ورغبةٍ ورهبةٍ
ونحوه من كلِّ تعظيمٍ جَلِيٍّ
تفسيرُ لا إلهَ إلا اللهُ

ويعدد الشيخ سليمان بن سحمان التوحيد وأقسامه التي ذكرها الشيخ ابن عبد الوهاب (١). ويبين الشيخ أحمد بن مشرف معاني الإيمان والإسلام والإحسان معدداً شروط الإيمان بأنها عشرون شرطاً. (٢)

ولم يقف دور الشعراء في هذه الناحية على البيان والإيضاح بل يتعداه إلى التطبيق والإلحاح في تطبيق منهج الإسلام القويم، فانطلاقاً من نظرتهم للشرك رفع ابن مشرف عقيرته مطالباً الإمام فيصل بن تركي بهدم (عين نجم) بالإحساء وهي العين التي تحتوي مياهها على مادة كبريتية حارة، لأن الناس يأتونها مستشفين مما سبب الافتتان بها، مع أن الله جل جلاله هو الشافي

(١) ابن سحمان : الديوان ص ٥٥ .

(٢) الديوان : ص ١٨. ١٠ .

المعافي؛ لكن خشية الوقوع في الشرك ومن باب سدِّ الذرائع فلتردم البئر وليهدم البناء، بالرغم من معارضة علماء الأحساء، حيث كانوا يرون فيها قدرة من قدرات الله تعالى، علاوة على مايفعل فيها من أمور منكرات ذكرها ابن مشرف الأحساني حيث قال : (١)

ألا فأتركا عيناً تُضَافُ إلى النَجْمِ فُقِبْتُهَا بِالْهَدْمِ أُولَىٰ وبِالرُّجْمِ
لأن بها مَأْوَىٰ لِمَنْ يَقْصُدُ الخَنَّا وكم فَعَلُوا فِيهَا مِنَ الرُّقْصِ والإِثْمِ
تَشْمُ بِهَا الكَبْرِيتَ أَخْبَثَ رِيحاً وَتَضُرُّ، وَطِيبُ الرِّيحِ أَنْفَعُ للجِسْمِ

واستجابة لنداء الشاعر وتأثير جهوده ، أزيل هذا المنكر، فالعين قد هُدمت، مما دفع الشاعر أن يفرح ويطرب بهذا الانتصار العظيم لعقيدة الإيمان في هذه البلاد التي تعج بالطوائف والمذاهب المتعددة فتنتطق قريحته مُعلنة عن هذا الانتصار ومُنوِّهة به بعد أن هدمت بأمر الإمام فيصل -رحمه الله- سنة ١٢٧٧هـ (٢).

والقضية الأخرى التي ركز عليها الشعراء في هذا المجال هي صفات الله تعالى وقد يكون من أسباب اهتمامهم الرد على الفرق الأخرى وبقايا أتباعهم كالجهمية والمعتزلة والمُشَبَّهة واليهود والنصارى وقال الشيخ ابن مشرف (٣) :

والقولُ بالتعطيل من ذا الشُّرْكِ مُنْخَرِطٌ أَيْضاً بِذَاكَ السُّلْكِ
فاحكم بِإِشْرَاكِ أُولَى التَّعْطِيلِ ومِثْلِهِمْ أَيْضاً أُولَى التَّمْثِيلِ
وإن أردتَ ثَانِي الأَقْسَامِ فالشُّرْكَ فِي الصِّفَاتِ والأَسَامِي

وقال رحمه الله ((لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلادنا (الحسا) الخصومة والجدال من أهل التجهم والاعتزال، وفشت عقائد الضلال، وأرادوا أن يصدوا الواردين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال، نظمت هذه القصيدة اللامية وسميتها ((الشُّبُه المرمية على المعطلة والجهمية)) قال في مطلعها: (٤)

(١) ابن مشرف : ديوانه ص ٢٤.

(٢) ابن مشرف : ديوانه ص ٢٤.

(٣) ابن مشرف : الديوان ص ١٧.

(٤) ابن مشرف : ديوانه ص ٢٤.

نَفَيْتُمْ صفاتِ الله ، فأللهُ أكملُ
زعمتم بأنَّ اللهَ ليس بمســــــــــــتورٍ
وسُبحانهُ عما يقولُ المعطَّلُ
على عرشهِ والاستواءِ ليس يُجهلُ

ومن هنا ندرك المعاناة التي يعيشها مثل الشاعر أحمد المشرف الذي يعيش في منطقة (الأحساء) بيئة التشيع والمذاهب الكثيرة في أصول الدين وفروعه فيؤكد موقفه من قضية إثبات الصفات لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته . (١)

فلم نُؤولُ كما قد قاله عمهأ
ولم نُجسّم كما قالوا بزعمهم
ونتبعُ الجهمَ فيما قال وانصرفأ
بل نُثبتُ الفوقَ والأوصافَ والشرفأ
إنَّ المُجسّمَةَ الضلالَ ليس لهمُ
في غيهم من دليل يُوجبُ النصفأ

ويذكر الشعراء في موقفهم من هذه القضية أنه موقف أهل السنة والجماعة وهو أن لله ذاتاً حقيقية لا تشبه نوات المخلوقين، وله صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين كما يقول ابن سحمان (٢).

(ب) القبور والبناء عليها وزيارتها :

لعل المعارك لم تعنف في شئ من القضايا كما عنفت واشتدت في قضية بناء الأضرحة على القبور والطواف عليها والتعلق بها، وأهم ما في هذه القضية مسألة زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) والنذر للقبور، والذبائح التي تراق عند عتباتها للصالحين والأولياء ، والأموال التي يستنزفها الأسدنة والدجالون بدعوى تخزينها في تلك الأماكن التي غدت مصدر كل بلية على الأمة. (٣)
قال أبو بكر بن عبد الرحمن الأحسائي (ت ١٢٧٠هـ) ينتقد أهل الدعوة: (٤)

(١) ابن مشرف : ديوانه ص ٢٦ .

(٢) سليمان بن سحمان : ديوانه ص ٢٦١ ، ٢٦٥ .

(٣) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٤

(٤) ابن سحمان : الأسنة الحداد ص ٢١٨ والديوان ص ١٤٢ .

له عندهم في دينهم مُشركٌ حَقًّا
عنى المُصْطَفَى قالوا هو المُشركُ الأَشَقَّا
تَبَرَّكَ أو آثار من أدركَ الأَسْبَقَا

فإشراكهم للمُصْطَفَى أوجبَ الفسقا
فراجعهُ في التنزيلِ تَتَلَّوا له نُطَقَا

فَنَادِرُ شَيْئٍ لِلرَّسُولِ وَزَائِرُهُ
ومن قَالَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا وَقَدْ
كَذَا من بِنْفَثِ المُصْطَفَى أو بِشِعْرِهِ

وقد ناقضه ابن سحمان ورد عليه بقوله : (١)

نعم إن هذا التَّنْذَرُ لله وَحَدَّهُ
بل الشرك بالمعبودِ جَلُّ تَنَائُؤُهُ

وتولى كبر هذه القضية أحمد زيني دحلان حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة وقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وولاية الأتراك والأشراف ممن يسير وراء أهوائهم الدحلان يحبون هذه الأمور ويرغبون فيها، فيكتب الدحلان لهؤلاء شعراً ونثراً ينافح عن ذلك ويدعو إليه بكل وسيلة، فهو يرى أن شد الرحال لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثابتة بالنص والإجماع ومما قال الدحلان: (٢)

وأصحابه الصالحين ذوي المجد
يَشِدُّ إليها الرَّحْلَ من كان ذا بُعْدِ
تُزَارُ بأعمال النجائب بالوخد (٣)
من القربِ أو كانت من البعد بالشد
كَمَنْ جاءه قبل الممات بلا جحد

إلى قبر خير العالمين محمد
لمشروعة مطلوبة بل قُرْبَةً
وإن قبور الأنبياء جميعهم
ولا فرق في كون الزيارة أنشئت
ومن جاء نحو المُصْطَفَى بعد موته

ويدرك ابن سحمان خطورة مثل هذه الأقوال وضلالها فيتلقف القصيدة وينهاه عليها نقضاً حجة بحجة، بطول نفسه المعروف ويعلمه الغزير متكلفاً مطولاً في قصيدة بلغت خمسمائة بيت. (٤)

(١) ابن سحمان : المصدر السابق .

(٢) سليمان بن سحمان : الديوان ص ٣١ .

(٣) النجائب : جمع مفردة نجبية وهي الناقة القوية الكريمة، والوخد: نوع من سير الإبل فيه سرعة.

(٤) ابن سحمان : الديوان ص ٣١، ٣٣، ٣٤ .

وكم فصل ابن سحمان خاصة في أمر الزيارة -مما يضيق المجال من إيرادها هنا- في شعره مبيناً أنها يجب أن تكون للمسجد النبوي، وللصلاة في روضته لا أن تكون لذاته أو لقبره كما يعتقد بعض الجاهلين، ويوضح بكل تفصيل ما قد يسمى مراسم الزيارة وهيئتها. (١)

ويُرد ابن سحمان دعوى التوسل التي ينقلها علوي الحداد عن أبي بكر بن عبدالله العيدروس الحضرمي (ت ٩١٤هـ) فيذكر ابن سحمان بيتين من أول قصيدة العيدروس العدني التي أوردتها الحداد وهي قوله: (٢)

بسم الله مَوْلانا ابتدأنا	نحمدُه على نِعْماءِ فينا
توسَّلنا به في كلِّ أمر	غياثُ الخلقِ ربُّ العالمينا

وقد أجابه ابن سحمان بقوله :

ألا أيها الإنسان سمعنا	وعذُّ بالله ربِّ العالمينا
توسل مشركٌ غال جهولٌ	يُدعى القُطبُ قُطب الكافرينا
وذاك العيدروسُ نو المخازي	وذرا الإِشراكِ بالمتوسلينَا

ويتحدث الشاعر أحمد بن مشرف عن الشفاعة وأنها حق لكنها لا تكون إلا بعد أن يأذن الله ويرضى لمن يشاء من عباده المؤمنين، أما الكفرة فلا، ويتحدث عن شفاعته العظمى (صلى الله عليه وسلم) في الموقف بعد أن يشتد الكرب بالخلائق في ذلك اليوم العظيم (٣).

أما الغلو في قبور الصالحين والتبرك بالأضرحة والقبور فقد أشرنا في فصل سابق إلى موقف الدعاة منها وخطرها على الأمة، وأنها مفتاح الشرك الذي حذر منه المشرع العظيم، ولكن المعارضين لم يستطيعوا المقاومة فيها كثيراً والتشدد بها مثل موقفهم من زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم أو الولاية وإن كانوا يحتجون بموقف العامة في مثل هذه القضايا الواضحة، فقال ابن مشرف ينعي عليهم الطواف حولها والاستغاثة بها والدعاء عندها (٤) :

(١) ابن سحمان : الديوان ص ٣٦.

(٢) ابن سحمان : الأسنه الحداد ص ٢٣٧.

(٣) ابن مشرف : الديوان ص ٤٣.

(٤) ابن مشرف : الديوان ص ٣١.

قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا
 لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا
 هذا يطوف، وهذا في تقربيه
 وذا به مستغيث في شدائده
 والشركُ جاوعاً يحظ منه موفور
 بكل ذي حدٍّ في اللحد مقبور
 يأتي إليه بمنحورٍ ومنذور
 يرجو الإجابة في تيسيرٍ ومعمور
 فالحقُّ شمسٌ وهذا غير معذور
 فاحكم بتكفير شخصٍ لم يكفرهم

ج) مسألة الاجتهاد والتقليد :

ومما كثر فيه شعر النقائض والجدل مما له صلة بالعقيدة من القضايا الدينية والفكرية، التي تبودلت حولها القصائد دعوى الاجتهاد والتقليد فبعد أن شاع أسلوب النقائض المتبادلة بين اتباع الدعوة ومعارضيه، كان نصيب مسألة الاجتهاد والتقليد والبدعة وما شابه ذلك وافراً في الشعر لدى الطرفين، فنجد ابن مشرف وابن سحمان يثيران القضية التي كان أثار غبارها الإمام الصنعاني في مؤلفاته وقصائده. ولكن هذه الدعوى تثير حفيظة كثير من المعارضين وبخاصة ضد صديق خان الذي تبني هذا الأمر في كتابه (الدين الخالص) عندما دعا فيه إلى الاجتهاد وقطع رقبة التقليد، ووجد معارضة شديدة في الحجاز والشام والعراق والأحساء، فنشم رائحة الدفاع عن صديق وموقفه من قبل ابن مشرف في قصيدة عنوانها (الحث على الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء). (١) وإذا كانت منطقة الأحساء من أول المناطق وأشدّها معارضة للدعوة وبالذات في باب الاجتهاد ونبذ التقليد المذموم. (٢) فهي كذلك بالنسبة لدعوة صديق خان حيث نلاحظ من خلال ردود ابن سحمان وقوف علماء الأحساء المعاصرين له ضد الدعوة التي فجرها صديق (رحمه الله).

(١) ابن مشرف : ديوانه ص ٢٧.

(٢) محمد بن عبدالوهاب : ضمن روضة الافكار ج ٢ ص ٩ وما بعدها الدرر السننية ج ١ ص ١٧ وما بعدها وقد ألف الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت ١١٨١هـ) من علماء الأحساء رسالته (سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد) وألف زميله محمد بن عفالق (ت ١١٥٧هـ) رسالته (تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين) وهما رد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

فينبري الشاعر سليمان بن سحمان لنصرة صديق خان هاجياً معارضيه بعدة قصائد يناقض فيها شعر من حمل على صديق، لكن للأسف لم نطلع على ذلك النظم الذي اعترض عليه ابن سحمان وهجاء اصحابه هجاءً شديداً مقدماً يعتبر من اعنف ما نظمه، وان كان يورد لنا ضمناً بعضاً من قصائد الخصم، الذي لم يعينه منها (١) :

فمن قلد الأهواء أزمة عقله فلا عجب يأتي بما كان أعظماً
ومن تبع غير الحق عجباً برأيه فذاك في التوفيق قد كان معدماً

ومما قال المعترض يمقت الدعاة في هذه المسألة (٢) :

ولما أرادوا نشره وظهوره أبى الله إلا أن يكف ويكتمها
أنصار صديق هبتم وخبتمو بأيّ علا أوليتموه التقدّمها
بأن حرم التقليد في هديانبه لأهل التقى صار أجليل المفخّمها

وقوله :

وفي السنة الغراء ما جاء مفصلاً وصرح بالتقليد لفظاً وافهما
حديث (صحابي كالنجوم بأيهم) أحال على تقليد فانظر لتعلماء

وينقض ابن سحمان حجج هذا وأمثاله لبنة لبنة وحجة بحجة، ويتجاوز الحد في الهجاء والتوبيخ نتيجة لما سلكه هذا المعارض وأمثاله الذين منهم عبدالله بن عمرو (ت ١٣٢٤هـ) ومن دعاويه رمي هؤلاء بتكفير المسلمين والذي أشار إليه في هذه المنظومة بقوله :

كما قال أعني ابن عمرو وحزبه وأصحابه النامين إفاكاً ومأثمها

فيرد عليه ابن سحمان منتصراً لأتباع الدعوة (٣).

ومما قال في موضع آخر : (٤)

(١) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٢٤.

(٢) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٥٣.

(٣) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٢٧.

(٤) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٤٣.

فأهل الحديث العارفون بربهم
بهم يهتدي بل يقتدي كل عالم
فصديق من أهل الحديث وناصر
يكون الفتى مع من أحب بنص من
وصديق أولى بالصواب وبالهدى
وبالسنة الغراء هداة من العمى
وبعضهم من قد أساء وأجرما
لهم ومحب لا بغيض وإنما
هو الصادق المصدق أيا من
وهل كان لإجهبداً ومفهماً

وكان ابن سحمان قد وجه نقائضه بخصوص هذه القضية إلى عدة علماء من منطقة الأحساء ولانعلم شيئاً عما قاله من رد عليهم وهاجمهم ، وقبله ابن مشرف لكننا نجد لبعض علماء الإحساء دفاعاً عن نفسه ضد تلك القصائد التي أصبحت عبارة عن صواعق محرقة وقذائف قاصفة، قال عبدالله بن عبدالقادر الأحسائي : (١).

ياقبح الله بدعياً يحاول من
أخو هوى مولع بالحق يدفعه
يقول هذي فروع ضل أخذها
وضلل الناس في تقليد سلفاً
إثبات بدعته ما كان ينهار
له على أهله رد وإنكار
وإنما هي قرآن وأثار
هم الهداة الألى للدين أنصاراً
إلى آخر القصيدة (٢)

كما يحث ابن سحمان على العلم ويبين فضله فيقول : (٣)

فالعلم أفضل مطلوب وطالبه
والعلم نور فكن بالعلم معتصماً
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه
والعلم يرفع بيتاً كان منخفضاً
من أكمل الناس ميزاناً ورجحاناً
إن رمت قدراً لدى الرحمن مولانا
والجاهلون أخف الناس ميزاناً
والجهل يخفضه لو كان ما كانا

(١) عبدالله بن علي بن عبدالقادر الأنصاري الخرجي، ولد سنة ١٢٧٠هـ في المبرز ، حفظ القرآن صغيراً،

وأخذ العلم عن والده وجده وغيرهم رحل إلى الكويت وقرض الشعر حتى سمي - سحبان لفصاحته -

توفي سنة ١٣٤٤هـ (عبدالفتاح الطو: شعراء مخرج من ٤٤٥ ومحمد بن عبدالقادر : تاريخ الأحساء ج٢ ص ٤٠٤.

(٢) محمد عبدالقادر : مختارات آل عبدالقادر ص ٢٥٩.

(٣) ابن سحمان : ديوانه ص ٤٨٨.

وعلى كل الأحوال فقد كثر الشعر وألفت المنظومات من نقائض وغيرها في قضايا التوحيد والعقيدة والعبادات مما سقنا نماذج مختصرة منها حيث ظلت الخصومة متبادلة فظل هؤلاء يدافعون عن مذهب أهل السنة والجماعة، ويسمّون خصومهم بالمُعطلة والجهمية والقدرية، وأولئك ينادون بأراء المعتزلة والأشاعره والجهمية ويسمون الفريق الآخر بالمجسمة والخوارج . إلى غير ذلك من القضايا التي شغّل الفقهاء بها أنفسهم كلّ يمقت الآخر وكل يدعى أنه هو الأمة الوسط، تلك القضايا التي فرقت بين الأمة المسلمة وأخذت من النوافذ أبواباً ، ومن الفروع أصولاً، ومن الاختلاف خلافاً.

حتى كثر الخلاف وصعب على الناس العودة إلى القرآن والسنة المطهرة وشحن الدماغ بقضايا فلسفية تضلّ حاملها أكثر مما تهديه، وحصل التضيق في فهم الكتاب والسنة، وتكفير الناس لأدنى الأمور وأجلها!! (١)

وظل الخلاف يتسع بين الدعاة ومعارضيه، وبخاصة بعد تمزق دولة الدعوة في نهاية القرن الثالث عشر وبقيت الامور على وضعها تسير من سيئ إلى أسوأ إلى حين اكتمال توحيد الجزيرة العربية على يد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن حوالي منتصف القرن الرابع عشر. فخف الخلاف وخرست ألسن السوء ، وإن كنا لانزال نسمع عن بعض أدعياء العلم ممن ينبشون في زبالات الفكر المنحرف ويلفقون من سقطات من سبقهم مما تفوه به بعض المنحرفين .

(١) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٧ .

الفصل الثاني الخصائص والأغراض التقليدية

ونعني بها الأغراض الشعرية المعروفة كالهجاء والمدح والوصف وغيرها من الأغراض التي يقلد فيها الشعراء من سبقهم ومنها :

أولاً : الاهتمام بالسياسة وأحوال المجتمع :

في الوقت الذي كان فيه الشعراء يبذلون جهودهم في الدعوة وإصلاح العقيدة، لم يهملوا الجوانب الأخرى للإصلاح ، ومنها الجانب السياسي، ولما كان هذا الجانب قد تناوله الإصلاح، وللعقيدة أهميتها في السياسة كما أشرنا . فنقول : إن للإصلاح السياسي نصيبه من شعر الدعوة والدفاع عنها؛ فقد حث الشعراء في هذا الميدان على وحدة الأمة واتحادها، ومقاومة الأعداء واخذ الحذر والحيلة وما شابه ذلك من الأمور السياسية.

وكان أول ما ابتدأه الشعراء من المؤيدين ، الدعوة للجهاد والإشادة بالفتوح (١) يقابله التحزب ضد الدعوة ومحاولة القضاء عليها ، واتهام أتباعها بالخروج عن الدين ومقاتلة الأمة بدون مبرر، ومن ذلك التشفي بما يصيب هذه الحركة الإصلاحية ودولتها.

فمن الشعر في هذا الاتجاه وفي هذه المرحلة ما قاله عثمان بن سند النجدي ثم البصري عام ١٢٣٣هـ يتشفى من الدعوه وأصحابها الذين سقطوا صرعى تحت ضربات إبراهيم باشا بقصيدة مطلعها (٢) :

لقد فتحتُ للدينِ أعيُنَه الرمدُ لدى لآحٍ من بينِ السيوفِ له السعدُ

فرد عليه الشيخ أحمد بن مشرف بقصيدة مطلعها (٣) :

الليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ أم الفتنةُ الظلماءُ قد أقبلتُ تعدو؟

وتهاني النصر التي نظمها الشعراء بمناسبة انتصارات الدعوة في حروبها كثيرة، ويعتبر ابن مشرف أكثر من تحدث عنها في ذلك العهد، وبالأخص انتصارات الإمام فيصل بن تركي رحمه الله.

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٢، ٩٨.

(٢) ابن مشرف : ديوانه ص ٥١.

(٣) ابن مشرف : المصدر السابق .

والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله- يصور لنا في قصائده الحال التي وصلت اليها الأمة بعد نزاع ابناء الإمام فيصل، وما اصاب الأمة من المفاصد بيد العساكر والبوادي فكان هذا الداعية الذي جعلت منه الاحداث شاعرا ينظم القصائد وهو في اشد المعاناة من احوال الفتن والحوادث، وقلة المساعد، وكثرة المعاند والمكائد، فاشتد البلاء حتى أعضل اليأس، وعمت الفتنة، فمن نظمه قصيده جوابا لاحد الادباء الذي كتب للشيخ من الأحساء مسليا ومعزيا، ومما قال ابن طوق: (١)

رسائلُ شوقٍ دائمٍ مُتواترةٌ إلى فرعِ شمسِ الدينِ بَدْرِ المنابرِ
سُلالَةٌ مَجْدٍ منِ كِرَامِ عَشَائِرِ يُعيدُ بديعاً من كُنُوزِ المَحَابِرِ

إلى آخر القصيدة . وقد أجابه الشيخ عبداللطيف بقصيدة مطلعها : (٢)

رسائلُ إخوانِ الصفاِ والعشائِرِ أنتكَ فقابلُ بالمنى والبشائِرِ
تذكرُ أيامَ وصلٍ تَقَدَّمَتْ وَعَهْداً مَضَى للطيبينِ الأطاهِرِ

إلى أن قال :

ودارت على الإسلام أكبرُ فتنة وسلت سيوفُ البغي من كلِّ غادرِ
وذلت رقابُ من رجالِ أعزَّة وكانوا على الإسلام أهلَ تناصُرِ
وجر زعيمُ القومِ للتركِ دولةً على ملةِ الإسلامِ فعلُ المكابِرِ
سَعَوْا جهودهم في هدم ما قَدَّ بَنَى لهم مشايخُهم واستنصحو كلُّ داغرِ

وله قصيدة أخرى تعالج نفس القضية مطلعها (٣) :

دَعْ عَنكَ ذَكَرَ مَنَازِلٍ وَمَغَانِي وَيَدُورِ أَنَسٍ قَدِ بَدَتْ وَعَـوَانِ

وتتوسع دائرة الخلاف السياسي الذي يلعب فيه الشعر دورا مهما، حيث الخلاف العقائدي الذي يبقى مرتبطا به قوة وضعفا، فيدخل في ميدانه أمور أخرى يقع الاختلاف فيها: ومنها الهجره وحكم الاقامة فيما يسمى بلد الشرك والبدع كالأحساء، والتحذير من القوانين التي تطبق فيها ؛ مما يعد قانونا اجنبيا فيه رفض للشريعة وافساد للبلاد والعباد، وكذلك حكم السفر إلى تلك البلاد.

(١) ضمن (الرسائل المفيدة) ص ٢٢٢ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٢٢٣ .

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن : المصدر السابق ص ٢٤٠ .

فكان مما ثار حوله الجدل قضية الهجرة من البلاد التي يحكم فيها بغير القانون الإسلامي وضروه الثورة على الحاكمين، وهذه القضية وما شاكلها ذات طابع سياسي، ربما لا يعيرها انتباها الذين يجهلون المفهوم الإسلامي للدعوة والحركة التي تسعى لتطبيق الإسلام الصحيح كاملاً عقيدة وشريعة ومنهاج حكم وحياة . (١)

وأكثر من حاور في هذه القضية وصال فيها وجال، الشاعر سليمان بن سحمان الذي نظم فيها عدة قصائد يجادل فيها علماء الأحساء وبعض علماء حائل والقصيم، فابن سحمان ينتقد موقف علماء الأحساء من الوضع السياسي والديني الذي فرضه الترك، ومن مساوئه الحكم بغير ما انزل الله مما لا يحل السكوت عليه فيحض الأهالي على الثورة، ويشرح لعلماء الأحساء أنهم بين أمرين: إما الجهر بما يعتقدون وإصلاح ما يفسد الترك وإما الهجرة، فيخاطب عبداللطيف بن عمير قائلاً(٢):

ويحكم بالقانون بين ظهوركم	وليس لهذا الحكم يا وغد مُنْكَر
إذا لم تبادرهم بعيب لدينهم	وتكفيرهم جهراً فقد كنت أوجراً
ففرض عليكم واجب أن تهاجروا	كما قد أتى نصاً به الله أخبّرا
ولكنكم أخلدتموا ورضيتمو	وداهنتمو في دينكم من تجّبرا

ويصف حال بلادهم وانتشار المعاصي والمنكرات في قصيدة أخرى بعنوان (بلد الكفر) ومما قال فيها (٣) :

في هذه البلد التي أنتم بـه	والحكّم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا	والخمر والتّبّاك والزّمّار
والرفض عندكمو رخيصٌ سعّره	إظهاره ما أن له إنكسار

(١) عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٧

(٢) ابن سحمان : الديوان ص ١٢١ .

(٣) ابن سحمان : ديوانه ص ١٢٧ .

وكتب أحد علماء الأحساء للشيخ ابن سحمان يتظاهر بالإيمان وصدق العقيدة ويمتدح بلدهم وأنها بلد إسلام ، ويعرض بالشيخ ابن عبدالوهاب ودعوته، ومما قال المعترض - حسبما ورد تضمينا في رد ابن سحمان - قول الأحسائي : (١)

وندعوه بالاخلاص سرا وجهرا	نقيم على التوحيد لله ربنا
أجل الورى قدرا إذا هو يذكر	ونشهد أن الله أرسل أحمدأ
له الطولُ والإحسانُ والرجزُ نهجر	ولانعبد الأوثان بل نعبدُ الذي
فلا دين عند الناس يبدو ويظهر	إذا كان ليس الدين إلا لديكمو

ورد عليه ابن سحمان ناقضا دعواه ومما قال (٢) :

لعاديت من بالله ويحك يكفر	نعم لو صدقت الله فيما زعمته
ولما تهاجمهم وللغير تنصُر	وواليت أهل الحق سرا وجهرة

إلى نهاية المنظومة .

وفي قصيدة أخرى يعرض سليمان بن سحمان بأحد رجالات الأحساء ويدعى حسبما سماه الشاعر (ناصر بن راشد) (٣) مبيناً أن مقدمه وتوليته عليهم مطلع شر وفتنة (٤). وفي مناسبة أخرى يتشكى ابن سحمان ويتألم مما أصاب الدعوة وأهلها من تفرق وظلم وإحزن مصوراً لنا واقع الامة ومما قال : (٥)

(١) ابن سحمان: ديوانه ص ١٢٧ .

(٢) ابن سحمان : المصدر السابق .

(٣) ناصر باشا بن راشد بن ثامر السعدون رئيس المنتفق قدم الأحساء سنة ١٢٩١هـ لقتال من بقي من

حكام آل سعود فهزمهم في الموقع المسمى (الوزية) ودخل الأحساء وقتل من قاومه من أهلها مما دفع

بالجيش السعودي بقيادة الإمام عبدالرحمن الفيصل إلى القدوم للرياض في آخر تلك السنة (ابن

عبدالقادر: تاريخ الأحساء ص ١٧٥).

(٤) ابن سحمان : الديوان ص ٣٨٢ .

(٥) ابن سحمان : الديوان ص ٤٤٠ .

وشتت شَمَل الدينِ وانبت حَبْلَه
 فمَن بين عَجْمِي ظُلومٍ وَغَاشِمِ
 وبتحكيمِ أعرابِ طِفَاةٍ أُسَافِلِ
 ومَن شامري من رِعاةِ الأرازلِ
 ومَن دوسرِي مَبْغُضٍ مُتَحَامِلِ
 وأخر مُرِيٍّ غَوِيٍّ مُمَّا حِرْلِ

وما كان يواجهه الشاعر من جدال مع علماء الأحساء، قريب منه موقف بعض علماء حائل بعد أن وجد الأترك في علماء المنطقة وأمرائها بغيتهم ، لمحاولة زعزعة دولة الدعوة ، التي قامت على نشر الدعوة الإسلامية والتي امتن الله بها عليهم، فكان لبعض العلماء كالشيخ عيسى بن محمد الملاحي(١) مواقف واجتهادات قد لاتروق لعلماء الدعوة مثل الشيخ ابن سحمان فنجده يرد عليهم ويطلب من المعارض توضيح حجته وتفصيلها، فنظم لهذا الغرض قصيدةً طويلةً تقرب من خمسمائة بيت يرد على هؤلاء (٢).

ومن خلال ما نَظَمه شعراء الدعوة ومعارضوهم من قصائد، وما كان يدور بين الطرفين من جدال عنيف في أكثر أحواله ، ندرك الجهد والمعاناة التي يعيشها الطرفان المتنازعان، وكيف أن دعاة الدعوة كانوا يردون عليهم ناراً بنار، ويظهر أن المعارضين كانوا يبحثون عن أي مثالب(٣) مهما كانت، يأخذونها على أتباع الدعوة وحكامها من آل سعود، وهم بَشَرٌ كغيرهم ليسوا معصومين من الخطأ، فنجد ابن سحمان يعتذر عنهم، ويقول إن هزلهم خير من جد غيرهم من الحكام، لأنهم صالحون مصلحون في الغالب . فيقول في قصيدته التي يرد فيها على بعض علماء حائل (٤) :

قال سعود بالصعود إلى العُـلـا
 فمهم بالهدى أحرى وبالخير والتقى
 مآثرهم معلومة الحال والمحـل
 وليسوا بمعصومين عن سائر الخلل

(١) عيسى بن محمد بن عبدالله بن بركة من تميم آل عمرو ولد سنة ١٢٨١هـ في بلدة قفار من حائل طلب

العلم حتى اشتهر، فقيه فُرُضِي ، تولى القضاء مدة طويلة حتى توفي سنة ١٣٥٢هـ (علي محمد

الهندي : زهرة الخمائل ص ٩ والقاضي : روضة الناظرين ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) ابن سحمان : ديوانه ص ١٩٦ .

(٣) ثلثه : لاه وعابه كما في القاموس المحيط ج ١ ص ٤٢ .

(٤) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٠١

إلى آخر القصيدة .

وفي قصيدة أبي بكر الملا (القافية) التي رد عليها ابن سحمان نجد الشاعر يردد دعوى أن أهل الدعوة صدوا الناس عن البيت الحرام، وأووا قُطَاعَ الطرق وأبطلوا دين الإسلام ورفضوا ما كتبه من سبقهم وحرقوا كتبهم ومزقوها. ويرد عليه سليمان بن سحمان في قصيدة من نفس البحر والقافية، مبيناً أنهم لم يمنعوا إلا من أتى إلى مكة المكرمة بألات لهوهم وبدعهم من الأمور التي لاتطاق (١).

وهكذا في ثنايا شعرهم وجدنا تسجيلاً للأحوال السياسية وتعبيراً عن حال المجتمع، وما وُجد فيه من نزاعات وما تَفَشَّى لديهم من بدع ومنكرات، كما في شعر ابن مشرف وابن سحمان، وكما في شعر ابن عثيمين بعد ذلك (٢).

(١) ابن سحمان ديوانه ص ١٤٢ .

(٢) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية ص ٩٣ .

ثانياً : شعر الهجاء :

يعتبر شعر الهجاء أحد أغراض الشعر التقليدية، وبالنسبة لفترة البحث فإنه بعد وجود شعر النقائض في القصائد المتبادلة بين شعراء الدعوة ومعارضيه، وسعى كل من الطرفين للانتصار لمنهجه وطريقته في حرب شاملة ، لم يتورع أحد الطرفين من الأخذ بالوسيلة التي يقاوم بها خصمه ومن هنا كان من الضروري ان تتحول القصيدة بل كثير من القصائد المتبادلة إلى هجاء، ولهذا لانرى ما يمنع شعراء الدعوة من ولوج الهجاء في شعرهم، ما دامت ظروف دعوتهم تستلزم هذا الأمر مما يُرد قولَ من يرى أن الشعراء سَمُوا بقولهم عن الهجاء (١). والرسول (صلى الله عليه وسلم) يحدث (شاعره) حسان رضى الله عنه على هجاء المشركين . (٢)

وهذا يتبين من شعرهم وبالذات شعر (محامي الدعوة) سليمان بن سحمان، ومن جانب آخر فأسلوب الهجاء جاء مبكراً في شعرهم مرافقاً لشعر النقائض ووصف المعارك والدعوه إلى الجهاد ولم يأت مع شعر ابن سحمان كما يعتقد البعض (٣) . كما في هجاء حسين بن غنام للشيخ محمد بن فيروز (١١٤٢-١٢١٦هـ) الذي يمتدح ثويني بن عبدالله ويحثه على حرب الدعوة وقيادته الجيوش من العراق لهذا الغرض . (٤) كما يروي ابن حميد أن الشيخ صالح بن محمد الصائغ (ت١١٨٤هـ) من علماء عنيزة، نظم قصيدة يعارض فيها الصنعاني في قصيدته التي كان قد نظمها مادحاً للشيخ ابن عبد الوهاب، والصائغ في منظومته يهجو الإمامين : الصنعاني وابن عبد الوهاب.(٥)

ولقد كان أسلوب الهجاء في بداياته الأولى قليلاً، ويمكن أن نصفه بأنه يميل إلى التحفظ والاعتدال مع الاعتماد على الهدوء والحجة الدينية، والتركيز على الاختلاف دون التعريض بالاشخاص إلا ما ندر، ولكن ما لبث أن توسع الهجاء وبدأ في التحول إلى الاعتماد على العاطفة

(١) محمد بن سعد بن حسين : الأدب الحديث في نجد ص ٢٦ .

(٢) ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لحسان ((أهج المشركين فإن جبريل معك)) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٥ (كتاب المغازي) .

(٣) عبدالله الحامد : مرجع سابق ص ١٠٩ .

(٤) ابن غنام : روضة الأفكار ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥) ابن حميد : السحب الوابلة (مخطوط) ص ٢٠

ومجاراة الخصم، ومواجهة ناره بنار أشد لهيباً؛ فتوسع أسلوب النقد الشخصي والتجريح الذاتي بعد ما أحس شعراء الدعوة بعظم المسؤولية الملقاة عليهم وجسامة الخطر الذي يهدد الدعوة، وبعدما لمسه المعارضون من ضعف دولتها مرة أخرى مع نهاية القرن الثالث عشر، فقد أصبحت الأمة في حال قريبة من الحال المصاحبة لكارثة الدرعية. وهذا يعود لعدة أسباب من بينها أن الشعر المؤيد والمعارض عند سقوط الدرعية كان في بداياته الأولى كما أن سقوط الدولة على يد إبراهيم باشا كان سقوطاً سياسياً وهو وإن كان قد أعطى المعارضين الأمل بعدم قيام الدعوة ودولتها من جديد، لكن الدعوة أصيبت في آخر القرن الثالث عشر بامتحان أشد حيث الاختلاف والنزاع بين الحكام والحرب الأهلية والنزاعات تهدد المجتمع، ولكون الحرب الفكرية كانت على أشدها وفي عدة جبهات، وبعده أسلحة وما أصاب الأمة من غزو الدرعية كان لايزال شبحاً مخيفاً عالقاً بالأذهان يُخشى تكراره، فكان لابد لمواجهة الأوضاع السائدة من التوسع في أسلوب الهجاء ليدخل فيه تأثير العاطفة والتجريح فيؤدي دوره. وقصائد هذا اللون من أجود شعر النقائض وأقربها إلى روح الشعر؛ فقد جاءت أشد تأثيراً، وأحر عاطفة، فغدت قذائف موجهة وشهب مُرسلة، وهذا التحول والاتجاه جاء متأخراً، فأكثرت ما نجده في شعر سليمان بن سحمان، الذي عايش الفتنة بين أبناء الإمام فيصل والتي انشلت بها عرش الدولة السعودية، وانهدم بها سور الدعوة، وصار الأمر بأيدي البوادي الطغام وكان الشاعر ابن سحمان وأمثاله يقاسون شدة الفتن والمحن، فبذلوا الجد والاجتهاد بارسال الرسائل ونظم القصائد والتحذير من الفرقة، وضرورة الحيطة من الأعداء المتربصين بالأمة، في حال لابد لها من التأثير على أسلوب هذا الشاعر والداعية الملهم وأمثاله.

حتى أصبح الاسترسال في هذا الباب من طبعه، لا يأتي من القول كل مدخل إلا في هذا الغرض حين يدافع بلسان حاد، يدفع بالحجة ويسلب الخصم شخصيته العلمية، لينهال عليه بالهجاء الساخن، مما هو أشد من وقع السوط الملتهب على الجسد العاري، ساخراً بعلمه ومنصبه، مفرغاً عليه ماشاء من صفات ونعوت، ناهيك بما يفتح الله عليه من المعاني والمباني البليغة والمعلومات المستفيضة وطريقة نظمها؛ مما يجعل القارئ يقف أمامها مندهشاً كأنما ترى الخصمين يشدان بتلابيب بعضهما. وعندما تحس أنك أمام شاعر فحل وبالذات إذا كان الخصم من مَرَدَةِ الإنس

(١) عبدالله الحامد : المرجع السابق، ص ١٠٩

وممن تناولوا على الدين بالكذب والزور والبهتان كما هي حال النبهاني والزهاوي. (١) ونحن في هذه الفقرة لن نستعرض كثيراً مع الشاعر ابن سحمان في هذا الموضوع بل نكتفي ببعض النماذج التي تعتبر من أشد هجائه، فقد كتب يوسف النبهاني قصيدته الرائية يسب الإمام ويهجو، ومنها قول النبهاني : (٢)

أشار رسول الله للشرق ذمّة	وهم أهله لا غرو أن اطلع الشُّرا
أولئك (وهابية) ضلُّ سعيهم	فظنوا الردي خيراً وظنوا الهدى شراً
بتحقير أصحاب الرسول تفرُّسوا	إليه فنالوا البعد إذ ربحوا الخُسرا
وهم باعتقادِ الشُّركِ أولى لقصرهم	على جهةٍ للعلو خالقنا قصصرا

فابتدأ ابن سحمان رده على النبهاني بقوله (٣) :

وقفت على نظم حوى الكفر والشُّرا	وصاحبه خبٌ لئيم وقد أجـرى
ينابيع كفرٍ في تقاسيم غَيِّبه	فحرر في تقسيمه الإفك والشُّرا
ولم يأتنا منها سوى الخامس الذي	تهور فيه القدم بالكفر واستجـرا
يذم به أهل التقى ونوي النهى	فَسُحْقاً له سُحْقاً فقد أظهر الكُفرا
فكان علينا واجباً متعيناً	إجابته لما هذى وأتى هجـرا
ولم أك في ردي عليه متعمقاً	بتعقيد ألفاظ كمنظوم ذي الأطرا
ولكن بلفظٍ مستقيمٍ نظمتُـه	ليفهمه القاري ومن كان لايقـرا

إلى أن قال :

فهذا مقال الفسدم لا در دره	ولانال إلا الخزي والعار والوُزراً
وأعجب من ذا لو يرى الرشد أنه	بذلك أبدى من مخازيه ما أزرى
نعم نحن وهابية حنفيّة	حنيفية نسقي لمن غاضنا المُرا

وقد أقذع النبهاني في التعريض والسب، ذاكراً أن هؤلاء الدعاة هم أبناء سجاح التي ادعت النبوة

(١) عبدالله الحامد : المرجع السابق ص ١٠٩.

(٢) سليمان بن سحمان : الديوان ، ص ٨٩.

(٣) ابن سحمان : الديوان ، ص ٨٩.

فهي جدتهم كما كان مسيلمة الكذاب جدهم، لكن ابن سحمان يرد هذه الدعوى بأسلوب العالم المحقق أن مسيلمة ليس له نسل، وأن سجاح هاجرت إلى الشام؛ فإن كان لها من اتباع ونسل فالنبهاني أقرب إليه وأولى به ، يقول ابن سحمان (١):

مسيلمة الكذاب ليس بجدهم	وليس له نسل يُقَرَّرُ أو يُدْرَأُ
ولا لسجاح (٢) ويل أمك فاتتد	فما الفشر إلا ما هذوت به فشرأ
وقد أسلمت والشام كان مقرها	فلو كان من لوم لكنت به أحرى
وإن كنت من أنباط أجزم لم تكن	من العرب العربا ولا من سموا فخرا
ولم تدر من دين الهدى غير مذهب	يُضِلُّكَ في الدنيا ويُخزيك في الأخرى

والشيخ الملا عمران بن رضوان صاحب (لنجة) من بلاد فارس يرد هذه المزاعم بقوله (٣) :

قد عيروه بأنه قد كان في	وادي حنيقة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الأطرد
إن المواطن لم تُشرف ساكناً	فيها ولا تهديه إن لم يهتد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم	يُفْلِح ولو قد مات وَسَطَ المسجد

ويسجل لنا ابن مشرف المخاصمة التي جرت له مع (الحكيم الكوتي) حيث كان الأخير قد تحايل بوثيقة يسلب بها وقف المسجد، فوقف له ابن مشرف وتخاصما لدى الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عندما كان قاضياً بالأحساء بعيد قدومه من مصر، ومما قال ابن مشرف (٤).

أراد أن يسلب وقف المسجد	لقلة التقوى وعظم الحسد
فاحتال مع جماعة في رقة	مكذوبة مصنوعة مخترقة
حوت كل باطل مزيف	مثل دم على قميص يوسف
فساقنا الشيخ إلى القاضي الذي	قدمته أكرم به من جهنذي

(١) ابن سحمان : ديوانه ص ٩٠

(٢) سجاح : سجاح بنت الحارث التميمية ادعت النبوة وتبعها خلق كثير من قومها تزوجت من مسيلمة الكذاب بعد أن قدمت عليه باليمامة، أسلمت بعد مقتل مسيلمة وانتقلت إلى البصرة والشام وتوفيت سنة (٥٥هـ) (تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٦) .

(٣) أورد قوله ابن سحمان : الأسنة الحداد ص ٩٩ .

(٤) ابن مشرف : ديوانه ص ١٠٤

ومن أعنف هجاء الشاعر سليمان بن سحمان وأقساه قصيدته (الميمية) والتي عنون لها ب (جائلة الخفافيش) ورد فيها أعلى أحد علماء الأحساء استخدم في رده التركيز على الأشياء الشخصية من عيوب وهفوات، متخذاً أسلوب السخرية اللاذع، والهجاء الحار والألفاظ الجارحة، مما يمثل قمة الهجاء عند ابن سحمان بطريقته المعهودة من نقض الحجة العلمية بحجة أقوى منها، ثم يفرغ للسباب فأجاد وأبدع، ومما قال: (١)

ومن كان في بيد الضلالة هائماً	تَنكَّبَ عن نَهْجِ الهدى أين يَمَما
كذا الذي أبدى القريض سفاهاً	وأسهبَ في الأمر المحال تحكماً
فعبّر عن جاهلٍ مُتمعلِّمٍ	بجهلٍ وبُهتانٍ فما نال مَغْتَمًا
وأفصح عن جهلٍ عميقٍ مُركبٍ	وأبرز مَكْنوناً من الغي مُظلمًا

إلى آخر القصيدة وكان الأعداء قد استعدوا ابن رشيد حاكم حائل على علماء الدعوة في بلادهم ، فكان الواجب عليهم مقابلة الحجة والمحاورة بالمنهج العلمي الصحيح وليس بالسيف والسلاح ، فالشاعر ابن سحمان يهددهم بأمر قوي يربض على تخومهم، يوفقه المولى إلى الهدى والحق، والذود عن حمى الإسلام وبيضته بكل جرأة وشجاعة فيقول (٢):

ألا فأفئقوا لا أبأ لأبيكمـ	ألا فارعوا عن غيكم يا ذوي العَمَى
الأهل لكم في الحق أوبة مُخْبِتٍ	ألا فأنببوا قبل أن يهتك الحمَى
فإن لم تنببوا طائعين لرُبُكُم	فإن فتى منأ هماماً مُقدِّمًا
أخا ثِقَّةٍ حامي الحقيقةِ باسِلاً	جرباً إذا لاقى الكُماة عتَمَتَمًا
وذاك هو الليثُ المُقدِّمُ قاسمٌ	وكان لَعَمْرِي ضَيغماً ومُقدِّمًا

إن الشعراء مع نهاية القرن الثالث عشر قد وسَّعوا دائرة الهجاء أكثر من ذي قبل وزادوا قوةً وشدة في موقفهم استجابة للظروف التي تعيشها الدعوة وأتباعها في مواجهة المعارضين، فشاعت الفاظ القذف الديني من الكفر والإلحاد والزندقة ورمي المعارضين بالفسق والزندقة

(١) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٢٣ .

(٢) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٣٨

والضلالة، فضلاً عن شيوع ألفاظ القذف الشخصي كذلك ؛ والتي تبدأ من تشبيهه الخصم بالحمير والبقر والقروذ والصفادع والثيران والثعالب والخفافيش ، وكذلك تلقيبه للمهجو بالوغد والغوي والفسر(١). ويبدو أن المعارضين كانوا يدفعون باتباع الدعوة إلى هذا الأسلوب ، وإن كان ليس لدينا بياناً وافياً عن شعرهم إلا القليل، لكن ابن سحمان في إحدى قصائده يكثر من استعمال ألفاظ القذف المذكورة في رده على أحدهم وهو عبدالله بن عمرو الذي يقول في قصيدته كما ذكرها ابن سحمان. (٢) في ثنايا رده يقول ابن عمرو :

متى خطُّ قردٍ أو ترنمَ ضَفْدَعٌ متى طارَ عيرٌ أو رَقَا الثَّورُ سَلْمًا

ومع اشتداد المواجهة، وتبادل التهم، وانتصار كل فريق لرأيه، أصبحت ألقاب الكفر وكلماته كميزان الحرارة حساسة جداً، وبعد أن غدت تدور في ذهن الطرفين تلوكها ألسنتهم باستمرار إلا من رحم ربي .

فليس صعباً أن تطلق على أي عمل مخالف من كبير الأمور وصغيرها (٣). وهكذا أصبحت ألفاظ القذف الديني كُرَّةً يتقاذفها المتلاكمون بالأيدي تارة وبالأرجل تارة أخرى(٤). قال عبدالباسط يهجو أتباع الدعوة وإمامهم (٥) :

واحذر مولاة الذين قد اقتصدوا بالعَارِضِيِّ الخَارِجِيِّ المُلْحِدِ
من قام في وادي حنيفة داعياً لهم إلى شيطانه المتمردِ
لاتعجبن لتابعة فإنهم صمُّ وعمى يقتنون بأرمدِ
يا كافرأ يا غادرأ يا فاجرأ يا باغياً يا غاوياً يامعتدِ

وإذا كان البعض يأخذ على شعراء الدعوة انسياقهم وراء شعراء البلاد الأخرى في الهجاء والإساءة وكان الأخرى بالدعاة ألا يهبطوا إلى درك البذاءة وسفاسف القول (٦) . فنشير إلى أن هذا

(١) الفسر : الهاذي كثير الهذيان .

(٢) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٣٧ .

(٣) ابن سحمان : الديوان ص ٥٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ .

(٤) عبدالله الحامد : مرجع سابق ص ١١٥ .

(٥) منظومة في التعرض لسب الشيخ ابن عبد الوهاب واتباعه مخطوط ص ٣ كتبها عبدالباسط الذي لانعرف

بقية اسمه بعد وفاة الشيخ فيما يظهر وهي بالمكتبة العلمية بالرياض - رقم ٨٦/٦٤٧ .

(٦) بكري شيخ امين : الحركة الادبية ص ٧٩ .

لاينطلق من مفهوم الدعوة الإصلاحية السلفية، التي لا تكفر إلا من أجمع العلماء على تكفيره وأن من انزلقوا في قضية التكفير إنما هم قلة مما لا يعني الحكم على الدعوة وأتباعها؛ إضافة إلى ظروف المواجهة مع معارضيهم ورميهم لهم بذلك ، فكان موقفهم من باب رد السيئة، ودفع العدوان والاعتداء بمثله ((فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)) . (١)

(١) سورة البقرة - الآية ١٩٣ .

ثالثاً : شعر المديح :

لاشك أن حب المدح والثناء والإعجاب بالصفات والأخلاق الإنسانية التي تلزم الناس بمدح صاحبها فطرة إنسانية فطر الله عليها البشر ، فوجد المدح والثناء بين الناس كما وجد مقابلة الذم والهجاء لما يمقت ويستهجن من الأقوال والأفعال والصفات . ولقد ورث أبناء الجزيرة العربية حب المديح لمن يستحق المدح والثناء، والاعتراف بأصحاب الأفضال والمآثر ، وما قام به الشيخ ابن عبد الوهاب ومن سار على نهجه من الدعاة والقادة جهد عظيم، وفضل كبير على الأمة كان كثيراً ما يدفع الشعراء ، ويفتح قرائحهم بالمدح والثناء للاعتراف بالفضل لأهله ومجازاة صاحب الاحسان على إحسانه والمسيء بإساعته.

ففي شعر المديح والثناء أشاد الشعراء بعلماء الدعوة وأولهم الشيخ ابن عبد الوهاب وابنائهم وأتباعه من حماة الدعوة والمدافعين عنها، فأسهبوا في الحديث عنهم، وعن سعة علمهم وفضلهم وتحققهم وإنكبابهم على الدرس والإفادة والاستفادة؛ لنشر الدعوة بالرسائل والكتب والمنشورات والمناظرات وغير ذلك من الوسائل والأساليب المتعددة، ويمكن أن نقسم شعر المديح لديهم إلى قسمين ، أحدهما : مدح العلم وبيان شرفه والتعب في تحصيله . وكذلك مدح شريعة الإسلام وكمالها وشمولها ومدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان وضرورة التأسي بهم (١) والثاني : مدح دعوة التجديد لدين الإسلام التي قام بها الشيخ ابن عبد الوهاب ، ومدح أئمة وقادة الدعوة المحتسين الصابرين، والثناء عليهم بعدة قصائد لا يتسع المجال لذكرها (٢) .

ولكن من أشهر ما قيل في هذا الباب قصيدة الملا عمران بن رضوان صاحب (لنجة) مادحاً الوهابية ومفاخراً بها ومما قال (٣) :

(١) انظر نماذج من شعرهم ديوان ابن مشرف ص ٢٦ ، ٤٩ ، وابن سحمان : ديوانه ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) نماذج من شعرهم في الدرر السنية : جمعها عبدالرحمن القاسم ج ١٢ ص ١٥ وما بعدها وسليمان ابن

سحمان : ديوانه ص ٨٩ ومحمد الحفظي : نفحات من عسير ص ١٥ .

(٣) الملا عمران بن رضوان : أرجوزة شعرية (مخطوط) بجامعة الملك سعود رقم ١٦٣٩/٢٩م .

قُلْ لِلذِّي اتَّخَذَ التَّهْجَمَ مَرْكَبًا ورآه دينا وأرتضاه مذهبًا
ولمذهب الأبرار صار مكدبًا إن كان تابع أحمد متوهابًا
فأنا المقر بأنني وهابي

ويأتي بعد مدح الشيخ ودعوته مدح الائمة من آل سعود ممن ناصر الدعوة، كما وصف لنا الشعراء البيئة العلمية والسياسية والاجتماعية وامتدحوا إقبال الأمة على الخير والفلاح والعلم والتكاتف والتآلف وفعل الخير ، تلك الأجواء العبقرة بالإيمان المعطرة بالعقيدة، نتيجة ما أثمرته الدعوة السلفية من تحول جذري إلى الخير والهدى والعلم والاتحاد والوحدة والقوة، مما لايعدر أن يكون ثمرة طيبة من ثمار الدعوة، فامتدحوا تلك الثمار البانعة وأثنوا عليها، فالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن يمدح ديار العلم ومجالس العلماء، وعكوفهم بين المحابر والأقلام. (١) ويثني الشاعر ابن مشرف على أهل الحديث الذي يقدمونه على الآراء وينبذون التقليد المذموم (٢). وساند الدعوة وأيد مبادئها وأهدافها علماء كبار، لهم اعتبارهم وتأثيرهم. فكان المعارضون يخشون تأثيرهم على الرأي العام الإسلامي في بلادهم، كاليمن والعراق والحجاز والهند، لاسيما إن بعض أولئك العلماء في تلك البلاد قد امتدح الدعوة وأيد رجالها ضد معارضيههم كما هي حال الشيخ محمود الالوسي في العراق الذي أيد موقف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضد داود بن جرجيس فوجه أنصار ابن جرجيس للألوسي سهام نقدهم، كما حصل من يوسف النبهاني ضد الألوسي ، فلم يكن لشعراء الدعوة ليسكتوا على هذا التهجم والعدوان الذي لامبرر له . فسارع شعراء الدعوة يجابهون النار بنار مثلها، ونظموا القصائد يمدحون ويشيدون وينافحون عن هؤلاء الأتباع من العلماء المبطلين في دينهم، والمستضعفين في ديارهم ، فقد كتب أحدهم يفترى ويبهت الشيخ (صديق حسن خان) عندما فجر دعوى الاجتهاد ، ومما قال المعترض كما وردت ضمن رد ابن سحمان (٣) :

أَنْصَارَ صَدِيقِ هُبَلْتُمْ وَجَنَنْتُمْ بِأَيِّ عُلَا أَوْلَيْتُمُوهُ التَّقْدِمَا ؟
بأن حرم التقليد في هذيانه لأهل التقى صار أجليل المفقما!

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمن : الرسائل المفيدة ص ٢٢٣ .

(٢) ابن مشرف ديوانه ص ٢٧ .

(٣) ابن سحمان : الديوان ص ٢٥٣ .

ومن ثم نظم ابن سحمان عدة قصائد يشرح فيها الفكرة التي أثار غبارها صديق خان وأن هذا العالم الجليل وأمثاله ليس هدفهم سوى الأتباع للنصوص وليس الاجتهاد المطلق بالضرورة كما توهم معارضوهم (١) .

والشيخ محمود شكري الأكوسي العراقي من أسرة عريقة في العلم والفضل والتزام السنة ومحاربة ومعادة أهل الضلال والزيغ فوقفت في وجه الباطل ، والشيخ محمود ينتمي إلى تلك الدوحة العريقة الأصول الوارفة الضلال ، فسلك طريق آباءه في الدفاع عن دين الإسلام واتباع الحق والهدى من المؤمنين فكان من جهاد محمود الأكوسي وجهوده الرد على داود بن جرجيس العراقي ، قال ابن سحمان مُشيداً بالأكوسي وموقفه من أباطيل ابن جرجيس (٢) :

لقد نصرَ الإسلام من بعد أن سَعَى لإطفائه داود من بغية عُدُوِي
وقد رام داود بن جرجيس أنه بتمويهه قد فازَ بالغايةِ القُصُوِي
فزيفَ محمودُ سفاسطَ مَكْرِهِ وعُدوانه لا بالتعسف والدُعُوِي
ولكنْ بْبُرْهانٍ أَوْضَحَ حِجَّةٍ على الخِصْمِ من أدلى بها لازماً يَقُوِي

وما كان موقف أسرة الأكوسي المناصر للتوحيد وأهله ، وحربهم لأهل البدع والضلال ليعجب كثيراً من المنحرفين والضالين فكان أن نال هؤلاء نصيباً من شرهم ومكرهم ، فنظم النبهاني قصائد في شتم الأكوسي وأسرته بعد هجائه لأنمة الهدى وبخاصة أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وغيرهم ، ومما قال النبهاني بعد نفيه كثيراً من صفات الله تعالى كالعُلُوِّ والاستواء معرضاً بأسرة الأكوسي، ونقله لنا ابن سحمان (٣) :

ولم ينفردْ شذاذُ مذهبِ أَحْمَدِ فقد ظلَّ قومٌ في مَذاهِبنا الأُخْرِي
لمن ردُّ قولي تابِعاً إثرَ جِدِّهِ وأعمامِهِ لكنَّهُم أثروا الشُّرُّرا

فانتصر الشاعر سليمان بن سحمان للشيخ الأكوسي ونظم قصيدتين طويلتين في تأييده في موقفه ومدح منهجه وعقيدته وأثنى على أسرته المناصرة لدين الإسلام (٤). وحيث سبق القول إن الأئمة من آل سعود كان لهم التصيب الأوفر من المدح والإعجاب من قبل شعراء الدعوة ، فإن

(١) ابن سحمان : ديوانه ص ٢٢٧ ، ٢٤٣ .

(٢) ابن سحمان : ديوانه ص ٣٢٨ .

(٣) ابن سحمان : ديوانه ص ١٠١ .

(٤) ابن سحمان : ديوانه ص ١٠١ ، ٣٢٧ .

الإمام فيصل بن تركي -رحمه الله- وهو من أشهر أئمة الفترة لما كان عليه من شجاعة ودين وخلق كريم، فقد أثار أشجان الشعراء، وفتح قرائحهم بعد أن أصبح للشعر منزلة رفيعة في الأمة، نتيجة للتحويلات الفكرية والثقافية التي أحدثتها الدعوة، والانطلاقة الفكرية والاجتماعية التي كانت الأمة العربية تعيش بداياتها الأولى، علاوة على الأوضاع السائدة التي كانت كثيراً ما تدفع الشعراء إلى نظم القصائد الكثيرة، حيث كانوا في مرحلة أشد حاجة إلى الدعاية للدعوة (١) والدفاع عنها مما كان يدفع الحكام وبالأخص الإمام فيصل وبعض القادة الآخرين كالأمير أحمد بن محمد السديري إلى بذل العطايا والاجازات للشعراء، كما توجي بذلك مدائح ابن مشرف لهما، فضلاً عن وفود شعراء من خارج الجزيرة للمديح كعبدالجليل البصري (٢) الذي وفد على الإمام فيصل وامتدحه (٣). ومدائح الامام فيصل في ديوان ابن مشرف تتجاوز عشرين قصيدة يطول إيرادها (٤).

(١) لفظة الدعاية مرادفه للدعوة كما سبق في التمهيد.

(٢) عبدالجليل بن السيد ياسين بن إبراهيم الطبطيني الحسني الشافعي، ولد سنة ١١٩٠هـ في البصرة ورحل

إلى قطر ثم البحرين، شاعراً اشتهر بالحلم والعلم والكرم، توفي سنة ١٢٧٠هـ في الكويت (سركيس :

معجم المطبوعات ص ١٢٧٠ و خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث ص ١٧٨).

(٣) عبدالله الحامد : المرجع السابق ص ١١١.

(٤) ابن مشرف : ديوانه ص ٥٣ وما بعدها.

رابعاً: الأغراض الأخرى للشعر :

نظراً لأن حيز الرسالة لا يمكن من التوسع في تفصيل بقية أغراض الشعر التقليدية الأخرى كما أن بعضاً من تلك الأشعار مرت نماذج منها في فقرات سابقة، فسأجمل ما بقي منها في هذا المبحث مثل شعر الوصف والبكاء والرثاء والشكوى وشعر الغزل والحكمة وغير ذلك من الأغراض التي طرقها الشعراء .

(أ) شعر الوصف :

وهو أول الأغراض التي برزت في شعر الدعوة بعد أن أطلت بوجهها المشرق ونورها الوضاء، بعد أن بدأ مشوار هذا النوع من الشعر مع قيام الدعوة ؛ ونعني بشعر الوصف، وصف المعارك والجيوش والفتوح والتهاني بالنصر، ووصف البلاد ومجالس العلم والعلماء وكان أول أتباع الدعوة الذين طرقوا هذا الغرض الشيخ حسين بن غنام (١). ثم تلاه أحمد بن مشرف، وخلفه سليمان بن سحمان الذي أدرك الدولة السعودية الثالثة ، وأخيراً استقرت الراية في يد محمد بن عثيمين إلى جانب شعراء آخرين .

فيصف ابن مشرف حال الأمة بعد سقوط الدرعية وتقتيل الدعاة وتغريب من بقي منهم

بقوله: (١)

بعدهم من ضمه الشام والسنند	فلما مضت تلك العصابة لم يقم
فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد	ولكن فشا فيها الزنا وبدا الخنا
حرام وكم ضلت عصائب وارتدوا	فكم فتنة عمّت وكم ظل من ندم
فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدوا	وكم قطع السبل البوادي وأفسدوا

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار ج ٢ ص ٨٢ ، ط الهند.

(٢) ابن مشرف : ديوانه ص ٥٢ .

وبعد أن عادت للدعوة عافيتها كان ابن مشرف أكثر من وصف المعارك التي خاضتها جيوش الدعوة بقيادة الإمام فيصل بن تركي مع الحث على القتال والجهاد، وبالذات قتال البوادي وكف أيديهم عن الإفساد والانتهاك (١).

ب) البكاء والرثاء والشكوى:

لو نظرنا فيما نظمه الشعراء في هذه المجالات في تلك الفترة لوجدناه فناً تقليدياً جرى فيه أصحابه على نهج الشعراء القدامى، شأنه شأن الأغراض التقليدية الأخرى كالغزل والمديح (٢). وتعددت وجوه لديهم بين بكاء المدن والحوادث والكوارث، وبين رثاء العلماء والزعماء وبين البكاء على غربة الدين والتشكي من هجر الأمة لدينها، وتغير الزمان وجور الأيام، وتفرق المحب والأهل، وشتات الشمل وضياح الأمر، وهذه الأغراض الثلاثة أمور متشابهة متقاربة متداخلة متشابهة.

فشعر البكاء ويتصدره بكاء المدن ورثاؤها، والتشكي من غربة الدين، قد بدأ مع كارثة الدرعية وأيامها العصبية سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) حيث تحدث الشعراء عن هول الكارثة، وبطش الظالمين، فكان لهذا الحدث الجل والمصاب العظيم وقعه المخيف الذي فرق القلوب وقطع الأفئدة، وشل الأذهان، فقد أعمل الغزاة سيوفهم ومدافعهم في الأمة تقتيلاً بلا رحمة ولا هوادة، وهدموا البلدان وقطعوا النخيل، وقضوا على أسباب الحياة، كما صور ذلك ابن بشر وغيره، وكان من أشهر القصائد التي قيلت في هذه المصيبة العظمى في حينها، فاشتهرت على الألسن، وأبكت الناس القصيدة (الطنانة) للشيخ عبدالعزيز بن معمر التي صور فيها بطش الطغاة وجورهم ومطلعها (٣):

إليك إله العرش أشكو تضرعاً وأدعوك في الضراء ربّي لتسمعاً

ومما قيل في رثاء الدرعية قصيدة ابن مشرف التي سبق إيراد أبيات منها (٤). علاوة على قصائد

(١) ابن مشرف: ديوانه ص ٨١.

(٢) بكري شيخ امين: الحركة الادبية ص ٢٥٣.

(٣) ابن بشر: عنوان المجد ج ٢ ص ٣٤.

(٤) ابن مشرف: ديوانه ص ٥١.

أخرى منها قصيدة القائد الشجاع الذي قاد جيوش الدعوة في البحر، (١) نادرة زمانه (رحمة بن جابر - رئيس الجاهمة - (٢) ومرثية (٣) أحمد بن علي بن دعيج (٤) ولهذا توهم من زعم أنه لا يوجد في رثاء المدن في شعر الدعوة إلا قصيدة ابن مشرف في رثاء الدرعية وأنها فريدة لا شريك لها في الأدب السعودي كله، وأن هذه المعاني غالباً ما ترد في ثنايا رثاء العلماء ورجال الدين (٥) مستدلاً بقول ابن مشرف في غربة الدين سنة ١٢٧٩هـ (٦).

وا غربة الدين فاعجب بها من تغريبه عند المصدق فضلاً عن مكذبه

أما رثاء الأشخاص فهو كثير، والملاحظ على شعرهم في هذا الباب في البداية اهتمام المرثي بالعلماء أكثر من اهتمامهم بالزعماء والساسة وهذا من ثمار الدعوة الإصلاحية التي جعلت شعرهم يتسم بهذه الظاهرة النادرة في التاريخ؛ لأن في أغلب فترات التاريخ الإسلامي كان الشاعر مجرد موظف في قصر الحاكم للمديح والتهاني، والرثاء إذا مات هذا الحاكم أو ذاك، لكن الحاكمين من آل سعود لم تكن تربطهم بشعراء عصرهم أكثر من رابطة الإعجاب بالحاكم الصالح فكان ارتباطهم بالعلماء والشعراء لا يرقى إليه اعتبار (٧).

(١) ابن بشر: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧.

(٢) رحمه بن جابر بن عذبي، رئيس الجاهمة من بني عتبة أهل البحرين، والكويت كان نادره وقته بأسا وشجاعة، استعمله قادة الدولة السعودية محارباً في البحر لحين سقوط الدولة سنة ١٢٣٣هـ كان شاعراً قاتل أمراء البحرين والأحساء بعد ذلك واشتعلت النار في سفينته فكانت وفاته سنة ١٢٤٢هـ، أثنى عليه مؤرخون نجد وأطالوا في ترجمته مثل الفاخري: الأخبار النجدية ص ١٦٤ وابن بشر عنوان المجد ج ٢ ص ٢٧.

(٣) محمد القاضي: روضة الناظرين ج ١ ص ٦٨.

(٤) أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج من آل كثير من بني لأم، ولد بمرات سنة ١١٩٠هـ تربى تربية حسنة حتى أصبح عالماً جليلاً عمل قاضياً ببلدة تخرج على يده عدد من العلماء كان يقرض الشعر، توفي سنة ١٢٦٨هـ (محمد القاضي: المرجع السابق ج ١ ص ٦٧).

(٥) بكري شيخ أمين: مرجع سابق ص ٢٦٧.

(٦) ابن مشرف: ديوانه ص ٤٢.

(٧) عبدالله الحامد: مرجع سابق ص ١٣٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلہ ونعمہ وعونه وتوفيقه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه من خلقه، وخاتم رسله من صفوته، خير من دعا إلى الله على هدى وبصيرة، وبعد: فقد عشت زمناً مع الدعوة الإسلامية، كما يجب أن يعيش كل مسلم لهذه الدعوة المباركة ومن أجلها، وفي سبيل إعطاء منهج واضح مفيد للأمة المسلمة. عشت - بتوفيق الله - محلقاً في أجوائها الواسعة، متنقلاً بين حقولها المخصبة الزاهية؛ لأقطف من ثمارها اليانعة، وأنهل من ينابيعها الصافية، من خلال واقعها في مكان من أعز الأمكنه على النفوس، وأقربها إلى القلوب ذلك الجزء الهام من بلاد العرب والإسلام؛ موطن العرب، ومعقل الإسلام، ومأزر الإيمان، وفي فترة مهمة من أهم فترات (دعوة الإسلام) في عصورها المتأخرة، فترة انطلاقة الدعوة من عقابها من جديد، بعد فترات الركود الذهني وانتشار البدع، وفي فترة بداية التطور العلمي التي تعيشها الإنسانية فتلاقي الدين والعلم. وهي كذلك فترة الانفتاح الأوربي على بلاد العرب. عندما كان أعداء الإسلام يشككون في إمكان كون الإسلام يستطيع أن يسير مع الثورة الصناعية التي تعيشها البشرية، ويطالبون المسلمين بإبعاد الدين عن الحياة العامة، والاكتفاء به في المساجد وأماكن العبادة كما هو حاصل في أوروبا، وانخدع كثير من المسلمين - وللأسف - بهذه التمويهات !!

ومن هنا عشت في أجواء الدعوة الواسعة، وواقعها المعطر بالإيمان، كنت قرير العين، مرتاح البال؛ أدرس وأبحث وأنقب عما يفيد في مجال الدعوة ويخدمها، من خلال واقعها وواقع أبنائها وأمتها في فترة البحث؛ أبحث لأصل إلى الحال التي أشعر معها أنني قد قمت بهذا العمل على الصورة التي ترضي ضميري، وتخدم ديني وأمتي، وأكون بهذا قد أسهمت مع غيري من الدارسين، في بيان آفاق جديدة، وجوانب متعددة، ومواقف هامة عن دعوة الإسلام. والكشف عن محاسنها، وبيان مكاسبها ومعطياتها. وإعطاء دعاة الإسلام منهجاً متكاملأ ودرساً مفيداً في الدعوة من خلال (الدعوة إلى الله على بصيرة) كما هو سبيل سيد الدعاة وإمامهم صلى الله عليه

وسلم ((قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) (١) والكشف عن بعض محاسن تلك الدعوة المباركة وميزاتها وبيان أهم الأسس والوسائل المطلوبة لنشرها ونجاحها، من خلال النظر في واقع الدعوة في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري.

هذا ؛ وإنه بعد هذه الدراسة، والجهد المتواضع التي قمت به للوصول إلى الغاية التي أنشدها فقد كشفت في البحث عن أهم الأمور المرتبطة بواقع الدعوة في فترة البحث وتأثيرها بالدعوة، وتأثير الدعوة فيها ، وكان مما لاحظته من خلال مطالعتي وبحثي أن الدعوة من خلال واقعها في القرن الثالث عشر لم تنل الاهتمام المناسب والبيان الكافي بالرغم من أهميته في واقع الدعوة الإسلامية بعمومها ، والأثر الذي أحدثته في أمة الإسلام، وصلاحيته لأن يكون درساً ومنهجاً لأمة الإسلام في الدعوة لأن أهمية أي دراسة تنبع من مدى علاقتها وصلتها بالمجتمع وأهميتها في حياة الناس بحيث لم أجد - فيما أعلم - أحداً سبقني بتخصيص الدعوة وقضاياها وموضوعها -آنذاك- بدراسات متخصصة على النهج الذي سلكته، عدى الفقرات والكتابات الموثقة في كتب التاريخ والعقائد والمؤلفات الأخرى أو بعض الرسائل والبحوث المختصرة التي تعالج جوانب معينة أو فترات تاريخية محددة ، فأننا أدعو إخواني من الباحثين والطلاب الدارسين إلى الاهتمام بهذه الموضوعات ومحاولة كشف واقع الدعوة خلال تلك الفترة، وما سواها من فترات لكون كل ذلك يحتاج إلى دراسات ومجلدات ، إذا ما أردنا ان نعطي منهجاً متكاملًا وطريقاً واضحاً لدعاة الإسلام وطلاب الهدى والرشاد من أمة الإسلام .

ودراستي هذه لخصتها - بعد مقدمة وتمهيد - في قسمين مهمين ، وكل قسم يحوي أبواباً، والباب يحوي فصولاً وفقرات وجزئيات على التفصيل السابق في المقدمة .

ومما سبق بيانه وتفصيله في هذه الرسالة ، فإنني أجمل هنا بعضاً من النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي مما يجعل من واقع الدعوة الإسلامية في المكان والزمان المحددين منهجاً ودرساً عملياً لدعاة الإسلام ، ومنها :

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨

أولاً :

إن الدعوة الإسلامية هي دعوة الحق ، لذلك كان أمرها عظيماً وشأنها كبيراً ، لكونها وظيفية الانبياء والمرسلين ، كما أنها وظيفة هذه الأمة من بعدهم، التي شرفها الله تعالى بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانت من أوجب الفرائض على هذه الأمة لورود الأدلة ؛ خاصة عند ظهور المنكرات، وقلة الدعاة، وانتشار الفواحش والفساد، وتداعي الأعداء على الأمة، والدارس لواقع الأمة الإسلامية ودعوتها في القرن الثالث عشر يدرك أنه لا يمكن لأمة الإسلام أن تعيش بين الأمم وتصل إلى مكانتها المطلوبة، وتحيا حياة سعيدة؛ إلا بهذه الدعوة بعد القيام بها والاهتمام بأمرها. لأن الدعوة الإسلامية روح الإسلام التي بها يحيا، وإن ذلك لا يكون من الناحية النظرية فقط ، بل الجانب العملي أعظم شأنًا، وأكبر أثرًا، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنه نظراً لأهمية الدعوة إلى الله ، وأثرها في نشر الإسلام وبيانه للناس فلم يترك المشرع أمرها إلى الناس ، بل جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بالقواعد الثابتة ، والأسس القوية للدعوة، وأبان مبادئها ووسائلها وأساليبها ولذلك نجد الدعاة يتمسكون بالكتاب والسنة ، وهذا كان من نقاط الخلاف بين الدعاة وخصومهم مما يجعل دراستنا للدعوة تأصيلية أي تقوم على الكتاب والسنة .

ثانياً :

أهمية الدعوة الإسلامية وقوة علاقتها وصلتها بواقع الأمة في كل عصر وقرب تشابه واقع الجزيرة العربية عند قيام الدعوة الإصلاحية في منتصف القرن الثاني عشر، وانطلاقها من نجد بحالها عند بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من انتشار البدع والضلال والجهل، والإعراض عن هدى الله وطريقه القويم، كما يؤكد أكثر من عالم محقق وأكثرهم عايشوا ذلك ، مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني والنعمي وعبدالرحمن بن حسن ومحمد رشيد رضا مما يدلنا على أهمية الدعوة في تلك الفترة وجهود الدعاة.

ثالثاً : للدعوة الإسلامية من الميزات والخصائص ، ما يجعلها تفوق كل دعوة أو فكرة سواها مهما كان مصدرها ، من ذلك كونها دعوة ربانية من الله تعالى ودعوة الحق والفضيلة، ودعوة شاملة تتصف بالواقعية والثبات ، وهي كذلك دعوة بشرية تقوم على جهد البشر، فتستوجب البذل والعطاء والتضحية والجهاد من أجلها وفي سبيلها، ومن هذا المنطلق فلا بد للدعاة من التأسي برسولهم صلى الله عليه وسلم في الدعوة وفي مقدمة ذلك الصبر على الإيذاء والتحمل عند القيام بأعباء الدعوة، والجهاد في سبيل الله، وهي كذلك دعوة تتسم بالأصالة والتجديد وما سوى ذلك حسبما هو مفصل في موضعه.

رابعاً : الدعوة إلى الله وأعمال الدعاة تدخل في كل ما يهم الناس ويحقق مصالحهم لقوة صلة الدعوة بالمجتمع وإصلاحه وما يكون مظهرًا للحق ومُزهقًا للباطل، وأمرًا بالمعروف ونهاية عن المنكر، وحاتاً على مكارم الأخلاق، وتوحيد الأمة وعزتها ونصرتها، من جهاد وتعليم وتوجيه وخطابة وإفتاء وقضاء، بحيث يكون الداعية المهندس في مصنعه والمدرس والطالب في المدرسة، والطبيب في عيادته، والمزارع في حقله، والوزير في وزارته، والموظف في مكتبه، والأب والأم في بيتهما وبين أسرتهما، ويكون الداعية السياسي والاقتصادي والكبير والصغير والرجل والمرأة والأمير والفقير، كل يدعو بطاقته، وعلمه وحسب جهده ومكانته وتأثيره على غيره، في المساجد وفي البيوت وفي الشوارع وفي المدارس والأندية، وفي أجهزة الإعلام ووسائله.

خامساً : أهمية الجهاد وضرورته لقيام الدعوة واستمرارها لاستمرار الصراع بين الحق والباطل ولما اقتضته حكمته تعالى من ابتلاء المؤمنين وامتحانهم، والثمار اليانعة التي جنتها الأمة من الدعوة وجهود الدعاة وطريقتهم في الدعوة.

سادساً : انه لا بد لإصلاح الأمة من إصلاح عقيدتها أولاً، فكل دعوة أو فكرة بدون عقيدة صحيحة لا تنتصر ولا يكتب لها الفوز، وكل إصلاح بدون إصلاح العقيدة أولاً، فهو

إصلاح فاشل لا يمكن له النجاح مهما بُذل فيه ومن أجله بحيث يكون الإصلاح بالتدريج والبدء بالأهم فالهم ، وإن من مُنطلق الإصلاح الناجح يبدأ من إصلاح النفوس أولاً، وتغيير ما فيها من فساد وشر إلى صلاح وخير.

سابعا: كان من ثمار الدعوة وجهود الدعاة توحيد البلاد دينياً وسياسياً وفكرياً واجتماعياً ورفعتها ورفع مكانتها أمام الأمم الأخرى، وكذلك توحيد الأمة في القضاء والإفتاء بعد أن كانت البلاد يسودها التفرق العقدي ما بين أشعرية ورافضة وصوفية وكذلك بالنسبة للمذاهب الفقهية حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة وزيدية وهكذا، وكذلك السلطة ما بين الأمراء، ووالي السلطان ومفتي السلطان وشيخ العرب وشيخ القبيلة وبين الحكم بالمذهب الفلاني في الحاضرة والأعراف في البوادي - كما سبق- لكن بعد الدعوة وهدفها في الإصلاح وجهود الدعاة خلال فترة البحث توحدت الأمة في العقيدة فلم يبق إلا مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك في الفقه شاع المذهب الحنبلي وقد وضحنا في المبحث كيف أن المذهب الحنبلي أيسر المذاهب وأوسطها وأقربها للنص ، وفي الولاية أصبحت الكلمة لولاة البلاد من أبنائها ممن ولدوا وشبوا وعاشوا في كَنَفِ هذه الدعوة السلفية يأتَمرون وينهون بما ورد به الكتاب والسنة، فاتحدت البلاد وتوحدت القلوب في صورة فريدة بحمد الله وفضله.

ثامنا: اهتمام الدعاة بكل جوانب المجتمع ووسائل حياته وتطوره ونموه عندما التقت السياسية بالدين بعد طول جفوة، واستفادة الدعاة من القوى السياسية المحلية لنشر دعوتهم والدفاع عنها، مما يجب أن يسير عليه دعاة الإسلام في كل زمان ومكان .

تاسعا: أثر القوة السياسية للدعوة ووقوفها خلفها، والتأكد بأنه لا بد من سلطة تحمي الدعوة وتذود عنها وتنشرها ، في حين أن التوحيد هو الأساس السليم والقاعدة القوية لعملية الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ليحصل استقرار المجتمع وسلامته وهذا ما يقرره الإسلام من حين بزوغ شمسهِ .

عاشراً : ومن خلال الدراسة ندرك ضرورة الإهتمام بتاريخ الإسلام، بعمومه وبتاريخ الدعوة السلفية بوجه خاص وبالذات الفترات المميزه والملفته للنظر كحال الدعوة في القرن الثالث عشر، فالتاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ونهاية الكفر والفجور ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)) (١) وحديث القرآن الكريم عن الأمم الماضية وتاريخها وموقفها من أنبيائها كثير جداً ساقه القرآن الكريم وفصله لأهداف وغايات عظيمة ليس هنا مجال تعدادها وبحثها . فالداعية يحتاج إلى أن يستشهد للقيم والمعاني والأهداف التي يدعو إليها بالأحداث والمواقف وسير الأبطال وغيرهم فهذا أعون على تثبيت المطلوب في العقول والقلوب ، فالكلمات كثيراً ما تنسى، ولكن الوقائع قلما تنسى.

حادي عشر : إذا كانت العقيدة الإسلامية قد صنعت يوماً أمة مسلمة كانت خير أمة أخرجت للناس، وجعلت منهم أقوى قوة على وجه الأرض ، فان تلك العقيدة لاتزال مؤهلة وصالحة لتحقيق ذلك من جديد متى عاد المسلمون إلى عقيدتهم الصافية، ودعوتهم الخالصة كما حصل للدعوة في جزيرة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر وما بعد ذلك ، وهذا يدل على أهمية دراستنا للدعوة خلال تلك الفترة.

ثاني عشر : وهكذا شملت جوانب الإصلاح التي حققتها الدعوة في فترة البحث الجوانب الدينية والسياسية والأخلاقية والفكرية والاقتصادية للمجتمع .

وما توفيقي إلا بالله صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) سورة يوسف : آية ١١١

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : باللغة العربية :

(أ) الوثائق:

- ١- وثيقة رقم (٤) بالدفتري (١) معية تركي وتاريخها أواخر ذي الحجة ١٢٢٢هـ الموافق فبراير ١٨٠٨م وموضوعها : اعتذار محمد علي من عدم قيامه بحرب الدولة السعودية، ترجمها من التركية محمد زهدي الكوثري. ومكان وجودها بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- ٢- وثيقة رقم (٢) بالمحفظة (١) نوات ، تاريخها ٢١ ذي الحجة ١٢٢٦هـ الموافق ٦ يناير ١٨١٢هـ . موضوعها: من محمد علي وابنه طوسون بخصوص شروط الصلح مع الإمام عبدالله بن سعود . دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- ٣- وثيقة رقم (١٢٢) محفظة (١٦) بحريرا ، تاريخها : بدون تاريخ ، عربية الأصل، موضوعها: من الإمام عبدالله بن سعود إلى السلطان محمود الثاني ومحمد علي يطلب الصلح والأمان مشيراً إلى ان تمويهات الشريف غالب وتزويره هي أسباب الخلاف بين الطرفين . بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٤- وثيقة رقم (٣٣) محفظة (٤) بحريرا ، بدون تاريخ ، عربية الأصل ، موضوعها: من الإمام عبدالله بن سعود إلى محمد علي يبدي فيها استعداده لتبعية السلطنة العثمانية، وقبول الدعاء للسلطان العثماني على المنابر ، وكف الاذى عن الوارد والصادر إلى الممالك المحروسة وهي بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٥- وثيقة رقم (٦٤) محفظة (٤) بحريرا ، تاريخها ٢٥ شعبان ١٢٣١هـ الموافق ٢١ يونية ١٨١٧هـ ، موضوعها : الإشعار بالاعداء لحملة إبراهيم باشا للقضاء على الخوارج الوهابيين ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٦- وثيقة رقم (١٢٢) محفظة (٤) بحريرا، تاريخها ٦ شعبان ١٢٣٢هـ الموافق ١١ يولية ١٨١٨، موضوعها تحرك إبراهيم باشا في القصيم وانتصاراته على الوهابيين ومساعدة الاعراب له . بدار الوثائق القومية بالقاهرة

- ٧- وثيقة رقم (١١) محفظة (٤) بحرياً ، تاريخها ٢٣ محرم ١٢٣٤هـ موضوعها: حول حرب الدرعية وانفاذ اوامر والده بترحيل آل سعود وتخريب الدرعية ارسلها إبراهيم باشا إلى والده . بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٨- وثيقة رقم (٢٣) محفظة (٦) ، تاريخها ٢٧ صفر ١٢٣٤هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٨١٨هـ ، موضوعها : من محمد علي إلى الجانب العالي مهنئاً بانتصارات الدرعية، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٩- وثيقة رقم (٢٤) محفظة (٦) بحرياً، تاريخها ٢٣ صفر ١٢٣٤هـ الموافق ٢٢ ديسمبر إلى الجانب العالي ، تهنئة كذلك بانتصارات الدرعية وهزيمة الوهابيين . بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- ١٠- وثيقة رقم (١٧) محفظة (٦) بحرياً تاريخها ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ موضوعها: من إبراهيم باشا بشأن انفاذ رغبة والده واوامر الباب العالي بتهديم الدرعية وتخريبها . بدار الوثائق القومية بالقاهرة.
- ١١- تقرير كتبه الشريف أحمد بن زيد من قدامي التعليم بمكة المكرمة ضمن مجموعة وثائق عن التعليم ومراحله ، محفوظة بوكالة التطوير التربوي بوزارة المعارف .

ب- المخطوطات :

- حرف الألف -

- ١- أبابطين، عبدالله بن عبدالرحمن :
- رسالة في ان تكفير المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة، قسم
المخطوطات بجامعة الملك سعود رقمها ٣٤٢٢/١٠ م .

- حرف الباء والتاء -

- ٢- البسام ، عبدالله بن محمد :
- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، كتبه عن الأصل الخطي نور
الدين شرابيه، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م لدى ورثة المؤلف ، ويحوزتي نسخة منه .
٣- التهامي الحازمي، محمد ناصر (الشريف) :
- ايقاظ الوسنان في بيان الخلل الذي في صلح الاخوان، نسخة في قسم
المحفوظات بجامعة الملك سعود، رقم ٤٥٥، تاريخ النسخ ١٣٥٩هـ .

-حرف الجيم-

- ٤- جحاف ، لطف الله بن أحمد :
- درر نحدور العين بسيرة الإمام المنصور، وأعيان دولته الميامين، نسخة من
مخطوطة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، رقمها ٨٥ ولها نسخة مصورة
بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض.

- حرف الحاء -

- ٥- ابن حجي الحنبلي النجدي ، سعيد :
- رسالة حول الانتقال من مذهب إلى آخر، وهي جواب رسالة من محمد بن أحمد الحفظي الشافعي، نسخة مخطوطة بجامعة الملك سعود رقم ١/٨١٤.
- ٦- الحداد، علوي بن أحمد :
- مصباح الانام وجلاء الظلام، وبهامشه رسالة في جواز التوسل لأحمد زيني دحلان بالخزانة التيمورية رقم ٥٠٨.
- ٧- ابن حميد ، محمد بن عبدالله :
- السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة، نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود رقم ٦٢٢.

- حرف الذال والراء -

- ٨- الذكير، مقبل بن عبدالعزيز :
- تاريخ نجد (الجزء الثالث) من مسودات جمعها ويذكر انه لم يضع لها عنواناً، بكلية الآداب بجامعة بغداد رقم ٥٦٩، ولدى نسخة منها.
- ٩- ابن رضوان ، الملا عمران بن علي :
- ارجوزة شعرية في مدح الشيخ ابن عبدالوهاب وذم معارضيه، بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود برقم ١٩/١٦٣٩ م.

- حرف السين -

- ١٠- ابن سحمان ، سليمان :
- القول المنيف - رد على رسالة عبدالله بن عمرو (الرد العنيف على ابن عبداللطيف) لدي نسخة منها حصلت عليها من الاخ محمد بن ناصر الشثري.

- ١١- ابن سند الوائلي ، عثمان :
- مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود، مكتبة الاوقاف العامة، بغداد رقم
.٥٨٤٠.

-حرف العين-

- ١٢- ابن عاكش ، الحسن بن أحمد
- الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليمانى، نسخة مخطوطة بالمكتبة
الفيصلية بجازان، رقم ٤٢.
- ١٣- ابن عبدالوهاب محمد (الشيخ)
- فائده في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، قسم المخطوطات بجامعة الملك
سعود رقمها ٣٤٠٨.
- ١٤- ابن عبدالوهاب ، عبدالله بن محمد :
- رسالته إلى أهل مكة، قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود رقم ٢٥٩٨،.
- فصل الخطاب في تبرئة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم المخطوطات بجامعة
الملك سعود رقمها ٣٤٢٢/٤٩م.
- ١٥- ابن عبدالوهاب، سليمان بن عبدالوهاب بن سليمان (المشرف):
- الرد على من كفر المسلمين ، مخطوط في اوقاف بغداد برقم ٦٨٠٥.
- رسالة في الرد على الوهابية ، بالخزانة التيمورية رقم ٣٢٧ عقائد.
- ١٦- ابن عبدالرحمن، عبداللطيف (آل الشيخ) :
- قصيدة ينقض بها قصيدة اخرى لعثمان بن منصور. مخطوط بالمكتبة العلمية
بالرياض رقم ٨٦/٦١٠ .
- رسائل الشيخ عبداللطيف، جمع تلميذه، سليمان بن سحمان، المكتبة العلمية
بالرياض رقم ٨٦/٥٤٩.

-حرف القاف -

- ١٧- القباني ، أحمد بن علي (ابن ملا عبادي) :
- فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب، المتحف العراقي، رقم ٩٣٨٤.
 - كشف الحجاب عن وجه ضلالات ابن عبدالوهاب، الخزانة التيمورية عقائد رقم ١٨٦ .

-حرف الميم-

- ١٨- ابن معمر، حمد بن ناصر :
- الرسالة المدنية في بيان العقيدة السلفية، قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود رقمها ١٤٦٠هـ.
 - الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب، مخطوط بجامعة الملك سعود رقم ٦٠٧/٨٦ .
- ١٩- مؤلف مجهول :
- قصائد في الهجوم على الشيخ ابن عبدالوهاب والذب عنه، المكتبة السعودية بالرياض، مخطوط رقم ٨٦/٦٤٧ ، ٨٦/٤٥٩ .

- حرف النون -

- ٢٠- ابن ناصر ، عبدالرحمن بن محمد :
- عنوان السعد والمجد فيما استطرف من اخبار نجد، نسخة مصورة في دار الملك عبدالعزيز بالرياض برقم ٣ ومنه نسخة بارامكورقمها ٩٥٣/ف .

- حرف الألف -

- ١- أبابطين ، عبدالله بن عبدالرحمن :
- الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، الدار العربية، بيروت، بدون تاريخ .
- رسائل وفتاوي ، مجموعة الرسائل ج ٤ .
- رسائل وفتاوي ، ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجـدية، ط الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- ٢- أبو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني :
- سنن ابوداود، مراجعة محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ٣- الأثري ، محمد بهجه :
- اعلام العراق، طبع بمصر ١٣٤٥هـ .
- ٤- ابن الاثير ، ابو السعادات المبارك بن محمد الجوزي :
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناجي، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ .
- ٥- ابن ادريس ، عبدالله بن عبدالعزيز :
- شعراء نجد المعاصرون ، دراسة ومختارات، ط الأولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، دارالكتاب العربي بمصر.
- ٦- الازرقى ، محمد بن عبدالله :
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشد بن ملحس، دار الاندلس، بدون تاريخ.
- ٧- الأستنبولي، محمود مهدي :
- ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، ط الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دار المعرفة بدمشق .

- ٨- الاسكندراني ، عبدالقادر بن محمد سليم :
- النفحة الزكية في الرد على الفرقة الوهابية، مطبعة الفيحاء، دمشق ١٣٤٨هـ .
- ٩- الاصفهاني ،الحسن بن عبدالله :
- بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة بالرياض، بدون تاريخ.
- ١٠- الألويسي ، محمود شكري :
- غاية الأمان في الرد على النبهاني، مطابع نجد التجارية بالرياض، بدون تاريخ.
- تاريخ نجد وبأخره تامة ونقد سليمان بن سحمان، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط الثانية، ١٣٤٧هـ .
- ١١- الألويسي ، آدم عبدالله :
- تاريخ الدعوة بين الامس واليوم، ط الثانية ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبه، القاهرة .
- ١٢- الألباني ، محمد ناصر الدين :
- سلسلة الاحاديث الصحيحة، ط الثانية ١٣٩٩هـ ، المكتب الإسلامي.
- ١٣- الألويسي، نعمان خير الدين :
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون تاريخ.
- ١٤- أمين ، أحمد:
- فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط الحادية عشرة، ١٩٥٧م.
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث ط الثانية ١٩٧١م.
- ١٥- أمين ، صادق :
- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية، طباعة جمعية المطابع التعاونية، عمان، بدون تاريخ.
- ١٦- أمين ، بكري شيخ (الدكتور) :
- الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، ط الرابعة، ١٩٨٥م.
- ١٧- الأنصاري ، عبدالقنوس :
- تاريخ مدينة جده، ط الاولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

- ١٨- الأهل ، عبدالعزيز سيد :
- داعية التوحيد، محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
- ١٩- الأهواني : أحمد فؤاد :
- التربية في الإسلام، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- حرف الباء -
- ٢٠- ابن باز : عبدالعزيز بن عبدالله :
- رسالتان هامتان، عن وجوب العمل بالسنة والدعوة إلى الله، مطابع الاشعاع بالرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الإمام محمد بن عبدالوهاب (دعوته وسيرته) منشورات الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد.
- ٢١- باشا البغدادي ، اسماعيل بن محمد امين :
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين، طبع في استنبول ١٩٥١-١٩٥٥م
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون سنة ١٣٦٤هـ - ١٣٦٦هـ، استانبول.
- ٢٢- البخاري ، محمد بن اسماعيل :
- صحيح البخاري بحاشية السندي، الناشر دارالمعرفة، بيروت .
- الادب المفرد ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٨٠م.
- ٢٣- ابن بدران ، عبدالقادر بن أحمد :
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة دارالعلوم، بيروت، بدون سنة الطبع.
- ٢٤- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن :
- علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ .

- ٢٥- ابن بشر ، عثمان :
- عنوان المجد في تاريخ نجد، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ .
- ٢٦- البغدادي، عبدالقادر :
- الفرق بين الفرق ، الآفاق الجديدة، بيروت، ط الخامسة، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
- ٢٧- بكر، عبدالعزيز :
- الادب العربي وتاريخه، طبعت بمطابع، الصحافة والنشر، جده، ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م.
- ٢٨- البكري ، ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز :
- معجم ما استعجم، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٤هـ -١٩٤٥م.
- ٢٩- بك ، خليل مردم :
- أعيان القرن الثالث عشر، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية، ١٩٧٧م.
- ٣٠- بلنت ، الليدي أن :
- رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة محمد انعم غالب، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .
- ٣١- البهي ، محمد (الدكتور) :
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، ط الثانية ١٣٩٥هـ.
- ٣٢- البيهقي ، أحمد بن الحسين :
- الجامع لشعب الايمان، طبعة اولي ١٣٩٣-١٩٧٣م، العزيزية، حيدر اباد بالهند.
- ٣٣- البتيوني ، محمد لبيب :
- الرحلة الحجازية، ط الثانية، المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ .
- ٣٤- البيطار، عبدالرزاق بن حسن :
- حلية البشر، في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٨٠هـ .

- ٣٥- بيرين - جاكين :
 - اكتشاف جزيرة العرب، نقله إلى العربية قدري قلعجي، منشورات الفاخرية بالرياض، بدون تاريخ .
- حرف التاء -
- ٣٦- ابن تركي ، الإمام فيصل :
 - رسائل ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية، ج ٩ ط الثانية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- ٣٧- الترمذي ، محمد بن عيسى :
 - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) مطبعة الحلبي بمصر، ط الاولى ١٣٨٥هـ.
- ٣٨- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم :
 - الحسبة في الإسلام، تحقيق محمد زهدي النجار، منشورات المؤسسة السعودية بالرياض بدون تاريخ .
 - الاستقامة، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، ط الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
 - العبودية ، ط الخامسة، ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي .
 - كتاب الزيارة، طبع ضمن الجامع الفريد المحتوي على كتب ورسائل لائمة الدعوة الإسلامية بمطبعة المدينة المنورة بالرياض بدون تاريخ .
 - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط الاولى ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٢هـ .
 - الفتاوي ، جمعها ورتبها الشيخ عبدالرحمن القاسم العاصمي النجدي، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين بدون تاريخ .

- حرف الجيم -

- ٣٩- الجامي ، محمد أمان بن علي:
- طريق الدعوة إلى الإسلام، ط الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتب الإسلامي.
- ٤٠- الجبرتي ، عبدالرحمن :
- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ .
- ٤١- الجراعي ، اسماعيل :
- رسالة ضمن الدرر السنية في الاجوبة النجدية، جمعها عبدالرحمن القاسم ،
الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٤٢- ابن جرجيس : داود بن سليمان :
- صلح الاخوان من اهل الايمان، وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن
القيم، طبع في الهند ١٣٠٦هـ .
- المنحة الوهبية في الرد على الوهابية، وبآخرها رسالة (أشد الجهاد في ابطال
دعوى الاجتهاد)، طبع ببمبي ١٣٠٥هـ .
- ٤٣- الجندي ، أنور :
- القرن الخامس عشر الهجري وتحديات في وجه الدعوة والعالم الإسلامي،
المكتبة العصرية، بدون تاريخ .
- ٤٤- الجندي ، عبدالحليم :
- الإمام محمد بن عبدالوهاب أو انتصار المذهب السلفي، دار المعارف . بدون تاريخ .
- ٤٥- جوان، ادوار :
- مصر في القرن التاسع عشر، تعريب محمد مسعود، ط الثانية، القاهرة
١٣٥٠هـ-١٩٣١م .
- ٤٦- جودت التركي ، أحمد :
- ترتيب جديد لتاريخ الدولة العثمانية، مطبعة الاستانة ١٣٠٢هـ .

-حرف الحاء-

- ٤٧- الحاتم، عبدالله بن خالد :
- خيار ما يلتقط من شعر النبط ، ط الثالثة ١٩٨١م.
- ٤٨- الحامد، عبدالله بن حامد (الدكتور) :
- الشعر في الجزيرة العربية، دار الكتاب السعودي، ط الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.
- ٤٩- حافظ ، علي عبدالقادر :
- فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط الثانية ١٤٠٥هـ .
- ٥٠- الحاكم النيسابوري ، ابو عبدالله :
- المستدرک على الصحيحين، مكتب المطبوعات الإسلامي ، حلب .
- ٥١- حاجي خليفة ، ابو عبدالله مصطفى بن عبدالله :
- كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون ، منشورات المثني ، بغداد. بدون تاريخ.
- ٥٢- ابن الحجاج ، مسلم :
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر ادارة البحوث العلمية بالرياض، ١٤٠٠هـ .
- ٥٣- الحجى ، سعيد :
- الكلام المنتقى فيما يتعلق بكلمة التقوى ، القاهرة ١٣٤٩هـ وضمن مجموعة الرسائل ج٤ .
- حكم التزام مذهب معين ، مجموعة الرسائل والمسائل ج٤ .
- رسائل اخرى في الدرر السنية في الاجوبة النجدية، ط الثانية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- ٥٤- الحداد ، علوي أحمد :
- مصباح الانام وجلاء الظلام في رد شبهات البدعي النجدي الذي أضل بها العوام ١٣٢٥هـ، ط الاولى المطبعة الشرقية .

- ٥٥- الحداد ، الحبيب بن عبدالله بن علوي :
 - الدعوة التامة والتذكرة العامة، دار الشعب بالقاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٥٦- حسين ، طه (الدكتور) :
 - الحركة الادبية في الجزيرة العربية، ط النشر العربي، دمشق ١٩٣٥م.
 - ألوان ، دار المعارف ، ط السادسة بدون تاريخ .
 - مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة دار المعارف ، ١٩٣٨م.
- ٥٧- ابن حسين ، محمد بن سعد (الدكتور) :
 - الادب الحديث في نجد، ط الاولى ، مطبعة الفجالة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٥٨- ابن حسن ، عبدالرحمن (ابن عبدالوهاب) :
 - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ .
 - قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء المرسلين، مكتبة الرياض الحديثة،
 بدون تاريخ .
 - القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس، المطابع الاهلية
 للاوقست بالرياض - بدون تاريخ .
 - المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال، ضمن القول الفصل، بدون
 تاريخ ، وكذلك ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج٢.
 - ملخص منهاج أهل السنة لابن تيمية، ضمن القول الفصل بدون تاريخ.
 - بيان المحجة في الرد على اللجة، ضمن مجموعة التوحيد، وكذلك في مجموعة
 الرسائل ج٤.
 - بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري، مجموعة الرسائل ، ج ٤ والدرر
 السنية ج٩.
 - رسائل وفتاوي ، مجموع الرسائل ج١ ، ج١٤.
 - كتاب الايمان والرد على أهل البدع، مجموعة الرسائل ج٢.
 - رسائل ونصائح في الدرر السننية في الاجوبة النجدية، ط الثانية
 ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- كتاب المقامات، الدرر السننية ج ٩ .
- الرد على ابن منصور ، الدرر السننية ج ٩ .
- ٥٩- الحصري ، ساطع :
- البلاد العربية والدولة العثمانية، طبع في بيروت ١٩٦٠ .
- ٦٠- الحصين، عبدالعزيز بن عبدالله :
- رسائل ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية ج ٢ ط ٢، عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ٦١- الحفظي ، محمد بن أحمد :
- اللجام المكين والزمَام المتين، تحقيق عبدالله بن بن محمد ابو داهش، ط الاولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- ٦٢- الحفظي ، محمد بن إبراهيم :
- نفحات من عسير، ديوان شعر، من قصائد اسلاف آل حفظي، إخراج عبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .
- ٦٣- الطو، عبدالفتاح محمد :
- شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، مطبعة الفجالة، مصر ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .
- ٦٤- حمزه ، فؤاد
- البلاد العربية السعودية، الناشر ، مكتبة النصر الحديثة، ط الثانية ١٣٨٨هـ .
- ٦٥- حمزه ، عبداللطيف
- الاعلام في صدر الإسلام ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧١م
- ٦٦- الحموي ، ياقوت :
- معجم البلدان ، دار الكتاب العربي بدون تاريخ .
- ٦٧- الحنبلي ، راشد بن علي بن جريس :
- مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، منشورات دار الملك عبدالعزيز ١٣٩٩هـ .
- ٦٨- ابن حنبل ، أحمد بن محمد :
- مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاکر - منشورات دار المعارف بمصر ١٣٦٩هـ .

- ٦٩- الحيدري ، إبراهيم صبغة الله :
 - عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ، منشورات دارالبصري ،
 بدون تاريخ .

حرف الخاء

- ٧٠- خزيك ، صديق حسن بن حسن :
 - المقالات الوفية في الرد على الوهابية، مطبعة الكمال ١٣٤٦هـ .
- ٧١- خزعل ، حسين خلف :
 - تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مطابع دار
 بيروت.
- ٧٢- الخطيب ، عبدالكريم :
 - الدعوة الوهابية ، ط الثانية ، بيروت دار الشرق ، والطبعة الاولى بالقاهرة باسم
 (محمد بن عبدالوهاب العقل الحر والقلب السليم) ١٣٧٩هـ .
- ٧٣- الخطيب البغدادي : أحمد بن علي :
 - الفقيه والمتفقه ، ط الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م مطابع القصيم ، الرياض .
- ٧٤- ابن خلدون ، عبدالرحمن :
 - مقدمة ابن خلدون ، ط الخامسة ، دار الكتاب العربي بدون تاريخ .
- ٧٥- ابن خميس ، عبدالله بن محمد :
 - المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة بالرياض .
 - معجم اليمامة ، ط الاولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
 - الادب الشعبي في جزيرة العرب ، ط الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م .
- ٧٦- الخولي ، أمين :
 - المجددون في الإسلام ، دار المعرفة القاهرة - ١٩٦٥م

- حرف الدال -

- ٧٧- داكوبرت ، فون ميكوش :
- عبدالعزيز ، نقله عن الالمانية أمين رويحه ، بيروت ١٩٥٣م.
- ٧٨- ابوداهش ، عبدالله بن محمد بن حسين (الدكتور)
- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، ط الاولى ١٤٠٥هـ .
- ٧٩- دحلان ، أحمد زيني :
- خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية بمصر، ط الاولى ١٣٠٥هـ .
- رسالة في جواز التوسل، مطبعة الشرفية ١٣٢٥هـ بهامش (مصباح الانام) لعلوي حداد.
- الدرر السننية في الرد على الوهابية، دار جوامع الكلم القاهرة. بدون تاريخ.
- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مكة ، ١٣٠٢هـ .
- ٨٠- دورزه ، محمد عزت :
- نشأة الحركة العربية الحديثه ، ط الثانية ، المكتبة العصرية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٨١- ابن دهيش ، عبداللطيف بن عبدالله (الدكتور) :
- الكتابيب في الحرمين الشريفين وما حولها، ط الاولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

- حرف الراء -

- ٨٢- أبوراس ، عبدالله بن سعيد (الدكتور)
- الملك عبدالعزيز والتعليم ، بالاشتراك مع بدر الدين الديب ، ط الاولى ١٤٠٧هـ.

- ٨٣- الراغب الاصفهاني ، الحسين بن محمد :
- المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، بيروت .
- ٨٤- الرشيد، ضاري بن فهيد :
- نبذة تاريخية عن نجد، أملاها على وديع البستاني، اشرف على طبعها حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٨٥- رضا ، محمد رشيد :
- الوهابيون والحجاز، ط الاولى ، مطبعة المنار- مصر ١٣٤٤هـ.
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (جامع) مقدمه.
- ٨٦- ابن رزيق ، حميد بن محمد :
- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمنعم عامر وزميله
١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .
- ٨٧- بن رضوان ، ملا عمران :
- ارجوزة شعرية ، ضمن الهدية السنوية والتحفة الوهابية، جمعها سليمان بن سحمان .
- ٨٨- رفعت باشا ، إبراهيم (اللواء) :
- مرآة الحرمين ، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط الاولى ١٣٤٤هـ ، ١٩٢٥م.
- ٨٩- الرويشد ، عبدالله بن سعد :
- الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ ، رابطة الأدب الحديث .
- حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، رابطة الادب الحديث.
- ٩٠- الريحاني ، أمين :
- نجد وملحقاته ، منشورات الفاخرية بالرياض، ط الخامسة ١٩٨١م.
- ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية ، بيروت ١٩٢٤م.

-حرف الزاي-

- ٩١- زباره ، محمد بن محمد :
- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٨هـ .
- ٩٢- الزركلي ، خير الدين محمود :
- نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الالف ، القاهرة ١٣٧٦هـ .
- ٩٣- زكي ، البكباشي عبدالرحمن (الدكتور) :
- أعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .
- ٩٤- الزمخشري ، جار الله محمد:
- اساس البلاغه ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ الطباعة .
- ٩٥- الزهاوي ، جميل صدقي :
- الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، مطبعة الواعظ بمصر ١٣٢٣هـ .
- ٩٦- زيدان ، عبدالكريم (الدكتور) :
- أصول الدعوة ، ط الثالثة ١٣٩٦هـ، مكتبة المنار الإسلامية .

-حرف السين-

- ٩٧- السباعي ، أحمد :
- تاريخ مكة ، ط السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، منشورات النادي الثقافي بمكة .

- ٩٨- ستودارد ، لوثرروب :
- حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، ط الرابعة ١٢٩٤هـ - ١٩٧٣م دار الفكر .
- ٩٩- ابن سحمان ، سليمان :
- ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان ، تعليق : عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، منشورات مؤسسة الدعوة الصحفية . بدون تاريخ .
- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ، ط الاولى ١٣٤٤هـ .
- الهدية السنوية والتحفة الوهاية النجدية ، مجموعة رسائل لائمه الدعوة (جامع) ١٣٨٩هـ - ١٩٦٨م .
- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الاوهام، ط الثانية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- مجموعة كتب هي :-
- ١- الصواعق المرسله الشهائية .
 - ٢- تبرئة الشيخين الإمامين .
 - ٣- كشف شبهات عبدالكريم البغدادي
- طبعت بمطابع الرياض ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- كشف الاوهام والالتباس ، مطبعة المصطفائي ، بمبئي ١٣٢٨هـ
- رسائل ضمن الدرر السنوية في الاجوية النجدية ، ط الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- إقامة الحجة والدليل وايضاح المحجة والسبيل، مطبعة المجتبائي، بمبئي ١٣٣٢هـ .
- تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير اهل الكذب والمين، مطبعة المنار، ط الاولى ١٣٤٣هـ .
- الأسنه الحداد في رد شبهات الحداد، مطبعة المصطفوية ، بمبئي .
- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ، مطبعة المنار . ١٣٤٠هـ .
- منهاج أهل الحق والأتباع ، مطبعة المنار ١٣٤٠هـ .
- ١٠٠- ابن سحيم ، سليمان :
- رسالة ضمن روضة الافكار لابن غنام ، ط الثالثه ، ١٤٠٣هـ .

- ١٠١- السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن (شمس الدين) :
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبع بالقاهرة، ١٣٥٣هـ - ١٣٥٥هـ .
- ١٠٢- سركيس ، يوسف الياس :
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، طبع بمصر ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- ١٠٣- سعيد ، أمين :
- تاريخ الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب العربي .
- سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بيروت ١٩٨٢ .
- ١٠٤- سعيد ، بسطامي محمد :
- مفهوم تجديد الدين ، دار الدعوة ، ط الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ١٠٥- ابن سعيد ، عبدالعزيز بن عبدالرحمن (الدكتور) :
- الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة في الشريعة الاسلامية
١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ١٠٦- آل سعود، عبدالعزيز بن محمد :
- رسالة الإمام عبدالعزيز الاول ، طبعها علي الصالحي ، مؤسسة النور بالرياض.
- ١٠٧- آل سعود ، سعود بن عبدالعزيز :
- رسائل ضمن الدرر السنية في الاجوبة النجدية ج٧ .
- ١٠٨- آل سعود ، تركي بن عبدالله :
- رسائل ضمن الدرر السنية في الاجوبة النجدية .
- ١٠٩- ابوسليمان ، عبدالوهاب بن إبراهيم (الدكتور) :
- الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ، الدار العربية للموسوعات ١٣٩٢هـ -
١٩٧٢م.
- خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب (بحوث أسبوع
الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ١١٠- السلطان ، محمد بن عبدالله (الدكتور) :
- رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ .
 - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ .
 - الاحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ .
- ١١١- السمنودي ، إبراهيم بن عثمان :
- سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية. جريدة الإسلام ١٣١٩هـ .
- ١١٢- السنهوري ، عبد الرزق :
- مصادر الحق في الفقه الإسلامي ، ط الثالثة ، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، ١٩٦٧م .
- ١١٣- السهسواني ، محمد بشير :
- صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، ط الثالثة ١٣٧٨هـ - المطبعة السلفية.
- ١١٤- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن :
- الجامع الصغير، ط الرابعة ، دارالكتب العلمية، وتوزيع دار الباز بمكة المكرمة.
 - نور اللمعة في خصائص الجمعة ، ط الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م دار ابن القيم .

- حرف الشين -

- ١١٥- شاکر ، محمود :
- شبه جزيرة العرب .. نجد، المكتب الإسلامي ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ١١٦- الشامخ ، محمد بن عبدالرحمن (الدكتور) :
- التعليم في مكة والمدينة في آخر العهد العثماني، الاولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣، المطابع الاهلية الاوفست بالرياض .

- ١١٧- ابن شبيب الكويتي ، يوسف :
 - نصيحة المؤمنين ، طبع ١٣٢٥هـ .
- ١١٨- الشثري ، محمد بن ناصر :
 - إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز ابوحبيب ، دار العاصمة، الرياض ، ط
 الاولى .
- ١١٩- الشطي ، مصطفى بن أحمد :
 - النقل الشرعية في الرد على الوهابية ، مطبعة الكمال ، ١٣٤٦هـ .
- ١٢٠- الشطي محمد جميل :
 - مختصر طبقات الحنابلة ، طبع في دمشق ١٣٣٩هـ .
- ١٢١- الشهابي ، الأمير حيدر أحمد :
 - تاريخ الشهابي ، المسمى (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان) ١٩٠٠م .
- ١٢٢- الشوكاني ، محمد بن علي :
 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، ط الاولى ، القاهرة ١٣٤٨هـ .
 - ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول ، دار الفكر .
 - الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ، ط الاولى ١٣٥٠هـ دار الكتب العلمية
 بيروت .
- ١٢٣- آل الشيخ ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله :
 - مشاهير علماء نجد وغيرهم ، ط الثانية ١٣٩٤هـ دار اليمامة بالرياض .
 - دعوة الشيخ ومناصروها ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
 - علماء الدعوة ، القاهرة ١٣٨٦هـ .
- ١٢٤- آل الشيخ ، اسحاق بن عبدالرحمن :
 - الأرجوزة المفيدة، تشتمل على مسائل من التوحيد، ومهمات يحتاج اليها
 المستفيد، بمباي ١٣١٠هـ .
 - رسائل واجوبة، ضمن الدرر السنوية ج ١ ص ٢٥٦ وما بعدها ، ط الثانية
 ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، ط الاولى ١٤٠٩هـ ، دار
طبية الرياض .

١٢٥- آل الشيخ ، محمد بن عبداللطيف :

- رسائل ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية ج٧ ط الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ .

١٢٦- آل الشيخ ، حسن بن حسين بن محمد :

- رسائل ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية ج٧

- رسائل وفتاوي ضمن مجموعة الرسائل والمسائل .

١٢٧- آل الشيخ ، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالعزيز :

- البيان الواضح لاسرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب حتى سنة ١٣٩٢هـ

بدار بوسلامة للنشرو والتوزيع بتونس ، بدون تاريخ .

-حرف الصاد والضاد-

١٢٨- صبري باشا ، أيوب :

- مرآة جزيرة العرب ، ترجمة وتقديم الدكتور أحمد متولي وزميله ، الطبعة

الاولى ١٤٠٣هـ دار الرياض للنشر والتوزيع .

١٢٩- الصعيدي ، عبدالمتعال :

- المجددون في الإسلام في القرن الأول إلى القرن الرابع عشر، دار الحمامي-

القاهرة .

١٣٠- الصنعاني ، محمد بن اسماعيل :

- تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد ، القاهرة ١٣٤٠هـ .

- ديوان الصنعاني ، طبع على نفقة علي آل ثاني باشراف: علي صبح المدني،

مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٤هـ .

١٣١- الضبيبي ، أحمد بن محمد (الدكتور) :

آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ط الاولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

- حرف الطاء -

١٣٢- ابو طامي، أحمد بن محمد :

- الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، الدار السلفية، ط
الرابعة ١٩٥٣م.

١٣٣- الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير :

- تاريخ الامم والملوك، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ - ١٣٥٧هـ .

١٣٤- الطحان ، محمود بن أحمد :

- مفهوم التجديد ، بين السنة النبوية وبين ادعاء التجديد المعاصرين ، ط الاولى
١٩٨٤م.

- حرف العين -

١٣٥- العابد، صالح بن محمد :

- دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧-١٨٤٠هـ) ط بغداد ١٩٧٦م

١٣٦- ابن عابدين ، محمد أمين :

- رد المحتار على الدر المختار، المطبعة الاميرية بمصر ١٢٧٢هـ .

١٣٧- العاملي ، محسن الامين :

- العقود الدرية في كشف شبهات الوهابية ، مطبعة زيدون ، دمشق ، ط الاولى
١٣٤٧هـ .

- كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبدالوهاب ، مطبعة زيدون ، دمشق ١٣٤٧هـ .
- أعيان الشيعة ، طبع في دمشق بدون تاريخ .
- ١٣٧- ابن عبدالوهاب ، محمد (الشيخ) :
- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، مطابع الإسلام ، مصر بدون تاريخ .
- كشف الشبهات ، المكتب الإسلامي ، ط الثالث ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .
- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، تحقيق اسماعيل الانصاري ١٤٠٧هـ .
- فضل الإسلام ، مراجعة وتعليق اسماعيل بن محمد الانصاري ، بدون تاريخ .
- الرسالة المفيدة والمهمة الجليلة، طبع ضمن كتاب مفيد المستفيد .
- أصول الايمان ، ضمن مجموعة الحديث ، ط الخامسة ، مكتب الرياض احديثة ص ١٩٧ .
- كتاب الكبائر ، ضمن مجموعة الحديث ، ص ٢٤١ .
- رسالة في انواع التوحيد ، ضمن مجموعة التوحيد، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة .
- مختصر الانصاف والشرح الكبير، القاهرة، ونسخة اخرى ضمن مؤلفات الإمام، القسم الثاني ج ١
- قواعد تدور عليها الاحكام، ونبذة في اتباع النصوص مع احترام العلماء، مؤلفات الشيخ الإمام ، القسم الثاني .
- الاجتهاد والخلاف ، مؤلفات الشيخ الإمام ، القسم الثاني .
- الرسائل الشخصية، مؤلفات الشيخ الإمام القسم الخامس .
- بعض رسائل الشيخ الكبير، مجموعة الرسائل الخمس الواجب معرفتها ورسالة في النفاق، ورسالة في الشهاداتين ، ورسالة في كلمة التوحيد، ورسالة في مذكراته أهالي حريملاء، ورسالة في ذبيحة المرتد وهي ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٨-٤٣ .
- رسائل ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جمع الشيخ محمد رشيد رضا ج ٤ .

- رسائل وفتاوي وتفسير آيات من القرآن ، ضمن روضة الافكار ج ٢ ط الثالث ١٤٠٣هـ .
- الدرر السننية في الاجوبة النجدية، كتاب العقائد، ج ١ ط الثانية ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .
- خطب إمام الدعوة واحفاده ، المطبعة السلفية بمصر بدون تاريخ .
- ١٣٩- ابن عبدالله ، سليمان (ابن عبدالوهاب) :
 - التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب اهل العراق وتذكرة اولي الالباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ط الاولى ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م وينسبه عبدالله البسام (علماء نجد . ج ١ ص ٢٩٦) إلى محمد بن غريب .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ط السادسة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي .
- رسائل وفتوى ، مجموعة الرسائل والمسائل . ج ١ ص ٤٩١ .
- أوثق عرى الايمان ، مجموعة التوحيد ، المكتبة السلفية بالمدينة .
- الدلائل في حكم موالاته اهل الشرك، مكتبة دار الهداية بالرياض ، بدون تاريخ .
- ١٤٠- عبدالرحمن ، عبداللطيف (آل الشيخ) :
 - دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ، ط الثانية بالقاهرة ١٣٨٢هـ .
- مصباح الظلام في الرد من كذب على الشيخ الإمام، طباعة شركة العبيكان، الرياض بدون تاريخ .
- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جريس ، ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ دار الهداية بالرياض .
- الجواب المنشور في الرد على ابن منصور، ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية ج ٩ ط الثانية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- تحفة الطالب والجليس في كشف شبهة ابن جريس ، ط الاولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- الرسائل المفيدة ، جمع سليمان بن سحمان ، مطابع مؤسسة الجزيرة بالرياض بدون وتاريخ .
- رسائل وفتاوي ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ، ج ٢

- رسائل في الدرر السننية في الاجوبة النجدية ، ضمن رسائل ائمة الدعوة، جمعها عبدالرحمن القاسم ط الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ..
- رسائل ضمن الهدية السننية والتحفة الوهابية، جمعها سليمان بن سحمان طبع ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.
- ١٤١- ابن عبدالوهاب ، عبدالله بن محمد :
- جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٤٧-٢٢٢.
- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، مجموعة التوحيد ص ٢٢٩-٢٩٠ ونسخة اخرى، مكتبة السلام ١٤٠١هـ .
- رسالة ألفها عند دخولهم مكة سنة ١٢١٨هـ مكة سنة ١٢١٨هـ ، ضمن الهدية السننية ص ٢٦-٢٩ التي جمعها سليمان بن سحمان ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.
- رسائل في الدرر السننية في الاجوبة النجدية، ضمن رسائل ائمة الدعوة جمعها عبدالرحمن القاسم .
- ١٤٢- ابن عبدالقادر، محمد بن عبدالله :
- تاريخ الاحساء (تحفة المستفيد) ط الثانية ١٤٠٢هـ مكتبة المعارف، .
- مختارات آل عبدالقادر ، ط الاولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م المكتب الإسلامي بدمشق.
- ١٤٣- عبدالرحيم ، عبدالرحيم بن عبدالرحمن :
- الدولة السعودية الاولى، ط الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م دار الكتاب الجامعي.
- ١٤٤- ابن عبدالوهاب ، سليمان (المشرف) :
- الصواعق الالهية في الرد على الوهابية، دار الانسان ، القاهرة، ط الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ١٤٥- بن عبدالوهاب ، حسن بن محمد (واخوانه) :
- رسالة ضمن الدرر السننية في الاجوبة النجدية التي جمعها عبدالرحمن القاسم ط الثانية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ١٤٦- ابن عبيد ، إبراهيم (آل عبدالمحسن) :
- تذكرة اولي النهى والعرفان بايام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان ما بين عامي ١٣٦٨هـ - ١٩٦٣هـ ، مؤسسة النور، بالرياض، والقسم الثاني (العلم والادب) علق عليه محمد زهير الشاويش ، ط الاولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م المكتب الإسلامي ، دمشق .
- ١٤٧- عبدالجبار، عمر :
- سير وتراجم لبعض علمائنا في القرن الرابع عشر، ط الثانية، مؤسسة مكة للطباعة، ١٣٥٨هـ .
- ١٤٨- عبدالجبار ، عبدالله :
- التيارات الادبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العليا - القاهرة ١٩٥٩م.
- ١٤٩- ابن عتيق ، حمد بن علي :
- هداية الطريق من رسائل وفتاوي الشيخ ابن عتيق، جمع اسماعيل بن عتيق ، دار الهداية بالرياض بدون تاريخ .
- رسالة في الدرر السننية في الاجوبة النجدية ج٧ ط الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- سبيل النجاة والفكاك ، ط السادسة ١٤٠٨هـ الرياض، وضمن مجموعة التوحيد، المطبعة السلفية بالمدينة .
- ١٥٠- العثيمين ، عبدالله الصالح (الدكتور) :
- تاريخ المملكة العربية السعودية، ط الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الشيخ محمد بن عبدالوهاب (حياته وفكره)، ط الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ١٥١- ابن عثيمين ، محمد بن عبدالله :
- العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمع وتحقيق سعد الرويشد، دار المعارض بمصر ، بدون تاريخ.
- ١٥٢- العجلاني، منير (الدكتور) :
- تاريخ البلاد العربية السعودية، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود، دار الكتاب العربي بدون تاريخ .
- ١٥٣- عزوي ، عباس :
- تاريخ العراق بين احتلالين، طبعة بغداد ١٣٧٣هـ .
- ١٥٤- عسه ، أحمد :
- معجزة فوق الرمال ، ط الاولى ، ١٩٦٥ ، المطابع الاهلية، بيروت .
- ١٥٥- عطار ، أحمد عبدالغفور :
- محمد بن عبدالوهاب، ط الاولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م دار العلم للملايين.
- ١٥٦- العظمي ، مختار أحمد المؤيد :
- جلاء الاوهام عن مذاهب الائمة العظام، طبعة بيروت ١٣١٩هـ .
- ١٥٧- عظيم أبادي ، ابوالطيب محمد شمس الحق :
- عون المعبود على سنن أبي داود، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط الثالثة، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٥٨- العقيلي ، محمد بن أحمد :
- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية، ط الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٥٩- العقيلي ، نجيب :
- المستشرقون، دار المعارف بمصر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٦٠- العقاد، عباس محمود :
- الإسلام في القرن العشرين ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٩م.
- الإسلام دعوة عالمية، منشورا المكتبة العصرية بدون تاريخ .

- ١٦١- العقاد ، صلاح (الدكتور) :
- التيارات السياسية في الخليج العربي ، طبع في القاهرة ١٩٦٥م.
- ١٦٢- ابوعليه ، عبدالفتاح :
- الدولة السعودية الثانية، الناشر: مؤسسة الانوار بالرياض بدون تاريخ .
- محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الاولى، منشورات دار المريخ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
- ١٦٣- علماء نجد الاعلام :
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ط الاولى ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، المنار بمصر.
- ١٦٤- علي، أحمد :
- آل سعود ، مكة المكرمة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ١٦٥- علي ، سيد أمير :
- روح الإسلام ، نقله للعربية عمر الديراوي ، دار العلم للملايين، ط الرابعة ١٩٧٧م.
- ١٦٦- العمروي ، ابو سعيد عمر بن غرامه :
- قلائد الجمان في بيان سيرة آل سحمان ، مطابع نجد بالرياض ، ط الاولى ١٤٠٨هـ .
- ١٦٧- ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي الحسني :
- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، الناشر : مكتبة المعارف، الطائف (مجموعة الرسائل الكمالية) بدون تاريخ .
- ١٦٨- عودة، عبدالقادر :
- التشريع الجنائي الإسلامي، ط الاولى ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- ١٦٩- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح :
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر واول الرابع عشر، تحقيق : عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، المطابع الوطنية الحديثة بالرياض، بدون تاريخ .
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، منشورات دار اليمامة بدون تاريخ .

- ١٧٠- ابن عيسى : أحمد بن إبراهيم :
- الرد على شبهات المستعنين بغير الله ، نشره وصححه : عبدالسلام بن برجس
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

- حرف الغين -

- ١٧١- غازي ، محمد جميل (الدكتور) :
- محمد بن عبدالوهاب ، مجدد القرن الثاني عشر الهجري، مكتب المدني،
القاهرة، بدون تاريخ.
١٧٢- غرايبه ، عبدالكريم (الدكتور) :
- مقدمة تاريخ العرب الحديث ، دمشق . ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
١٧٣- الغزالي ، ابوحامد محمد :
- إحياء علوم الدين ، منشورات دار المعرفة، بدون تاريخ .
١٧٤- الغزالي ، محمد :
- كتاب مع الله ، ط الثالث ١٣٨٥هـ ، دار الكتب الحديثه .
- واقعنا المعاصر ، ط الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٧٥- الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد :
- الكواكب السائره في أعيان المئة العاشرة، المطبعة الامريكية، بيروت ١٩٤٥،
١٩٤٩م.
١٧٦- غلوش ، أحمد :
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، مطبعة نهضة مصر، الناشر دار الكتاب
المصري بالقاهرة بدون تاريخ .

١٧٧- ابن غنام ، أبوبكر حسين :

- تاريخ نجد ، المسمى (روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام) حرره وحققه الدكتور: ناصر الدين الاسد، ط الثالثه ١٤٠٣هـ والطبعة الاولى بعنوان: روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام ، المطبعة الصفوية ، في بمبي- الهند ، بدون تاريخ .

- حرف الفاء -

١٧٨- الفاخري ، محمد بن عمر :

- الاخبار النجدية، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبأخره تكمله ابنه عمر بن محمد الفاخري بدون تاريخ.

١٧٩- ابن فارس ، ابو الحسن أحمد :

- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية بايران، بدون تاريخ .

١٨٠- فتال، عبدالوهاب :

- درب الانتصار، مطابع جريدة الجمهورية، بيروت، بدون تاريخ .

١٨١- الفرغ ، خالد بن محمد :

- ديوان النبط ، طباعة القاهرة ، بدون تاريخ .

١٨٢- الفقي ، محمد حامد :

- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في جزيرة العرب ط الاولى ١٣٥٤هـ .

١٨٣- الفلاني : صالح بن محمد العمري :

- إيقاظ همم أولي الابصار، ط الاولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار نشر الكتب الإسلامية.

- ١٨٤- فلبى ، عبدالله :
- تاريخ نجد والشيخ محمد بن عبدالوهاب، تعريب عمر الديراوى ، بيروت ١٩٥٤م.
- ١٨٥- الفوزان ، إبراهيم بن فوزان (الدكتور) :
- إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثه ، ط ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
- ١٨٦- الفيروز ابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب :
- القاموس المحيط ، ط الخامسة ١٣٧٣هـ ، المكتبة التجارية القاهرة.
- حرف القاف -
- ١٨٧- القاسم ، عبدالرحمن بن محمد :
- الدرر السنية في الاجوية النجدية، جمع فيه اجوية ورسائل أئمة الدعوة وعلمائها
كما ترجم لاشهرهم في الجزء الاخير ، ط الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، بيروت .
- ١٨٨- القاضي ، محمد بن عثمان بن صالح :
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، ط الثانية ١٤٠٣هـ
-١٩٨٣م.
- ١٨٩- القرطبي ، ابو عبدالله محمد بن أحمد:
- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) منشورات دار الشعب ، بدون تاريخ .
- ١٩٠- القصيمي ، عبدالله بن علي (الصعيدي) :
- الثورة الوهابية، الطبعة الاولى ، الرحمانية بمصر، ١٣٥٤هـ .
- ١٩١- القرضاوي ، يوسف (الدكتور) :
- ثقافه الداعية ، ط الثانية، بيروت مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- ١٩٢- قطب ، سيد :
- في ظلال القرآن ، ط الرابعة ١٣٩٧هـ ، دار الشروق .
- هذا الدين ، ط ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

- ١٩٣- ابن القيم ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر :
- أعلام الموقعين تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط الثانية، ١٣٩٧هـ، دار الفكر.
 - إغاثه اللهفان في مصايد الشيطان ، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة.
 - مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والارادة، منشورات رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض ، بدون تاريخ الطبعة.
 - زاد المعاد في هدي خير العباد، ط الثانية ١٣٩٣هـ ، دار الفكر.
 - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد وإياك نستعين، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- ١٩٤- القنوجي ، صديق بن حسن خان :
- التاج المكلل عن مآثر الطراز الاخر والاول، تعليق عبدالحكيم شرف الدين ط بمبي ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
 - أوجد العلوم ، بهوبالل ١٢٩٥هـ .
 - إتحاف النبلاء المتيقن باحياء مآثر الفقهاء والمحدثين ، الطبعة النظامية ١٢٨٨هـ.

- حرف الكاف واللام -

- ١٩٥- الكتبي ، أبوبكر خوقير :
- فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال، مطبعة المنار- مصر- ١٣٤٣هـ.
- ١٩٦- الكتاني ، محمد عبدالحى بن عبدالكبير:
- فهرس الفهارس والاثبات ، طبع في فاس ، ١٣٤٦هـ - ١٣٤٧هـ .
- ١٩٧- ابن كثير ، الحافظ اسماعيل :
- تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر.
 - البداية والنهاية ، دار الفكر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- ١٩٨- كحالة ، عمر رضا :
- معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي ، بدون تاريخ .
- ١٩٩- الكريمي السيامي ، محمد مصطفى بن إبراهيم :
- رسالة السنين في الرد على المبتدعين الوهابيين ، مطبعة المجاهد ١٣٤٥هـ .
- ٢٠٠- الكركولي ، رسول :
- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله من التركية موسى كاظم ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ٢٠١- الكسم ، أحمد عطاء :
- الاقوال المرضية في الرد على الوهابية ، المطبعة العمومية بمصر ١٩١٠م .
- ٢٠٢- لوريمر ، ل. ج :
- دليل الخليج (القسم الجغرافي) اعداد قسم الترجمة بمكتب سمو امير قطر، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير قطر ، دون تاريخ .

- حرف الميم -

- ٢٠٣- المحبي ، محمد أمين بن فضل الله :
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط بمصر ١٢٨٤هـ .
- ٢٠٤- المخضوب ، عبدالله بن حسين :
- الحكمة البالغة في خطب الشهور والسنة ، ومعه خطبة الكسوف والخسوف والنكاح لابن حجر، المكتبة الشعبية، بيروت بدون تاريخ .
- ٢٠٥- المرادي ، محمد خليل الحسيني :
- سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، طبع بمصر ١٣٠١هـ .
- ٢٠٦- مردم بك ، خليل بن أحمد مختار :
- أعيان القرن الثالث عشر ، ط الثانية ١٩٧٧م، مؤسسة الرسالة .

- ٢٠٧- ابن مشرف ، أحمد بن علي :
- ديوان ابن مشرف ، مكتبة الفلاح ، الاحساء، ط الرابعة، بدون تاريخ .
- ٢٠٨- ابن مشرف ، سليمان بن علي :
- مسائل الشيخ سليمان علي بن مشرف جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جمعها محمد بن عبدالرحمن آل اسماعيل، مكتبة المعارف بالرياض ، بدون تاريخ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م وبعضها في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.
- ٢٠٩- ابن مشرف، عبدالوهاب بن سليمان :
- رسائل ضمن مجموعة المسائل والرسائل النجدية جمعها الشيخ رشيد رضا.
- ٢١٠- مصطفى، عبدالله عبدالخالق :
- النزعة الإسلامية في مدرسة الاحياء في المملكة العربية السعودية، مطبعة النهضة العربية بالقاهرة، بدون تاريخ .
- ٢١١- المعمر ، حمد بن ناصر :
- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٧هـ، وهذه الرسالة سبق أن طبعت ضمن تاريخ ابن غنام في الهند بدون تاريخ.
- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، مجموعة الرسائل ج٤ ص ٥٩١- ٦٥٩.
- رسائل وفتاوي ابن معمر، مجموعة الرسائل ج١، ج٢.
- رسائل اخرى في الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط الثانية١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- رسالة ضمن الهدية السنة والتحفة الوهابية التي جمعها سليمان بن سحمان ١٣٨٩هـ .
- ٢١٢- ابن معمر ، عبدالعزيز بن حمد :
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، ط ١٣٥٨هـ، شركة فن الطباعة، بيروت .

- ٢١٣- المنقور ، أحمد بن محمد :
 - تاريخ الشيخ أحمد المنقور ، تحقيق : عبدالعزيز الخويطر. ط الأولى
 ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- ٢١٤- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم :
 - لسان العرب ، دار لسان العرب - بيروت بدون تاريخ .
- ٢١٥- المناوي ، زين الدين محمد عبدالرؤف :
 - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٨م.
- ٢١٦- المهندس ، محمود فهمي :
 - البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والواخر، ط الأولى ١٣١٢هـ
 الاميرية، القاهرة.
- ٢١٧- مؤلف مجهول :
 - لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف
 آل الشيخ ، منشورات دار الملك عبدالعزيز، بدون تاريخ .
- ٢١٨- مؤلف مجهول ، (احد اعلام الدعوة) :
 - رسائل ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمعها عبدالرحمن القاسم، ط
 الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٢١٩- موسى الافغاني ، سيد محمد :
 - الاجتهاد ومدى حاجتنا اليه ، ط الأولى، مطبعة المدني بالقاهرة.
- ٢٢٠- موسى أفندي ، علي :
 - وصف المدينة المنورة، قدم له وأشرف علي الطباعة حمد الجاسر، منشورات دار
 اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض (ضمن رسائل تاريخ المدينة) بدون
 تاريخ.

- حرف النون -

- ٢٢١- النبھانی ، محمد فاروق (الدكتور) :
- المدخل للتشريع الإسلامي ، ط الثانية ١٩٨١م ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
- ٢٢٢- النبھانی ، محمد بن خليفة :
- التحفة النبھانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٢٢٣- النبھانی ، يوسف بن اسماعيل :
- شواهد الحق في الاستغاثه بسيد الخلق ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٣٧٤هـ .
- ٢٢٤- الندوي ، مسعود :
- محمد بن عبدالوهاب ، مصلح مظلوم ومفتري عليه ، ترجمة عبدالعليم عبدالعظيم البستوي ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٢٢٥- النعمي ، حسن مهدي :
- معارج الالباب في مناهج الحق والصواب ، مكتبة المعارف بالرياض ط الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

- حرف الواو -

- ٢٢٦- وهبه ، حافظ :
- جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٥٥م .

- حرف الهاء -

- ٢٢٧- الهاشمي ، السيد أحمد :
- جواهر الأدب في أبيات وانشاء لغة العرب ، ط ٢١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، مطبعة السعادة .

- ٢٢٨- الهراس ، محمد خليل :
- الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي ، دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ .
- ابن تيمية السلفي ، ط الثانية ١٤٠٥هـ ، ط الثانية ١٤٠٥هـ، مكتبة الصحافة، طنطا.
- ٢٢٩- ابن هشام ، ابو محمد عبدالملك :
- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تقديم : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر بدون تاريخ .
- ٢٣٠- الهمداني، الحسن بن أحمد :
- صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الاكوع، دار اليمامة بالرياض ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٢٣١- الهندي ، علي بن محمد :
- زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، مطابع دار الاصفهاني، جده ١٣٨٠هـ.

د- البحوث والمقالات والدوريات :

-حرف الألف -

- ١- الأطرم ، صالح بن عبدالرحمن (الدكتور):
- بحث مقدم إلى اسبوع الشيخ ابن عبدالوهاب بعنوان (اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة) طبع ضمن بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- حرف الجيم -

- ١- الجاسر ، حمد بن محمد :
- مقال عن كتاب لمع الشهاب ومؤلفه ، نشر بمجلة العرب الجزء العاشر، العدد الرابع ، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ملاحظات وتعليقات ، مجلة العرب السنة الرابعة الجزء التاسع والعاشر، ربيع الاول والثاني ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- لطف الله جحاف وكتابه درر نحور العين ، مجلة العرب السنة السابعة رجب ١٣٩٢هـ .
- بحث عنوانه (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ضمن بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- حرف الحاء -

- ٣- الحقييل ، عبدالله بن حمد :
- مراحل اعداد المعلم السعودي ، مجلة المنهل ، الجزء السادس ، جمادي الثانية ١٣٩٢هـ .

- حرف الخاء -

- ٤- الخطيب ، محب الدين :
- الوهابية، مقالة بمجلة الزهراء، المجلد الثالث ، صفر ١٣٤٥هـ .
- ٥ الخياط ، عبدالله بن عبدالغني :
- حركة الاصلاح الديني في القرن الثاني عشر، بحث نشر بمجلة البحوث الإسلامية الدورية التي تصدرها الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، العدد الاول ، السنة الأولى، رجب وشعبان ورمضان ١٣٩٥هـ.

- حرف الراء -

- ٦- الرشيدى، منصور بن عبدالعزيز :
- قضاة نجد اثناء العهد السعودي ، بحث نشر بمجلة الدارة، العدد الثاني، رجب ١٣٩٨هـ الموافق يونيو ١٩٧٨م، والعدد الثالث شوال ١٣٩٨هـ الموافق سبتمبر ١٩٧٨م.

- حرف السين -

- ٧- السلمان ، محمد بن عبدالله (الدكتور) :
- أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي ، مجلة العلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد لاول ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٨- ابوسليمان ، عبدالوهاب بن إبراهيم (الدكتور) :
- التشريع الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، بحث بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، العدد الاول سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

- حرف الطاء -

- ٩- الطاهر، علي جواد :
- معجم المطبوعات العربية السعودية، العرب ، الجزء الثامن، السنة السابعة صفر
١٣٩٣هـ - مارس ١٩٧٣م ومحرم ١٣٩٤هـ - فبراير ١٩٧٤م.

- حرف العين -

- ١٠- العثيمين ، عبدالله بن صالح (الدكتور)
- نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور محمد بن عبدالوهاب، بحث نشر
مسلسلا بمجلة الدارة بالرياض في الاعداد الاول والثاني والثالث، ربيع الثاني
وشوال ١٣٩٨هـ ، مارس وسبتمبر ١٩٧٨م.

- حرف الميم -

- ١١- مجموعة مؤلفين :
- بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذي نظمتها جامعة الامام في الفترة
من ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى ١٤٠٠/٤/٢٧هـ ، مطبوعات الجامعة ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م .
- ١٢- ابن معمر ، عبدالرحمن بن فيصل :
- من اعلام الدعوة، عبدالعزيز بن حمد بن معمر، المنهل ، الجزء السادس ، جمادي
الثانية ١٣٩٢هـ .
- ١٣- المفيريج ، فهد بن محمد :
- آراء وتعليقات حول تاريخ الرياض ، جريدة الرياض ، العدد ٧٣١٨ في
١٤٠٨/١١/٢٢هـ .

ثانيا : المصادر الأجنبية :

- 1- Bryges , H. J.
 - An account of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the Year 1807- 11 to which is appended Brief History of the Wahabys, London, 1834.
- 2- Burckhardt, J.L.
 - Travels in Arabia, London, 1829.
- 3- Margoliouth,D.S :
 - (Wahhabiya) Encyclopaedia of Islam, 1st. edition.
- 4- Philby, S.J :
 - Saudi Arabia , London 1955.
 - Arabia , London, 1930.
 - Arabian Days , London , 1952.
- 5- Zwemer, S.M.
 - Arabia , the Cradle of Islam, New York, 1929.

فهرس الموضوعات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١	المقدمة
٢٣	تمهيد ومدخل
٤١	القسم الأول
٤٢	(الدعوة والقضايا الرئيسة)
	<u>الباب الأول</u>
	الدعوة نشأتها وأهدافها
٤٤	الفصل الأول: نشأة الدعوة في نجد
٤٤	أولاً : المؤثرات الدينية في الدعوة .
٥٤	ثانياً : المؤثرات الطبيعية والاجتماعية والسياسية .
٥٨	ثالثاً : المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبداية الدعوة .
٦٣	الفصل الثاني : نشأة الدعوة في الحجاز :
٦٣	أولاً : المؤثرات الدينية في الدعوة .
٦٥	ثانياً : المؤثرات السياسية والاجتماعية .
٦٧	ثالثاً : الدعوة الاصلاحية في الحجاز .
٦٩	الفصل الثالث : أهداف الدعوة :
٧٠	أولاً : الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة .
٧٥	ثانيا : الدعوة إلى وحدة الامة .

٨٠	<u>الباب الثاني</u> : المعوقات التي واجهت الدعوة
٨٢	الفصل الأول : المعوقات الأولية .
٨٢	أولاً : ظهور المعارضة وبدايتها .
٨٥	ثانياً : وسائل المعارضة
٩٠	الفصل الثاني : نماذج من المعوقات
٩٠	أولاً : في مسائل التوحيد
١٠٥	ثانياً : في مسألة الاجتهاد والتقليد .
١١١	ثالثاً : تسمية الوهابية
١١٩	<u>الباب الثالث</u> : من خصائص المنهج
١١٩	الفصل الأول : الأصالة والتجديد
١٢٣	أولاً : مفهوم الاصاله
١٢٥	ثانياً : مفهوم التجديد
١٢٩	ثالثاً : السلفيون والتجديد
١٢٣	الفصل الثاني : استفادة الدعوة من القوى السياسية
١٢٩	الفصل الثالث : منهج يقوم على الجهاد
١٤٠	أولاً : الجهاد بالكلمة .
١٤٤	ثانياً : الجهاد بالسيف والسنان.
١٥٠	<u>الباب الرابع</u> : الدعوة في عهد جديد .
١٥٠	الفصل الاول : الدعوة تنهض من كبوتها .
١٥٢	أولاً : الأسباب التي عجلت بنهوض الدعوة
١٥٥	ثانياً : قدوم المجدد الثاني للدعوة .

١٥٨	الفصل الثاني : الدعوة في عهد الإمام فيصل وما بعده
١٥٨	اولا : وثبة الدعوة في عهد الإمام
١٦١	ثانيا : ضعف الدعوة بعد فيصل ونتائجه
١٦١	أ) أسباب الضعف ومقاومة الدعاة له
١٦٥	ب) الآثار والنتائج
١٦٨	القسم الثاني (دعاة الدعوة وجهودهم)
١٧١	توطئة
١٧٧	<u>الباب الاول</u> : اشهر المعلمين وجهودهم
١٧٨	اولا : ابناء الشيخ وذريته .
١٧٩	ثانيا : القادة والامراء
١٨٢	ثالثا : علماء آخرون
١٨٥	رابعا : نصيب النساء في التعليم والدعوة
١٨٧	الفصل الثاني : أماكن التعليم واشهر المدارس
١٨٨	اولا : الكتاتيب والمدارس
١٩٢	ثانيا : حلقات التدريس
١٩٤	ثالثا : السفر في طلب العلم
١٩٦	<u>الباب الثاني</u> : الخطباء والوعاظ والمرشدون والمفتون
١٩٦	الفصل الاول : الخطابة والخطباء
١٩٦	اولا : الخطابة مع انطلاقة الدعوة
١٩٧	ثانيا : استفادة الدعاة من الخطابة واشهر الخطباء

٢٠٠	ثالثا : موضوعات الخطابة واقسامها
٢٠٠	أ) خطب الجمع والأعياد
٢٠٤	ب) خطب أخرى
٢٠٧	ج) نماذج من الخطب
٢١٠	الفصل الثاني : الواعظون والمرشدون
٢١٠	اولا : موضوعات الوعظ
٢١٢	ثانيا : الاساليب
٢١٣	ثالثا : نماذج من المواعظ والنصائح
٢١٥	الفصل الثالث : الفتوى والمفتون
٢١٦	اولا : اسس الفتوى وخصائصها
٢١٦	١- الاعتماد على الكتاب والسنة
٢١٨	٢- الاخذ بمبدأ الاجتهاد والتقليد
٢١٩	٣- الايجاز والوضوح والدقة
٢٢١	٤- المرونة ومراعاة مقتضى الحال
	٥- العموم والشمول
٢٢٦	ثانيا: نماذج من الفتاوي
٢٢٦	١- العقيدة
٢٢٦	٢- العبادات
٢٢٧	٣- المعاملات
٢٢٨	٤- البدع والتحذير منها
٢٢٩	٥- ادب القضاء
٢٣٠	٦- التهذيب

٢٣٢	<u>الباب الثالث</u> : الرسائل والمناظرات والردود وكشف الشبه
٢٣٢	الفصل الاول : الرسائل والمناظرات .
٢٣٣	اولا : في الرسائل
٢٣٧	(أ) في نجد
٢٣٩	(ب) في الحجاز
٢٤٤	ثانيا : في المناظرات
	ثالثا : موضوعات المناظرات ونتائجها
٢٤٦	الفصل الثاني : الردود وكشف الشبه
٢٤٦	اولا : المراحل التي مرت بها كتابة الرسائل والردود
٢٥٢	ثانيا : جهود الدعاة في هذا الميدان
٢٦٤	<u>الباب الرابع</u> : الرحلات والاسفار
٢٦٤	الفصل الاول : اهمية الرحلات والاسفار للدعوة
٢٦٤	اولا : جهود الدعاة المبكرة
٢٦٧	ثانيا : استمرار اهتمامهم بالرحلات
٢٦٩	الفصل الثاني : اشهر الرحالة ونماذج من رحلاتهم
٢٦٩	اولا : الرواد وجهودهم
٢٨٢	ثانيا : سفراء الدعوة
٢٨٨	<u>الباب الخامس</u> : الشعر وتأثيره وجهود الشعراء
٢٩٥	الفصل الاول : الخصائص الموضوعية في شعر الدعوة
٢٩٥	اولا : شرح اهداف الدعوة
٢٩٨	ثانيا : شعر الدفاع عن الدعوة
٣٠٩	ثالثا : معالجة قضايا الدعوة
٣١١	(أ) موضوع الشرك والاسباب المؤدية اليه
٣١٤	(ب) القبور والبناء عليها وزيارتها
٣١٧	(ج) مسألة الاجتهاد والتقليد

٣٢١	الفصل الثاني : الخصائص والافراض التقليدية
٣٢١	اولا : الاهتمام بالسياسة واحوال المجتمع
٣٢٧	ثانيا : شعر الهجاء
٣٢٨	ثالثا : شعر المديح
٣٣٨	رابعا : الافراض الاخرى للشعر
٣٣٨	أ) شعر الوصف
٣٣٩	ب) البكاء والرثاء والشكوى
٣٤٢	الخاتمة
٣٤٨	ثبت المصادر والمراجع
٣٩٢	فهرس الموضوعات
